

الكنيسة المسيحية
في
عصر الرسل

الانبياء وائس
أسقف كرسى القديسة



هذه الكنيسة العجيبة

هذه الكنيسة العجيبة ، الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها ،
متسامية فوق الحواجز الطبيعية والسياسية والبشرية ... حبة الخردل
الصغيرة التى نبتت ونمت ، وصارت شجرة كبيرة جداً تأوت فى
أغصانها شعوب وشعوب ، من كل جنس ولون وأمة ولسان ...

هذه الكنيسة التى عمرت حتى الآن ما يقرب من ألفى عام دون أن
تشيخ ، بل يتجدد كل يوم شبابها ، وينضم إليها كثيرون ممن تعمل
فيهم النعمة ، ويقبلون الرب يسوع فادياً ومخلصاً ...

هذه الكنيسة التى جاءت إلى العالم بمعجزة ، واستمرت عبر التاريخ
بمعجزة ... الكنيسة التى لا تنمو بطريقة التوالد الطبيعى ، بل بالميلاد
الحديد الفائق للطبيعة ... ولا تستند إلى ذراع بشرية تحميها وتذود عنها ،
بل إلى ذراع مؤسسها وراعيتها ، الذى وعد أن أبواب الجحيم لن تقوى
عليها ...

هذه الكنيسة ، كيف نشأت وترعرعت ، وكيف صمدت وامتمدت إلى
أقاصى المسكونة وشملت الخليقة كلها ... ماذا عن كياناتها الأولى
وأنظمتها الأولى فى العبادة ... ماذا عن كتابها المقدس وعقائدها
وأسرارها . وهل هى بعينها التى بين أيدينا ونمارسها حتى الآن .. ماذا
عن كارزيها وأبطالها وتضحياتهم ... ماذا عن روحانياتها التى إنتزعت
أعجاب الملوك ، وأسرتهم بشباك حبها ووداعتها ...

هذا وغيره ما يحدثك عنه هذا الكتاب ... إنه يتناول مدة السبعين سنة
الأولى من تاريخها ، بين تأسيسها ونهاية القرن الأول الميلادى الذى
يوافق نياحة يوحنا الرسول — أكثر من عَمَر من رسل السيد المسيح ...
وبين دفتيه تجد كل ما يهمك أن تعرفه عن الكنيسة الأولى — كنيسة
الرسل ، فى أسلوب يجمع بين البحث العلمى الخالص ومنطق الروح .

الثنى ٣٢٥ قرشاً



الكتاب : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل .
المؤلف : نياقة الأنبا يوانس — أسقف الغربية .
الطبعة : الثالثة — مايو ١٩٨٧ م .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) — العباسية - القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٤٨٣٩ / ١٩٧٠ م .

مقدمة

هذا الكتاب الذى يؤرخ لكنيسة الرسل ، إنما يروى لنا قصة المسيحية الأولى : نشأتها وانتشارها ، عقائدها وإيمانها ، طقوسها وممارساتها ، روحانيتها وتراثها ، دستورها وأبطالها ... ونحن إذا أردنا أن نتعرف على المسيحية تعرفاً دقيقاً وسليماً ، فعلينا بتلك الحقبة المبكرة من تاريخها ، نعكف عليها وندرسها ... فكنيسة الرسل هى الكنيسة الأم لكل كنائس العالم ، والعصر الرسول هو النبع الأصلي للمسيحية فى صفاتها ... وحياة هذه الكنيسة وإيمانها ، وعقائدها وممارساتها وطقوسها ومبادئها ، وكل ما يتعلق بها ، هى ما يجب أن تتمسك به كل كنيسة مسيحية ... ومن هنا كانت خطورة وأهمية هذا البحث الذى يضمه هذا الكتاب ...

ونحن فى معالجتنا للموضوع ، لم نتعرض لكنيسة بالذات ، إنما تحدثنا عن الكنيسة المسيحية عامة ... كان هناك هدف نسعى إليه منذ بداية العمل حتى نهايته ، ألا وهو البحث العلمى الخالص لوجه الحقيقة ، ولا شئ سواها ... ومن هنا فإن هذا الكتاب يصلح كتاباً للجميع ، من كل كنيسة ومذهب وطائفة ، حتى لو إصطدم أحد فيه برأى أو تعليم يخالف ما تعتنقه الكنيسة أو الطائفة التى ينتمى إليها ... ويزكى الكتاب فى عموميته ما راعيناه فى مادته وأسلوبه . فهو يجمع بين الدراسة العلمية الأصيلة ، وبساطة العرض والأسلوب ، مع الابتعاد . — قدر الطاقة — عن التعقيدات التى غالباً ما تتسم بها دراسة كل قديم ... وهكذا جاء الكتاب ، كتاباً للجميع ... لطالب اللاهوت ولكل باحث عن الحقيقة ...

ويزيد من أهمية البحث ، ما تعانیه المسيحية من إنقسام وفرقة ، يظهران فى تعدد الكنائس والمذاهب فى نطاق المسيحية بصورة مذهلة ومخجلة فى آن معاً ، وانحراف الكثير منها فى الإيمان أو مبادئ المسيحية الأصيلة ... ولا علاج لهذه الحالة المحزنة التى وصل إليها العالم المسيحى ، إلا بالالتجاء إلى الكنيسة الأولى ،

الكنيسة الأم، كنيسة الرسل، والتطلع إليها كمثال أعلى في كل شيء، ودراسة كل ما يتعلق بها، للأخذ به وتطبيقه والسير على نهجه.

ما أخرج كنائس المسيحية ومذاهبها إلى مراجعة مبادئها — بحسب الحالة — في مجالات الإيمان والعقيدة والروحيات ... نحن جميعاً — وبلا أدنى إستثناء — بحاجة إلى العودة إلى ما كانت عليه الكنيسة الأولى من حرارة الإيمان وبساطة الحياة، والغيرة الملتهبة على خلاص النفس، والشركة القوية مع الرب، والعمل الدائب في الكرازة ... ويوم تفعل الكنائس والمذاهب المسيحية ذلك بروح المحبة والرغبة الخالصة في أحقاق الحق، تزول الفرقة وتنعدم الانقسامات، وتستريح أحشاء ربنا يسوع وقديسيه ... نعم، إن هذا هو السبيل السوى والإلهي لتحقيق إرادة الرب في أن يصبح الجميع واحد ...

وقد راعينا في تصنيف الكتاب — على قدر ما إستطعنا — أن نعرض للملامح الرئيسية لكنيسة الرسل: في التاريخ والكرازة والخدمة والإيمان والعقيدة والطقس والأسفار المقدسة وغيرها ... وكان هدفنا من ذلك أن تكتمل الصورة حتى ما تظهر بوضوح. لكن ليس معنى ذلك أن جميع هذه النقاط استوفيت بحثاً ... لأننا لو فعلنا ذلك لاحتاج الأمر إلى موسوعة، تخرجنا عن دائرة التاريخ، والكتاب من الناحية الموضوعية كتاب تاريخي بالدرجة الأولى. فنحن في تعرضنا للعقيدة والطقس مثلاً، إنما نؤرخ لهما، ولا نبحث فيهما بحثاً موضوعياً خاصاً. ومن هنا نقول، أن الكتاب عرض لمواضيع بحاجة إلى مزيد من البحث، كموضوع الطقوس وممارسات العبادة في كنيسة الرسل الذي عرضنا له في الباب الخامس من الكتاب ... ليت الرب يحرك قلوب بعض الباحثين الغيورين، حتى ما يوفوا هذه النقاط حقها.

ولا أنسى أن أذكر، أن هذا الكتاب هو ثمرة أمنية عزيزة طالما إشتهيتها ... كانت تلك الأمنية — ومازالت — أن أحيا في جو الكنيسة الأولى، وهي بعد بكر، تشيع فيها روح القداسة والإيمان والبساطة والغيرة والحب، قبل أن تدخل إليها روح العالم، وتتسلل إليها أساليبه الزمنية ... وبقدر ما كانت الأمنية

عزيزة ملحة ، بقدر ما كان البحث ممتعا ، وإن كان في نفس الوقت شاقاً مضمناً ...
ومشقة البحث كانت في المصادر التاريخية الأصيلة التي كان على أن أعتمد عليها .
فما كان يصلح أن أعتمد على التأليف والمصنفات الحديثة ، بل على الكتابات
الأولى ، حتى ما يأتي البحث أصيلاً في مادته ، أكاديمياً في أسلوبه ومنهجه ...

وإن كانت تلك الأمنية قد تحققت بنعمة الله ، وأثمرت هذا الكتاب ،
فثمة أمنية أخرى أسأل الرب أن يحققها بنعمته ، ويمتحن برؤياها والحياة فيها
... تلك هي أن تعود الكنيسة إلى بساطتها الأولى وعمق روحانيتها ، وأن تفتن
إلى غنى مواهبها وكنوزها وقوة مؤسستها ، القائم في وسطها دائماً ، وتعكف
على رسالتها السامية ومسئوليتها الخطرة في الكرازة والرعاية ...

وبعد ، فإنني أقدم هذا الكتاب لكل النفوس المحبة التي تنشده الحق ...
أقدمه لطلبة اللاهوت ولكل العاملين في حقول الخدمة الكنسية ... أقدمه لهم جميعاً
للدراسة ، وليس لمجرد القراءة . فتاريخ الكنيسة في تلك الفترة المبكرة — إلى جانب
أهميته القصوى — صفحة مشرقة ، يلذ للمؤمنين — كنيسة وشعباً وأفراداً — أن
يتطلعوا إليها ، ويسعوا دائنين لاسترجاعها .

أقدم الشكر خالصاً للرب أولاً ، الذي طالما لمست بصورة حسية قاطعة ،
معونته وإرشاد روحه لضعفى أثناء تصنيف هذا الكتاب ، فجاء في صورته الحالية ،
أول كتاب في المكتبة العربية يعالج موضوع كنيسة الرسل بصورة أكاديمية ، وفي دقة
وسلامة وإسهاب ...

أتقدم بالشكر لأبينا الحبر الطوباوى الأنبا ثاوفيلس أسقف ورئيس دير
السريان العامر لتشجيعه لى ، وتهيته الجو المناسب في الدير للبحث والتأليف ، فضلاً
عن مكتبة الدير الكبيرة التي أصبحت بفضلها تضم مجموعات من الكتب القيمة
التي إعتمدت عليها في تصنيف الكتاب .

وأقدم بالشكر أيضاً لحبيبنا الحبر المبارك الأنبا شنوده أسقف التعليم
الدينى ، الذى تفضل وباشر إخراج الكتاب وطبعه ونشره ، وقرره مرجعاً للدراسة في

الكلية الإكليريكية ... ولا يفوتنى أن أشكر الإخوة الأحباء «أصدقاء الكلية الإكليريكية» لأعابهم الكثيرة في طباعة الكتاب وتوزيعه ، وأيضاً كل الذين تعبوا معي في نساخة الكتاب قبل تقديمه للطبع ، والذين آزروني بصلواتهم ...

إذ أضع هذا الكتاب بين يدي الرب — رأس الكنيسة ومؤسسها وراعى رعاتها الأعظم — أسأله أن يتقبل هذه التقدمة المتواضعة ويشتمها رائحة سرور ورضى ، ويشرق بوجهه علينا فنخلص ، ويعيننى على الإنتهاء من الكتاب الثانى الخاص بكنيسة الرسل ، وهو عبارة عن تأملات في حياة تلك الكنيسة ... أسأل روح الله القدوس الذى يرشدنا إلى كل الحق ، أن يرافق كلمات هذا الكتاب ، ليصير بركة لكل من يقرأه ... بشفاعه أمنا العذراء الطاهرة مريم ، ومصاف الرسل الأبرار وكل الكارزين ، مع سحابة الشهود القديسين ... ولأهلنا كل مجد دائماً آمين .

شئوده السريانى

برية شيهيت المقدسة فى :

١٧ من مارس سنة ١٩٧١ م
٨ من برمهات سنة ١٦٨٧ ش
تذكار شهادة القديس متياس الرسول

تقديم

هذا الكتاب النفيس ، لا يحتاج منى أن أقدمه لك أيها القارئ العزيز . إنه يقدم ذاته ، دون أن يشير إليه أحد ، تكفيه مادته الدسمة ، واسم مؤلفه المعروف الباحث المؤرخ القمص شنودة السريانى ، الذى أتحفنا من قبل بكتابه السابق «الاستشهاد فى المسيحية» . وهكذا فتح هذا الأب المبارك باباً رحباً فى الكتابة المفصلة عن تاريخ الكنيسة ، وقد كانت كتبنا فى التاريخ قليلة ومجملّة ...

وحسب الترتيب التاريخى ، كان يجب أن يصلك هذا الكتاب قبل كتاب «الاستشهاد فى المسيحية» . ولكنه تأخر عنه قليلاً بسبب الجهد الكبير الذى بذله مؤلفه لاستكمال مادته فى أجل وأوسع نطاق ممكن . وبودى لو تتم هذه الحلقات من تاريخ الكنيسة ، لأن كثيرين بدأوا فى كتاب التاريخ الكنسى حتى إذا ما إستوفوا عصور القديسين الأول ، وقفوا عند القرن الخامس أو السادس .

ولقد قرأت هذا الكتاب الذى يمثل الحلقة الأولى من تاريخ كنيسةنا الجامعة الرسولية ، فوجدته كتاباً كاملاً شاملاً لعصر الرسل ، لا يحتاج معه أن تقرأ غيره . إنه خلاصة قراءات كثيرة ، وبحوث عدة ، يغنيك عن عشرات من الكتب تناولت هذا الموضوع ...

إنه يعطيك صورة واضحة عن الكنيسة فى عصر آبائنا الرسل ، وفى عصر تلاميذهم الذين إصطلح على تسميتهم بالآباء الرسولين Apostolic Fathers صورة متكاملة تشمل كل شئ : التاريخ ، والحياة ، والعقيدة ، والإيمان ، والعبادة ، والحياة الروحية ... إنها صورة ... ليست مجرد أحداث ، بل هى حياة ...

وإن عرفنا أهمية عصر الرسل والآباء الرسولين ، أدركنا أهمية هذا الكتاب . إن عصر الرسل هو المرجع الأساسى لنا فى كل شئ ... إنه يعطينا صورة

للكنيسة كما تسلمها الرسل من السيد المسيح نفسه ، صورة للكنيسة في أكمل أوضاعها ، وفي قمة روحياتها ... على أساس التقليد السليم الطاهر . إن استوعبنا هذه الصور ، نستطيع أن ندرك الأصيل والدخيل في كل نواحي حياتنا الكنسية . ودراسة هذه الفترة تقوى إيماننا ، إذ ندرك أن جوهر إيمان الكنيسة ونظامها ، هو نفسه كما كان منذ البدء . كما تسلمه الرسل من المسيح له المجد ، وكما سلمه الرسل لخلفائهم القديسين .

وهذا الكتاب – ككل الكتابات التاريخية للقمص شنوده – هو كتاب حتى .. فيه روح ، وفيه طريقة البحث العلمي ، الذى يبحث عن الحقائق ، ويناقش المعلومات ، ولا يقدم لك إلا النقى الثابت منها ...

إننى أهنيء المكتبة القبطية بهذا السفر النفيس ، وبهذه المعلومات القيمة التى أضيفت إلى ذخيرتنا التاريخية باللغة العربية . ولقد تقرر هذا الكتاب لدراسته فى الكلية الإكليريكية .

إذ نهنيء المؤلف العزيز بهذا المجهود الكبير الذى بذله حتى أوصل إلينا بحوثه الدقيقة بأسلوبه الشيق ، إنما نأمل أيضاً أن يتابع هذه الحلقات التاريخية ، وبخاصة لأن كتابنا فى التاريخ قليلون ...

وفى هذه المناسبة لا يفوتنا أن نشكر دير السريان العامر وأسقفه المحبوب صاحب النياقة الأنبا ثاوفيلس الذى زود مكتبة الدير بكافة المراجع العلمية التى يعتمد عليها الباحث ، كما نشكر الأبناء الأعزاء أعضاء لجنة أصدقاء الكلية الإكليريكية على مجهودهم المخلص فى إخراج هذا الكتاب .

ونطلب للمؤلف مزيداً من النعمة الإلهية ، ونطلب لكنيستنا أن تثبت فى هذه الصورة المشرقة التى لعصر الرسل .

لإلهنا كل مجد وكرامة فى كنيسته المقدسة .

سبت لعازر

١٠ أبريل ١٩٧١ – ٢ برمودة ١٩٨٧

شنوده

مقدمة الطبعة الثانية

منذ نفاذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب عقب صدوره في سنة ١٩٧١ بفترة وجيزة ، أخذ كثيرون يطالبون باعادة طبعه كمرجع أساسى بالعربية لتاريخ الكنيسة المسيحية الجامعة في عصرها المبكر. لكن أعباء خدمة الأسقفية المتزايدة التى سمح الرب أن توضع علينا بعد عدة شهور من صدور الطبعة الأولى ، جعل من المتعذر تنفيذ هذا العمل ... لكن الحاجة تزايدت وصارت ملحة ، خاصة بعد غو الوعى الدراسى اللاهوتى ، وصار لكنيستنا سيع كليات لاهوتية . كان لابد من التغلب على كل الصعاب مهما بلغت لاعادة طبع الكتاب .

كان بودى أن أضيف جديداً إلى مادة هذا الكتاب في طبعته الثانية . فالبحث العلمى التاريخى لا يتوقف . وهناك حفريات واكتشافات أثرية تتم ، وأبحاث تاريخية تنشر ، مما يلقي مزيداً من الضوء على تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة الأولى ، الذى يكتنفه كثير من الغموض . ومرة أخرى تحول أعباء الخدمة التى تتزايد كل يوم دون تحقيق هذه الأمنية المحببة إلى النفس . على أنى أرجو بنعمة الرب أن أتوفر على ذلك في الطبعة الثالثة إن أحب الرب وعشنا . لكن ليس معنى ذلك أن الكتاب بوضعه الحالى ينقصه شيء فهو كتاب كامل متكامل في مادته . لكنها الأمانة فى البحث والطموح العلمى الذى يأبى أن يتوقف عند حد معين .

ولا شك أن قيمة هذا الكتاب والحاجة إليه تتزايد يوماً بعد يوم ، خاصة بعد نشاط الجهود المسكونية من أجل الوحدة المسيحية . لكن وحدة الكنيسة لن تكون وحدة رئاسية ، بل وحدة فى الإيمان . وهذا الكتاب الذى يقدم لنا تاريخاً لكنيسة الرسل — الكنيسة الأم لكل الكنائس المسيحية فى العالم ، بكل أصالتها الإيمانية والروحية — لا شك أنه يساعد على دفع جهود الوحدة

المسيحية إلى الأمام . ومدى النجاح الذى يمكن أن تحققة هذه الجهود يرتبط بمدى إيمان القائمين بهذه الدعوة والمتحمسين لها بصورة الكنيسة المسيحية الأولى ، ومدى توفر النيات والمقاصد السليمة ، سلاماً وبنیاناً لكنيسة الله المقدسة ، الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها .

أقدم الشكر إلى الأبوين المحبوبين القس صرابامون عزيز والقس ويصا سامى كاهنى الكنيسة المرقسية الكبرى بالقاهرة ، اللذين تعا في تقديم الكتاب إلى المطبعة وأشرفا على الطباعة . كما أطلب نيحاً لنفس أبنا العزيز الأستاذ إشعيا ميخائيل برناب الذى رحل إلى المجد الأبدى ، وكان ثالثاً لهما في هذه الخدمة .

واذ أضع هذا الكتاب بين يدي إلهنا الصالح ، أسأله أن يجعله سبب بركة لكل من يدرسونه ، ثباتاً في الإيمان وتدعيماً للحياة الروحية المقدسة ، من أجل نشر كلمة الله ونعمة الإيمان .

وبركة آبائنا الرسل الذين حملوا الإيمان المقدس إلينا تكون معنا وتوازرنا ، ونعمة الرب تشملنا ، ولعظمته الشكر دائماً .

يوانس

بنعمة الله أسقف الغربية

١٢ من يوليو سنة ١٩٧٧ م
٥ من أيب سنة ١٩٩٣ ش
تذكار إستشهاد الرسولين بطرس وبولس

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب أوائل سنة ١٩٧١ تزئينا المقدمة الرائعة - التى أعزبها - والتى دبتجتها يراع قداسة البابا شنوده الثالث حفظه الله ، حينما كان أسقفاً للتعليم . وصدرت طبعته الثانية حوالى منتصف سنة ١٩٧٧ ، أى منذ نحو عشر سنوات . ومنذ نفاذ الطبعة الثانية توالى الطلبات لإصدار طبعة ثالثة ، باعتبار هذا الكتاب المرجع الأساسى فى العربية لأهم عصر من عصور الكنيسة وهو عصر الرسل .

وقد تمنيت فى مقدمة الطبعة الثانية أن أضيف جديداً إلى مادة الكتاب ، فالبحث العلمى التاريخى لا يتوقف . وكانت تمنعنى عن تحقيق هذه الأمنية العلمية ، أعباء الأسقفية والرعاية ، بالإضافة إلى ظروفى الصحية الصعبة التى اجتزتها منذ أواخر سنة ١٩٨٢ ، وتخللتها عملية جراحية أجريت لى فى القلب فى أكتوبر سنة ١٩٨٥ ... هذه الظروف الصحية مازالت تلازمنى حتى الآن . وإنى أشكر الله الذى أهلىنى لحمل صليب المرض ... إنها محبة من الله ألمس فيها يده ومعاونته كما أعلنها لرسوله بولس « قوتى فى الضعف تكمل » . وكل ما أطلبه من كل قارئ للكتاب أن يرفع صلاة عنى .

وعلى الرغم من هذه الظروف مجتمعة ، تمكنت من أن أضيف لهذه الطبعة الثالثة مادة جديدة للكتاب فى نحو ستين صفحة من صفحاته ... على أن هذه ليست نهاية المطاف . ورجاؤنا فى الرب عظيم فى أن يعين ضعفنا ... إنى أعِدُّ الإخوة والأبناء الدارسين والباحثين فى حقل تاريخ الكنيسة باضافات جديدة كثيرة أخرى فى الطبعة الرابعة إن أمدَّ الله فى حياتى وأعطانى القوة على ذلك .

إنها شهوة مقدسة إشتهيتها ، أن أبحث بالذات في تاريخ هذه الفترة المبكرة من حياة المجتمع المسيحي الأول ، لأرى الصورة الحقيقية لكنيسة المسيح كما سلمها لرسله القديسين .

وأود أن ألفت النظر إلى أن هذا الكتاب ليس تاريخاً علمياً جافاً ، لكنه في كل بحث من أبحاثه راعينا أن يكون مملحاً بملح الروح من أجل الاستفادة الروحية و خلاص نفس كل من يقرأه ويدرس فيه . ففكرة الكتاب أساساً هي العودة إلى مثاليات المجتمع المسيحي الأول حينما كان مجتمع قديسين .

أضع هذه الطبعة الجديدة بين يدي إلهنا الصالح ، لا لكي يكون سبباً في إضافات جديدة في المعرفة العقلانية لقارئه ، بل على وجه الخصوص إنهاضاً وإنعاشاً روحياً لهم وبركة لكنيستنا كلها .

وبركة آبائنا الرسل والكارزين القديسين الأوائل الذين أناروا المسكونة بتعاليم مخلصنا الصالح بفضل غيرتهم المقدسة ، تعمل فينا وتدفعنا لكل عمل صالح .

ونعمة ربنا يسوع تعمل معنا وفينا وبنا ولعظمته تعالى الشكر دائماً ،

لورانس

بنعمة الله وحفظه

٩ من مايو سنة ١٩٨٧ م تذكار ميلاد أمنا العذراء مريم والدة الإله .
أول بشنس سنة ١٧٠٣ ش

أهم مراجع الكتاب

- ١ - الكتاب المقدس بلغات وترجمات وطبعات مختلفة .
- ٢ - الصادق الأمين في أخبار القديسين — جزءان (القاهرة ١٩١٣) .
- ٣ - سنكسار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية — جزءان (القاهرة ١٩٣٥) .
- ٤ - مكسيموس مظلوم : الكنز الثمين في أخبار القديسين — ثلاثة أجزاء (بيروت ١٨٦٦) .
- ٥ - بطرس فرماج اليسوعي : مروج الأخيار في تراجم الأبرار (بيروت ١٨٨٠) .
- ٦ - الأرشمندريت ميشيل عساف : سنكسار الروم الكاثوليك — ١٣ جزء (حريصه — لبنان) .
- ٧ - اللقان والسجدة (طبعة ثانية ١٩٥٧) .
- ٨ - الأسقف إيسيدوروس : الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة (القاهرة ١٩٢٣) .
- ٩ - أغناطيوس أفرام الأول برصوم (البطريك) : الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة (حصص ١٩٤٠) .
- ١٠ - سويريوس يعقوب توما : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية — الجزء الأول (بيروت ١٩٥٣) .
- ١١ - الكنيسة الأرمنية — نشرة رسمية لبطيركية الأرمن في انطلياس (بيروت ١٩٣٦) .
- ١٢ - تاريخ سوريا ج ٢ مجلد ٣ .
- ١٣ - سليم سليمان : مختصر تاريخ الأمة القبطية .
- ١٤ - شحادة خورى ونقولا خورى : خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية (القدس ١٩٢٥) .

١٥ - الخورى عيسى أسعد : الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية (حمص ١٩٢٢) .

- ١٦ - موسهيم : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة (بيروت ١٨٧٥) — وهو ترجمة عربية للأصل الألماني الذى طبع فى ألمانيا سنة ١٧٥٥ .
- ١٧ - الأنبا أغريغوريوس : مذكرات لطلبة الكلية الإكليريكية عن الأبيونية .
- ١٨ - الأنبا شنوده : ناظر الإله الإنجيلي مرقس الرسول (القاهرة ١٩٦٨) .
- ١٩ - القمص شنوده السريانى : الإستشهاد فى المسيحية (القاهرة ١٩٦٩) .
- ٢٠ - كيرلس مقار : الوضع الإلهي فى تأسيس الكنيسة (القاهرة ١٩٢٥) .
- ٢١ - أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ج ١ (بيروت ١٩٥٨) .
- ٢٢ - أسد رستم : نحن ورومه والفاثيكان (بيروت ١٩٥٩) .
- ٢٣ - أسد رستم : آباء الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى (١٩٦٢) .
- ٢٤ - أسعد منصور : مرشد الطلاب إلى جغرافية الكتاب (١٩٠٥) .

25 - Josephus (Flavius), The Antiquities of the Jews.

The Wars of the Jews.

26 — 30 - The Writings of the Ante-Nicene Fathers (Vols. 1,3,4,7,10)

— Ancient Liturgies.

— St. Clement of Rome, Epistle to the Corinthians.

— St. Ignatius, Epistle to the Ephesians, Magnesians, Trallians, Romans, Philadelphians, Smyrneans and to Polycarp.

— St. Polycarp, Epistle to the Philipppians.

— Barnabas, Epistle.

— Papias, Fragments from his book "The Oracles of the Lord".

— Justin Martyr, The First Apology; Dialogue with Trypho the Jew.

— Irenaeus, Against Heresies.

— The Teaching of the Twelve Apostles (Didache).

— Constitutions of the Holy Apostles.

— Writings of Tertullian.

santamariaegypt.org

— Writings of Origen.

31 — 35 - The Writings of the Post Nicene Fathers.

(first series) Vols. 11, 12, 13.

— St. John Chrysostom:

Homilies on the Acts of the Apostles.

Homilies on first and second Corinthians, Galatians. Philippians, Timothy and Titus.

(Series Two, Vols. 1, 3.)

— Eusebius of Caesarea, The Church History.

— St. Jerome, Lives of Illustrious Men.

Letters.

— Refinus, A Commentary on the Apostle's Creed.

36 — 43 - Smith, Dictionary of the Bible, 4 Volumes (London 1893).

Dictionary of Christian Biography, 4 Volumes (London 1887).

44 — 45 - Hastings (James),

Encyclopaedia of Religion and Ethics, 13 Volumes (Edinburgh 1908).

Dictionary of the Bible (Edinburg 1954).

46 - Schaff (Philip), Dictionary of Biblical, Historical, Doctrinal and Practical Theology (Edinburgh 1883).

47 - Young (Robert), Analytical Concordance to the Bible (twenty second edition).

48 - Vaughan, The Church of the First Days, Vol. I, (London 1865).

49 - Rawson Lumby, The History of the Creeds (Cambridge 1873).

- 50 - E. De Pressensé; The Early Years of Christianity, Vol. I, (London 1880)
- 51 - Père Marin de Boylesve, Le Pape et l'Eglise (Paris 1888).
- 52 - Charles Gore, The Incarnation of the Son of God (New York 1891).
- 53 - Fisher, The Beginnings of Christianity (New York 1897).
- 54 - James Thomas, The First Christian Generation.
- 55 - Salmon (George), A Historical Introduction to the Study of the Books of the New Testament (London 1899).
- 57 - Kelly (Herbert), A History of the Church of Christ, Vol. I, (London 1901).
- 58 - Hilprecht, Exploration in Bible Lands (Edinburgh 1903).
- 59 - Exell (Joseph), The Biblical Illustrator - The Revelation (London 1907).
- 60 - Roland Allen, Missionary Methods, St. Paul or Ours (London 1912).
- 61 - Berkhof, New Testament Introduction (Michigan 1915).
- 62 - Paterson Smyth, The Story of St. Paul's Life and Letters.
- 63 - Hill (W.B.), The Apostolic Age (London 1922).
- 64 — 65 - Canon Sell, Jewish Sects (Madras 1927).
- The Talmud, Mishnah and Midrash (Madras 1928).
- 66 - The History of Christianity in the Light of Modern knowledge (collective work) (London 1929).
- 67 - Torrance (Thomas), The Doctrine of Grace in the Apostolic Fathers (London 1948).
- 68 - F.E. Vokes, The Riddle of the Didaché (London 1948).
- 69 - Karl Kautsky, Foundations of Christianity (New York 1953).
- 70 - Joseph Angus; The Bible Handbook.
- 71 — 72 - Latourette, A History of the Expansion of Christianity, Vol. I, (London 1953).

A History of Christianity (New York 1953).

73 — 74 - Harnack (Adolf), The Mission and expansion of Christianity in the first three centuries (New York 1962).

History of Dogma.

75 - Schaff (Philip), History of the Christian Church Vol. I, (Michigan 1955).

76 - Carrington (Philip), The Early Christian Church, Vol. I, (Cambridge 1957).

77 - Gibbon (Edward), The Triumph of Christendom in the Roman Empire (being the Chapters 15-20 of the History of the Decline and fall of the Roman Empire) (New York 1958).

78 — 79 - Weiss (Johannes), Earliest Christianity, Vol. 1,2 (New York 1959).

80 — 81 - Daniélou (Jean), The Bible and the Liturgy (London 1960).

The Christian Centuries, Vol. I, (London 1964).

82 - G. Vermes, The Dead Sea Scrolls (Britain 1962).

83 — 85 - Wuest (Kenneth), The Pastoral Epistles in the Greek New Testament.

First Peter in the Greek New Testament.

Studies in the Greek Text of 2 Peter; 1, 2, 3 John and Jude.

86 - Austin Farrer, The Revelation of St. John the Divine (Oxford 1964).

87 - Lebreton et Zeiller, L'Eglise Primitive (Paris 1964).

88 - Wright and Fuller, The Book of the Acts of God (Britain 1965).

89 - Annie Jaubert, Les Premiers Chrétiens (Paris 1967).

90 - J. Bartholomew, The Oxford Advanced Atlas (Oxford 1942).

91 - Wright and Filson, The Westminster Historical Atlas to the Bible (Philadelphia 1945).

92 - May, Oxford Bible Atlas (London 1962).

٧	مقدمة
١١	تقديم
١٣	مقدمة الطبعة الثانية
١٥	مقدمة الطبعة الثالثة

الباب الأول

١٧	مولد الكنيسة
٢٤	العالم الذى ولدت فيه الكنيسة
٢٦	اليهود : حالتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والأدبية
٢٧	المجمع اليهودى : بناؤه وتنظيمه ، نظام العبادة فيه
٣٢	الطوائف اليهودية : الفريسيون ، الصديقيون ، الاسينيون
٤٢	مفاهيم يهودية : السنهدرين ، يهود الشتات ، الدخلاء والمتعبدون ، اليونانيون
٤٣	العالم الوثنى : الحالة الفكرية ، الحالة الأدبية
٥٢	الامبراطورية الرومانية
٥٦	أيام الانتظار ومولد الكنيسة فى يوم الخمسين

الباب الثانى

٦٥	الصراع مع اليهودية
٦٦	كنيسة أورشليم
	مؤامرات اليهود واضطهاداتهم ٦٧ ، بركات الاضطهاد وثماره ٧٣
٨٢	الكنيسة خارج أورشليم (فى دمشق وأنطاكية)
٨٨	حركة التهود
٨٨	نظرة اليهود المتنصرين للناموس اليهودى
٩٢	مجمع أورشليم
٩٥	هل أنهى مجمع أورشليم مشكلة التهود
٩٩	فهم خاطئ لمهاجمة القديس بولس للتهود
١٠٢	مخلفات حركة التهود
١٠٤	خراب أورشليم وهيكلها وأثره على الكنيسة المسيحية

الباب الثالث

١٢١	المسيحية فى العالم أجمع
١٢٤	حقول كرازة الرسل
١٣١	عوامل مهدت الطريق أمام المسيحية
١٣٦	عمل الرسل الكرازى
١٤٣	عوامل نجاح الكرازة

١٥١	علاقة كنيسة الرسل بالدولة
١٥٦	أشهر الكنائس الرسولية
١٦٣	كنيسة أورشليم ١٥٦ ، كنيسة أنطاكية ١٥٨ ، كنيسة الاسكندرية ١٦١ ، كنيسة رومية ١٦٣

الباب الرابع

١٧٧	الحياة المسيحية في عصر الرسل
١٨٧	قوة المسيحية الروحية ومظاهرها في : الفرد ، المرأة ، الزواج ، الزواج المختلط ، التبثل ، المجتمع
١٨٨	المسيحية والرق
١٩٨	المواهب الروحية ١٩٤
٢٠٥	الكنيسة والرعاية
٢٠٦	الخدام (الرسل ، الأنبياء ، المعلمون)
٢١٠	درجات الكهنوت الثلاثة (الأسقف ، القسوس ، الشمامسة)
٢١٦	هل القسوس هم الأساقفة
٢٢٥	خدمة النساء
٢٢٩	الشمامسات ٢٢٧
٢٣٢	الرعاية الاجتماعية
٢٣٣	نظرة الكنيسة للفقراء ٢٣٢
٢٣٧	الرعاية الأدبية والروحية
٢٤٢	الحياة الأدبية ٢٣٧ ، السلطان الكنسى ٢٤٠ ، التأديبات الكنسية ٢٤٢
٢٤٤	الرعاية والتعليم
٢٤٦	بعض مبادئ مسيحية في عصر الرسل
٢٥٠	المحبة ٢٤٦ ، روح الاخوة ٢٤٨ ، الزهد في العالم والعالميات ٢٥٠
٢٥٥	وجوب العمل وقدسيتها ٢٥١ ، طاعة السلطات الزمنية ٢٥٢ ، التقاضى والمحاكمات ٢٥٥
٢٥٦	أكل لحم ضحايا الأوثان
٢٥٨	أسماء المؤمنين

الباب الخامس

٢٦١	العقائد المسيحية في عصر الرسل
٢٦٢	ماذا عن إيمان كنيسة الرسل
٢٦٤	أولاً : العقائد الأساسية
٢٦٤	عقيدة التجسد ٢٦٤ ، عقيدة الفداء والصليب ٢٦٥ ، عقيدة النعمة والخلاص ٢٦٨ ، عقيدة موت المسيح وقيامته ٢٧٢ ، عقيدة لاهوت المسيح ٢٧٤ ، عقيدة الإله الواحد المثلث الأقانيم ٢٨٨ ، عقيدة الخلاص بالإيمان والأعمال ٢٩٠ ، عقيدة قيامة الأجساد والدينونة العامة ٣٠١
٣٠٤	التقليد في كنيسة الرسل
٣١٠	ثانياً : الأسرار الكنسية

المعمودية ٣١١ ، سر التثبيت ٣١٦ ، الافخارستيا ٣١٧ ، الاعتراف ٣٢٢ ، مسحة المرضى ٣٢٤ ،
الزواج ٣٢٥ ، الكهنوت ٣٢٦
العبادة الكنسية ٣٣٠

الكنيسة المسيحية ٣٣٠ ، يوم الرب ٣٣١ ، إجتماعات العبادة ٣٣٣ ، الأسفار المقدسة ٣٣٥ ،
ولاثم الأغابى ٣٣٦ ، الصلاة ٣٣٨ ، التسابيح والترانيم ٣٤٠ ، علامة الصليب ٣٤١ ،
الصوم ٣٤٢ ، أسبوع البصخة ٣٤٤ ، الأعياد المسيحية ٣٤٥ ، الصلاة على الراقدين ٣٤٥

الباب السادس

الوحي والحياة الفكرية في عصر الرسل ٣٤٩
خلاصة المهرطقات ٣٥١ ، سيمون الساحر ٣٥٤ ، الابيونية ٣٥٥ ، النيقولاويون ٣٥٧ ،
كيرينثوس ٣٥٨ ، ميناندر ٣٥٩
كتاب العهد الجديد ٣٦١
الأنجيل الأربعة ٣٦٣ ، متى ٣٦٨ ، مرقس ٣٧١ ، لوقا ٣٨٠ ، يوحنا ٣٨٢ ، أعمال
الرسل ٣٨٧ ، رسائل بولس ٣٨٩ ، رسائل الكاثوليكون وسفر الرؤيا ٣٩٤
الأسفار الأبوكريفا ٣٩٧
كتابات الآباء الرسولين ٤٠٢
المدارس اللاهوتية ٤٠٦

الباب السابع

مشاهير الشخصيات ٤٠٩
الرسل الاثنى عشر ٤١٠
بطرس ٤١١ ، إندراوس ٤١٥ ، يعقوب الكبير ٤١٦ ، يوحنا الحبيب ٤١٧ ، يعقوب البار ٤٢١ ،
فيلبس ٤٢٧ ، برثلماوس ٤٢٨ ، توما ٤٢٩ ، متى ٤٣٠ ، يهوذا ٤٣١ ، سمعان القانونى ٤٣٢ ،
متياس ٤٣٣
بولس الرسول ٤٣٤
برنابا الرسول ٤٤٩ ، مرقس الانجيلي ٤٥١ ، لوقا الانجيلي ٤٥٤
معاونو الرسل ٤٥٨
تيموثاوس ٤٥٨ ، تيطس ٤٦٠ ، سلوانس (سيل) ٤٦١
الآباء الرسولين ٤٦٢
اكليمنضس الرومانى ٤٦٢ ، أغناطيوس الأنطاكي ٤٦٤ ، بوليكاربوس ٤٦٦
نماذج النساء الخادومات ٤٦٨
فيبي ٤٦٨ ، بريسكلا ٤٦٩ ، تكلا ٤٧١
المراجع ٤٧٣

الباب الأول



لماذا ندرس تاريخ الكنيسة ؟

قبل أن نخوض في بحث تاريخ الكنيسة في عصرها الرسولي ، نتوقف قليلاً لنعرف الإجابة على هذا السؤال . ومنه سيتضح أن دراسة تاريخ الكنيسة ليست دراسة جافة كما يتصورها البعض ، بل إنها تفتح آفاقاً ، تعيننا في العمل على مجد الله ، وخلاص نفوسنا ونجمل إجابة السؤال فيما يلي :

١ - إننا بدراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية ، إنما ندرس موضوع ملكوت الله على الأرض ... قيام هذا الملكوت واتساعه من أجل مجد الله وخلاص البشر ...

٢ - فتاريخ الكنيسة إذن هو الوصف الأمين لأصل وامتداد هذا الملكوت ... ويهدف إلى أن يعيد إلى الأذهان ، ويجسم بالكلمات تطور هذا الملكوت الخارجى والداخلى حتى وقتنا الحاضر ... إنه والحال هذه ، تفسير مستمر لمثل رب المجد عن حبة الخردل ، والخميرة التى خمرت العجين كله (مت ١٣ : ٣١-٣٣) ... فمثل حبة الخردل يظهر مدى وكيفية إنتشار المسيحية فى العالم ، بينما مثل الخميرة يظهر فعالية المسيحية القوية فى تقديس الحياة الداخلية ...

٣ - وثمة ناحية أخرى يظهرها تاريخ الكنيسة ويؤكد لها لنا ... انه يظهر الله دائماً أقوى من كل قوى الشر ، وأن مملكة النور تكشف وتنجل دائماً مملكة الظلمة ، وأن الأسد الخارج من سبط يهوذا قد سحق ، ويسحق دائماً رأس الحية ... انه يؤكد كل يوم الدرس الذى قدمه لنا حادث صلب المسيح وقيامته ، فى الباطل الذى قد ينتصر على الحق وقتياً ، والحق الذى لا بد وأن يظفر نهائياً ...

٤ - هكذا يصبح تاريخ الكنيسة أفضل تفسير للمسيحية ذاتها ، لأنه يبين التطور الأدبى والدينى للجنس البشرى ، والخطة الإلهية للفداء . كما أنه يستمد قيمته وأهميته باعتباره المدخل لحالة المسيحية الآن ، والمرشد للعمل الناجح فى كرمها ... فالحاضر هو ثمر الماضى وأساس المستقبل .

٥ - وتاريخ الكنيسة ليس مجرد معلومات تاريخية أخبار السلف ... وحقائقه ليست مجرد عظام بالية . بل أنه يشتمل على حقائق حية ، ومبادئ وقوانين لإرشادنا ... ومن يدرس تاريخ الكنيسة ، فإنما يدرس المسيحية ذاتها في كل أوجهها ، والطبيعة البشرية تحت سلطانها .

٦ - وتاريخ الكنيسة له قيمة كبرى لكل مسيحي كمستودع للتحذير والتشجيع والتعزية والنصح ... إنه فلسفة الحقائق ، والمسيحية مقدمة لنا في أمثلة حية ... وإذا كان بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين يصف في فصاحة بالغة سحابة الشهود المحيطة بنا — والتي تتألف من شخصيات بعض أبرار العهد القديم ، بقصد تشجيع المؤمنين (عب ١١ ، ١٢ : ١) ، فنحن بدراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية إنما نضع أمامنا — ولنفس الغرض — سحابة أكبر تضم الرسل والإنجيليين والشهداء والمعترفين والآباء القديسين والنسك المتعبدين ، جمهور المؤمنين الصديقين في كل عصر وأمة ولغة منذ نشأة الكنيسة إلى وقتنا الحاضر ... هؤلاء هم أبطال الإيمان والحب المسيحي ... رسالة المسيح الحية ، نور العالم وملح الأرض . ولا يمكن بطبيعة الحال أن نتعزى بإيمانهم ، ونتشجع بمثالهم ، ما لم ندرس أفكارهم وحياتهم وأعمالهم وجهاداتهم . بذلك فقط نحذو حذوهم ، وبنعمة الله ننضم إلى صفوفهم ...

أهمية دراسة تاريخ العصر الرسولي :

إذا كنا قد رأينا مدى أهمية دراسة تاريخ الكنيسة بصفة عامة ، فلاشك أن للعصر الرسولي أهمية خاصة نجعلها فيما يلي (١) :

١ - للعصر الرسولي أهمية خاصة من كل النواحي المتعلقة بالمسيحية كديانة ، ومن ثم فقد إهتم الباحثون بدراسة تاريخه . ومصدر هذه الأهمية ، هو أن حياة السيد المسيح هي النبع الأصلي للديانة المسيحية ، وتبعاً لذلك فقد إعتبر العصر الرسولي المصدر الأصيل للكنيسة المسيحية ، كمجتمع منظم منفصل ومتميز

(1) Schaff; Vol 1, pp. 198, 199.

عن مجتمع اليهود ... فضلاً عن ذلك فإنه عصر الروح القدس ، عصر الإلهام والتشريع لكل العصور التي تلتها ، والنافذة التي نطل منها على المسيحية الأصيلة في مبادئها ، القوية في إيمانها ، الإلهية في كياناتها ...

٢ - يقدم لنا صورة أمينة لحيوية المسيحية وفعاليتها ونقاوتها ... ففيه نقرأ كيف استطاعت المسيحية — بقوة فائقة للطبيعة ، وبعلامات وعجائب وإثباتات غير مألوفة لروح العصر — أن تجدد الخليقة الساقطة سواء اليهود أو الوثنيين ، بطريقة تدريجية وتفاعل هادىء .

٣ - يقدم لنا إثباتاً قوياً واضحاً على أن المسيحية كديانة ، إنما هي عمل إلهي فائق للطبيعة ... فعلى الرغم من أن الكنيسة في سعيها الحثيث لنشر رسالتها في تاريخها المبكر ، كانت كالطفل الذى يحب على الشوك ... وعلى الرغم من أنها — فى تلك الفترة العصبية من تاريخها — كانت بلا سند من قوة زمنية ، فقد استطاعت — بقوة مؤسسها الذى وعدها أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها — أن تثبت أمام جماعات اليهود بمكرهم وتعصبهم ، وجحافل الوثنيين بملوكهم وحكامهم ... إنه أمر يدعو للدهشة ، أنه فى خلال قرون قليلة من مولدها ، استطاعت المسيحية أن تنال ولاء غالبية شعوب الإمبراطورية الرومانية فى كل العالم القديم . بل أن الدولة نفسها سعت للتحالف معها ... لقد بدت المسيحية متواضعة فى مظهرها الخارجى ، لكنها كانت يقظة لأصلها الإلهي . لم يكن لها ذهب ولا فضة ، لكنها كانت غنية فى مواهبها وقواتها الفائقة للطبيعة ... قوية فى الإيمان ، حارة فى الحب ، فرحة فى الرجاء ... لقد فرضت نفسها على مسرح التاريخ كالحق الوحيد ، والدين الكامل لكل شعوب الأرض .

٤ - وثمة أمر بالغ الأهمية بالنسبة لدراسة تاريخ العصر الرسولى . فلقد كان السيد المسيح يحدث تلاميذه أحاديث كثيرة ، وصنع قدامهم آيات عظيمة لم تدون فى الإنجيل (يو ٢٠ : ٣٠) . كما أنه بعد قيامته المجيدة كان يظهر لهم مدة أربعين يوماً يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١ : ٣) ، ولم يدون كاتبو الأناجيل هذه الأحاديث . أضف إلى هذا أن التعليم المسيحى فى عصر الرسل

قدم للناس شفويًا — وهو ما يعرف باسم التقليد ... ودراسة ذلك العصر تطلعنا على هذه التقاليد ، وكل ما سلمه الرسل شفاهًا ...

٥ - يضاف إلى هذا كله ، أن العصر الرسولي يقدم لنا نماذج لشخصيات مسيحية عملاقة ، وخاصة في ميدان الخدمة والتبشير ... شخصيات إستنارت عقولهم بالروح القدس . وتأيدوا بقوة في الإنسان الباطن . ولا شك أن في هذا خير حافز على العمل والجهاد ...

المصادر التاريخية الأصيلة للعصر الرسولي :

ويمكن إجمال هذه المصادر القديمة الأصيلة فيما يلي (٢) :

١ - أسفار العهد الجديد المقدسة جميعها بصفة عامة ، وسفر أعمال الرسل بصفة خاصة ... فبينما يمدنا سفر الأعمال بمعلومات عن تاريخ الكنيسة الخارجي ، فإن رسائل الرسل تسجل تاريخها من الداخل . لكن إعتقادنا الكبير من غير شك في دراسة تاريخ الكنيسة في العصر الرسولي — وبخاصة في الفترة الأولى — يعتمد على سفر أعمال الرسل ، بل انه يعتبر المصدر الرئيسي للنصف الأول من العصر الرسولي .

٢ - كتابات التعليم والقوانين المنسوبة للرسل مثل كتاب « تعليم الرسل الاثنى عشر » المعروفة باسم Didache وكتاب الدسقولية Didascalia .

٣ - كتابات الآباء الرسولين ، ويقصد بهم تلاميذ الرسل ، من أمثالهم الآباء القديسين كليمنطس الروماني وهرماس وبابياس وأغناطيوس وبوليكرابوس .

٤ - كتابات الأبوكريفا (غير القانونية) — ويدخل تحت هذا الاسم كتابات كثيرة غير قانونية كتبت في وقت متأخر قليلاً أو كثيراً عن العصر الرسولي ،

(2) Schaff, Vol. 1, pp. 187-189; Carrington, Vol. 1, pp. 13-15.

ونسبت للرسل ، وتحتوى رسائل ورؤى وأعمال ... وهذا — وإن كانت الكنيسة ترفضها كأسفار قانونية — لكن يمكن الإستعانة بها من الناحية التاريخية ، فى إمدادنا بصورة عن ذلك العصر .

٥ - المصادر اليهودية ، وأهمها كتابات فيلو Philo الفيلسوف اليهودى الاسكندرى ، ويوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاصر خراب أورشليم ، فى كتابيه الشهيرين « آثار اليهود » و « حروب اليهود » ... كما يمدنا كتاب « المشنا » Mishna الذى يجمع تعاليم معلمى اليهود فى القرن الأول ، بصور ومعلومات عن عدد الرسل وطريقة تعليمهم ونظام الكنيسة الأولى والعبادة فيها .

٦ - الكتاب والمؤرخون اللاتين الوثنيون من أمثال تاكيتوس Tacitus وسوتونيوس Suetonius وبلينى Pliny .

٧ - كتابات آباء القرن الثانى (الجيل التالى لتلاميذ الرسل) ، من أمثال يوستينوس الشهيد وإيريناوس وهيجيسبوس Hegesippus الذى فقد كتابه ، لكن هناك إقتباسات منه فيما كتبه إيريناوس ويوسابيوس وإبيفانيوس .

٨ - المؤرخون الكنسيون ، وأشهرهم يوسابيوس القيصرى الذى كتب تاريخاً للكنيسة فى عشر كتب ، من تجسد الكلمة حتى سنة ٣٢٤ ، العمل الذى لأجله نال لقب [أبو التاريخ الكنسى] .

٩ - المخطافات الأثرية أينما وجدت سواء كانت فى أماكنها الأصلية أو المتاحف المختلفة . واليوم بفضل العديد من الإكتشافات أمكن إضافة معلومات أخرى عن تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية . ومن هذه مخطوطات البحر الميت ، وكذا إكتشافات نجع حمادى خصوصاً ما يسمى إنجيل توما وهو من كتب الأبوكريفا .

ما المقصود بالعصر الرسولى ؟

إصطلح على إطلاق تسمية « العصر الرسولى » على الفترة الزمنية التى عاش فيها رسل ربنا يسوع المسيح ، وكرزوا فيها بالإيمان المسيحى . ويشغل هذا العصر نحو سبعين عاماً ، من وقت تأسيس الكنيسة المسيحية فى يوم الخمسين سنة ٣٠ م ، إلى نياحة القديس يوحنا الإنجيلى الرسول حوالى سنة ١٠٠ م ، وهو أكثر من عَمَر من الرسل ...





قبل أن نخوض في تاريخ العصر الرسولي لتعرف على معالمة ، نحتاج إلى وقفة ، لنلقى نظرة على العالم الذي ولدت فيه الكنيسة المسيحية ... فهذا العالم هو الذي تعاملت معه الكنيسة وتفاعلت وتصارعت ... من الناحية الدينية كان العالم ينقسم إلى قسمين متميزين : يهود ووثنيين (٣) . أما من الناحية السياسية فنجد الإمبراطورية الرومانية كوحدة كبيرة متماسكة منظمة ، شغلت ممتلكاتها أجزاء كبيرة من العالم القديم .

لذا سنتكلم عن اليهود بأحوالهم وطوائفهم وأنظمتهم ، ثم عن العالم الوثني بفساده ورذائله ، وأخيراً نلقى نظرة على الإمبراطورية الرومانية ...

اليهود

١ - حالتهم السياسية :

منذ أن دخل القائد الروماني بومبي أورشليم ظافراً سنة ٦٣ ق . م ، صار اليهود خاضعين سياسياً للرومان الوثنيين . أقام بومبي حاكماً يهودياً على البلاد تحت إشراف ممثل روما ... وكان هذا عاملاً قوياً في اشتعال رجاء اليهود في المسيا المخلص ، لكن بمفهوم مادي ، فتطلعوا إلى منقذ سياسي يعيد مملكة داود ، على مستوى مجد عالمي .

(٣) يعبر القديس بولس عن ذلك بالقول : يهود وأمم ، ختان وغرلة ، يهود ووثنيين ..

٢ - حالتهم الاقتصادية والاجتماعية :

كانت سيئة للغاية ... والأمثلة التي ساقها الرب يسوع — وإن كان قد قصد بها معانى روحية — لكنها تصور لنا هذه الحالة خير تمثيل ... فمثل صديق نصف الليل (لو ١١ : ٥-٧) ، والدرهم المفقود (لو ١٥ : ٨، ٩) . ووصفه للفقراء في مثل العشاء والمدعوين (لو ١٤ : ٢١، ٢٣) والعمال البطالين في السوق طوال اليوم في مثل الفعلة وصاحب الكرم (مت ٢٠ : ١-٧) إنما تعكس لنا صورة حية نابضة عن حالة الطبقة الكادحة في المجتمع اليهودي إبان قيام الكنيسة المسيحية ... يقابل هذه الطبقة المعذمة ، فئة من كبار الملاك الأثرياء الذين لم يكن لهم سوى زيادة ثرواتهم ، غير مباليين بالفقراء . وقد صور الرب هذا التناقض الصارخ بين الفريسين في مثل الغنى الذى أخصبت كورته ولم يفكر إلا في ذاته وفي كنز ثروته (لو ١٢ : ٦-٢١) .

أضف إلى هذا ، الضرائب التى أثقلت كاهل الشعب ... فمن ضرائب كانت تجبى لحساب روما يجمعها العشارون بقسوة وإذلال وظلم ، إلى ضرائب دينية متنوعة . كان عليهم تقديمها إلى الهيكل والآن إتهموا بالخروج على الناموس ...

من أجل ذلك كله ساءت أحوال اليهود الاقتصادية وانتشرت البطالة ، واضطر البعض إلى إحتراف السرقة والإجرام . وكانوا يتخذون من طرق فلسطين الجبلية المقفرة مسرحاً لجرائمهم ... ولعل المثل الذى قدمه المسيح عن الإنسان الذى كان مسافراً من اورشليم إلى أريحا ووقع بين اللصوص فعروه وجرحوه وتركوه بين حى وميت (لو ١٠ : ٣٠) ، إنما يصور هذه الحالة أيضاً .

٣ - حالتهم الدينية والأدبية :

كان اليهود من الناحية الأدبية يفضلون الأئمين (٤) الوثنيين بكثير ...

(٤) « الأمم » لقب أطلقه اليهود على الشعوب الوثنية ، على نحو ما أطلق الرومان لقب « برابرة » على غير الرومان ، وكما أطلق العرب لقب « أعجمى » على غير العربى .

لكنهم تحت مظهر الطاعة الشديدة للناموس^(٥) كانوا يخفون فساداً مريعاً. وقد دعوا في العهد الجديد « أولاد الأفاعى » (مت ٣ : ٧) ، « أولاد إبليس » (يو ٨ : ٤٤) ، « قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان » (أع ٧ : ٥١) . ويوسيفوس مؤرخهم ، الذى كان يهمله أن يظهر مواطنيه لليونان والرومان فى صورة مشرقة ، يصفهم فى القرن الأول ، بأنهم شعب فاسد شرير ، إستحقوا بعدل العقاب المخيف فى خراب أورشليم .

أما من الناحية الدينية ، فقد تمسكوا بحرفية الناموس وبتقاليدهم دون أن يفهموا روح الشريعة أو يعرفوا قوتها ... كانوا يتحفظون تحفظ الخوف من الوثنيين ، ولذا فقد نالوا إحتقارهم كأعداء للجنس البشرى ... ومع ذلك فقد إستطاعوا بكفاحهم وحصافتهم ، أن يجمعوا ثروات طائلة ، وأن تكون لهم مكانة فى بعض المدن الكبيرة فى الإمبراطورية الرومانية (٥) .

وعلى الرغم من تمسكهم بالناموس الذى يمنهم من الإلتصال بالأمم الأخرى فإنهم تحت ضغط الظروف السياسية التى مروا بها إنتشروا فى العالم أجمع حتى أنه فى خلال العصر الرسولى ، كان لا يخلو إقليم فى الإمبراطورية الرومانية كلها من وجود جالياً يهودية (٦) .

وتبعاً لهذا الإختلاط بالأمم ، أصبحت لغة فلسطين — التى تولى عليها حكم الأجانب خاصة بعد فتح الاسكندر الأكبر (٧) — يجهلها كثير من اليهود . وصارت اليونانية مألوفة ومتداولة كاللغة الآرامية فى مدن اليهودية .

(5) Schaff, Vol. 1, pp. 63, 64.

(٦) عبر عن ذلك القديس يعقوب فى مجمع أورشليم حينما قال « لأن موسى منذ أجيال قديمة ، له فى كل مدينة من يكرز به ، إذ يقرأ فى المجمع كل سبت » (أع ١٥ : ٢١) .

(٧) خضعت بلاد اليهودية منذ سنة ٣٣٠ ق . م إلى سنة ١٦٧ ق . م للحكم الاغريقى (الاسكندر الأكبر والبطالمة والسلوقيين) . ثم قامت ثورات المكابيين (١٦٧ — ١٤١ ق . م) لأجل الاستقلال القومى . ثم أسس المكابيون دولة دينية (١٤١ — ٦٣ ق . م) . ومنذ سنة ٦٣ ق . م خضعت للحكم الرومانى بعد أن دخلها القائد بومبى ظافراً .

ومنذ القرن الأول قبل الميلاد ، خرج اليهود عن مألوفهم ، وتحولت اليهودية من ديانة متحوصلة إلى ديانة كارزة ، لها إرساليات تعمل ، الأمر الذى أشار إليه السيد المسيح بقوله للكتبة والفريسيين : « تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. » (مت ٢٣ : ١٥) ... وعلى الرغم من هذه الجهود ، فقد كان عدد المتهودين ضئيلاً . وفضل الوثنيون — ممّن أعجبوا بأدبيات اليهود — أن يظلوا على الهامش « كخائفى الله »^(٨) ، لأنهم لم يكونوا مستعدين للخضوع لقيود الناموس الطقسى الشديد^(٩) ... وكان هؤلاء يحضرون المجامع اليهودية كموعوظين ... ولعل مما ساعد على حركة الانضمام هذه ، الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية التى تمت فى عهد وبرغبة بطليموس الثانى ملك مصر (٢٨٥ — ٢٤٦ ق. م) لمنفعة شعبه من اليهود الذين كانوا يجهلون العبرية .

★ ★ ★

والآن نعرض للمجامع اليهودية التى يتردد ذكرها كثيراً فى أسفار العهد الجديد ، وكان لها أثر كبير فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، ثم نعرض لبعض الطوائف والمفاهيم اليهودية :

١ - المجمع اليهودى^(١٠)

كان هو المركز المحلى لحياة اليهود الدينية والاجتماعية ... كان مدرسة ومعبدًا وحارساً لكل تراثهم . وقد إزدادت أهميته بعد خراب هيكل أورشليم سنة ٧٠ م ... بدأت المجامع اليهودية تاريخياً من وقت السبى وعزرا ، وإن كان اليهود يحاولون إرجاعها إلى مدارس الأنبياء ، بل إلى زمان البطارقة الأولين . وفى العصر الرسولى كان المجمع قد إكتمل نظامه واستخدمه اليهود كقاعدة للتعليم الشعبى ...

(٨) انظر : أع ١٣ : ٤٣ ، ٥٠ : ١٦ : ١٤ : ١٧ : ٤ ، ١٧ : ١٨ : ٧ .

(9) The book of the Acts of God, pp. 228, 229.

(10) Schaff, Vol 1, pp. 456-460.

وكلمة مجمع Synagogue ككلمة كنيسة ، تعنى الشعب والبناء ، حيث يجتمع الشعب للعبادة العامة . كان لكل مدينة مهما صغرت مجمع ، أو على الأقل مكان للصلاة فى منزل خاص أو فى الهواء الطلق . وكان المكان يختار عادة قرب نهر أو شاطئ بحر لتسهيل الغسلات الطقسية . وقد صور سفر الأعمال إنتشار المجمع اليهودية بقوله : « لأن موسى منذ أجيال قديمة له فى كل مدينة مَنْ يكرز به ، إذ يُقرأ فى المجمع كل سبت » (أع ١٥ : ٢١) ...

ووفقاً للتقليد اليهودى ، كان يكفى وجود عشرة رجال فى مكان ما ليؤسسوا إجتماعاً دينياً ... وإقامة مجمع ، كانت تعد عملاً صالحاً يذكر بالخير (لو ٧ : ٥) ... هكذا إنتشرت المجمع اليهودية فى أماكن كثيرة . وكان هناك عديد منها فى المدن الكبيرة كالاكندرية وروما . أما أورشليم وحدها فكان بها نحو أربعمائة مجعاً للطوائف المختلفة واليونانيين من الأقطار الأخرى (أع ٦ : ٩) .

وصف البناء :

كان عبارة عن بهو فسيح قائم الزوايا ، ليس له طراز معمارى خاص . أما ترتيباته من الداخل فتشبه إلى حد ما خيمة الإجتماع والهيكل . كانت فيه مقاعد ، خصصت المرتفعة منها للشيوخ والأعضاء الموسرين (مت ٢٣ : ٦ ؛ يع ٢ : ٢ ، ٣) وكان فيه منبر أو ما يشبه المنجلىة للقراءة ، وتابوت خشبى أو مقصورة لحفظ الكتب المقدسة ، وكانت تسمى Copheret أو كرسى الرحمة أو هارون .. وهذه تقابل قدس الأقداس فى خيمة الإجتماع والهيكل . وكان هناك ضوء مقدس يحتفظ به مشتعلاً دائماً ، رمزاً للناموس المقدس ، ويقابل الضوء الذى كان موجوداً فى الهيكل ... ويوجد صندوقان للعطاء موضوعان بجوار الباب كما كان الحال فى الهيكل ، أحدهما لفقراء أورشليم (١١) ، والآخر للإحسانات المحلية ... كانت لا توجد زخارف للتزيين — ما عدا النباتات — لأن الوصية الثانية من الوصايا العشر تنهى

(١١) لقد نهج القديس بولس نفس هذا النهج حينما كان يجمع من كنائس الأمم صدقات لفقراء أورشليم المسيحيين .

بشدة عن الصورة كشيء وثنى . وكان البناء يقام على أعلى بقعة في المنطقة . ولم يكن مسموحاً لأى منزل أن يتجاوز في إرتفاع المجمع . وفي حالة عدم وجود أرض مرتفعة لإقامة المجمع عليها ، كان يثبت عمود خشبي طويل في سقف البناء ، لكيما يجعله ظاهراً .

التنظيم :

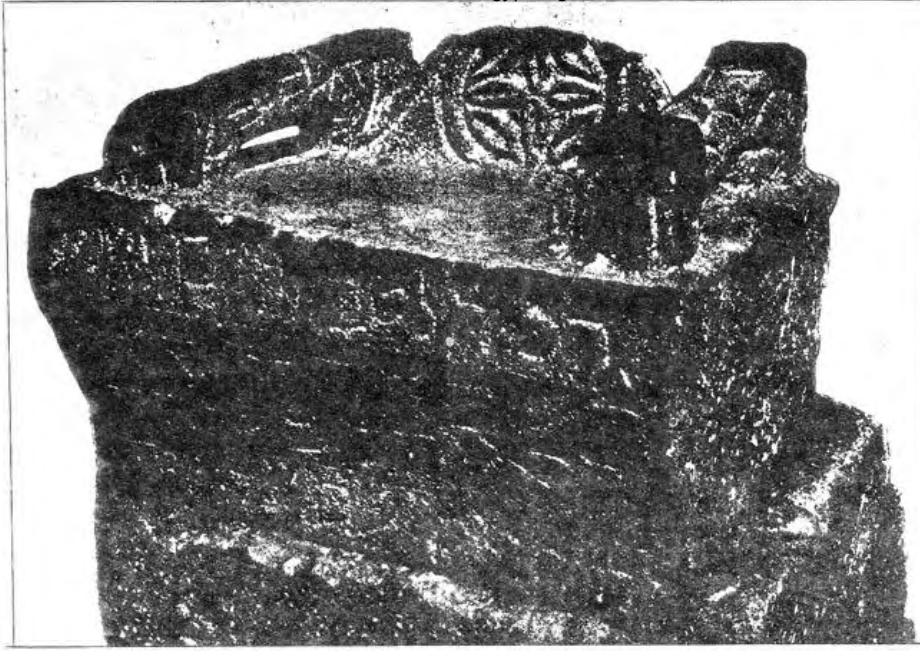
كان لكل مجمع رئيس (١٢) ، وعدد من الشيوخ Zekenim مساوين له في الرتبة ، وقارئ ومترجم . وقد بدى في إستخدام المترجم عقب العودة من السبى البابلي ليترجم الدروس من العبرية إلى الكلدانية أو الآرامية ، أو اليونانية أو اللغات الوطنية الأخرى . كما كان لكل مجمع شخص أو أكثر يرسلون في مهام بسيطة تحتاج إلى إنتقال ، ويدعون « مبعوثين » sheliach وقندلفت chazzan أو خادم للخدمات اليدوية البسيطة (لو٤ : ٢٠) . كما كان يوجد خدام لجمع الصدقات وكانوا يسمون gabae zedaka ومهمتهم جمع الصدقات ... وكان المجمع عبارة عن هيئة قضاء دينية ، لها السلطة أن تطرد وأن توقع عقوبات على المذنبين ، قد تصل إلى الجلد (١٣) ... كان بكل مجمع عشرة رجال أثرياء يحضرون كل خدماته ويمثلون الشعب . وكان كل مجمع مستقلاً داخلياً ، لكنه في نفس الوقت ، كان على صلة منتظمة بالمجامع الأخرى .

العبادة :

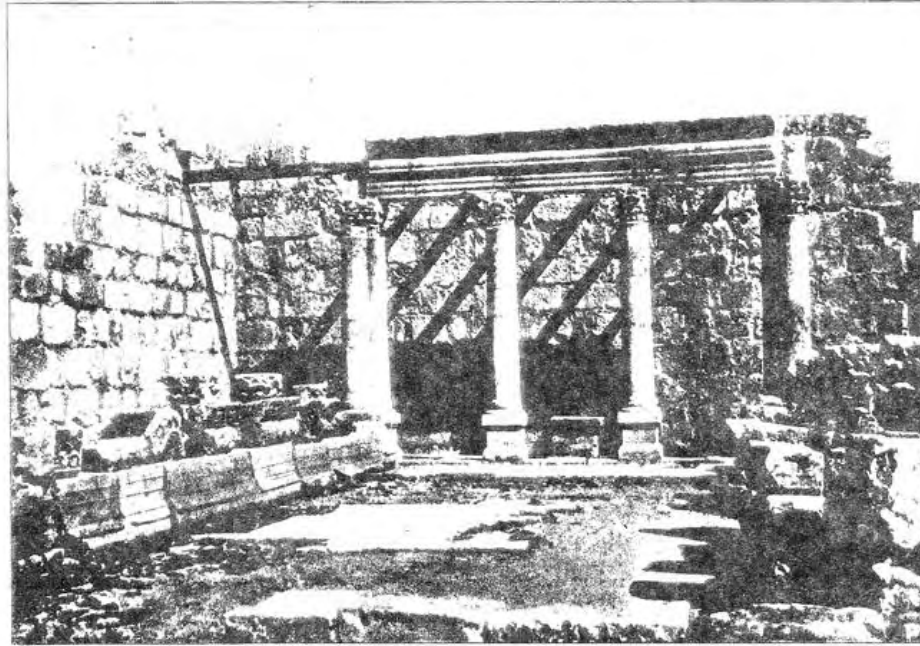
كانت بسيطة لكنها طويلة ، وتتميز بها ثلاثة عناصر : عنصر تعبدى ، وعنصر تعليمى ، وعنصر طقسى ... كما إشتملت على صلوات وأناشيد وقراءات وشرح للأسفار المقدسة ، وطقس الختان ، وغسلات طقسية .

(١٢) مر ٥ : ٣٦ ، ٣٨ ؛ لو ٨ : ٤٩ ؛ ١٣ : ١٤ ؛ أع ١٨ : ٨ ، ١٧ .

(١٣) مت ١٠ : ١٧ ؛ لو ١٢ : ١١ ؛ يو ٩ : ٣٤ ؛ أع ٢٢ : ١٩ .



كرسى موسى - حيث يجلس المعلمون في المجمع اليهودى
« على كرسى موسى جلس الكتبة والفرسيون » (مت ٢٣ : ٢)



بقايا مجمع يهودى في كفر ناحوم يرجع إلى القرن الثالث الميلادى

أما الذبائح الدموية فكانت قاصرة على الهيكل بأورشليم ، وبطلت بخرابه وهدمه ... كانت الصلوات والأناشيد تؤخذ أساساً من المزامير . وكانت الصلاة الافتتاحية تتألف من بركتين افتتاحيتين ، إحداهما قراءة الوصايا العشر ، والثانية قراءة بعض أجزاء من أسفار موسى الخمسة (١٤) ... يتلو ذلك الثماني عشرة صلاة والبركات ، وكان يتلوها قارئ ، ويجاوبه الشعب « آمين » ... وهذه إحدى الصلوات :

« إمنحنا سلاماً وسعادة وبركة ونعمة ورحمة ، وترأف علينا وعلى شعبك إسرائيل . باركنا كلنا يا أبانا متحدين بنور رضاك . لأنه في نور رضاك أيها الرب إلهنا أنت أعطيتنا ناموس الحياة والرأفة والعدل والبركة والحنو والحياة والسلام . ليتك تبارك شعبك إسرائيل بالسلام . »

كان الجزء التعليمي والوعظي من العبادة مؤسساً على الأسفار اليهودية .. كان يُقرأ درس من الناموس وآخر من الأنبياء ، ويتبعهما تفسير وعظة باللغة الآرامية الوطنية أو اليونانية . وتختتم الخدمة بالبركة ، ويجاوب الشعب « آمين » . وحيث أنه لم يكن هناك ممارسات كهنوتية خارج هيكل أورشليم ، لذا كان يمكن لأي يهودى مسن أن يقف ويقرأ الدروس ويتقدم الصلاة ويخاطب المجتمعين .. وقد انتهر السيد المسيح ورسله فرصة هذا الامتياز الديمقراطي ، ليبشروا بالإنجيل الذى فيه تم ما جاء بالناموس والأنبياء (١٥) .

كانت أيام الخدمة العامة هى السبت والاثنين والخميس . وساعات الصلاة هى الثالثة والسادسة والتاسعة بالتوقيت العبرى (١٦) .. وكان يفصل بين الرجال والنساء حائط منخفض أو ستار . كان الرجال يجلسون فى ناحية والنساء فى ناحية أخرى كما هو الحال فى كنائسنا اليوم . وكان الناس يتجهون فى الصلاة نحو أورشليم .

(١٤) هى : تث ٦ : ٤ - ٩ ؛ ١١ : ١٣ - ٢١ ؛ عد ١٥ : ٣٧ - ٤١ .

(١٥) لو ٤ : ١٧ - ٢٠ ؛ يو ١٨ : ٢٠ ؛ أع ١٣ : ٥ ، ١٥ ، ٤٤ ؛ ١ : ١٧ ؛ ٢ : ٤ .

(١٦) بقبلها التاسعة صباحاً والثانية عشر ظهراً والثالثة بعد الظهر بتوقيتنا الحالى .

صاحب نشأة الكنيسة المسيحية وجود عدة طوائف يهودية . ولقد أظهرت دراسة تاريخ الكنيسة الأولى في أورشليم مدى تعقيد العالم اليهودي الذي كانت تنمو فيه الكنيسة المسيحية . وسنقصر حديثنا على الطوائف اليهودية الثلاث البارزة : الفريسيين والصدوقيين والأسينيين .

الفريسيون :

الفريسيون Perushim ، أى المفرزون – الذين أفرزوا أنفسهم عن الأمم وكل عوائدهم – هم إمتداد لجماعة الحسيديين (الأتقياء) الذين ظهروا في زمان المكابيين (١٧) ... كان لهم شأن كبير في زمان السيد المسيح ورساله . اتخذوا لأنفسهم طريقاً ضيقة في العبادة ، حتى أن القديس بولس الذي عاش قبل تنصره فريسياً يقول عن نفسه : « إني حسب مذهب عبادتنا الأضيّق عشت فريسياً » (أع ٢٦: ٥) .

يمكن القول إن رسالة الفريسيين كانت رسالة دينية خالصة ، لكن إهتمامهم بالدين لم يمنعهم من خوض غمار السياسة في بعض الأحيان .. وصفهم

(١٧) هؤلاء الحسيديون كانوا ضد النفوذ الهيليني (الأغريقي) الذي أخذ يتسرب وقتذاك إلى اليهودية بواسطة السلطات الاغريقية وقرنٌ مال إليهم . ومن ثم فقد إتحد هؤلاء الحسيديون في بادئ أمرهم مع المكابيين في ثورتهم ، وساندوهم لأنهم رأوا فيها محاولة جريئة للحفاظ على الناموس المقدس (مكابيين الأول ٢ : ٤٢-٤٤) . وكان المكابيون يؤلفون جماعة سياسية ، تتطلع إلى قيام دولة دينية يهودية . لكن ما لبث الحسيديون أن انفصلوا عن المكابيين لكسرهم السبت بالحرب فيه (مكابيين الأول ٢ : ٤١) ، ولاخذهم رئاسة الكهنوت التي كانت وفقاً على نسل هارون ... لكن ما لبث الحسيديون أن اختفوا من مسرح الأحداث ، لكن مبادئهم وغيرتهم ظلت غير منسية .. وهكذا مهدوا لظهور جماعة الفريسيين – انظر :

Sell, Samaritan and other Jewish Sects, pp. 30-32.

يوسفوس بأنهم أقوياء جداً ، فخزروا بحفظهم لثاموس آبائهم بكل دقة ، وبأن الله يحبهم ... كانوا هم – وليس الكتبة – هم مصدر السلطة في المجتمع اليهودي ، حتى أن السيد المسيح قال : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون » (مت ٢٣ : ٢) . لكنهم إشتهروا بريائهم ، حتى صارت الفريسية علماً على الرياء (انظر متى ٢٣) .

غالباً ما يقترن اسم الفريسيين بالكتبة في الأناجيل ، فمن هم هؤلاء الكتبة ؟

لم يكن هؤلاء الكتبة طائفة دينية ، لكنهم كانوا أرباب حرفة علمية لها شأنها في المجتمع اليهودي ... ويبدو أن ظهورهم كجماعة لها كيائها يرجع إلى عصر مبكر كما نستنتج من سفر أخبار الأيام (١ أى ٢ : ٥٥) . عرفوا بعد زمان عزرا باسم السopherim من كلمة Sopher ومعناها مؤلف أو شخص يعلم كتاب الناموس (١٨) ...

كان الكتبة إذن مع الفريسيين هم معلمو الناموس ... وكانت لهم مكانة عظيمة بين الشعب . إستشهد أحد مقدميهم ويدعى اليعازر لأنه رفض كسر الشريعة (مكابيين الثاني ٦ : ١٨ ، ١٩) . كانوا دائماً على ود مع الفريسيين ، بل كانوا أكثر الشيع اليهودية إتحاداً (١٩) .

الصادوقيون :

ترجع تسميتهم – حسب أرجح الآراء – إلى « صادق » رئيس الكهنة ، الذي أقامه سليمان ملك إسرائيل (١ مل ٢ : ٣٥) . ويشير النبي حزقيال إلى « أبناء صادق » ، ويصفهم بأنهم أهل لخدمتهم ، ويوثق بهم في واجباتهم .. لا نعرف على وجه التحديد زمان قيام هذه الطائفة ، لكن يرجح أنه كان في

(١٨) كلمة sepher بالعبرية معناها كتاب ، وهي نفس الكلمة المستخدمة في العربية « سفر » .

(19) L'Eglise primitive, p. 45.

زمان حكم أنطيوخوس إيفانوس Antiochus Epiphanes ملك السلوقيين
بسوريا، الذى أخضع لحكمه بلاد اليهودية، حيث بدأ الصراع بين اليهودية
والهيلينية .. كان التثقف بالثقافة الهيلينية (الأغريقية) الجديدة، هو الطريق المهد
للثروة والجاه السياسى والترقى فى المناصب ...

وقد إعتنق كثير من القادة الدينيين وأتباعهم وجهات النظر والعوائد الاغريقية،
وتشبعوا بالروح العالمية (٢٠). ولعل هذا ما أشار إليه سفر المكابيين بقوله: « فى
تلك الأيام خرج من إسرائيل أبناء منافقون. فأغروا كثيرين قائلين، هلم نعقد
عهداً مع الأمم حولنا، فانا منذ إنفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة » (مكابيين
الأول ١: ١٢).

كان الصدوقيون يمثلون أرستقراطية الكهوت، الذين أمسكوا بمقاليد السلطة
فى الشئون اليهودية ابان سيطرة الفرس ثم خلفاء الاسكندر (البطالمة والسلوقيين).
وقد تمتعوا بنفوذ مطلق فى الهيكل، وبالتالي فى اورشليم وكل اليهودية ... كانت
تصل إلى أيديهم كل الضرائب التى تجبى باسم الهيكل، سواء من اليهود المقيمين
أو من يهود الشتات، فضلاً عن نصيبهم من الذبائح والعشور وضريبة الدرهمين
(مت ١٧: ٢٤).

وهكذا أثرى الصدوقيون ثراء عريضاً (٢١)، وترتب على ذلك إهمالهم
للشئون الدينية وانصرافهم إلى العالميات .. وكانت نتيجة ذلك أن انتقلت
قيادة الشعب الحقيقية إلى الفريسيين والكتبة.

لم يكن ما ذكرناه هو السبب الوحيد لعداء الصدوقيين والفريسيين
الشديد، بل هناك سبب آخر يتصل بإيمانهم ... لقد كانت للصدوقيين

(20) Sell, Samaritan and other jewish sects, pp. 58, 59.

(٢١) كانت هناك مخازن ضخمة ملحقة بالهيكل اليهودى لحزن كميات كبيرة من البضائع فضلاً عن
الذهب والفضة، لذا كانت تعين لها حراسة قوية، خوفاً من الناهيين. وشخص واحد يدعى مرقس
كراسوس Crassus نهب منه ما يوازي اثنى عشر مليوناً من الدولارات ذهباً وفضة. أنظر: Josephus,
Antiquities, 14.7; Karl Kautsky, Foundations of Christianity, p. 229.

+ كانوا يعارضون الناموس غير المكتوب ، الذى إعتبره الفريسيون مقدساً وأنه
إنحدر إليهم عن موسى . ورفضوا قبول أية تشريعات غير واردة فى ناموس
موسى (٢٢) .

+ كانوا لا يؤمنون بعقيدة القيامة من الأموات (أع ٢٣ : ١ - ٩) .
+ أنكروا الملائكة والأرواح (أع ٢٣ : ٨) .

وكان من نتيجة ذلك أن فقد هؤلاء الصدوقيون سيطرتهم على الشعب . وبعد
خراب أورشليم والهيكل ، فقدوا كلية نفوذهم السياسى ...

الأسينيون :

لم يرد ذكر الاسينيين Essenes فى أسفار العهد الجديد . لكن المكتشفات
الأخيرة أظهرت لنا تأثيرهم القوى على الحياة الدينية فى المجتمع اليهودى فى ذلك
العصر . بل قيل إن بعض تلاميذ السيد المسيح كانوا من أتباعهم ، وأن يوحنا
المعمدان كان أحد أفراد جماعتهم ...

ألف الأسينيون جماعة يهودية عاصرت ظهور السيد المسيح بالجسد ، وكانت
مزدهرة فى القرن السابق للميلاد ، واستمرت حتى خراب أورشليم سنة ٧٠ م
... وإن كان المؤرخون القدامى قد ذكروهم باقتضاب كبير ، لكن بفضل ما عُثِرَ
عليه فى مغارات قمران Qumran عند الشاطئ الغربى للبحر الميت جنوبى أريحا ،
أصبح لدينا وفرة من المعلومات عنهم .

لقد أطلق الكتاب القدامى على هذه المجموعة اسم « الأسينيين » ، وهى
تسمية تعنى على الأرجح « الأتقياء » . أما هم فقد أسموا أنفسهم — حسبما ورد

(٢٢) أدخل اليهود بعد عودتهم من السبى بعض عادات وتقاليد غير مدونة فى الناموس المكتوب .
ونسب الفريسيون هذا التقليد الشفوى إلى موسى . وقالوا إن سيناء أخذ من الله ناموساً
شفوياً إلى جانب الناموس المكتوب .

في مخلفاتهم المكتشفة — « الجماعة » ^{saḥarīya} أو « جماعة العهد الدائم » .

أما عن عقائدهم وطقوسهم وأسلوب معيشتهم (٢٣) ، فهي عقائد يهودية خالصة أساسها ناموس موسى والأنبياء ، لكن على غير ما أوله الفريسيون والصدوقيون . وكانوا ثأثرين على الشكليات في الدين ...

كانت جماعة الأسينيين تمثل طائفة سرية مغلقة ... كانوا يقللون من شأن المرأة . وكانوا يمثلون جماعة إشتراكية على أشد ما تكون الإشتراكية ، إذ لم يكن لأى من أعضاء الجماعة ملك خاص ، وكانت الأعمال تورع عليهم توزيعاً عادلاً .

٣ - مفاهيم يهودية

واقتماً للفائدة نتناول بالشرح بعض المفاهيم اليهودية التى ترتبط بموضوع دراستنا عن العصر الرسولى . كالسنهدين وهو مجلس اليهود الأعلى ، ويهود الشتات ، والدخلاء المتعبدين واليونانيين .

السنهدين (٢٤) :

وهو مجلس اليهود الأعلى الذى حوكم أمامه السيد المسيح ورسله .. وترجع التسمية فى أصلها اللغوى إلى الكلمة Sunhedrion واستخدمت فى الآرامية بمعنى محفل . واستناداً إلى ما جاء فى المشنا اليهودى ، فإن البعض يرجع قيام السنهدين إلى زمان موسى ، حين عين سبعين من شيوخ إسرائيل لمعاونته (عدد ١١ : ١٦ ، ١٧) . والبعض يرجعه إلى زمان يهوشافاط (٢ أى ١٩ : ٨) ... لكن يبدو أنه لم يكن له وجود إلاً فى مرحلة ما بعد السبى . وقد تشكل على أرجح الآراء حوالى سنة ١٩٠ ق.م .

(23) Vermes, The Dead sea Scrolls.

(٢٤) ويكتب بالنون Sanhedrin أو بالميم Sanhedrim — انظر : Sell, Samaritan and other jewish sects, pp. 83-85.

كان مجلساً أرستقراطياً ، يضم سبعين أو اثنين وسبعين عضواً . وكان يتألف من ثلاث فئات :

الكهنة (أو رؤساء الأربعة والعشرين فرقة الكهنوتية) ، والشيخ (أو رؤساء الأسباط) ، والكتبة . وكان الشيخ يمثلون الأرستقراطية العلمانية ، وينتمون مثل الكهنة إلى شيعة الصدوقيين (٢٥) ... وكان رئيس هذا المجلس يختار على أساس نشاطه وحكمته ، وغالباً ما كان هو رئيس الكهنة . وكان يسمى بالعبرية ab-beth-din أى أب بيت العدالة (٢٦) .

وفي إنعقاد هذا المجلس كان يجلس عن يمين الرئيس ، نائب رئيس أول وعن يساره نائب رئيس ثان . أما بقى الأعضاء فكانوا يجلسون فى شكل نصف دائرى ، حتى ما يرى كل عضو الآخرين ...

أما عن مكان إنعقاده ، فبناء على ما جاء فى التلمود ، فإنه كان ينعقد فى حرم الهيكل . لكن هناك رأياً آخر يقول إنه كان ينعقد فى الجانب الشرقى لجبل صهيون على مقربة من الهيكل .

أما عن سلطات هذا المجلس فقد اختلفت من زمان إلى آخر بحسب الظروف والأحوال السياسية ، التى كان يمر بها اليهود .

وفى العصر الرسولى كانت سلطاته محدودة إلى حد ما . كان مايزال يحتفظ بسلطة الحكم بالاعدام دون قوة التنفيذ ، التى كانت من إختصاص الوالى الرومانى .

(٢٥) كان رؤساء الكتبة من الفريسيين . ومعنى ذلك أن الفريسيين كانوا ممثلين فى هذا المجلس الأعلى — انظر : L'Eglise Primitive, p.45.

(26) Carrington, Vol. 1, p. 14.

يهود الشتات (٢٧) :

وهم اليهود الذين عاشوا خارج فلسطين ، لسبب أو لآخر ... إما لعدم عودة بعض أسلافهم من السبي إلى أرضهم ، وإما نتيجة حمل بعض الفاتحين الغزاة المتأخرين لبعض آخر منهم إلى الخارج ، وإما بسبب الهجرة إلى بعض المدن الجديدة ، نتيجة إغراء مؤسسيها ، لعلمهم أن اليهود مواطنون نافعون ... ومهما يكن من أمر ، فالنتيجة أن اليهود عاشوا في أغلب المقاطعات الرومانية ، في كل حوض البحر المتوسط ، وشرقاً فيما وراء سوريا . وكانوا بأعداد ضخمة في بلاد ما بين النهرين وبابل وميديا . حتى أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي يقول : [لا يوجد شعب في العالم لا يضم جزء منا] . ويقول الجغرافي سترابو Strabo : [ليس من السهل أن تجد بقعة في العالم لم تستقبل هذا الجنس (اليهود)] . وقد عاشوا في المدن ، مؤلفين جاليات متميزة ، ومتمتعين ببعض الامتيازات الخاصة التي أحرزوها بطرق مختلفة ... وعلى الرغم من أن روما حرمت الديانات الشرقية ، لكنها استثنت الديانة اليهودية (٢٨) ، وصرحت لاتباعها أن يضموا أتباعاً جدداً ، وأن يمارسوا شرعهم المقدس ، الذي كان بمثابة قانونهم الديني والمدني والجنائي ... وهذا يفسر كيف أعطى رؤساء الكهنة سلطاناً لشاول الطرسوسي أن يقبض على أي يهودي متنصر في دمشق ، ويسوقه إلى اورشليم ليحاكم (أع ٩ : ٢) .

الدخلاء والمتعبدون (٢٩) :

كان ليهود الشتات رسالة بين الأمم الوثنية ، إتماماً لوصية الرب « اعترفوا للرب يا بني إسرائيل ، وسبحوه أمام جميع الأمم . فإنه فرقكم بين الأمم الذين يجهلون ، لكي تخبروا بمعجزاته ، وتعرفوهم أن لا إله قادر على كل شيء سواه »

(27) Hill; pp. 56-59.

(٢٨) أصدر مجلس الشيوخ الروماني في (سنة ١٣٩ — ١٣٨ ق . م) قراراً بحماية اليهود ، أرسل إلى إنحاء الدولة .. انظر : Harnack, The Mission ... p. 2 .

(29) Smith; Dictionary of the Bible, Vol. 3, pp. 940, 941; Hill, pp. 56-59; L'Eglise Primitive, p. 60.

(طوبيا ١٣ : ٤، ٣) ... ومن هنا فقد طافوا البحر والبر ليكسبوا دخيلاً واحداً (مت ٢٣ : ١٥) . وهكذا ، فقد كان كل يهودى — بحسب تعبير القديس بولس — يثق أنه قائد العميان ونور للذين فى الظلمة ، ومهذب للأغبياء ، ومعلم للأطفال (رو ٢ : ١٩ ، ٢٠) .

كان اليهودى بين جيرانه الوثنيين يتمتع بمهارة تثير عليه كراهيتهم .. كما أنه كان موضع سخريتهم بسبب الأمور التى تنفرد بها ديانتهم (٣٠) ، كما كان مكروهاً للأصرار على الوقوف بمعزل عن بقية الجنس البشرى ... لكن على الرغم من ذلك ، فقد استطاعت اليهودية فى كل عصر أن تجذب إليها بعض المفكرين ، الذين راقبتهم عقيدتها التوحيدية وسمو شريعتها الأدبية بالمقارنة مع خرافات الوثنية وفساد أدبياتها ... ومن أمثلة هؤلاء بعض قواد المائة الذين أحبوا اليهودية والشعب اليهودى وبنوا لهم مجامع (لو ٧ : ٥) ..

لقد رحبت اليهودية بأمثال هؤلاء وقدمت لهم كتابها المقدس باللغة اليونانية (الترجمة السبعينية) ، وسمحت لهم فى بعض الأحيان بحضور خدمات المجمع (انظر أع ١٣ : ٤٢) ... كان بعض هؤلاء المعجبين باليهودية يخطون الخطوة الأخيرة نحو إنضمامهم لليهودية ، فيختتنون ، وكان يطلق عليهم إسم «الدخلاء» ، ويوضعون فى وضع يقارب اليهود بالمولد . والبعض الآخر كانوا يقبلون حقائق الديانة اليهودية الكبرى ، لكنهم كانوا يرفضون حمل نير الناموس اليهودى بما فيه من قيود دائمة ، وعزلة لا مفر منها ... وقد سمح هؤلاء بحضور المجمع وبالاختلاط بأصدقائهم من اليهود ، مقابل امتناعهم عن بعض الأطعمة والممارسات التى يمتنع عنها اليهود (٣١) . كما كانوا يصومون ويقدمون صدقات كأكثر اليهود تدقيقاً (أع ١٠ : ٢ ، ٣) ... ودعى هؤلاء باسم «المتعبدين» أو «خائفى الله» .

(٣٠) كالختان وحفظ السبت وعدم أكل الخنزير وبعض المأكولات ، ورفض الأوثان ... إلخ .

(٣١) يغلب على الظن أن تلك القيود كانت هى نفس القيود التى فرضت فى العهد القديم على الغريب الذى يقيم بين بنى إسرائيل (انظر لاو ١٧ ، ١٨) .

وكثيراً ما نقرأ في سفر أعمال الرسل عن الدخلاء والمتعبدين (٣٢) ... كانوا يحجون إلى أورشليم لزيارة الهيكل في الأعياد الكبيرة (أع ٢ : ١٠) .. وكان لهم مكان مخصص في الهيكل عُرف باسم « دار الأمم » ... بين هؤلاء المتعبدين ، وجدت المسيحية — وقد طرحت عنها نير اليهودية الثقيل — سامعيها المستعدين ، إذ وجدوا فيها أفضل وأسمى مما جذبهم نحو اليهودية ، وبلا قيود أو معوقات ...

اليونانيون (٣٣) :

كثيراً ما نلتقى في سفر أعمال الرسل بهذه التسمية « اليونانيين » .. فمن هم هؤلاء اليونانيون أو كما يسمون الهيلينيين ؟

هم يهود الشتات الذين عاشوا خارج فلسطين ، وتكلموا اليونانية .. كانت جماعات كبيرة من هؤلاء اليونانيين يسكنون أورشليم — وكانت لهم طرق معيشتهم الخاصة ، والتي وجدت طريقها إلى يهود أورشليم .

ونستطيع أن نفهم مما ورد في (أع ٦ : ٩) . أن بين المجامع العديدة التي كانت في أورشليم ، وجدت مجامع خاصة باليونانيين ... بعضها كان خاص بيهود القيروان والاسكندرية ، وبعضها كان خاصاً بأهل كيليكية واقلية آسيا ... وهكذا . ومن المحتمل أن كلمة مجمع المذكورة في (أع ٦ : ٩) لا تعنى مجرد البناء ، بل قد تعنى أن هؤلاء اليهود الذين تكلموا اليونانية ، إتحدوا في جماعات قومية ... وتجمع هذه الجماعات في مجامع مستقلة ، يعنى أن اللغة اليونانية كانت هى المستخدمة بينهم . وقد توقع الجمع في الهيكل أن يخاطبهم بولس باليونانية ، فلما خاطبهم بالعبرية إندهشوا

(٣٢) انظر : أع ١٣ : ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ١٧ : ٤ ، ١٨ : ٧ .

(33) Schaff, Vol. 1. p. 87; Weiss pp. 165-167; De Pressensé, Vol. 1.p. 54; Hill, p. 56; L'Eglise Primitive, p. 56.

«وأعطوا سكوتاً أخرى» (أع ٢٢: ٢). والشمامسة السبعة الذين أقامهم الرسل ، حملوا أسماء يونانية ... وكان ستة منهم يهوداً بالمولد ، والسابع — وهو نيقولاوس — كان دخليلاً أنطاكياً ، أى أنه ولد أُمياً .

وقد فقد هؤلاء اليونانيون بعضاً من مميزاتهم اليهودية ، نتيجة حياتهم في الأقاليم الأخرى خارج بلاد اليهودية ... ومن هنا فقد كان يهود فلسطين يحتقرون هؤلاء اليهود اليونانيون ، نتيجة إثارة الفريسيين لكبريائهم القومى ... فكانوا ينظرون إليهم على أنهم أدنى منهم دينياً ، نتيجة إختلاطهم بالأمم الوثنية ... بل إعتادوا أن يضعوهم فى مرتبة طلائع الوثنية ... بين هؤلاء اليونانيين وجدت الكنيسة الأولى أكثر المهتدين إستعداداً لقبول الإيمان ...

العالم الوثنى

امتزجت الوثنية بالرديلة ... حتى الديانة الاغريقية — وهى نتاج عقول مبدعة — كانت مليئة بالشر والفساد ... والحق أن الوثنية — بصفة عامة — كان ينقصها الإدراك الحقيقى لمعنى الخطية وبالتالى لمفهوم القداسة (٣٤).

ونكتفى هنا بإلقاء بعض الضوء على الحالة الفكرية ، والحالة الأدبية فى العالم الوثنى ...

١ - الحالة الفكرية :

لم تكن الفلسفة فى القرن الأول الميلادى حدثاً جديداً بل كان وراءها تاريخ طويل معقد . وكانت قد قطعت مراحل عدة فى أبحاثها النظرية ... وكان لدى

(34) Schaff, Vol. 1, pp. 72, 73.

الأغريق القدماء منذ زمن سحيق عبادات وثافات لم تشيع العقول الباحثة ، فلجأت إلى تفكير جديد ، وإلى أساليب من البحث والاستقراء ، لعلها تبلغ الحق الذى تنشده ...

كان بعض الفلاسفة الأولين ملحدين ، لكن أكثرهم آمن بوجود إله فى مكان ما ، أو حتى آلهة كثيرة ... على أنهم لم يعبأوا بما قد تحدثه معرفة ذلك الإله أو تلك الآلهة فى أخلاق الناس وحياتهم العملية ... وسخر الفلاسفة من القول بالوحى والإلهام ... وحاولوا بالمشاهدة والتأمل ، وبالعقل والفكر ، أن يستكشفوا دخائل طبيعة الإنسان والكون المحيط به . ومن هؤلاء الفلاسفة المفكرين ، برز جهابذة العقل الذى ابتكروا الآراء الجديدة ، وجمعوا حولهم طوائف من التلاميذ والاتباع . وهكذا ظهرت « مدارس » الفكر المختلفة .

أخذ الرومان — سادة العالم وقتذاك — فلسفتهم عن الأغريق . لكنهم لم يقبلوها كما هى ، بل أحدثوا فيها تعديلات وتحويرات حسبما إستحسنتم ملكاتهم العقلية وقواهم الفكرية ، فأضافوا إليها وحذفوا منها ما أرادوا ... فقد كان الرومان عملياً فى تفكيره ، لا خيالياً . فأخذ من الفلسفة الأغريقية ما وجد فيه عوناً له فى حياته العملية ، وتوطيداً لسلطانه وسيادته ...

وقد ذاعت فلسفات متنوعة فى القرن الأول المسيحى منها : الفلسفة الرواقية ، والأبيقورية ، وفلسفة المشائين أتباع أرسطو ، والفيثاغورية ، والأفلاطونية ، والكلبية Cynicism وهى فلسفة ديوجينيس (٣٥) ... على أن أهم تلك المدارس الفلسفية شأنًا فى فجر المسيحية ، كانت الأبيقورية والرواقية (٣٦) .

الفلسفة الأبيقورية :

جاهرت الأبيقورية بنزعتها المادية وإلحادها الصريح بمعاداة الدين ،

(35) Latourette; A History of christianity, pp. 26, 27.

(٣٦) ذكرهما القديس لوقا فى سفر أعمال الرسل ، وتقابل بولس الرسول مع فلاسفتها فى أثينا (أع ١٧ : ١٨) .

وتهجمت على قدسيته ، لأنها إعتبرت إلتماس الأمان مثلها الأعلى . فأدى بها هذا النظر إلى أن التوقف عن الاعتقاد فى الدين ، أدعى للأمان من الإيمان به . ومن ثم يصبح الإيمان بالدين خطية ، بل أضحى عند بعضهم مبعث كل شر...

حاول أبيقور أن يجتث الدين من أساسه ، فاعتبر الخوف هو الباعث الرئيسى على الإيمان ، فعمل على تحرير العقل البشرى من هذا الخوف ، لينحل ما ترتب عليه من آثار...! ومضى فى نزعاته المادية ، مؤكداً خلو الكون من كل حكم إلهى (٣٧) ... وقد نادى الأبيقورية بأن الآلهة تستمتع بنعيمها ، وتعيش بمعزل عن الناس ... لا تعباً بأمورهم ، ولا تعنى بحياتهم . لذا لا يليق بالبشر أن يرهبوا تلك الآلهة ... كما رفضت الأبيقورية القول بالعناية الإلهية ... على أن الفلسفة الأبيقورية كما مارسها الرومان ، كانت عقيدة سلبية ، إذ خلت من كل رجاء فى الخلود ، ومن كل دافع من دوافع الخير ، وكان شعارها : [لنأكل ونشرب ونطرب ، فغداً نموت] (٣٨) .

الفلسفة الرواقية :

كانت الفلسفة الرواقية لدى الرومان فى مستوى أرقى من الأغريق ، ولم تكن مجرد فلسفة بل غدت ديناً اعترف بإله واحد ، روح إلهى ، منه تصدر كل الأشياء ، وإليه مصيرها ... وتؤمن الرواقية أن بكل إنسان شعاعة من الطبيعة الإلهية . ومهمة الإنسان أن يصبون هذه الشعاعة ، ويضرم نارها لتبقى مشتعلة منيرة ... وتؤمن أن أعظم هبة وهبها الإنسان هى العقل . ومن ثم فإنه يحق للبشر أن يكونوا أبناء الله ... وقد ألهبت هذه الفكرة نفوس الرواقيين ، وأمدتهم بعزاء وهدى فى حياتهم اليومية ... وكانت الرواقية عقيدة الأقوياء وأصفياء النفوس ، الذين مالوا بطبعهم إلى الخير ، وإلى كل المعنويات الطيبة الجميلة ... كما أكدت كثيراً على ضبط

(٣٧) توفيق الطويل ، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٣٨) أشار القديس بولس إلى ذلك فى (١ كو ١٥ : ٣٢) .

النفس وترويضها وتنمية الحياة الداخلية ، أو الحياة المتناسقة كما يدعوها فيلسوفهم الأول زينون ... ولعل نواحي السمو في فلسفتهم ترجع إلى أن الفكرة المحورية عندهم هي الحياة بمقتضى الطبيعة . والطبيعة في اعتقادهم هي « اللوغوس » أو العقل الكونى . وفي رأيهم أن العقل الإنسانى ليس سوى جزء من هذا العقل الكونى ...

★ ★ ★

لقد جاء أولئك المفكرون بأفضل ما لديهم ، لكن لم تخرج جهودهم عن نطاق التفكير النظرى ، ولم تقو نظرياتهم على مغالبة الحياة وعثراتها ... وثمة أمر هام يجب الإشارة إليه ، وهو أن الفلسفة لم تكن يوماً لعامة الناس ، الذين لم تقو مداركهم العقلية على تفهمها ... وهكذا فشلت نظريات أولئك الفلاسفة المفكرون عن إمتلاك عامة الناس ، ولم تمس إلاّ عقول المفكرين والمثقفين وحدهم . هكذا وجدت المسيحية تربة حقل العالم مستعدة ، لتزرع فيها زرعها الجيد ، فأتى بثمر كثير...

٢ - الحالة الأدبية :

لعل خير وصف يمكن أن توصف به أدبيات العالم الوثنى إبان ظهور المسيحية ، هو ما دونه القديس بولس إجمالاً فى رسالته إلى مؤمنى رومية ، وفيه يصف فساد العبادة والأخلاق (روم : ١٨ - ٣٢) ... أما تفسير كلام الرسول المجمل ، فيمكن تبينه بالنظر إلى النقاط التالية :

(أ) الفساد المتصل بالعبادة (٣٩) :

لم يقف الأمر بين الوثنيين عند حد عبادة الأصنام ، وابدال مجد الله الذى لا

(39) Fisher; Beginnings of christianity, p. 198.

يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات (رو ١ : ٢٣) ، بل تعداه إلى شرور أخرى ... لقد شاع بين بعض الشعوب القديمة طقس تقديم الذبائح الآدمية إرضاء للآلهة ... فكان الصوريون والقرطاجينيون يلقون بأطفالهم فى النار كتقدمة للإله مولك Moloch (٤٠) . وفى غاليا (بفرنسا) كان الكهنة يذبحون الضحايا الآدمية ... وما لبثوا أن استبشعوا هذه الوحشية ، وأبطلها مجلس الشيوخ الرومانى بقرار أصدره سنة ٩٥ ق.م . لكن بلينى الأكبر فى القرن الأول الميلادى ، يرون لنا أن أمثال هذه الضحايا البشرية ، كانت ماتزال تقدم فى أيامه !!

وليس هذا فحسب ، بل أن طقوس الديانة الوثنية إمتزجت بالدعارة . بل أن العهارة كانت جزء من الخدمة الدينية عند البابليين وبعض الشعوب السامية وغيرها !! وكانت هذه الرذيلة جزء من عبادة أفروديت Aphrodite آلهة الجمال عند الأغريق فى معبدها فى كورنثوس . كما اتسمت أعياد بعض الآلهة بالاحتفالات التهتكية التى يندى لها الجبين ولا يليق وصفها ... ومن هنا نفهم سبب الإشارة إلى التهتك والدعارة وأنواع الشذوذ الجنسى التى ذكرها بولس الرسول فى أول رسالته إلى كنيسة رومية — تلك الرسالة التى أنفذها من كورنثوس ، والشر ماثل أمام عينيه !!

والرومان — على الرغم من تقديرهم المبكر للحشمة واللياقة — أباحوا طقوساً مخالفة لذلك . وقصص الأساطير التى إستخدمت لإثارة الميول الدنيئة ، مثلت فى صور وقماثيل ، وزادت من شدة تيار الفساد ، الذى حطم حواجز العفة ... ولا عجب ، فقد كانت الآلهة الوثنية فى الشعوب الراقية ، بشراً ولها أجسام وحواس ... يولدون لكن لا يموتون ، يأكلون ويشربون ، ينامون ويستيقظون ويسافرون ويخوضون غمار المعارك ... يتزوجون ويتناسلون ، وحياتهم مملوءة غيرة ومشاجرات وحسداً وغضباً وكراهية وشهوة .

(٤٠) انظر : لا ١٨ : ٢١ ؛ ٢٠ : ٢ - ٤ ؛ ١ مل ١١ : ٧ ؛ ٢ مل ٢٣ : ١٠ .

(ب) وأد الأطفال (٤١):

يرجع الفضل في الإحساس الحالى بالكيان الإنسانى ، وحرمة الحياة الإنسانية إلى المسيحية ... فمن الأمور التى كان القانون القديم يقرها حق الوالدين فى إبادة أطفالهم ، الذين يظن أنهم غير صالحين للتربية ... فى بلاد اليونان كان مثل هؤلاء الأطفال ، أما يقتلون للفقر ، أو يتركون حتى يهلكون جوعاً ...

ومما يثير الدهشة أن مفكرى الاغريق وفلاسفتهم لم يكونوا - فى هذا الأمر - أفضل من سائر الناس ... فلقد أقر أرسطو عادة تعريض الأطفال للموت ، إذا أريد منع إزدياد عدد السكان . وكان يوصى بالإجهاض كشئ بديل ، إذا وجدت أية موانع . وأفلاطون فى جمهوريته اعتقد أن الأطفال المولودين من آباء أشرار ، والأطفال غير الشرعيين ، وأطفال الوالدين المسنين ، يجب إبادتهم بتركهم عرايا ، إذ لا يجب أن يثقل على الدولة بهم ... أما الرومان فكان لديهم قانون يمنع وأد الأطفال ، لكنه لم يكن نافذاً . ويروى لنا المؤرخ الوثنى سوتونيوس Suetonius فى القرن الأول الميلادى ، كيف عُرض للموت أطفال كثيرون مولودون حديثاً ، بقصد تكريم جرمانيكوس Germanicus . أما الإجهاض الذى أباحه أرسطو وأفلاطون للأغريق ، فقد كان شيئاً مألوفاً لدى الرومان ، تخلصاً من مخاض الولادة ، وتعب تنشئة الأطفال !!..

(ج) مكانة المرأة (٤٢):

ربما لا يوجد تناقض صارخ أكثر من وضع المرأة فى الوثنية ومكانتها فى المسيحية ... كان وضعها فى الوثنية محترماً .. كانت خادمة الرجل ، وليست

(41) Fisher; Beginnings of christianity, pp. 206 - 208.

(42) Schaff; Dictionary of Biblical, Historical ... Theology, Vol. 3, p. 2548; Fisher; Beginnings of christianity, pp. 199 - 202.

نظيره وشريكة حياته .. لم يفهم العالم القديم طبيعة الزواج الروحية ، ونظر
إلى المرأة على أنها للمتعة الجسدية فقط !!

كانت وجهة النظر التي سيطرت على أفلاطون — فيما يختص بالنساء — أن
الهدف الأول من العلاقة الزوجية ، هو تكوين مواطنين أقوياء في البنية ، ذوى
عقل سليم ، حتى أنه جعل مجتمع الزوجات إحدى مميزات الجمهورية المثالية ...

كان للمثقفين في اليونان صديقات ومحظيات من العاهرات . وفي روما
شاع الفساد ، حتى قال المعاصرون ، أن فضيلة الأنثى لا وجود لها في روما ...
أما الزيجات فكانت لا تستمر طويلاً ، نتيجة كثرة حالات الطلاق بصورة مزعجة ،
حتى أن سينكا Seneca في القرن الأول الميلادى يقول : [أما النساء فلا يحسبن
الزمان بعدد القناصل ، بل بعدد أزواجهن] !! وفي نفس الوقت إستشرى الفساد
الأخلاقي والزنا والدعارة ، حتى غدا المجتمع الرومانى المعاصر بالوعة فساد ...

وثمة ظاهرة واضحة ميزت ذلك العصر ، وهى إحجام الرجال عن الزواج ،
لأنهم فضلوا المتعة الطائشة على رابطة الزيجة ... وقد فشلت جهود أوغسطس قيصر
للهوض بالزواج ، بإصدار تشريعات قانونية ، تقدم بموجبها مساعدات مالية لمن
يتزوجون !! وفي حالات الزيجات ، كان الأطفال قليلي العدد فقد فضل الوالدون
— لأسباب مالية — أن يظلوا بلا أطفال تقريباً ...

وكان المثل الأعلى للفساد في المجتمع الرومانى ، هو الأسرة الإمبراطورية
الحاكمة . يكفى ما دونه المؤرخ المعاصر تاكيتوس عن الشرور الخيالية التي كانت
تفعلها ميسالينا Messalina زوجة كلوديوس الأول ، لنعلم إلى أى درك من الخلاعة
والفجور والتهتك والدنس ، هبطت سيدة روما الأولى ... وقد كان هذا الفساد
منتشراً في الأقاليم كما في العاصمة ...

(د) الشذوذ الجنسي (٤٣):

الشذوذ الجنسي الذى صوّره بولس الرسول فى الأصحاح الأول من رسالته -إلى رومية ، كان متفشياً بين الاغريق ، وانتقل إلى الرومان عن طريقهم . ومن العجيب أنه يندر أن نلتقى بفيلسوف أو مفكر يونانى يندد بهذه الرذيلة ، ويدين هذه العلاقة غير الطبيعية ... أما نتيجة هذه الخطية — حسبما لاحظ أفلاطون وبلوتارك — فهي تنفير الرجال من الزواج ، وقلة عدد سكان بلاد اليونان ، بالإضافة إلى تحطيم الشعب أدبياً .

وفى روما ، ترعرعت هذ الخطية ، وتلوث بها كثيرون من رجال السياسة والقضاة وقادة الجيش ، بل والأباطرة انفسهم (مثل يوليوس قيصر) ... أما معظم الضحايا فكانوا من العبيد .. على أن الأمر لم يكن قاصراً على العبيد ، بل كان متفشياً بين الغلمان الأحرار أيضاً ... والقصص التى تروى عن رجل كيوليوس قيصر واستمرائه هذه الرذيلة ، تصوّر لنا إلى أى حدّ وصل هؤلاء الناس فى مضمار الرذيلة والدنس والانحلال الأخلاقى .

(هـ) الرق (٤٤):

كان الرق أحد دعائم الوثنية الأساسية ، وجثم كلجنة على كل الشعوب ، يستوى فى ذلك الشعوب المختلفة والمتحضرة كالاغريق والرومان ... كانت أعداد العبيد أضخم من المولودين أحراراً والمعتقين . ويقدر المؤرخ جيبون Gibbon عدد العبيد تحت حكم كلوديوس قيصر بما لا يقل عن نصف إجمالى سكان الإمبراطورية الرومانية — أى نحو ستين مليوناً !!

لقد أيد أعظم فلاسفة العالم القديم نظام الرق ، كنظام طبيعى وضرورى . وأعلن أرسطو أن جميع البرابرة (غير المتحضرين) عبيد بالمولد ، وأنهم

(43) Fisher, The Beginnings of christianity pp. 205, 206.

(44) Schaff, Vol, 1, pp. 445, 446.

لا يصلحون لشيء سوى الطاعة. santaliaegypt.org الرومانى ، ليس للعبيد كيان فى الحكومة ، ولا اسم ، ولا لقب ، ولا سجلات ... ليس لهم حق الزواج ، ولا حماية لهم ممن يريد أن يرتكب معهم الفحشاء ... كانوا — كما يصفهم أحد الكتاب [فى حالة أسوأ بكثير من الماشية] ...

لقد طرد كاتو Cato — عضو الشيوخ الرومانى الشهير — عبيده من البيت والوطن بعد أن طعنوا فى السن . وهديران الذى يعتبر من أكثر الأباطرة الرومان عدلاً ، قلع عن عمد عين أحد عبيده بقلمه !! كانوا ينظرون للعبد أنه بلا ضمير ... لذا إن دعى للشهادة فى أى أمر ، كان لابد وأن يعذب مقدماً حتى ما يستنطقوه الحق .. قد تؤخذ منه زوجته لتصبح محظية سيده ، أو لتصير عاهرة ، دون أن يكون له حق الاعتراض !!!

أما الإماء ، فكان الموت شراً أهون من العار الذى لصق بهن دائماً ... كان الرق يغذى العهارة والفسق فى كل صورهما .. كان للسيد الحرية المطلقة فى أن يبيع أمته وبناتها الصغار اللائى أنجبتهن منه إلا إذا تفضل ورأى الإبقاء عليهن . وكان القانون لا يحمى الأمة من الدنس . لم يكن لها حرية الاختيار فى الدنس بالنسبة لسيدها ، بل كان يمكنه أن يُعيرها — لنفس الغرض الشرير لمن يشاء ... كانت المرأة الحرة هى وحدها التى يكفل القانون حماية شرفها ، لأن القانون لم يكن يحمى سوى الأحرار ... أما العبيد فلم يكونوا فى نظر الرومان ، سوى جسد فقط (٤٥) !!

(و) الرفاهية والإسراف والترفيه (٤٦) :

تميز هذا العصر بترفيه وإسراف الموسرين والأشراف والتدبير لحياة الجسد . وحرصت الطبقات الراقية على إقتناء الحلى والمجوهرات والتحف الفنية ، وإقامة

(45) De Pressensé, Vol, 1, p. 425.

(46) Fisher; The beginnings of christianity; pp. 202-205, 211-220.

البيوت الفخمة، والتفنن في كل صنوبر البذخ.. كما تميز أعضاؤها بالشراسة في تناول الأطعمة ... ويروى لنا شيشرون وصف مقابله مع يوليوس قيصر في منزله الريفى وكيف أنه تعاطى مقيئاً قبيل موعد الطعام، حتى ما يكون أكثر قابلية لتناول أكبر قدر من الأطعمة!! لم تكن هذه حادثة فريدة، بل كانت عادة يتبعها المترفون من الرومان ... وكانت موائد العشاء تمتد إلى ساعة متأخرة من الليل — وكانت تتمزج بالسكر والعهارة.

والى جانب نواحي البذخ المختلفة، قامت وسائل الترفيه .. وكانت وسائل الترفيه شيئاً أساسياً في حياة الرومان، وتقف جنباً إلى جنب مع الخبز الضرورى لقيام الحياة ... وكان السيرك في عهد يوليوس قيصر به مقاعد تتسع لمائة وخمسين ألفاً، أضاف إليها تيطس مقاعد لمائة ألف أخرى ... ومن المناظر التى ألفها الرومان وكانت تلذ لهم، المصارعات الدموية سواء بين البشر أو بينهم وبين الوحوش المفترسة. كانت مثل هذه المصارعات الدموية أكبر دليل على مدى الإحساس الأدبى لدى مجتمع ذلك العصر، الذى كان يقبل على هذه الألعاب بسرور متزايد ... ونحن نعجب كيف كان ممكناً لرجال ونساء أن يستمتعوا بمناظر الألم والموت، تلك التى مجرد ذكرها يثير فى النفس نوازع الفرع...!!

(٤٧) الامبراطورية الرومانية

كانت ميزة للمسيحية المبكرة أنها ظهرت في وقت كانت فيه بلاد اليهودية خاضعة للإمبراطورية الرومانية القوية المنظمة، التى كانت تعتبر بصفة عامة إمبراطورية عادلة ... ولا يمكن التكهن بمستقبل المسيحية في فلسطين، لو كانت السلطات اليهودية تتمتع وقتئذ بحرية التصرف المطلق ... فالسلطات الرومانية هى التى مكنت بولس الرسول من السفر آمناً في البر والبحار، ليبشر بالإيمان الجديد في

(47) The History of christianity in Light of Modern Knowledge, pp. 3 - 19.

بلاد سوريا وآسيا الصغرى وعبر البحر إلى اليونان وإيطاليا وأسبانيا ... لذا من الأفضل أن نلقى ضوءاً سريعاً على هذه الامبراطورية في القرن الأول الميلادي ، فذلك يعيننا على فهم الكثير من مسئوليات وتصرفات السلطات الرومانية التي نقرأ عنها في الأناجيل وسفر أعمال الرسل ...

إمتدادها :

كانت الإمبراطورية الرومانية تمتد إمتداداً واسعاً وتضم ممتلكات في قارات العالم القديم الثلاث المعروفة وقتذاك . كانت تضم داخل حدودها ، ما يُعرف الآن باسم هولندا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وسويسرا وجنوبى النمسا وإيطاليا ، وكل شبه جزيرة البلقان ، وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، والنصف الجنوبى من الجزيرة البريطانية . وكان البحر المتوسط يعتبر بحيرة رومانية .

ولاياتها :

باستثناء بعض الحالات الخاصة ، فعلى الرغم من إتساع ممتلكات الامبراطورية ، فإنها كانت تتكون من ولايات يحكمها ولاة فرضتهم السلطة المركزية في العاصمة روما ، ويخضعون للقانون الرومانى وأنظمة الضرائب الرومانية . كان من الطبيعى — والحال هذه — أن ينضوى تحت لواء الامبراطورية مجموعات ضخمة من السكان فى بقاع شاسعة ، يختلفون فى طبائعهم ودياناتهم ، ولا تتساوى حضارتهم وثقافتهم ...

كان نصف الامبراطورية الشرقى يقوم أساساً من اليونانيين ، أو من الشرقيين الذين تأثروا بالحضارة الهيلينية ، وتأقلموا معها ... وكان كثير من بلاد هذا الشرق لا يقل حضارة وعلماً عن روما ، بل كان البعض — مثل الاسكندرية وأثينا — يفوقها فى هذا الشأن ... وبالإضافة إلى الاسكندرية

وأثينا ، وجدت في الشرق مراكز ثقافية هامة أخرى مثل أنطاكية وطرسوس وأزمير . أما في الغرب فلم يوجد سوى مرسيليا ... كانت الحضارة الأغريقية هي المسيطرة ، ولم تجد اللاتينية طريقها إلى الشرق . كان الرومان يحكمون هذا الشرق عسكرياً فقط ، لكن لم يكن ممكناً أن يتحول سكانه إلى رومان . أما في الغرب فقد اختلف الموقف ، لأن الرومان تعاملوا مع شعوب أقل منهم حضارة وثقافة ، فاستطاعوا أن يفرضوا عليهم لغتهم وحضارتهم ، ويصبغهم بالصبغة الرومانية .

حكومة الولايات :

كانت الولايات — سواء شرقية أو غربية — تلتزم ببعض المبادئ العامة من القانون والنظام الروماني ، لكنها لم تكن جميعها خاضعة لنظام موحد ... فقد وجدت الحكومة الرومانية أن من الحكمة في بعض الحالات أن تترك شعباً وتقاليده وأنظمتهم وعبادته ، طالما لا تتعارض هذه مع مصالح الدولة ... وكان يحدث دائماً عند بداية ضم ولاية جديدة إلى الامبراطورية ، أن تحضر بعثة مؤلفة من عشرة أعضاء من مجلس الشيوخ الروماني ، للاستفسار ودراسة كل الظروف وأحوال هذه الولاية ... وبعد الدراسة اللازمة للنظم القائمة القانونية والمالية والإدارة المدنية ، ومواردها وسكانها ، كانت توضع خطة أو دستور للولاية تحدد صورة حكومتها المقبلة ، بما يتلاءم مع النظام الروماني الامبراطوري ، ويحدد قدرتها وطريقة إسهامها في ميزانية الامبراطورية .

كان المتبع أن أراضى البلاد المهزومة تصبح ملكاً للمنتصر . لكنها أقيمت في أيدي أصحابها مقابل جزية يدفعها الأهالي إما مالاً أو منتجات . أما المناجم فكانت تنتقل ملكيتها للامبراطورية ... وإلى جانب ضريبة الأرض ، دفعت الشعوب المقهورة « جزية الأفراد » ... وكان تكييف هذه الأنواع المختلفة من الضرائب يتطلب إحصاء منظماً . فإذا قرأنا في إنجيل لوقا أنه في وقت ميلاد السيد المسيح « صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن تكتب كل المسكونة » (لوقا ٢ : ١) نفهم أن هذا الإجراء كان من أجل الضرائب ...

كانت الامبراطورية الرومانية فى القرن الأول الميلادى فى حالة سلمية مستقرة بصفة عامة ... كانت الطرق مأمونة ، والبحار خالية تقريباً من القراصنة . وكان السفر عبر الامبراطورية أمراً ميسوراً ، نتيجة للطرق الممتازة التى شقها الرومان عبر الامبراطورية ، التى كانت تمتد ممهدة من مركز إلى آخر . واستطاعت الحكومة — عبر خطوط المواصلات هذه — أن تمد إشرافها الدقيق على الولايات الخاضعة لها ، وترسل عند الضرورة إمدادات حربية لقواتها المربطة ... هذه الطرق ، وهذا السلام إستفاد منه الرسل والمبشرون فى تنقلاتهم ورحلاتهم التبشيرية عبر الامبراطورية .

حقوق المواطنة الرومانية :

حقوق المواطنة الرومانية (٤٨) ، أو كما يسمونها « الرعوية الرومانية » ، كان لا يتمتع بها سوى الأحرار . وبموجبها كان حاملها يتمتع ببعض الامتيازات وفى مقدمتها حماية القوانين له ، وعدم الضبط بالقيود أو السجن بدون محاكمة رسمية (أع ٢٢ : ٢٩) ، وعدم الجلد (أع ١٦ : ٣٧) ، وحق المثول والتقاضى أمام محكمة قيصر بروما (أع ٢٥ : ١١) ... وكانت هذه الرعوية الرومانية ، يحصل عليها إما بالشراء (أع ٢٢ : ٢٨) ، أو بالخدمة العسكرية ، أو بموجب منحة من الدولة . وكان هذا الامتياز الذى يتمتع به شخص ينتقل إلى أولاده أيضاً كما فى حالة القديس بولس الرسول (أع ٢٢ : ٢٨) .

(48) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, Part 1. p. 612.



١ - بين القيامة والصعود :

أهم ما يميز مدة الأربعين يوماً بين قيامة السيد المسيح وصعوده ، ظهوراته لتلاميذه ... ولقد كان لتلك الظهورات آثار هامة :

لقد أكدت لهم حقيقة قيامته من بين الأموات بما لا يدع مجال لأي شك (أع : ١ : ٣) ، ورفعت من معنويات الرسل ، وملأت قلوبهم فرحاً وعزاء (يو : ٢٠ : ٢٠) ... كما أن تلك الفترة كانت بمثابة فترة تمهيدية لأعمال الخدمة والكراسة في المستقبل القريب ، لقن فيها السيد المسيح تلاميذه كثيراً من المعلومات التي ما كانوا يحتملونها قبل ذلك (يو : ١٦ : ٢٥ ؛ أع : ١ : ٣) ... ويؤكد ذلك أن تلك اللقاءات لم تكن مجرد ظهورات خاطفة ، بل إمتدت واستطالت . ومن أمثلتها الرحلة التي صحب الرب فيها تلميذى عمواس بعد ظهر يوم أحد القيامة ، وقطع المسافة من أورشليم إلى عمواس ، وهى ستون غلوة أى نحو سبعة أميال ، وتستغرق أكثر من ساعتين مشياً على الأقدام . وخلال هذه الرحلة « إبتدأ من موسى ، ومن جميع الأنبياء ، يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب » (لو : ٢٤ : ١٣-٢٧) ... وأيضاً الظهور الثالث الذى أظهر فيه ذاته لتلاميذه عند بحر طبرية ، ومكث فيه معهم من الصباح حتى ما بعد الغذاء (يو : ٢١ : ٤-١٥) .

٢ - بين الصعود ويوم الخمسين :

بعد أن إرتفع السيد المسيح عن تلاميذه عند جبل الزيتون ، وصعد إلى السماء ، رجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم (لو : ٢٤ : ٥٢) ... وكان فرحهم لأنه صعد إلى الآب (يو : ١٤ : ٢٨) ، ولأنه سيأتى ثانية (أع : ١ : ١١) ... وفى أورشليم اجتمعوا

في العلية التي كانت في بيت أم مار مرقس الكاروز .. وهناك كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع نساء مؤمنات ، في مقدمتهن مريم العذراء ...

لقد أوصاهم الرب أن يذهبوا إلى العالم أجمع ، ويكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، لكنه في نفس الوقت أمرهم بالبقاء في أورشليم ، إنتظاراً لموعده الآب (الروح القدس) ... بل لقد حذرهم من مبارحتها قبل أن يلبسوا قوة من الأعلى (لوقا: ٢٤ : ٤٩ ؛ أع ١ : ٤) ...

وفي هذه الفترة ، كان لابد أن يختاروا تلميذاً خلفاً ليهوذا الخائن ... واشتروطوا أن يكون أحد الذين اجتمعوا معهم كل الزمان منذ المعمودية يوحنا إلى ذلك الوقت ، حتى يشهد معهم بقيامة الرب المجيدة ، التي ستصبح حجر الأساس في العمل الكرازي الجديد كما سنرى ... فصلوا وطلبوا إلى الرب أن يظهر إختياره لأحد اثنين : يسطس أو متياس ... ثم ألقوا قرعة (٤٩) فوكت على متياس (أع ١ : ٢٦-١٥) ، فصار واحداً من الاثنى عشر

٣ - يوم الخمسين :

في اليوم الخمسين لقيامة السيد المسيح ، وفي الساعة الثالثة بالتوقيت العبري (التاسعة صباحاً بتوقيتنا) ، أثناء إحتفالات اليهود في أورشليم بأحد أعيادهم الكبرى — وهو عيد الخمسين — حل الروح القدس على الرسل والتلاميذ — جميع الموجودين بالعية — بينما كانوا مجتمعين بها بنفس واحدة ، إذ صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة ، وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين ... وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلاً الجميع من الروح القدس (أع ٢ : ١-٤) .

(٤٩) هذه هي المرة الوحيدة التي ذكر فيها إستخدام القرعة في العهد الجديد .

لقد إختار الرب هذه المناسبة عند اليهود موعداً لمولد كنيسته ، حيث تتم رموز وإشارات ... لذا يحسن أن نقف قليلاً لنعرف شيئاً عن هذا العيد عند اليهود ...

كان لهذا العيد اليهودى ثلاث تسميات : عيد الحصاد (خر ٢٣ : ١٦) ، وعيد أوائل الثمار (عد ٢٨ : ٢٦) ، وعيد الأسابيع (تث ١٦ : ٩ ، ١٠ ؛ لا ٢٣ : ١٥) . وأطلق عليه عيد الخمسين لأنه يقع فى اليوم الخمسين بعد الفصح اليهودى ... كان هذا العيد من حيث تسميته بعيد الأسابيع ، يبدأ مباشرة بعد عيد الفصح ، بتقديم أول حزمة من حصاد الشعير ، وينتهى فى عيد الخمسين بتقديم أول رغيفين من حصاد القمح . وكان يُحتفل بعيد الخمسين يوماً واحداً . وهو من أعياد اليهود الثلاثة الكبرى السنوية (٥٠) ، التى كان على جميع ذكور بنى إسرائيل أن يظهروا فيها أمام الرب إلههم (تث ١٦) .

كان هذا العيد عن اليهود عيد فرح وبهجة . وكان يقع فى ألفة فصول السنة . ولذا كان يجذب أعداداً ضخمة من اليهود الزائرين من البلاد والأقاليم الأخرى إلى أورشليم . ويصف يوسفوس المؤرخ اليهودى هذا العيد ويتكلم عن عشرات الآلاف الذين كانوا يجتمعون حول الهيكل فى هذه المناسبة (٥١) ... وكان عدد كبير من اليهود الوافدين من بلاد بعيدة إلى أورشليم لحضور عيد الفصح ، يبقون فيها حتى يحضروا هذا العيد أيضاً .

كان عيد الخمسين إذن — بحسب ما جاء فى الكتب المقدسة — هو عيد الحصاد أو عيد أوائل الثمار أو عيد الأسابيع ... لكنه كان أيضاً — طبقاً لتقليد الربيين فى التلمود — هو عيد الاحتفال السنوى بتذكار تسلم الشريعة فى

(٥٠) الأول عيد الفصح (عيد الفطير) ، والثانى عيد الحصاد (الخمسين) حيث يقدمون فيه أبكار غلاتهم التى يزرعونها فى الحقل ، والثالث عيد المظال وهو عيد الجمع فى نهاية السنة عندما يجمعون غلاتهم من الحقل .

(51) Josephus; Antiquities, 14 13.4.

سيناء ... فقد قيل أن موسى استلم الشريعة فوق جبل سيناء ، في اليوم الخمسين لخروج بنى إسرائيل من مصر . ومن هنا جاءت تسميته بالعبرية « عيد البهجة بالناموس » . كانت هناك عادة يهودية قديمة حرص اليهود عليها في العصر الرسولي ... كانوا يقضون الليلة السابقة لعيد الخمسين في تقديم الشكر لله من أجل عطية الناموس (٥٢) ...

٤ - العيد التأسيسي للكنيسة :

لا شك أن الله الذى يتمم كل أموره بحكمة ، إختار مناسبة هذا العيد اليهودى لجعل منه عيداً لمولد الكنيسة ، فأرسل روحه القدس بقوة على رسله وتلاميذه ، وأسس كنيسة على الأرض ... كانت فرصة هذا العيد اليهودى أكثر ملاءمة لتأسيس الكنيسة المسيحية من عدة وجوه ، بالنظر للمدلولات اليهودية للعيد ...

لقد كانوا يحتفلون به كعيد لحصاد المزروعات ، فأضحى عيداً لحصاد الزرع الجيد الذى هو بنو الملكوت (مت ١٣ : ٣٨) ... وكانوا يحتفلون به كعيد لأوائل الثمار الزراعية ، فعدا في المسيحية عيداً لأوائل الثمار الخلاصية ، حين إنضم إلى الكنيسة في ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس (٥٣) .. هذا بالإضافة إلى ثمار الروح القدس التى تكلم عنها الرسول (غل ٥ : ٢٢) ... ثم أنهم كانوا يحتفلون به كتذكارة لإعطائهم الشريعة المكتوبة على لوحين من حجر ، فأصبح عيداً للروح القدس ،

(٥٢) مازال اليهود حتى الآن يحرصون على هذه العادة ، فيزينون بيوتهم ويزينون هم أيضاً تعبيراً عن إبتهاجهم بأعطائهم الشريعة — انظر : Schaff, Vol. 1, pp. 225 - 227 .

(٥٣) يقول القديس يوحنا الذهبي فمه [ما هو عيد الخمسين ؟ هو الوقت الذى يعمل فيه المنجل للحصاد . لقد كمل الزمان لأن يوضع منجل الكلمة . لأنه كما أن المنجل حاد ، كذلك انحدر الروح القدس . « ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول ، إنها قد ابيضت للحصاد » . وأيضاً « الحصاد كثير والفعلة قليلون » . وكأوائل ثمار هذا الحصاد ، أخذ هو طبيعتنا وحملها إلى العلا . قدم ذاته أولاً بالمنجل] . انظر : John Chrysostom Homilies on the Acts, Hom. 4 .

روح الحياة، الذى كتب به وصايا الله^(٥٤) — لا فى ألواح حجرية، كما حدث فى القديم، بل فى ألواح قلب لحمية (٢ كو ٣: ٣).

وثمة نظرية أخرى ... فالعدد خمسين يشير إلى العفو والصفح ... ففي العهد القديم، كانت تقديس السنة الخمسون، ويعفى المدينون من ديونهم، ويحرر العبيد «وتقدس السنة الخمسين، وتنادون بالعفو فى الأرض لجميع سكانها. تكون لكم يوبيلاً، وترجعون كل إلى ملكه، وتعودون كل إلى عشيرته» (لا ٢٥: ١٠) كانت هذه السنة تبدأ بيوم الكفارة، حين يضربون بالبوق إيذاناً ببداية سنة اليوبيل ... فالعدد ٥٠ إذن كان ينظر إليه كرمز للعفو عن الديون ...

يقول فيلو الفيلسوف اليهودى عن عيد الخمسين [اليوم الخمسين بعد نهاية سبعة أسابيع، العدد المقدس للعفو والصفح] ... وكليمنضس الاسكندري يرى فى العدد خمسين الصفح عن الخطايا، ويضرب كمثال أبعاد فلك نوح، فقد كان عرضه خمسين ذراعاً. ويقول كليمنضس أنه إستقى هذا الرأى من تقليد قديم^(٥٥) ... والعلامة أوريجينوس — فى مقالاته على سفر التكوين — يفسر أبعاد الفلك بطريقة رمزية فيقول: [عرض الفلك خمسون، وهو العدد الذى يدل على الغفران والصفح، وحسب الناموس، كان هناك زمان للمساعدة فى الديون كل خمسين سنة]^(٥٦). ويقول فى تفسيره لإنجيل متى^(٥٧) [العدد خمسون يتضمن الغفران بناء على سر اليوبيل الذى كان يقع كل خمسين سنة. أو العيد الذى يقع فى يوم

(٥٤) فى صلوات السجدة التى ترفعها كنيستنا فى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) يوم عيد الخمسين (العنصرة)، يقول فى مقدمة السجدة الأولى: «فى عيد الخمسين بعد الفصح أعطى الله الشريعة لموسى» ... والنبوة التى تقرأ فى هذه السجدة الأولى تتناول موضوع تسليم الشريعة لبنى إسرائيل. وفى نبوة السجدة الثانية تذكير بحفظ هذه الوصايا ... وفى نبوة السجدة الثالثة يتكلم عن الثلاثة أعياد الكبرى فى إسرائيل وهى الفصح والخمسين والمظال. (انظر كتاب اللقان والسجدة).

(55) Stromata, 6.11.

(56) Hom. Gen., 11.5.

(57) Hom. Matt., 11.3.

ثم أن عيد الخمسين اليهودي ، كان أكثر ملائمة لتأسيس الكنيسة ، من جهة الجماهير التي كانت تحضره . فقائمة الشعوب التي أوردتها القديس لوقا في (أع ٢ : ٨-١١) ، كانت على وجه التقريب تشمل أنحاء الامبراطورية الرومانية التي كانت بدورها تضم معظم العالم القديم المعروف وقتذاك ... والغرباء الذين ذكرهم لوقا كشهود للحادث الكبير ، كانوا تقريباً يمثلون كل الأقاليم التي غرست فيها المسيحية فيما بعد بواسطة كرازة الرسل ... ومما لا شك فيه أن أولئك الذين آمنوا في يوم الخمسين ، حملوا إيمانهم الجديد إلى إخوتهم ، قبل أن يصل إليهم الرسل في كرازتهم . وهذا يوضح لنا وجود مسيحيين في دمشق قبل إيمان بولس (أع ٩ : ٢) ، ووجود عدد كبير من المؤمنين في روما ، قبل أن يكتب لها بولس رسالته بوقت كبير (رو ١ : ٨) .

كان إعطاء الشريعة في سيناء مصحوباً برعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل ، وصوت بوق شديد جداً ، إرتعد منه كل الشعب الذي كان في المحلة (٥٩) ... لذا لا نعجب إن جاءت كنيسة العهد الجديد إلى الوجود أيضاً بعلامات عجيبة ملأت المشاهدين دهشة وحيرة (أع ٢ : ٦، ٧) .

لقد صاحب حلول الروح القدس على الرسل والتلاميذ مظاهر ثلاثة : صوت كما من هبوب ريح عاصفة ، وظهور ألسنة منقسمة كأنها من نار استقرت على كل واحد منهم (٦٠) ، والتكلم بألسنة أخرى ... والريح في كتاب العهد القديم نراها رمزاً للقوة الروحية الخلاقة (٦١) ، ورمزاً للعمل غير المنظور (يو ٣ : ٨) ، والحرية السامية التي للروح القدس «حيث روح الرب هناك

(58) Jean Daniélou, The Bible and the Liturgy, pp. 324 - 326.

(٥٩) خر ١٩ : ١٦ ؛ عب ١٢ : ١٨ ، ١٩ .

(٦٠) في تقاليد اليهود القديمة ، أنه ظهرت ألسنة من نار في أول عيد خمسين احتفلوا به بعد خروجهم من مصر — انظر (footnote) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3, p. 1556 .

(٦١) انظر : تك ١ : ٢ ؛ مل ١٩ : ١١ ؛ مز ١٠٤ : ٣ ، ٤ ؛ حزقيال ٣٧ : ١ - ١٤ .

حرية» (٢ كو ٣: ١٧) ... ولتذكرنا كيف معروفة لدى بنى إسرائيل . فقد حل الله على جبل سيناء بالنار (خر ١٩: ١٨) ، وهي تكتنف مجد الله (حزقيال ١: ٤) . وهي تشير إلى عمل التطهير الذى للروح القدس (إش ٦: ٦، ٧) ... والتكلم بألسنة (٦٢) هو تصويب لما حدث قديماً عند برج بابل حينما بلبل الرب لسان هؤلاء الأشرار (تك ١١: ١-٩) . يقول أحد الآباء : [إن الكنيسة فى تواضعها ، تعيد وحدة اللغة التى كسرتها قبلاً للكبرياء] (٦٣) ومهما يكن من أمر ، فإن حلول الروح القدس على التلاميذ فى ذلك اليوم وصيرورتهم هيكلاً لله ومسكن لروحه ، هو أكبر معجزة فى حياة البشر الداخلية ، لأنهم به نالوا طبيعة جديدة عوضاً عن الطبيعة القديمة التى أفسدتها الخطية والإثم .

٥ - عظة بطرس :

وعظة بطرس التى ألقاها فى يوم الخميس (أع ٢ : ١٤ - ٣٦) ، هى عظة بسيطة ، لكن روح الله الذى كان يصحب كلماتها ، نخس قلوب السامعين ... فلما سألوا الرسل عما ينبغى أن يعملوه ، أجابوهم : «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس» ... وهكذا إنضم إلى الكنيسة فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس ...

أما عن موضوع العظة ، فباستثناء الربط الذى ربط به القديس بطرس أحداث تلك الساعة بنبوءة يوئيل النبى ، نجد أن هدف العظة الكبير ، هو إثبات أن يسوع الناصرى الذى قتله اليهود ظلماً وقام من الأموات ، هو عينه المسيا الذى تنبأ عنه داود ، وجاء من نسله حسب الجسد . لكن التركيز الأكبر فى العظة كان على قيامة الرب يسوع من بين الأموات (أع ٢ : ٢٤ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢) .

(٦٢) عالجنا موضوع التكلم بألسنة بالتفصيل فى الفصل الخاص بالموهب الروحية .

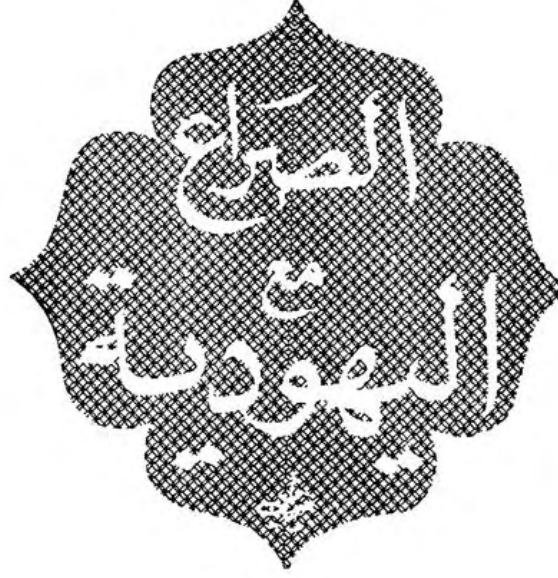
(٦٣) فى تقاليد اليهود القديمة أن كل كلمة خرجت من فم الله فوق جبل سيناء ، كانت تنقسم إلى السبعين لغة التى لبني البشر فى ذلك الوقت ، وأن صدى صوت الله كان يسمعه كل إنسان بلغته — انظر : Smith; Dictionary of the Bible, Vol. 3, p. 1556 (footnote) .

« وامتلاً الجميع من الروح القدس » (أع ٢ : ٤) ... هذه هى الأعجوبة الحقيقية الداخلية ، ومحور ما حدث فى يوم الخمسين ... ونلاحظ أن الروح القدس لم يحل على الرسل وحدهم ، بل حل على كل التلاميذ (كل المؤمنين) المجتمعين فى العلية منتظرين موعد الآب ، وكان عددهم مائة وعشرين (٦٤) (أع ١ : ١٥) ... كان ما حدث فى يوم الخمسين هو الوحي العظيم الذى أعانهم فيما بعد ليصبحوا معلمين ملهمين ذوى سلطان للإنجيل ، سواء باللسان أو القلم ... وما كان غامضاً صار الآن واضحاً مفهوماً لهم ... لقد كشف لهم الروح القدس عن حقيقة الفادى وعمله على ضوء قيامته المجدية ، وملك على عقولهم وقلوبهم ...



(٦٤) يقول القديس يوحنا الذهبي فمه [هل حل الروح القدس على الإثنى عشر فقط ؟ كلا ، بل على المائة وعشرين ، وإلا لما استشهد بطرس بما قاله يوثيل النبى (يوثيل ٢ : ٢٨ ، ٢٩) — انظر Homily 4 on the Acts.

الباب الثاني



- + كنيسة أورشليم .
- + مؤامرات اليهود واضطهاداتهم .
- + بركات الاضطهاد وثماره .
- + الكنيسة خارج أورشليم .
- دمشق — أنطاكية .
- + حركة التهود .
- + خراب أورشليم وهيكلها وأثره على
- الكنيسة المسيحية .



ولدت الكنيسة يوم الخمسين بأورشليم ، ولذا عُدَّت كنيسة أورشليم هي الكنيسة الأم لليهود المنتصرين ، بل للعالم المسيحى كله فيما بعد ...

ونستطيع أن نتصور الحياة التى كانت تحياها تلك الجماعة المسيحية الناشئة ... كانوا قلة فى عددهم ، خصوصاً بعد أن عاد شهود يوم الخمسين الذين آمنوا إلى أوطانهم ... كانت الحياة ، وكل شىء ، داخل هذه الجماعة الجديدة ، يجرى فى بساطة ، حتى أن القديس لوقا حينما يصور تلك الفترة المبكرة يقول عن المؤمنين أنهم كانوا « يكسرون الخبز فى البيوت ، ويتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب » (أع ٢: ٤٦) .

لكن ، ومع ذلك ، كانت هذه الكنيسة الناشئة تنمو داخلياً وخارجياً على أيدى الرسل ... وهنا نذكر القديس بطرس ، الذى كان له — بحكم سنه وخبرته وحماسة الفطرى — دور قيادى فى تلك الفترة المبكرة من حياة الكنيسة . ساعد الرسل عدد من الكهنة القسوس وسبعة شمامسة للعناية بالفقراء والمرضى ... وكان روح الله يعمل — لا فى الرسل وحدهم بل فى جميع التلاميذ أى المؤمنين ، فقفز عدد المؤمنين من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف (أع ٤: ٤) ... أما عوامل النمو فكانت الكرازة بالإنجيل وعمل المعجزات باسم الرب يسوع ، وحياة المؤمنين العجيبة فى إيمانها وحبها وكل فضيلة (١) .

كان المؤمنون — بقيادة الرسل — يصعدون إلى الهيكل للعبادة ، كما كان يفعل معلمهم ... أما اجتماعات العبادة الخاصة ، فعقدوها فى البيوت (أع ٢: ٤٦) ؛

(١) سيأتى الكلام عن ذلك بالتفصيل .

٥: ٤٢). كما واطبوا على تناول عشاء الرب ... وفي كل ذلك كان يجمعهم إحساس بأنهم جماعة واحدة، وأعضاء جسد واحد رأسه المسيح ... وقد لازموا الهيكل وعبادته، وتمموا الناموس القديم، بقدر ما سمحت لهم حياتهم الجديدة، وإيمانهم الجديد ...

وعظات القديس بطرس للشعب إمتازت بالبساطة والاقناع، أما خطبه أمام السنهدرين (٢)، فلم تكن دفاعية بقدر ما كانت تبشيرية، ومفعمة حماساً وغير وقوة وإقناعاً وحكمة ... ولا شك أن ذلك كله كان من عمل روح الله الذي جعل من التلميذ الرعدي، شاهداً صنيدياً يشهد أمام مجلس اليهود الأعلى ويقول: «إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا ... ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس» (أع ٤: ١٩، ٢٠: ٢٩).

هكذا كانت يد الله القوية واضحة في الخدمة، فكان «مؤمنون ينضمون للرب أكثر. جماهير من رجال ونساء» (أع ٥: ١٤) ... وكانت «كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم، وجماهير كثيرة من الكهنة يطيعون الإيمان» (أع ٦: ٧) ... كان الرب هو العامل فيهم وبهم، وهكذا ... «كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون» (أع ٢: ٤٧). أما نتيجة هذا التوفيق والنجاح في الخدمة، فكانت سلسلة طويلة ومريرة من المؤامرات والاضطهادات، مرت بها الكنيسة والمؤمنون ...

مؤامرات اليهود واضطهاداتهم

مؤامرات اليهود :

تظهر أسفار العهد الجديد، مسلك اليهود الدنيء في الوشاية والمؤامرات

(٢) أع ٣ : ١٢ - ٥ : ٢٩ - ١٠ : ٣٤ -

وإثارة الجماهير ضد الكنيسة المسيحية الناشئة ، حينما كانت تعوزهم الفرصة
للفتك بالمسيحيين والتنكيل بهم ... هذه هى خبرة المسيحيين بهم .

فلما رأوا العالم كله قد ذهب وراء المسيح ، حرض رؤساؤهم الجموع أمام
بيلاطس الوالى الرومانى ليصلب المسيح ويطلق باراباس اللص (مت ٢٧ : ٢٠) .
ولما حنقوا على إستفانوس وعلى الله ، وهيجوا الشعب ، وأقاموا شهوداً كذبة ضده
(أع ٦ : ٩-١٤) ... وإذ إمتلأوا غيظاً من القديس بولس ، سعوا لدى والى الحارث
الملك فى دمشق ، فأحكم مراقبة أبواب المدينة نهاراً وليلاً بقصد القبض عليه
وقتله (٣) ...

وفى أنطاكية بيسيدية — بعد أن آمن كثيرون بسبب كرازة بولس وبرنابا —
حرك اليهود النساء المتعبدات الشريقات ووجوه المدينة ضد الرسولين وأخرجوهما من
تخومهم (أع ١٣ : ٥٠) ... وفى تسالونيكي تقدم اليهود إلى الوالى بوشاية ضد
المسيحيين قائلين أنهم يعملون ضد أحكام قيصر لأنهم يؤمنون بملك آخر يسوع
(أع ١٧ : ٦-٨) ... وفى أيقونية هيجوا المدينة كلها ضد بولس وبرنابا ، وكادوا
يفتكون بهما لولا أنهما هربا (أع ١٤ : ١-٦) ... وفى مدينة لسترة نجحوا فى إثارة
الناس ضد بولس فرجوه رجماً عنيفاً حتى ظن أنه مات ، بعد أن كانوا معجبين به
جداً وقالوا إنه إله (أع ١٤ : ٨-١٩) ...

والقديس بولس الذى ذاق منهم الأمرين أجاد فى وصفهم حينما قال :
« اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم ، واضطهدونا نحن . وهم غير مرضين
لله ، واضداد لجميع الناس ... قد أدركهم الغضب إلى النهاية » (١ تس ٢ :
١٥ ، ١٦) .

الإضطهادات الأولى :

كان لا مفر من الصدام بين المسيحية واليهودية ... ولم يكن أمام الكنيسة

(٣) أع ٩ : ٢٣ - ٢٥ : ٢ كور ١١ : ٣٢ ، ٣٣ .

الناشئة إلا الباب الضيق أن تلبس والطريق الكرب أن تسلكه ... طريق الضيق والاضطهاد ... كان البادىء بالاضطهاد هم جماعة الصدوقيين (أع ٤ : ١ ؛ ٥ : ١٧) ... ولعل ما أثارهم هو كرازة الرسل بقيامة الرب يسوع من بين الأموات (أع ٤ : ٢) ، بينما هم ينكرون القيامة من الأموات ... كان ذلك عقب المعجزة التى تمجد بها الرب بشفاء المقعد من بطن أمه ، الذى كان له أكثر من أربعين سنة مقعداً ، وكان يجلس عند باب الهيكل يسأل صدقة ... لقد قبضوا على بطرس ويوحنا وأودعوها السجن إلى الغد ... وما لبثوا أن هالتهم كثرة الآيات والعجائب التى كانت تجرى على أيدي الرسل فأمسكوا بالرسل جميعاً والقوهم فى الحبس . لكن ملاك الرب فتح أبواب السجن ليلاً وأطلقهم . وفى الصباح شوهدهوا فى الهيكل يعلمون (أع ٥ : ١٢-٢٠) . وفى هذه المرة فكروا جدياً فى التخلص منهم ، لولا تدخل المعلم الفريسي غملائيل ، الذى كان متزناً ، فاكتفوا بجلدهم واطلاقهم بعد أن أوصوهم أن لا يبشروا باسم الرب يسوع ... أما الرسل « فذهبوا فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه » (أع ٥ : ٣٣-٤١) .

أول شهيد :

كان المنتظر أن يصبح اليهود اليونانيون ، عنصراً تقدماً متحرراً ، إزاء نظرة الازدراء التى كان ينظر بها إليهم يهود فلسطين . لكن حادث مقتل إستفانوس أول شهيد مسيحى يعكس لنا صورة أخرى عنهم .

كان إستفانوس أحد الشمامسة السبعة رجلاً مملوءاً إيماناً وقوة ، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب (أع ٦ : ٨) . وقد أثارت شخصيته ومعجزاته حسد ومقاومة مواطنيه من اليونانيين ... لقد أسقط فى يدهم ، إذ « لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به » (أع ٦ : ١٠) ... فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى أسلوب الدس والإثارة كما هى عادتهم « فخطفوه وأتوا به إلى المجمع » (أع ٦ : ١١، ١٢) .

قدم إستفانوس فى احتجاجه صورة تاريخية عريضة ، حينما استعرض

تاريخ هذا الشعب ، مظهراً به صلاح الله وجحود اليهود ... وهكذا حول إستفانوس دفاعه إلى إتهام جرى ... ثم لخص إستفانوس الفترة الأخيرة من تاريخ أمتة اليهودية وأشار إلى بناء الهيكل ... ولم يتفوه بشيء ضده ، بل اعتبره نعمة من الله لبيت داود ... لكنه هاجم المادية الشنيعة التي ظهرت في هذا الهيكل .

كانت كلمات إستفانوس نارية مقنعة تحمل معها الدليل والبرهان ، لكنها وقفت عند آذان سامعيه ، ولم تجد سبيلاً إلى قلوبهم القاسية ... وحسناً ختم اسطفانوس دفاعه بهذه الكلمات القوية « يا قساة الرقاب ، وغير المختونين بالقلوب والآذان . أنتم دائماً تقاومون الروح القدس ، كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم . وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار ، الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه . الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه » (أع ٧ : ٥١-٥٣) .

وما أن وصل إستفانوس إلى هذه الفقرة من خطابه ، حتى هاج سامعوه وثاروا بعنف شديد ، وأخرجوه خارج المدينة ورجوه ... وقيل إن إستشهاده الرائع حدث سنة ٣٦ أو سنة ٣٧ ... كان وجهه يتلأأ بنور سماوى ، ورأى رؤيا سماوية ... رأى مجد الله ، والرب يسوع قائماً عن يمين العظمة ... لقد أسلم روحه الطاهرة وهو يصلى من أجل قاتليه ، أن لا يقيم الرب عليهم خطية قتله ، متشبهاً بسيدته الذى طلب الغفران لصالبيه . كان حادث مقتل إستفانوس سبباً في تحالف الفريسيين مع الصدوقيين ، من أجل هدف خبيث مشترك ، هو القضاء على الجماعة المسيحية الناشئة ، على نحو ما صار هيرودس وبيلاطس صديقين بسبب صلب الرب يسوع !!

وثمة ملاحظة نسوقها ... يورد سفر أعمال الرسل خطاب استفانوس الذى يعتبر أطول خطاب سجله هذا السفر . ومن المرجح أن المعلومات الواردة فيه ، استمدتها كاتب السفر من بولس الرسول ، الذى لم ينس كلمات إستفانوس القوية ، ولا وجهه الذى أضاء كوجه ملاك ، بينما كان هو راضياً بقتله ، وحرس ثياب الراجمين !!

تعطف الامبراطور الرومانى كاليجولا Galigula (٣٧ - ٤١ م) على نديمه هيرودس أغريباس (وهو حفيد هيرودس الكبير) فى سنة ٣٧ ، وأقامه ملكاً ، وولاه على كورة تراخونيتس فى أقصى شمال فلسطين . ثم ولاه على مقاطعة الجليل وبلا Pella وتوابعها فى شرقى الأردن ... وفى سنة ٤١ وسع الامبراطور كلوديوس (٤١ - ٥٤ م) اختصاصات هيرودس ، فولاه السامرة واليهودية بالإضافة إلى ما تقدم ... وكان هيرودس أغريباس قد إشتهر بتهتكه أثناء إقامته بروما . فلما صار ملكاً على كل بلاد فلسطين ، أراد أن يتودد إلى رجال الدين من اليهود ويسترضيهم^(٤) ، فأثار إضطهاداً على المسيحيين ، وقبض على قوم منهم ، من بينهم الرسول يعقوب بن زبدي وقتله بحد السيف سنة ٤٤ (أع ١٢ : ٢٠ ، ١) .

كان القديس يعقوب هو أول مَنْ إستشهد من الرسل ... ويروى يوسابيوس المؤرخ — إستناداً إلى كليمنضس الاسكندرى — قصة إستشهاده فيقول إن الشخص الذى قاد الرسول يعقوب إلى المحاكمة تأثر عندما رأى شجاعته وثباته ، وأعلن إيمانه بالمسيح ، واقتيد كلاهما إلى الخارج . وفى الطريق توسل ذلك الشخص إلى الرسول أن يسامحه ... أما يعقوب ، فبعد تفكير قصير ، قال : [سلام معك] وقبله . وما لبثت أن قطعت رأساهما بحد السيف فى آن واحد (٥) .

سجن بطرس :

لم تقنع نفس هيرودس أغريباس المفعمة رياء بقتل أحد رسل المسيح ، بل إذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً ، وطرحه فى السجن ووضع عليه حراسة قوية ، وكان ينوى أن يقتله بعد الفصح ، كتقدمة

(4) Lietzmann; A History of the Early Church, p. 177.

(5) Eusebius, H.E., 2.9.

مرضية لليهود ... كان ذلك في ربيع سنه ٤٤ ... لكن الله أرسل ملاكه وفتح أبواب السجن وأطلق بطرس ...

لقد أفرد القديس لوقا اصحاحاً بأكمله لهذا الموضوع (أع ١٢) ... وليس لغير سبب، أرشد روح الله لوقا ليسجل لنا هذه القصة بالتفصيل .. فهذا الفصل يسجل عمل الله مع الكنيسة ، كما أنه يسجل بحروف من نور روح الكنيسة الأولى وحياتها ، ومفاهيمها الروحية ، وعظم إيمانها ... ففي الوقت الذي كان بطرس مسجوناً ، كانت الكنيسة تصلى بلجاجة وبلا إنقطاع إلى الله لأجله ... لقد حل ملاك الله بطرس من القيود الحديدية التي كان مقيداً بها ، وفتح أبواب السجن الضخمة أمامه ... ولما بلغ إلى حيث كان المؤمنون مجتمعين — وكان ذلك ليلاً — وجدهم يصلون . وكان وصول بطرس إليهم سالماً ، هو إجابة الله العاجلة لصلواتهم .

قصاص الله العادل :

بعد قتل يعقوب بن زبدي ، وسجن بطرس ، ما لبث أن مات هيرودس أغريباس ميتة شنيعة ... ذهب إلى قيصرية ليفصل في بعض الخلافات التي فشبت بين سكان صور وصيدا ، ويستعرض بعض الألعاب إحتفاء بشفاء الامبراطور كلوديوس ... وفي قيصرية إستقبل بحماس بالغ ... ظهر في اليوم التالى أثناء الاحتفال يرتدى حلة فضية ، كانت تنكسر عليه أشعة الشمس معطية إنعكاسات ضوئية ، أثارت أعجاب العامة ... وما لبث المتملقون أن تبادوا في إعجابهم وملقهم فدعوه إلهاً ... وفي نفس اللحظة يظهر الله إقتداره ، إذ « ضربه ملاك الرب ، وصار الدود يأكله ومات ، لأنه لم يعط المجد لله » (أع ١٢ : ٢٠-٢٣) ... وقد ذكر يوسفوس المؤرخ اليهودى المعاصر ، أنه وهو يموت كان يردد في تعجب « أنا الإله على وشك الموت . لقد قبض الموت على من دعاه الناس خالداً ! » (٦) .

(6) Josephus: Antiquities, 19.8.2.

ولا شك أن هذا الحادث طبع تأثيراً قوياً في الكنيسة التي رأت في الله حامياً ... فالقديس لوقا بعد أن سجل النعمة الإلهية بهلاك هيرودس والخلاص من شره ، يذكر في عبارة قصيرة معانى كثيرة ، ما أحرانا أن نقف أمامها للتأمل والتعزية والاستفادة ... قال : « وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد » (أع ١٢ : ٢٤) .

رسول آخر يستشهد :

إن حوادث القتل والتعذيب والسجن لم تشف غليل اليهود من إخوتهم الذين آمنوا بالمسيح ، بل أنهم استمروا ذلك ، ومضوا فيه ... ففي سنة ٦٢ قام حنان رئيس كهنة اليهود — وكان صدوقياً متعصباً — وقدم الرسول يعقوب الصغير أسقف أورشليم — المعروف باسم أخى الرب — إلى المحاكمة أمام السنهدرين ، وحكم عليه بالموت بحجة إرتكابه تعديات ضد الناموس ... ونفذ فيه حكم الموت رجماً بالحجارة ... هذا ، على الرغم من الشهادة الحسنة التى نالها القديس يعقوب من جميع اليهود بسبب قداسته وتقواه ، حتى أن يوسفوس المؤرخ اليهودى يسجل أن خراب أورشليم كان إنتقاماً إلهياً لمقتل ذلك البار (٧) .

بركات الاضطهاد ومثاله

ظلت طاقات الرسل والتلاميذ متجمعة في أورشليم ، ولم يفجرها سوى الاضطهاد ... كان مقتل إستفانوس نذير اضطهاد كبير شامل ، تخطى حدود أورشليم ذاتها « فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل » (أع ٨ : ١ ؛ ٢٦ : ١٠ ، ١١) ... لقد أطلق مقتل شهيد المسيحية الأول ، كل العداوة الكامنة المتراكمة ضد المسيحيين ... ويبدو أن شاول الطرسوسى (القديس بولس) قاد عامة اليهود في نفس اليوم من بيت إلى بيت ، يجر المؤمنين الخائفين — رجالاً ونساء — إلى السجون ، ويسطو على الكنيسة (أع ٨ : ٣) ...

(7) Ibid, 20.9.1.

كان اليونانيون هم البادئون بالاضطهاد ... لقد وجهوا اضطهادهم أساساً — وعلى رأسهم شاول — إلى المؤمنين الذين يعرفونهم قبلاً — أى المسيحيين اليونانيين ، الذين كانوا يتعبدون في مجامعهم ... ولم يجد هؤلاء سبيلاً للنجاة إلا الهرب من اورشليم إلى أوطانهم الأولى ، أو الاختباء عند أصدقائهم في المدينة ، وعلى مقربة منها حتى تهدأ الحال (٨) ... ولا بد وأن تكون تلك الفترة المبكرة قد حفلت بشهداء آخرين غير إستفانوس (٩) .

ترسم لنا كلمات القديس لوقا القليلة عن أحداث تلك الفترة المبكرة (أع ٨ : ١-٣) ، صورة قائمة مزعجة لقطيع المسيح الصغير ... لكن ما يلبث بعدها حتى يقدم عبارة قصيرة تحوى جماع فلسفة المسيحية وتكشف عن مبادئها «الذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة» (أع ٨ : ٤) ... إن هذه الكلمات القليلة هي تعبير عملي دائم عن حقيقة المسيحية وطبيعة رسالتها .. أنها تكشف أن المسيحية هي دائماً ديانة الصليب ، تظهر أصالتها وسط الضيقات ، وتزدهر بالضغوطات ... هي ليست ديانة السيف ، بل ديانة الروح والوداعة والحق ... لقد أثبتت الأحداث أن الاضطهاد كان دائماً بركة لكنيسة المسيح ... فقد إستأصل العناصر الكاذبة ، وأقصى ذوى القلوب الضعيفة ، ووضع خاتمة للحياة اللينة ، ونشر الإيمان المسيحي طويلاً وعرضاً ... والآن نعرض لعينات من بركات الاضطهاد وثماره ...

١ - التبشير في السامرة (١٠) :

لقد أدى الاضطهاد إلى تشتت المسيحيين ، وهذا وسع حقل نشاطهم

(٨) لم يكن كل اليهود يضمرون العداوة للمسيحيين ، بل كان بينهم عينات طيبة معتدلة متفاهمة ، كالرجال اليهود الأتقياء الذين حملوا جسد استفانوس إلى القبر وعملوا عليه منحة عظيمة (أع ٨ : ٢) .

انظر (أع ٢٦ : ١٠) — Hill, p. 53 (9)

(10) De Pressensé, Vol. 1, pp. 64 - ; Hill, pp. 59-

الكرازي ، فبدأوا يلتقون — وللمرة الأولى — بالوثنية المتصوفة لذلك العصر ،
التي جمعت في عقائدها الغامضة الشرق والغرب .. لقد انتظرهم هذا الخصم
الجديد في إحدى مدن السامرة التي إتجه إليها بعضهم ...

لم تكن السامرة — في واقع الحال — بلداً وثنياً خالصاً .. كان سكانها سلالة
ذلك الخليط من بقية الأسباط العشر وبعض المستعمرين الأجانب ، الذين إنتقلوا
إليها بأمر شلمناسر ملك آشور^(١١) (٢ مل ١٧ : ٢٤) . بعد أن عاد اليهود من
بابل ، حاول السامريون أن يشتركوا معهم في إعادة بناء الهيكل ، لكنهم طردوا
باحترار (عزرا ٤ : ١-٣) ، فصمموا أن يشيدوا هيكلاً ليهوه على جبل جرزيم في
السامرة^(١٢) ... وقد حل بالسامريين ما حل باليهود من جراء الاضطرابات التي
حدثت في آسيا الصغرى ، فهدم هيكلهم على يد يوحنا هيركانوس^(١٣) Hyrcanus
... لكن على الرغم من ذلك ، فقد إستمر جبل جرزيم موضعاً مقدساً لهم^(١٤) ...
ثم وقعت السامرة في قبضة الرومان ، وصارت مستعمرة رومانية ، شأنها في ذلك
شأن جيرانها من اليهود .

ظل السامريون أوفياء للعبادة التوحيدية . وكان إنفصالهم عن اليهود في
بداية العصر النبوي الكبير ، سبباً في عزلتهم عن التطور الكبير في العهد القديم ...
لقد اعترفوا بقانونية أسفار موسى الخمسة فقط ، مع سفر يشوع خليفة موسى .
وباستثناء أقلية ضئيلة ، فقد أنكروا قيامة الموتى^(١٥) . وقد شارك السامريون اليهود
إلى حد ما في إنتظارهم للمسيا (يو ٤ : ٢٥) . لكن رجاءهم في المسيا كان مطبوعاً
بطابع مادي أكثر من اليهود ... اعتقد السامريون أن المسيا يملك على كل الأمم
ليعيد الناموس المقدس ، ويعيد بناء هيكل جرزيم ، ويضمن سيادة موسى على

(11) Josephus; Antiquities, 11.8.6.

(12) Ibid, 12.1.1.

(13) Ibid, 13.9.

(14) Ibid, 13. 14.1.

(١٥) أوريجينوس في تفسيره لسفر العدد ، مقال ٢٥ ؛ ١ .

العالم . وليس أدل على طبيعة آلامهم الأرضية من السهولة التي استطاع بها سيمون الساحر أن يخلب عقولهم .

أما عن كراهية اليهود للسامريين والقطيعة بينهم ، فهي كراهية تقليدية . وقد غدت بعض الأحداث الكراهية بين الشعبين المتجاورين ... ويقدم لنا الإنجيل أدلة كثيرة على ذلك ... فأشر النعوت التي صاغها اليهود وقالوها عن المسيح ، أنه سامرى (يوحنا : ٨ : ٤٨) ، حتى أن المرأة السامرية إعترتها الدهشة لكلام المسيح معها . ويحذر التلمود اليهودى أى إسرائيل من مؤاكلة السامرى ، ويعتبره كمن يأكل لحم خنزير !!

وهكذا نرى أن ذهاب الرسل والتلاميذ إلى السامرة للكراسة فيها لابد وأنه أثار كوامن عدااء شعبهم اليهودى . لكنها كانت ولا شك خطوة كبيرة نحو الإتساع الحقيقى للمسيحية ... هكذا وضعت الكنيسة الأولى قدمها على الطريق الذى افتتحه إستفانوس بموته ، وأتى استشهاده بثماره الأولى ...

كان أول مَنْ كرز في السامرة هو فيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة ... وقد أيد الرب كرازته بآيات كثيرة ، حتى أن كثيرين — رجالاً ونساء — اعتمدوا على يديه ، بل أن سيمون الساحر نفسه آمن واعتمد ، لكن لم يكن قلبه مستقيماً أمام الله ... كانت نتيجة كرازة فيلبس « فرح عظيم في تلك المدينة » (أع ٨ : ٥-٨) ... ترامت هذه الأخبار السارة إلى الكنيسة الأم في أورشليم ، فأرسلت إلى السامرة الرسولين بطرس ويوحنا ليها — بصلواتهما ووضع أيديهما — الروح القدس لأولئك الذين عمدهم فيلبس (١٦) ... فلما وصل بطرس ويوحنا صلباً لأجل مَنْ اعتمدوا ، ووضعوا عليهم الأيادى فقبلوا الروح القدس (أع ٨ : ١٥-١٧) .

ولم تقف الكرازة في السامرة عند حد هذه المدينة فقط ، بل أن الرسولين بطرس ويوحنا ، وهما في طريق العودة إلى أورشليم « بشرا قري كثيرة

(١٦) كان فيلبس شماساً فقط ، ولم يكن له من درجات الكهنوت ما يخوله ممارسة سر التثبيت ، الذى كان يتم بوضع أيدي مَنْ هم في درجة الأسقفية في الكنيسة الأولى .

لكن مَنْ يكون هذا الوزير الخصى ؟ يبدو أنه كان أحد الأُميين المتعبدين (خائفى الله) وقطعاً لم يكن يهودياً ، لأنه من حيث كونه خصباً ، كان لا يسمح له بالدخول ضمن جماعة الرب حتى لو كان قد إختتن (تث ٢٣ : ١) . لكنه كان يسمح له بالعبادة فى الهيكل فى دار الأُمم ... ومن أجل هذا الغرض ، قطع رحلة طويلة إلى أورشليم ليسجد فيها ... ويروى التقليد الكنسى القديم أن هذا الخصى هو أول مَنْ حمل المسيحية إلى بلاده (١٩) .

٣ - تبشير المدن الساحلية :

كانت بلاد فلسطين تضم مدناً يونانية ، معظم سكانها من الوثنيين . وكانت تقع أساساً على طول ساحل البحر المتوسط ... ويروى لنا سفر الأعمال أن فيلبس — بعد أن عمد الوزير الحبشى على مقربة من غزة — خطفه روح الرب إلى أشدود ... بعدها بشر فيلبس جميع المدن الساحلية ، وهو فى طريقه شمالاً حتى وصل إلى قيصرية عاصمة فلسطين وقتذاك (أع ٨ : ٤٠) .

٤ - الكرازة فى كل بلاد فلسطين :

إن قصة الكرازة بالإنجيل لم تدون بالتفصيل فى سفر أعمال الرسل ، لكن القديس لوقا — كاتب السفر — أورد إشارات بسيطة عن ذلك ... «أما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام ، وكانت تبنى وتسير فى خوف الله ، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر» (أع ٩ : ٣١) ... ونلاحظ

(١٨) صدق القديس جيروم فى وصفه لذلك الوزير [لقد وجد فى ينبوع الكنيسة فى الصحراء ، أكثر مما وجد فى الهيكل المذهب بأورشليم] .

(19) Eusebius, H.E. 2.1.13; Harnack, The Mission .. p. 52; Hill, pp. 62-; De pressensé, Vol. 1, pp. 74, 75.

هنا أنه يذكر «كنائس الجليل». هذه مجرد إشارة دون أن يذكر لنا القديس لوقا أية تفصيلات عن ذلك ...

فيما يختص بالكرازة في الجليل — وهو القسم الشمالى من بلاد فلسطين — لا توجد لدينا وثائق تاريخية عن ذلك ... لكن النقوش التى اكتشفت أخيراً في الناصرة — وهى إحدى مدن الجليل — تثبت أن البشارة بالإنجيل وصلت إلى الجليل في زمان مبكر جداً ... والصلوات العائلية والقرابة الجسدية لكثير من الرسل باقليم الجليل ، تؤكد احتمال قبولها المسيحية في تاريخ مبكر (٢٠) .

وبعد الإشارة السابقة التى أوردها القديس لوقا عن الجليل ، يورد إشارة أخرى فيقول : « وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع ، نزل أيضاً إلى القديسين الساكنين في لدة » (أع ٩ : ٣٢) ... وإيراد هذه العبارة بعد العبارة الأولى الخاصة بنمو كنائس «اليهودية والجليل والسامرة» ، يحملنا على الاعتقاد بأن القديس بطرس كان يتحرك ويتجول جولات كرازية ، يبشر ويثبت المؤمنين ... وهنا يورد خبر معجزتين صنعهما الرب على يدى بطرس : شفاء إينياس في مدينة اللد — وكان مفلوجاً لمدة ثمانى سنين ، وإقامة طابيثا بعد موتها في مدينة يافا ... أما نتيجة خدمة بطرس في اللد ويافا ، كانت إيمان كثيرين بالرب (أع ٩ : ٣٢-٤٢) .

٥ - إيمان شاول الطرسوسى :

ولعل أعظم البركات التى نتجت عن إضطهاد الكنيسة الأولى ، هى إيمان شاول الطرسوسى حوالى سنة ٣٧ م ... ذلك الرجل الذى كانت الغيرة تعتمل في داخله بدوافع ومفاهيم فرسية خاطئة . ومن ثم جند ذاته لاستئصال شأفة المسيحية ، فكان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها (غل ١ : ١٣) . كان يحبس كثيرين من القديسين في السجون بأمر رؤساء الكهنة ، وكان

(20) Daniélou; The Christian Centuries, Vol. 1, p. 18.

يعاقبهم ويضطربهم إلى التجديف ^{http://www.santamariamary.org} ، كان يطاردهم إلى المدن خارج
أورشليم (أع ٢٦ : ١٠ ، ١١) ... وفي إحدى حملاته الإنتقامية التي جردها ضد
المؤمنين في دمشق ، إلتقى بقائد هؤلاء المسيحيين ورئيس خلاصهم عند
مشارف دمشق ... وكانت معركة ، لكنها غير دموية وغير متكافئة ، سقط فيها
شاول مستسلماً ، وغدا أسيراً ... أسره الرب يسوع بلطفه وحنوه وجهه ، حين أبرق
حواله نور سماوى ، وسمع صوتاً يقول له : « شاول شاول لماذا تضطهدنى » ...
وحين أعلن له الرب ذاته ، قال فى استسلام عجيب : « يارب ماذا تريد أن
أفعل » ... وهنا قال له الرب يسوع عما يريده أن يفعل (أع ٩ : ١-٦) .

لم ينس بولس هذه المعركة ... لم ينس أن الرب يسوع أسره يوماً ... ذلك
الضعف الذى طالما تغنى به على أنه القوة عينها ... ذلك الأسر العجيب الذى
عتقه وحرره ، الذى كان يخلو له فيما بعد أن يعلنه «بولس ... أسير يسوع
المسيح» (٢١) .

بعد هذا اللقاء الخلاصى العجيب ، ظل شاول فاقد البصر ثلاثة أيام ، طواها
صائماً فى دمشق ، وبواسطة رؤيا أعلنت لتلميذ يقال له حنانيا ، وأخرى أعلنت
لشاول نفسه ، قصد بعدها حنانيا إلى حيث كان شاول نازلاً ، ووضع يديه عليه ،
فللوقت سقط من عينه شئ كأنه قشور ، فأبصر فى الحال ، وقام واعتمد وامتلأ من
الروح القدس (أع ٩ : ١٠-١٨) ... وأمضى فى دمشق أياماً مع المؤمنين ...

أما « حنانيا » الذى عمد بولس ، فنحن لا نعرف الكثير عنه ... يذكره
القديس لوقا على أنه « تلميذ » أى مؤمن مسيحى (أع ٩ : ١٠) ، ويصفه القديس
بولس بأنه رجل تقى حسب الناموس ومشهود له من جميع اليهود (أع ٢٢ : ١٢) ...
ويذكره التقليد الكنسى على أنه أحد السبعين رسولاً ، وأسقف دمشق (٢٢) ...

(٢١) انظر : أف ٣ : ١ ؛ ٤ : ١ ؛ ٢ : ١ ؛ ٨ : ٩ .

(٢٢) سنكسار الكنيسة القبطية تحت يوم ٢٧ بؤونة ، وسنكسار الروم الكاثوليك فى أول تشرين الأول
— انظر : Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, p. 127 .

٦ - الكرازة في فينيقية وأنطاكية وقبرص :

والكرازة في هذه المناطق أيضاً جاءت كنتيجة للاضطهاد ... « أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية ، وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلاّ اليهود فقط . ولكن كان منهم قوم ، وهم رجال قبرسيون وقبرانيون ، الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع . وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب » (أع ١١ : ١٩-٢١) ...

على أن عبارة « لا يكلمون أحداً بالكلمة إلاّ اليهود فقط » الواردة في الآيات السابقة ، لا يقصد بها عدم تبشير اليونانيين كلية كمبدأ ، لكنها تعنى أن الأمر سار في بادئ الأمر في طريق البعثات التبشيرية السابقة . لكن مالم يلبث بعض اليونانيين أن تخطوا هذه الحدود ، فكانت بداية تبشير الأمم ... على أن هذا الأمر حدث كامتداد طبيعي للعمل ... هكذا تأسست في أنطاكية أول كنيسة مختلطة (يهود وأمم متصرين) ، كنتيجة للتشتت الذى حدث بسبب الاضطهاد الذى أعقب مقتل إستفانوس (٢٣) .

* * *



(23) Weiss, Earliest Christianity, Vol. 1, pp. 171-179; Harnack, Mission .. pp. 52, 53.



بعد تأسيس الكنيسة المسيحية في يوم الخمسين ، إتجهت جهود الرسل الكرازية — كما ذكرنا — إلى تبشير اليهود أولاً ، وعلى الأخص في أورشليم ... فقد كان لزاماً عليهم أن يشهدوا للرب أولاً أمام إخوتهم ، وفي معقل اليهودية ذاتها ، ويعملوا فيها علانية ... وبعد تأسيس كنيسة أورشليم ، تأسست كنائس في اليهودية والجليل والسامرة وعلى شاطئ البحر المتوسط .

قد يظن البعض أن الرسل ، عقب تأسيس الكنيسة مباشرة ، وما بين عشية وضحاها ، انطلقوا إلى أقاصى المسكونة ليشروها ... لكن الواقع غير ذلك . فقد ظلت جهود الرسل والتلاميذ محصورة في نطاق بلاد اليهودية لمدة اثنتى عشرة سنة تقريباً^(٢٤) . وكان ذلك إتماماً لوصية الرب لهم قبيل صعوده « تكونون لى شهوداً في أورشليم ، وفي كل اليهودية والسامرة ، وإلى أقصى الأرض » (أع ١ : ٨) ... وحكمة الرب واضحة في ذلك ... فهو يريد لهم أن يسيروا وفق سنن الطبيعة ، فيبدأون بالخدمة في الحقول الصغيرة كمقدمة لحقل العالم الواسع ، ويتدرجون من الأسهل إلى الأصعب والأعقد .

وهكذا ، فإنه بفضل هذه الخطة الإلهية الحكيمة إستطاعت المسيحية أن تنتشر إنتشاراً ملحوظاً في خلال الخمسة عشر عاماً الأولى ... لكن ينبغى ألا نكون مبالغين في تقديرنا لاتساع دائرة الإيمان ، سواء من ناحية الأماكن التى وصلت إليها الكرازة ، أو من ناحية أتباع الديانة الجديدة ... والواقع أن المسيحية شقت طريقها بصعوبة إلى العالم اليهودى خارج أورشليم . ولا شك أن

(٢٤) تقليد قديم ذكره كليمنضس الاسكندرى ، وأورده يوسابيوس المؤرخ — انظر :

Eusebius, H.E., 5.18.13.

يوسابيوس المؤرخ كان مبالغاً جداً حينما قال ، إنه خلال حكم الامبراطور طيباريوس — أى قبل سنة ٣٧ م [أنار تعليم المخلص كل العالم بسرعة كأشعة الشمس . وللحال خرج صوت الإنجيليين والرسل الملهمين إلى كل الأرض ، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم . وسرعان ما تأسست الكنائس في كل مدينة وقرية ، وامتألت بجماهير الشعب كبيدر ملىء بالحنطة] (٢٥) .

والآن نستعرض مركزين هامين من مراكز المسيحية خارج أورشليم :
دمشق وأنطاكية ...

دمشق :

هى أول مركز نلتقى به خارج أورشليم . ويمدنا سفر الأعمال بمعلومات عنها في موضوعين . أولهما ما يتعلق بقصة إهتداء بولس حوالى سنة ٣٧ على مقربة منها ، عقب الرؤيا التى رآها (أع ٩ : ١-٩) . أما الموضع الثانى فهو (أع ١١ : ١٩) حين يربط كاتب سفر الأعمال بين « الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب (مقتل) إستفانوس » وبين التبشير في فينيقية — التى كانت دمشق تعتبر جزءاً منها .

وإذا كان حادث إيمان شاول الطرسوسى قد وقع حوالى سنة ٣٧ م ، فمعنى ذلك أنه كانت قد تأسست في دمشق جماعة مسيحية قبل ذلك التاريخ . لأن الرؤيا التى ظهرت لشاول قرب دمشق ، كانت وهو في طريقه للإنتقام من هذه الجماعة المسيحية ... وهؤلاء المسيحيون لابد وأنهم كانوا يهوداً قبل إيمانهم ، وإلا لما وقعوا في دائرة إختصاص رئيس كهنة اليهود في أورشليم ، الذى زود شاول برسائل من أجلهم ... وأيضاً لأن بشرى الخلاص — حتى ذلك الوقت — كانت لا تعرض إلاً لليهود فقط (أع ١١ : ١٩) ... كان المسيحيون وقتئذ يدعون « رجال الطريق »

(25) H.E., 2.3.

(أع ٩ : ٢) . وهو إصطلاح يهودى خالص ، للتعبير عن شيعة جديدة (٢٦) ... كما أن حننيا الذى أعلن له الرب عن إهتداء شاول ، وهو الذى عمده كان أسقفاً على دمشق ، ويذكره سفر الأعمال بأنه رجل تقى حسب الناموس ومشهود له من جميع اليهود السكان فيها (أع ٢٢ : ١٢) .

وماذا أيضاً عن جماعة دمشق المنتصرة ؟

كانت الجماعة المسيحية فى دمشق من اليهود اليونانيين أصلاً ... وإن لم تكن كل الجماعة من هؤلاء اليونانيين ، فلا أقل من أن جزءاً منها كان من اليونانيين . وثمة نقطة أخرى تساعد على إلقاء ضوء على هذه الجماعة . فقد كشفت الحفائر الحديثة عن قانون جماعة يهودية تأسست فى دمشق ، من طراز الاسينيين الذين اكتشفت خرائبهم فى قمران عند البحر الميت ... وبالمقارنة يظهر أن الجماعة المسيحية التى تأسست فى دمشق كانت أصلاً من الصدوقيين المنتصرين . وكانت هذه الجماعة لا تقيم بمدينة دمشق ذاتها ، بل فى المنطقة الصحراوية المجاورة لها ... ويعتقد المؤرخ هرناك Harnack أن مركز هذه الجماعة كان فى قرية كوكبا Kokba . ويربط هرناك بين مركز هذه الجماعة ، وبين تقليد قديم يقول إن الرؤيا التى ظهرت لشاول الطرسوسى كانت فى نفس هذه البقعة . كانت قرية كوكبا تقع على بعد عشرة أميال جنوب غربى دمشق . وهذا الموقع يتمشى مع رواية سفر الأعمال عن قصة إيمان شاول ، أنها حدثت قرب دمشق (أع ٩ : ٣ ؛ ٢٢ : ٦) .

وثمة علاقة أخرى يراها البعض بين القديس بولس وقرية كوكبا ... أنهم يرون أن كلمة « العربية » التى إنطلق إليها القديس بولس من دمشق بعد إهتدائه (غل ١ : ١٧) هى قرية كوكبا الواقعة فى الصحراء ... ويدللون على هذا الرأى ، بأن كلمة العربية فى ذلك الوقت كانت تعنى مملكة النبطيين (٢٧) ، التى كانت

(٢٦) انظر (أع ١٩ : ٩) حيث يُذكر أن بعض اليهود المتعصبين فى أفسس كانوا « يتقسون ولا يقنمون شاتين الطريق » ، ويقصد بالطريق هنا جماعة المسيحيين — انظر : Daniélou, Vol. 1, p.22 .

(٢٧) شعب عربى ، وكانت مملكتهم تشغل أدوم وجنوب شرقى الأردن ، وجنوب شرقى سوريا انظر (مكابيين الأول ٥ : ٢٥) ، Hastings Dictionary of the Bible, p. 46; Oxford Bible Atlas .

تمتد من دمشق شمالاً إلى بتر Petra العاصمة جنوباً (٢٨) .

أنطاكية :

كانت مدينة أنطاكية الواقعة على شاطئ نهر الأورنتس Orontes في سهل خصيب ، هي المقر القديم للملك سوريا . وغدت عبر التاريخ أحد معاقل الحضارة الوثنية ، ومركزاً هاماً للثقافة الاغريقية . بل كانت إحدى المراكز الكبيرة التي إلتقى فيها الشرق بالغرب ، واختلطت فيها ثقافتها ... كانت مدينة دولية ، سكانها الأساسيون من السريان ، لكن كان فيها كثرة من اليونانيين واليهود ... وهكذا أصبحت أنطاكية — بمبانيها الجميلة ، وعدد سكانها الكبير ، وتجارتها الواسعة ، وتفوقها الفنى ، وراثتها العريض — تعتبر ثالث مدن الامبراطورية بعد روما والاسكندرية .

كان تأسيس كنيسة مسيحية في أنطاكية حدثاً هاماً ذا نتائج ضخمة بالنسبة للكنيسة الأولى ، وكان تدبيراً إلهياً هاماً ، بفضل وضع المدينة ومركزها الجغرافى الممتاز ... وهكذا أصبحت الكنيسة الانطاكية مركز الانطلاق لنشر الإيمان الجديد ... فقد أصبح ممكناً أن ينتقل هذا الإيمان — بعد فصله مما علق به من العادات اليهودية المعقدة — إلى أنحاء الامبراطورية الأخرى ... يضاف إلى ذلك ، أن قصر المسافة بينها وبين أورشليم ، جعلها قادرة على الإتصال الدائم بالكنيسة الأم فيها (٢٩) .

يرجع تبشير أنطاكية إلى الذين تشتتوا من أورشليم من جراء الضيق الذى حصل بسبب مقتل استفانوس ، كان بين هؤلاء تلاميذ من قبرص ومن القيروان بشروا اليونانيين ، أى الوثنيين ، فأمن عدد كبير منهم (أع ١١ : ١٩-٢١) . وهكذا تبدو أنطاكية كالمركز الأول الهام لجماعة وثنية متنصرة ... كان لليهود في أنطاكية

(28) Daniélou, Vol. 1, pp. 22-24.

(29) Ibid, p. 24.

جالية لا بأس بها ، لكن الإرساليات *apostolic* كانت تحصر ذاتها داخل حدود المجمع اليهودي ... كان هؤلاء التلاميذ القبرصيون والقيروانيون يمثلون أكثر أعضاء كنيسة أورشليم تحراً في المفاهيم الإيمانية بالنسبة لليهودية ، ويرجح أنهم كانوا على صلة باستفانوس (٣٠) . ومن ثم فقد قصدوا تبشير الوثنيين ... لقد قبل كثيرون منهم الإيمان الجديد . وهكذا تأسست أول كنيسة مسيحية خارج اليهودية والسامرة . وهكذا فتحت أبواب العالم للإرساليات المسيحية — تلك الأبواب التي احتفظت بها اليهودية مغلقة . ومنذ ذلك الوقت ، أخذ الدين الجديد وضعه السليم ... كان يدعو اليونانيين كما يدعو اليهود ، وفي كل مكان في العالم . وارتفعت الكنيسة — ولأول مرة — لفهم كلمات رب المجد «الحقل هو العالم» (مت ١٣ : ٣٨) .

وفي بداية تكوين الجماعة المسيحية في أنطاكية أرسل الرسل من أورشليم برنابا إليها . وكانت خدمة برنابا في أنطاكية مثمرة جداً «فانضم إلى الرب جمع غفير» (أع ١١ : ٢٢) . وإذا وجد برنابا أن الحصاد كثير ، سافر إلى طرسوس وأحضر معه شاول (بولس) إلى أنطاكية ، وظلا يخدمان بها سنة كاملة (أع ١١ : ٢٦) وصارا القائدين الفعليين للخدمة هناك .

إمتازت كنيسة أنطاكية في هذه الفترة المبكرة بكثرة مواهبها الفائقة . فوجد فيها أنبياء كثيرون (أع ١٣ : ١-٣) ... كما إمتازت بتحلل المسيحية فيها من قيودها اليهودية ، وانطلاقها في كامل حريتها وجمالها . ففيها عرفت المسيحية — ولأول مرة — باسمها الحقيقي «ودعى التلاميذ (المؤمنون) مسيحيين في أنطاكية أولاً» (أع ١١ : ٢٦) ... لقد خلعت المسيحية على أتباعها اسمها اليوناني الخاص . وكان مسيحيو فلسطين يسمون «ناصرين» (٣١) (أع ٢٤ : ٥) . وهذه

(30) De Pressensé, Vol. 1, pp. 75, 76.

(٣١) لم تطلق هذه التسمية على الرب يسوع وعلى المسيحيين من الخارجين عن الكنيسة ، بل في داخل الكنيسة . والرب يسوع نفسه دعا نفسه بها حينما ظهر لشاول الطرسوسي — انظر : (أع ٢ : ٢٢ : ٣ : ٤ : ٤ : ٦ : ٦ : ١٠ : ١٤ : ٢٢ : ٨ : ٢٦ : ٩ : ٢٤ : ١٩) . انظر أيضاً : Lietzmann, pp. 131 .

التسمية ، إما أن الشعب هو الذى أطلقها بعد أن أبصروا تطور المسيحية وتقدمها ، وإما أنه اسم دمجهم به خصومهم من الأمم ... ومهما يكن من أمر ، فإن هذه التسمية « مسيحيين » فى حد ذاتها برهان على أن الجماعة الجديدة فى أنطاكية ، وقفت فى شجاعة متميزة عن اليهودية ، وأن الكنيسة لم تعد مجرد شيعة يهودية (٣٢) ... يضاف إلى هذا أن فى أنطاكية — وربما للمرة الأولى — عاش الأمم واليهود المتنصرون جنباً إلى جنب متجاورين ، فى الوقت الذى ظل اليهود أوفياء لعاداتهم اليهودية وناموسهم ، الذى كان يمنعهم من الأكل مع غير اليهود ، كما مع الوثنيين المتنصرين ... كانت هذه هى المشكلة التى واجهت بطرس الرسول فى أنطاكية ، وبسببها قاومه بولس الرسول واتهمه بالرياء (غل ٢ : ١١-١٤) .



(32) Harnack, Missions .. p. 53; De pressensé, Vol. 1, p. 77; Daniélou, Vol. 1, p. 24.



حركة اليهود من الحركات الكبيرة والقوية ، التي صاحبت نشأة الكنيسة المسيحية في عصرها الرسولي ، والتي انبثقت من داخلها ... قام بها بعض من آمن من اليهود المتزمتين ، بهدف أن يلتزم كافة المسيحيين — سواء كانوا من أصل يهودي أو وثني — بالناموس اليهودي القديم ... وقد كان لهذه الحركة دوافع ونتائج ... ويزيد من أهميتها أن بعض نتائجها — بصورة غير مباشرة — مازالت حية حتى الآن في الكنيسة المسيحية كما سنرى ... لذا إهتمنا بأن نعرض لهذا الموضوع من كافة جوانبه ...

نظرة اليهود المتنصرين للناموس اليهودي :

تعلق اليهود بناموسهم اليهودي تعلقاً كبيراً ... كانوا فخورين به على أساس أنهم شعب الله المختار دون سائر الشعوب ، وإن الله هو الذي أعطاهم هذا الناموس . بل إن بعضه — وهو الوصايا العشر التي سلمت لموسى على جبل سيناء في لوحين من حجر — كتب بأصبع الله (خر ٣٢ : ١٦ ؛ ١ : ٣٤) ... ومن هنا كان اعتزازهم بناموسهم .

ويقصد بالناموس (٣٣) الشرائع الدينية الأدبية والطقسية والقضائية التي حواها كتاب العهد القديم . كان اليهودي يعتبر نفسه ملزماً بهذا الناموس المكتوب ، بالإضافة إلى ناموس آخر غير مكتوب ، ويقصد به التقاليد الشفوية التي سلمها إليهم معلمهم ، الذين ادعوا أن موسى على جبل سيناء ، تسلم من الله شريعة مكتوبة وأخرى شفوية ... وكان اعتقاد اليهود أن كسر أية وصية هو تعد على

(٣٣) كلمة يونانية Nomos وتعني قانون .

انبثقت المسيحية من اليهودية ، بعد أن أكمل السيد المسيح في شخصه الناموس القديم . فقد ولد في ظل هذا الناموس (غل ٤ : ٤) ، بل لقد قال : « لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » (مت ٥ : ١٧) . والسيد المسيح بتجسده جاء أولاً إلى خاصته من اليهود (يو : ١١) . وحينما أرسل رسله في إرساليات تدريبية ، أرسلهم إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (مت ١٠ : ٦) ... وقبيل صعوده أوصاهم أن يشهدوا له في أورشليم وكل اليهودية ، قبل أن يشهدوا له في السامرة وأقصى الأرض (أع ١ : ٨) . ومعنى هذا أن بشرى الخلاص قدمت لليهود أولاً ... هؤلاء اليهود الذين تمسكوا بالناموس وحرفيته ، وظنوا أن لا شيء ينسخه أو يعدله أو يحل محله ...

حاول اليهود المنتصرون أن يبنوا على هذا الأساس : إحتفاظهم بالناموس القديم مع إيمانهم يسوع المخلص الذي تنبأت عنه كتب العهد القديم ... وهكذا أرادوا أن يجعلوا رقعة جديدة على ثوب عتيق ، وأن يجعلوا خمراً جديدة في زقاق عتيقة (مت ٩ : ١٦ ، ١٧) ..

وقد استمر هؤلاء اليهود المنتصرون متأثرين تأثراً عميقاً بيهوديتهم ، وكانوا يشاركون شعبهم اليهودي حياته ... ويذكر سفر أعمال الرسل أن الذين آمنوا منهم كانوا جميعاً « غيورين للناموس » (أع ٢١ : ٢٠) . ومعنى هذا أن الأطفال كانوا يختنون ، وطقوس التطهير تراعى (أع ٢١ : ٢٦ ؛ ٢٤ : ١٨) . وقد شارك مسيحيو أورشليم في الصلوات التي كانت تتلى يومياً في الهيكل (٣٤) . وامتنعوا عن أكل الأطعمة التي اعتبرت نجسة (٣٥) في العهد القديم (أع ١٠ : ١٤) . وهكذا

(٣٤) انظر : أع ٢ : ٤٦ ؛ ١ : ٣ ؛ ٥ : ٢١ .

(٣٥) التمييز بين ما هو طاهر ونجس من الحيوانات في العهد القديم ، كان إشارة ورمزاً إلى التمييز بين البشر : ختان وغرلة أو يهود وأمم . وفي الرؤيا التي أعلنت لبطرس الرسول بخصوص كرنيليوس ، قال بطرس إنه لم يأكل قط شيئاً دنساً أو نجساً . وهو هنا تكلم كيهودي ، أما الرد الذي اقتبله من الله ، فإنه يظهر معنى العهد الجديد ، وأن الله بدم الفداء طهر كل ما هو نجس وانتهى عهد التمييز بين شعب مقدس وآخر غير مقدس ، كالحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة .

ظهر المسيحيون الأوائل على أنهم يهود عيرون رافقتهم بركة الرب (أع ٥ : ١٣). وكأنهم قد شكلوا جماعة خاصة داخل كيان إسرائيل (٣٦). ومهما يكن من أمر، فطالما بقيت المسيحية في مهدها اليهودي، فقد اعتقد جميع المؤمنين أنهم ملتزمون بالناموس.

لكن ما لبثت بشرى الخلاص أن وصلت إلى الأمم الوثنية بصورة فردية. وعلى الرغم من أن الأمر تم بناء عن إعلان إلهي، فقد قوبل بالدهشة والمقاومة، على نحو ما حدث في حالة إيمان وعماد كرنيليوس قائد المائة الأُمى وأهل بيته (٣٧)، وتبشير اليونانيون الوثنيين في أنطاكية (أع ١١ : ٢٠، ٢١).

نظرات مختلفة للناموس :

كان نتيجة إيمان الأمم وإقبالهم على الإيمان بالمسيح، أن ظهرت في الكنيسة الأولى ثلاث وجهات نظر بين اليهود المتنصرين، فيما يختص بالتزامات الناموس (٣٨) :

١ - فريق رأى أن الناموس ملزم لجميع المسيحيين بلا إستثناء، ونوال الخلاص مرتبط بحفظه. وفي رأى هذا الفريق — ومعظمهم من الفريسيين السابقين — أن يسوع المسيح هو المسيا اليهودي الموعود به، ولا مكان في ملكوته إلا لليهود، سواء بالمولد أو التبني، الذين يطيعون الناموس والفرائض التي وضعها الله على شعبه منذ القديم ... وقد أيدوا وجهة نظرهم هذه، بالقول إن الرب يسوع نفسه حفظ الناموس.

(36) Daniélou, Vol. 1, p. 12.

(٣٧) أحدث إيمان كرنيليوس وأهل بيته على يد بطرس الرسول رد فعل شديد في مؤمنى أورشليم من اليهود المتنصرين. فقد خاصموا بطرس حالما صعد إلى أورشليم لأنه دخل إلى رجال ذوى غلفة وأكل معهم ... ولم يهدأوا إلا بعد أن شرح لهم بطرس كل القصة ابتداء من الرؤيا التي أعلنت له انظر (أع ١٠ : ١١ : ٨-١).

(38) Hill, pp. 116 - 118.

٢ - فريق ثان نادى بأن ~~الخلاص هو بدم المسيح وحده~~ ، وليس بحفظ
الناموس القديم . وقد كان الناموس اليهودى ، لليهود فقط ، لإعداد الطريق
للمسيح « قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح ، لكي نتبرر بالإيمان » (غل ٣ :
٢٤) ... ولا قيمة لهذا الناموس اليهودى الآن بعد أن أتى المسيح (٣٩) ... وكان
يقود هذا الاتجاه ويدافع عنه بشدة القديس بولس الرسول .

٣ - فريق ثالث رأى أن الناموس ملزم لليهود المنتصرين فقط ، أى
للمسيحيين الذين كانوا قبلاً يهوداً وكانوا تبعاً لذلك ملتزمين بالناموس .. وقالوا إن
قبولهم للرب يسوع كالمسيا المنتظر لا يحررهم منه . لكن الأمم غير ملتزمين به بعد أن
يؤمنوا .

بلبله في أنطاكية :

بينما كان القديسان بولس وبرنابا عاكفين على خدمتهما الكرازية في أنطاكية
إذ ببعض اليهود المنتصرون المشتعلين غيرة للناموس ، قد قدموا من اليهودية ، وأخذوا
يعلمون المسيحيين — من اليهود والأمم على السواء — بأن لا خلاص لمن لا يختتن
حسب الناموس ... ويبدو أنهم أخذوا يطعنون القديس بولس بالذات ويشككون
المؤمنين في قانونية رسوليته ، وفي حقه — كرسل — في أن يعلم بعدم الالتزام
بالناموس ... وإذ لم تفلح جهود برنابا وبولس في إقناع هؤلاء القادمين ، وبسبب
البلبله الكبيرة التى حدثت ، قررت الكنيسة في أنطاكية أن ترفع الأمر إلى الكنيسة
الأم في اورشليم حتى تحسم الأمر ، وأنابت عنها القديسين برنابا وبولس في السفر
إلى اورشليم (٤٠) (أع ١٥ : ١ ، ٢) .

(٣٩) لا يقصد بطبيعة الحال التحلل الكامل من كل شرائع الناموس ، إنما المقصود ألا يلتزم المسيحيون
بالأشياء التى كانت رمزاً فقط إلى أشياء أخرى في العهد الجديد ، وقد بطلت بمعنى المرموز إليه .
مثال ذلك الختان وهو من أهم ما تعلق به هذا الفريق . كان الختان يرمز إلى معمودية العهد الجديد .
فكان بطبيعة الحال لابد وأن يبطل الختان كفريضة دينية ... وبالإضافة إلى الختان ، حفظ السبت
... إلخ .

(40) Schaff, Vol. 1, pp. 335 - 339.

عقد هذا المجمع سنة ٥٠ أو ٥١ (٤٢) ... كان أول مجمع كنسى يعقد ، ويعتبر نواة للمجامع الكنسية التى عقدت بعده ، وإن اختلف عنها كثيراً ... كانت مهمة المجمع مزدوجة : أولاً - تقرير العلاقة الشخصية بين رسل الختان والأمم ، وتقسيم حقول الكرازة بينهم ، وثانياً - حسم موضوع الختان ، وتقرير العلاقة بين المنتصرين من اليهود والأمم ... وقد أحرز المجمع بالنسبة للنقطة الأولى ، تقدماً كاملاً ونهائياً . أما بالنسبة للنقطة الثانية فقد أحرز إستقراراً جزئياً ووقتياً ...

وإن كان سفر أعمال الرسل لم يسجل لنا كل ما دار من مناقشات فيما يختص بهذا المجمع ، لكننا نعتقد أن مناقشات فردية بين الرسل سبقت وصاحبت إنعقاد المجمع الرسمى ، الذى إشتراك فيه فئات مختلفة من أعضاء الكنيسة ... فى هذه المناقشات الفردية ، حل موضوع قانونية رسولية بولس « وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالإنفراد على المعترين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً » (غل ٢ : ٢) : لم يشيروا عليه بأية تعديلات فى منهج خدمته ، ولا أعطوه أية توجيهات أو توصيات ، بل إذ رأوا التوفيق العجيب الذى أحرزه بولس وبرنابا فى حقل الكرازة بين الأمم ، أعطوهما يمين الشركة ليكونا للأمم ، وأما هم فللختان (غل ٢ : ٨ ، ٩) ... كل ما هنالك ، أنهم طلبوا من بولس أن يظهر حبه الأخوى ، ويقوى العلاقات ، بأن يعاون فقراء اليهودية عامة ، وأورشليم بوجه خاص ، الذين كثيراً ما كانت تحل بهم الاضطهادات والمجاعات . وكان بولس قد عنى قبل ذلك بخدمة المحبة هذه ، وقام بها فعلاً بفرح وعن إيمان ، بالجمع من كنائس الأمم ، وكان يحمل العطاء بنفسه إلى أورشليم (غل ٢ : ٧-١٠) (٤٣) ... هكذا ظهرت روح الآباء الرسل طيبة نحو بولس وبرنابا ، كما ظهر تقديرهم لهما فى قرار المجمع النهائى ... « حبیبنا برنابا وبولس ، رجلین قد بذلا

(41) Schaff, Vol. 1, pp. 339-345; De Pressensé, Vol. 1, pp. 125-138; Hill, pp. 119, 120.

(٤٢) بعد إيمان بولس الرسول بأربعة عشر عاماً (غل ١ : ٢) .

(٤٣) قارن : أع ١١ : ٣٠ ؛ ٢٤ : ١٧ ؛ ١٦ : ١ - ٣ ؛ ٢ : ٨ ، ٩ ؛ رو ١٥ : ٢٥ - ٢٧ .

أما عن الموضوع الرئيسي ، الذى إنعقد المجمع لأجله ، وهو موضوع «تهود الأمم» ، أو الزام الأمم الداخلين إلى الإيمان بحفظ ناموس موسى ، فبعد مباحثات كثيرة ، تكلم بطرس وبعده برنابا وبولس ، وأخيراً يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم ورئيس المجمع ... وانتهى المجمع إلى القرار الآتى : «لا يوضع على المؤمنين ثقل أكثر غير هذه الأشياء الواجبة ، الامتناع عما ذبح للأصنام ، وعن الدم والمخنوق والزنا» (أع ١٥ : ٢٨ ، ٢٩).

ملاحظات على المجمع وقراراته :

١ - رأس هذا المجمع القديس يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم ، وليس القديس بطرس كما يدعى البعض . ولم يكن بطرس هو أول المتكلمين في المجمع ، أو بعبارة أخرى لم يكن هو الذى إفتتح المجمع . فكلمة بطرس جاءت «بعدما حصلت مباحثة كثيرة» (أع ١٥ : ٧) ... وكان كلامه عن خبرته السابقة في موضوع إيمان كرنيليوس الأُمى ... أما يعقوب فكان آخر المتكلمين وأكثرهم أهمية ، وكان لكلامه وزن كبير أنهى مناقشات المجمع (٤٤) .

٢ - كانت المناقشات والمباحثات كثيرة (أع ١٥ : ٧) ... لكن الروح القدس كان أيضاً حاضراً معهم ، وقاد هذه المناقشات ، ومن ثم صدر قرار المجمع أخيراً باسمه متحدداً مع الكنيسة «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ...» (أع ١٥ : ٢٨) — وليس باسم بطرس ... إنها صورة مشرقة لروحانية الكنيسة الأولى ، ولما يجب أن تكون عليه المجامع الكنسية .

٣ - أحضر القديس بولس معه تيطس اليونانى الأُمى ... ويبدو أنه أحضره ليقدم لكنيسة أورشليم عينة حية لما يمكن أن يفعله روح الله في الإنسان بدون

(44) Schaff, Vol. 1, pp. 344, 363; De Pressensé, Vol. p. 133.

خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٥ .

الختان (غل ٢ : ١) ... ويبدو أن فريق القريسيين السابقين طالبوا بختانه . لكن بولس صمد وقاوم بشدة^(٤٥) « الذين لم ندعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل » (غل ٢ : ٥) .

٤ - بخصوص قرار المجمع فإنه لم يلزم الأمم باليهود ، لكنه أوصى أن يمتنع « عما ذبح للأصنام ، وعن الدم ، والمخنوق ، والزنا » (أع ١٥ : ٢٩) ... وهذه النواهي هي ضمن ما كان يطالب به الأممي الذي يطلب التصريح له بحضور المجمع اليهودي ، وما قرره موسى بالنسبة للأُمميين إذا أرادوا أن يجعلوا مقامهم في أرض اليهود ... فالطعام المقدم للأصنام ، سواء ما يؤكل في الهيكل الوثني أو خارجه ، كان يعتبر شركة مع الشياطين (تث ٣٢ : ١٧ ؛ ١ كو ١٠ : ٢٠) ... والدم هو عنصر الحياة ، ولذا فهو مقدس لله (تث ١٢ : ٢٣) ، والأشياء المخنوقة مازالت تحتفظ بدمها ، فلا يجب أن تؤكل تبعاً لذلك ... ومن هنا ، فإن هذه النواهي الثلاثة ، تتمشى مع تلك التي وضعت على الغريب الذي يقيم بين بني إسرائيل (لا ١٧ : ١٠ ؛ ١٨ : ١٨) .

هذه النواهي الثلاثة السابقة تبدو معقولة ، أما النهي عن الزنا فيبدو غريباً . فالزنا أمر غير مشروع لدى المسيحيين والأُمميين على السواء . من أجل هذا رأى كثيرون أن الزنا المشار إليه في قرار مجمع أورشليم ، إنما يُقصد به الزيجات المحرمة^(٤٦) ، كالحالة التي أشار إليها بولس في (١ كو ٥ : ١) ... ورأى البعض

(٤٥) كيف يتفق موقف بولس الرسول هنا مع موقفه فيما يتعلق بتيموثاوس الذي ختنه بعد أرفضاض المجمع مباشرة (أع ١٦ : ٣) ؟! يبدو أن بولس ختن تيموثاوس كيهودي وليس كأُممي . وقد فعل ذلك كنوع من الملاءمة الارادية ، حتى ما يجعله أكثر نفعاً للخدمة بين بني جنسه من اليهود ، الذين كانوا يعرفون أنه ابن امرأة يهودية مؤمنة . فما كان ممكناً أن يسمحوا له بالتعليم في المجمع بدون علامة العضوية وهي الختان ... أما في حالة تيطس — وهو يوناني أُممي خالص — فكان مطالباً بالختان كأساس للتبرير والخلاص ... كان بولس شديد الصلابة في وقوفه أمام الإخوة الكذبة — لكنه كان مستعداً دائماً أن يوائم نفسه مع الضعفاء ، وأن يصير لليهود كيهودي ، وللأُمم كأُممي لكي ما يخلص كليهما (قارن رو ١٤ ، ١٥ ؛ ١ كو ٩ : ١٩ - ٢٣ ؛ أع ٢١ : ٢٣ - ٢٦) . ثم أن بولس كان لا يهيمه موضوع الختان أو عدمه كطقس ظاهري فقط بالمقارنة مع حفظ وصايا الله والخلقية الجديدة في المسيح . (انظر غل ٥ : ٦ ؛ ٦ : ١٥ ؛ ١ كو ٧ : ١٩) — انظر أيضاً : Schaff, Vol. 1, pp. 342, 343 .

(46) Hill, pp. 124 - 129; Daniélou, Vol. 1, p. 30.

الآخر أن المقصود هو الزنا المعروف ، لأن خطايا النجاسة كان ينظر إليها باستخفاف في العالم الوثني . وكانت توجد معابد كثيرة مستخدمة كأماكن دينية للدعارة !! وكان بولس دائماً يحذر المنتصرين على يديه من الدنس الجنسي .

هل انتهى مجمع أورشليم مشكلة اليهود ؟

لم ينه مجمع أورشليم بقراره ، المناقشات والآراء التي إحتدمت بخصوص تهود الأمم ، والأزمات التي نتجت عن هذا الموضوع ... بل إن نشاط بولس الرسول الجبار ، وكرازته الفعالة المتسعة ، زادت من حدة التوتر ... ولم يكن ما دار بمجمع أورشليم ، وما أصدره من قرارات مقنعاً للمتزمين ، بل كان لهم بمثابة الهزيمة . ومن ثم هبوا ثانية — وبمرارة أكثر من ذي قبل — ونظموا إرساليات مضادة ، للحد من نشاط القديس بولس ، والترويج لمبادئهم . أو بعبارة أخرى ، لهدم بولس ونقض تعاليمه ...

أخذ هؤلاء « الإخوة الكذبة » حسبما يدعوههم بولس ، يتعقبونه في كل حقل كرز فيه تقريباً ، خاصة في غلاطية وكورنثوس ... ويبدو أنه كان موقفاً منطقياً من جانب هؤلاء المتزمين ، بعد أن اعتبرت حركة التبشير بالإنجيل هي نفسها إعلان الله للبشر قديماً على يد اليهود ، لكن في صورته الكاملة .. لم يكن هؤلاء المتزمتون يتخيلون ، أنهم سيفصلون يوماً ما عما إنحدر إليهم كل ما كان يمكن أن تفعله المسيحية — حسب تصورهم — هو يهودية موسعة متحورة ، يتألف جوهرها من الاعتراف بالإيمان بالمسيا اليهودي ... كان هؤلاء الإخوة الكذبة ، بالنسبة لبولس شوكة — وإن لم تكن في جسده ... يستعرضهم أمامه ، ويشير إليهم وإلى تعليمهم الخاطيء ، ويهاجمهم ويهاجمهم في معظم رسائله (٤٧) ...

وكدليل على استمرار واستفحال مشكلة اليهود بعد مجمع أورشليم ، نسوق الأمثلة الآتية :

(47) Schaff, Vol. 1, pp. 358, 359; Carrington, Vol. 1, p. 87.

١ - في أنطاكية :

حدثت بلبلة شديدة في أنطاكية عقب مجمع أورشليم مباشرة ، بعد وصول تلاميذ من عند يعقوب أخى الرب إليها . كان بطرس الرسول موجوداً في ذلك الوقت في أنطاكية إلى جانب بولس وبرنابا . وقد كان مجيء هؤلاء التلاميذ ، لبروا إلى أى مدى يلتزم المنتصرون بالناموس « ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا » (غل ٢ : ٤) ... وقد أثمرت مساعى هؤلاء ، فبدأ بطرس — وكان موجوداً وقتذاك فى أنطاكية — وبرنابا وبعض اليهود المنتصرين يمتنعون عن مخالطة الأمم (غل ٢ : ١٢ ، ١٣) ، بعد أن كانوا يأكلون مع المنتصرين من الأمم فى ولائم الأغابى التى تتم فى إجتماعات العبادة ، كتعبير عن الإخوة المسيحية .

كان هذا التصرف من جانب القديس بطرس غريباً ، واعتبره القديس بولس رياء . وعندما ذكر هذا الحادث لكنيسة غلاطية قال : « لكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم . ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان . وراعى معه باقى اليهود أيضاً ، حتى برنابا أيضاً إنقاد إلى رياثهم » (غل ٢ : ١١-١٣) ... ولا ندرى سبباً لإنقلاب بطرس فى تصرفه . هل عاودته طبيعته القديمة ، وأنكر فى هذه المرة حق التلاميذ الأُميين بعد أن دافع عنهم فى مجمع أورشليم (٤٨)؟! يبدو أن ضغط هؤلاء التلاميذ الوافدين من عند يعقوب كان شديداً ، حتى أن برنابا الذى وقف إلى جانب بولس فى الدفاع عن حقوق الأُميين ، انحاز إلى بطرس وباقى اليهود (٤٩) .

لكن مَنْ يكون هؤلاء التلاميذ الوافدون من عند يعقوب ؟ هل قصد بهذه العبارة أنهم مرسلون من قبله ، أم أنهم من رعيته فقط ؟

(٤٨) قال القديس بطرس فى مجمع أورشليم دفاعاً عن الأُميين : « والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً . ولم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم » (أع ١٥ : ٨ ، ٩) .

يميل كثير من العلماء - والنص الكتابي واضح - أنهم كانوا موفدين من قبله ... ولو كانوا لا يعبرون عن رأى يعقوب لما عمل لهم بطرس أى حساب فالقديس يعقوب أخو الرب كان شخصية قوية لها مكانتها ووزنها - ليس بين المسيحيين وحدهم ، بل حتى بين اليهود أنفسهم (٥٠) ... والقديس بولس حينما يذكره ، يقدمه على بطرس « فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا (بطرس) ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة ... » (غل ٢ : ٩) . وقد رأس مجمع أورشليم ، وكان رأيه الذى أعلنه أمام المجمع ، هو نفس قرار المجمع .. بل يبدو أنه هو نفسه الذى كتب هذا القرار ، فأسلوب إفتتاحية هذا القرار يتفق مع أسلوب إفتتاحية رسالته (٥١) .

لكن كيف نستطيع أن نفسر هذا التناقض الظاهرى فى موقف القديس يعقوب بخصوص قرار مجمع أورشليم ، وبين الشركة التى أعطاها لبولس وبرنابا من ناحية ، والمندوبين الذين أرسلهم إلى أنطاكية من ناحية أخرى ؟!

الواقع - كما يبدو لنا من الدراسة - أنه ليس ثمة تناقض فى موقف يعقوب ... لقد كان الموقف حساساً للغاية بين أهل الختان ... كان حماسهم شديداً للناموس القديم ، وثقل عليهم أن يتخلوا نهائياً وللحال عن طقوسهم القديمة التى تشبعوا بها وقتاً طويلاً ... كانت الآمال معقودة على القديس يعقوب لما له من مكانة ممتازة بين المسيحيين من الفريقين . وكان هو يرأس الكنيسة الأم فى أورشليم ... ولعله أراد أن يقود سفينة الكنيسة بحكمة وسط عواصف اليهود التى ثارت ، ويقود المتحمسين لموسى برفق إلى المسيح . ويؤيد هذا التعليل ما دار من حديث بين القديس يعقوب ومعه خدام كنيسة أورشليم ، والقديس بولس فى زيارته الخامسة والأخيرة إلى أورشليم حوالى سنة ٥٨ م (٥٢) .

(٥٠) اعتبر يوسيفوس المؤرخ اليهودى خراب أورشليم سنة ٧٠ م إنتقاماً إلهياً عادلاً من اليهود لقتلهم للقديس يعقوب هذا .

(٥١) قارن (أع ١٥ : ٢٣) مع (يع ١ : ١) .

(٥٢) انظر بإمعان : أع ٢١ : ١٧ - ٢٦ . لكن هل يمكن تفسير موقف بطرس فى أنطاكية حينما امتنع عن مخالطة الأيمن ، على أنه هو الآخر كان فى موقف حساس لكونه رسول الختان وكان لا يريد أن يضع عثرات فى سبيل خدمته الكرازية ؟! تساؤل لا يمكننا إعطاء إجابة قاطعة ومقنعة عنه ...

وفي غلاطية حدثت بلبلة كبيرة ، أحدثها اليهود المنتصرون ، وبلغ من قوتها وعنفها ونتائجها ، أن اليهود المنتصرين لم يعودوا وحدهم إلى ممارسة عوائدهم اليهودية ، بل إن الأمر إمتد إلى الوثنيين المهتدين (غل ٥ : ٢) .. والرسالة إلى غلاطية رائعة ووافية في إلقاء ضوء كاف على حركة التهود ، ورأى القديس بولس بشأنها ، وموقفه إزائها . تلك الرسالة التى كتبت بعد مجمع أورشليم بنحو خمس سنوات (٥٣) ... في هذه الرسالة يعالج الرسول بولس الموضوعين الأساسيين اللذين كان يروج لهما هؤلاء الإخوة الكذبة ، وهما قانونية رسوليته (٥٤) ، وموضوع التهود ...

يبدأ بولس بالدفاع عن قانونية رسوليته فيفتح الرسالة بقوله : « بولس رسول ، لا من الناس ، ولا بإنسان ، بل يسوع المسيح والله الآب ... أعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان . لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته . بل بإعلان يسوع المسيح » (غل ١ : ١١ ، ١٢) .

ثم ينتقل الرسول للكلام عن ضلالة التهود التى يريد أن ينقذهم منها فيقول لهم : « إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل (٥٥) آخر . ليس هو آخر . غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح . ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن محروماً ... لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما » ... ثم تأخذه الغيرة على خلاص أنفسهم فيقول لهم : « أهكذا أنتم أغبياء . أبعد ما

(53) Schaff, Vol. 1, p. 763; Carrington, Vol. 1, p. 88; The book of the Acts of God, p. 321; Wuest, Galatians in the Greek N.T., pp. 11-23.

(٥٤) أى أنه رسول من قبل الرب يسوع نفسه ، وأنه لا ينقص شيئاً عن فائقى الرسل (٢ كو ١١ : ٥) .

(٥٥) كلمة إنجيل هنا وفي كل أسفار العهد الجديد كانت لا تعنى حتى ذلك الوقت الكتاب المكتوب ، بل تعنى البشارة التى يحملها الرسل خاصة للأمم .

إبتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد... لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة » (غل ١ : ٦ - ٨ ؛ ٢ : ١٦ ؛ ٣ : ٣ ؛ ٦ : ١٦) .

٣ - في أفسس وبعض مقاطعات آسيا :

لقى القديس بولس في هذه المناطق مقاومة عنيفة من اليهود المنتصرين . ففي رسالتيه إلى الكورنثيين اللتين كتبهما حوالي سنة ٥٧ ، يقول : « ولكنني أمكث في أفسس إلى يوم الخميس ، لأنه قد انفتح لي باب عظيم فعال ، ويوجد معاندون كثيرون ... لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أننا نتقفلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً » (١ كو ١٦ : ٨ ، ٩ ؛ ٢ كو ١ : ٨ - ١٠) ... ويذكر أنه واجه الوحوش في أفسس (١ كو ١٥ : ٣٢) ، كناية عن شدة المقاومة التي لقيها ، فإن ذلك كله تم نتيجة العداوة التي أظهرها له اليهود المنتصرون (٥٦) .. وفي رسالتيه إلى تيموثاوس ، اللتين يرجح أنه كتبهما في الفترة من سنة ٦٤ إلى سنة ٦٧ يتضح أنه عاد واصطدم مرة ثانية بجماعة اليهود المنتصرين في أفسس (١ تي ١ : ٣) ... وأخيراً يقول لتيموثاوس معبراً عما في نفسه من مرارة وأسى : « أنت تعلم هذا ، أن جميع الذين في آسيا إرتدوا عني » (٢ تي ١ : ١٥) .

فهم خاطيء لمهاجمة القديس بولس للتهود :

وثمة ملاحظة في غاية الأهمية ، تختص بموقف القديس بولس إزاء حركة التهود ، يجب الإشارة إليها ، بعد أن خدعت به ، واستغلته بعض الشيع المسيحية البروتستانتية ... فلقد اعتبرت تلك الشيع مهاجمة القديس بولس لأعمال الناموس في رسائله وتصريحاته بأنها غير لازمة للخلاص ، إنها مهاجمة لمبدأ وجوب الأعمال الصالحة بصفة عامة في حياة الإنسان المؤمن كشرط لخلاصه ... وبهذا أساءت هذه

(56) Daniélou, Vol. 1, p. 34.

الشيخ فهم روح هذا الرسول العظيم وبجودته كلفته الحية ... فبينما هو يهاجم فكرة اليهود ذاتها ، ويوضح أن الخلاص بدم المسيح وليس بأعمال الناموس القديم ، إذا بهم يأخذونها على أنها مهاجمة لمبدأ الأعمال الصالحة ولزومها لخلاص الإنسان .. وصدق القديس بطرس الذى أشار إلى أمثال هذه الأمور بقوله : « التى فيها (رسائل بولس) أشياء عسرة الفهم ، يحرفها غير العلماء ، وغير الثابتين ، كباقي الكتب أيضاً ، لهلاك أنفسهم . فأنتم أيها الأحباء إذ قد سبقتم فعرفتكم ، إحترسوا من أن تنقادوا بضلال الأرياء ، فتسقطوا من ثباتكم » (٢ بط ٣ : ١٦ ، ١٧) .

هل كانت الدعوة لليهود مظهراً لحركة سياسية ؟

ثمة إشارات في رسائل بولس الرسول التى عالج فيها موضوع اليهود ، تدل على إنتظار هؤلاء اليهود المنتصرين مجيء الرب ، الأمر الذى يرتبط بنفس آمال اليهود فى مُلك المسيا ومجيئه وتأسيس مملكة أرضية ... فهل كانت هناك أيدي يهودية تلعب دورها من أجل أغراض سياسية ؟ إننا نعرض هذه الإشارات ، ونضع أمامها علامات إستفهام .

(أ) كتب القديس بولس إلى أهل تسالونيكي حوالى سنة ٥٢ أو ٥٣ يقول : « ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعه إلينا ، أن لا تنزعزوا سريعاً عن ذهنكم ، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا ، أى أن يوم المسيح قد حضر . لا يخدعنكم أحد على طريقة ما ، لأنه لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولاً ... أما تذكرون إنى وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا » (٢ تس ٢ : ١-٥) ... فمَن هم هؤلاء الذين يخدعونهم على طريقة ما ؟ إننا نرجح أن الأمر كانت فيه يد يهودية تظهر بالمظهر الدينى ، يحركها دافع سياسى . وهذا ليس بعيداً عن اليهود وأساليبهم فى الخداع ... بل لعله يتفق مع ما يرويه لنا يوسفوس المؤرخ اليهودى عن اضطرابات يهودية فى تلك الفترة (٥٧) .

(ب) في الرسالة إلى أهل فلاديف (Vladivostok) الرسول لهم : « أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين . أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً » (غل ٤ : ١٠) ... وإن كان حفظ الأوقات يتعلّق أساساً ببعض الأعياد والطقوس اليهودية ، لكن الاهتمام بحساب الزمن أصلاً لم يكن إلاّ تعبير عن إنتظار المسيا (٥٨) .

(ج) ويرى البعض أن فيما دونه بولس الرسول إلى أهل رومية ، ما يؤدّد هذا الرأي . كتب بولس رسالته هذه حوالى سنة ٥٨ م ، ولم تتبقّ سوى سنوات قليلة على ثورة اليهود العارمة ضد الدولة الرومانية ، وحصار أورشليم وخرابها (٥٩) . وقبيل ذلك كان القوميون من اليهود يعدّون عدتهم سرّاً . وكان تيار القومية اليهودية يسرى خفية في أنحاء العالم اليهودى . وإزاء هذه الحركة التى أجسّها الرسول بولس ، كان يختلج نفسه حزن عميق من أجل إسرائيل المسكين ، الذى كان يدفع نفسه إلى الهاوية ... لذا قال فيهم : « إن لى حزناً عظيماً ووجعاً فى قلبى لا ينقطع ... لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد الذين هم إسرائيليون » (رو ٩ : ١-٤) . ووجه الخطر فى الأمر أن المسيحية حتى ذلك الوقت ، كانت فى نظر الحكام معتبرة شيعة يهودية ، يحلّ بأتباعها ما يحلّ باليهود . ولعله السبب الذى كتب الرسول لأجله فى هذه الرسالة ، موصياً أن تخضع كل نفس للسلطين الفائقة . ومَن يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله (٦٠) (رو ١٣ : ١ ، ٢) .

(د) وتظهر التأثيرات اليهودية واضحة غاية الوضوح فى موضوع « ملك المسيح الألفى » Millennium ، المذكور بطريقة رمزية ، وبمعنى روحى فى سفر الرؤيا (رؤ ٢٠ : ٢ ، ٤ ، ٦) . فلقد إعتقد بعض المسيحيين — نتيجة الجهود والتأثيرات اليهودية — أن السيد المسيح سيملك على الأرض فى أورشليم ألف سنة مليئة بالخير والسلام ، ويملك معه القديسون ... وواضح تماماً أن هذه عينها هى آمال

(58) Daniélou, Vol. 1, 35.

(٥٩) بدأت الثورة سنة ٦٦ م ، وتم سقوط المدينة وخرابها بهيكلها سنة ٧٠ م .

(60) Daniélou, Vol. 1, pp. 35, 84.

مخلفات حركة التهود :

سبق أن أوضحنا أن مجمع أورشليم لم يمه بصورة قاطعة مشكلة التهود ، بل أن هذه المشكلة التى أثرت فى عصر الرسل ، كانت لها نتائج ومخلفات وذيول ...

١ - أنهى إضطهاد نيرون المروع ، وكارثة خراب أورشليم وهيكلاها ، مناقشات التهود فى الكنيسة المسيحية . لكن هذه الآراء تبلورت وازدادت تطرفاً ، وظهرت فى أوائل القرن الثانى الميلادى فى هرطقة دينية ، عُرفت باسم «الابيونية» (٦٢) .

٢ - أخذت حركة التهود مظهراً آخر غير مقاومة التعليم الصحيح .. معلوم أن خصم هؤلاء المتهودين الأكبر كان هو بولس الرسول ، ومن ثم جعلوه هدفاً لمقاومتهم بصورة أخرى غير التعليم (٦٣) ... وجاء ذلك فى كتابات الأبوكريفا (المزورة) التى ترجع إلى ذلك العصر ، أو ما بعده بقليل ، حيث نجد تأثيرهم واضحاً فيها ... حاولوا الإقلال من قيمة جهود بولس الكرازية ، ونسبوا بعضها إلى بعض رسل الختان ، وفى مقدمتهم بطرس الرسول ، رسول الختان الأول ... ومن خير الأمثلة على ذلك الكتابان الأبوكريفا (أعمال الرسل) و(أعمال بطرس وبولس) (٦٣) .

٣ - وقد ترتب على النقطة السابقة قضية خطيرة مازالت كنيسة المسيح الجامعة ، تئن منها حتى الآن ... فما لبنت مادة كتب الأبوكريفا المذكورة — التى أضفت على بطرس الرسول صفات مميزة وممتازة فى الجهود الكرازية — أن

(61) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 5, pp. 376 - 389; Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 168-170; Daniélou, Vol. 1, pp. 79, 84; Austin Farrer, The Revelation, pp. 12, 13, انظر القس تادرس يعقوب ، تفسير سفر الرؤيا عن آباء الكنيسة ص ٢١٣ 203, 204.

(62) Schaff, Vol. 1, pp. 369, 370.

(63) Ibid, p. 257.

نمت على أيدي بعض الجهلاء والمعرضين،^{santamariaegypt.org} ونمت معها جذور فكرة رئاسة أسقف روما على العالم المسيحي .. تلك الفكرة التي نمت وترعرعت في غضون العصور الوسطى المظلمة ، وقسمت العالم المسيحي إلى أكثر من معسكر (٦٤) .



(64) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, pp. 17-32.



أورشليم وهيكلها (٦٥) :

وقبل أن نتناول موضوع خراب أورشليم وهيكلها ، نرى من المفيد أن نقف قليلاً ونلقى نظرة سريعة عليهما ...

على الرغم من الثراء العريض الذى حققه كثير من اليهود خارج اليهودية فى الأقطار الأخرى ، فقد كانوا يتطلعون دائماً بشوق إلى أورشليم ، وما يحيط بها ... كانوا يعتبرون أورشليم — وكل سكانها من اليهود — أنها المكان الوحيد فى العالم ، حيث يشعرون — إلى حد ما — أنهم سادة فى بيتهم ، وأن منها ستظهر — حسب فهمهم المادى الخاطيء — المملكة اليهودية الكبيرة الموعود بها ، وفيها سيظهر أيضاً المسيا المنتظر ... وهكذا كانت أورشليم مركز اليهودية فى العالم كله ، وقلبها النابض .

وفى عهد الرسل كانت أورشليم على جانب كبير من الثراء المادى ، وبلغ عدد سكانها نحو مائتى ألف نسمة . لكنها لم تعد — كما كانت فى زمان داود وسليمان — تستمد عظمتها وثروتها من قوتها العسكرية ، أو تجارتها مع شعوب فلسطين ، بل من هيكل يهوه وحده ... كان على كل ذكر يهودى تجاوز عمره الستين ، أينما يعيش ، غنياً كان أم فقيراً ، أن يسهم فى الحفاظ على الهيكل ، بأن يدفع درهمين (نصف شاقل) سنوياً ضريبة للهيكل ترسل إلى أورشليم . وقد أوفى الرب يسوع هذه الضريبة (مت ١٧ : ٢٤) .

(65) Karl Kautsky, Foundations of Christianity, pp. 226 - 228.

وإلى جانب ذلك ، كانت تصل إلى أورشليم تقدمات كثيرة لا تحصى .. كما كان لزاماً على كل يهودى غيور أن يحج إلى أورشليم — مرة واحدة على الأقل في حياته — حيث مسكن إله يهوہ ... ففيه وحده يقبل الله التقدّمات . هكذا ترنم داود وقال عن هذا المسكن أن الله يسكن فيه إلى الأبد (مز ٦٨ : ١٦) ... أما المجمع اليهودية المنتشرة في المدن المختلفة خارج أورشليم ، فكانت أماكن إجتماعات وعبادة ومدارس ... لكنها لم تكن بحال ما هياكل تقدم فيها الذبائح..

لابد إذن وأن تكون ضرائب الهيكل ، والحج ، قد أمدتها بأموال طائلة ، وانعشت الحالة الإقتصادية ، وأتاحت فرصاً للعمل والكسب لكثير من اليهود ... وهكذا فإن عبادة يهوہ في أورشليم — بصورة مباشرة وغير مباشرة — قد أفادت ، ليس فقط كهنة الهيكل والكتبة وحدهم ، بل أيضاً أصحاب المتاجر والحرف والصيارف والفلاحين والرعاة وصيادی اليهودية والجليل ، الذين وجدوا في أورشليم سوقاً رائجة لمنتجاتهم ... وإذا كان السيد المسيح قد وجد في الهيكل باعة ومشترين وصيارف ، فقد كان هذا يتمشى ووضع الهيكل بالنسبة لحياة أورشليم وشعبها .

كانت حياة اليهود وآمالهم متعلقة بأورشليم « إن نسيك يا أورشليم تُنسى يميني ، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك . إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى » (مز ١٣٧ : ٥ ، ٦) ... من أجل هذا قامت بعض محاولات لبناء أماكن يحج إليها اليهود خارج أورشليم ، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ... من أمثلة ذلك ، المحاولة التي قام بها شخص يدعى انياس Onias — وهو ابن لرئيس كهنة يهودى — هذا بنى هيكلًا ليهوہ في مصر في عهد بطلميوس فيلوباتر (١٧٣ — ١٤٦ ق.م) ، بمعاونة هذا الملك ، الذى كان يأمل أن يصبح رعاياه من اليهود أكثر ولاء له ، حينما يكون لهم هيكل في بلده ... لكن هذا الهيكل فشل في فكرته وغرضه ...

وهكذا ظلت أورشليم وهيكلها قبلة أنظار اليهود في كل أنحاء العالم ، يولون وجوههم شطرها في الصلاة ، وإليها يرسلون تقدماتهم ، ويحجون إليها

بشائر مشئومة :

سبق خراب أورشليم وهيكلها بشائر مشئومة في أورشليم ذاتها وفي خارجها ... نستعرض أهمها فيما يلي :

١ - يذكر المؤرخون أن الست سنوات الواقعة بين إضطهاد نيرون وخراب أورشليم (٦٤ - ٧٠ م) كانت أكثر فترات التاريخ القديم إمتلاء بالرديلة والفساد والكوارث ... لقد بدأ الوصف النبوى الذى قدمه ربنا يسوع عن خراب أورشليم وهيكلها يتحقق . وبدأ للمسيحيين ، وكأن يوم الدينونة على الأبواب ... ولم يكن هذا الإحساس قاصراً على المسيحيين وحدهم ، بل شاركهم فيه كثير من الوثنيين أيضاً ، حتى أن المؤرخ الوثنى تاكيتوس Tacitus حينما أخذ يسجل تاريخ روما بعد موت نيرون ، بدأه بقوله : [إننى مقبل على عمل غنى بالكوارث ، ملئ بالمعارك الفظيعة والمنازعات والثورات ... حتى فى زمان السلم . لقد قتل أربعة أمراء بالسيف . وفى وقت واحد نشبت ثلاثة حروب أهلية ، وعديد من الحروب الخارجية العنيفة ... إيطاليا مثقلة بكوارث جديدة أو قديمة متكررة . مدناً تبتلع أو تدفن تحت الحطام . لقد اتلفت الحرائق روما . احترقت معابدها القديمة . حتى الكابيتول أضرم المواطنون النيران فيه . أنتهكت المقدسات ، وتفشى الزنا أيضاً حتى فى الأماكن السامية . إمتلأت البحار بأماكن النفى ، وتخصبت الجزر الصخرية بدماء القتلى . ومازال الهياج المرعب يسود المدينة ...] (٦٧) .

(٦٦) كانت هناك حكمة إلهية من وراء ذلك ... كان الله يريد أن يجعل المكان الذى سيظهر فيه المسيح بالجسد قبلة أنظار العالم ... وقد أتت هذه الخطة الإلهية بشمارها ، فيما حدث يوم الخمسين ، يوم تأسست الكنيسة المسيحية ، وآمن بالمسيح ثلاثة آلاف نفس من مختلف الأوطان واللغات ، وجميعهم من اليهود .

٢ - أما فلسطين فكانت أكثر بلاد العالم شقاء في تلك الفترة ... إن مأساة خراب أورشليم إنما تمثل مقدماً وبصورة مصغرة الدينونة الأخيرة ، كما أنبأ عنها السيد المسيح في حديثه عن نهاية العالم (٦٨) ... أخيراً وصل احتمال الله لشعب اليهود إلى الذروة ، بعد أن فاقوا في عنادهم كل تصور ، فصلبوا مخلصهم !! وما لبثوا أن رجوا يعقوب البار الذي كان أنسب إنسان يصالح اليهود مع المسيحية .

لقد ظهرت وحدثت ظواهر وأحداث عجيبة قبيل خراب أورشليم في السماء وعلى الأرض سجلها لنا يوسفوس المؤرخ اليهودي المعاصر (٦٩) ... ظهر فوق أورشليم ولمدة سنة كاملة ، نجم مذنب يشبه السيف . وحدث أن بقرة وضعت حملاً وسط الهيكل بينما كان رئيس الكهنة سيقربها ذبيحة . والباب الشرقي الداخلى الضخم المصنوع من النحاس ، الذى كان يحكم أغلاقه ، ويقوم على غلقه عشرون رجلاً بصعوبة ، شوهد يفتح من تلقاء ذاته أثناء الليل . كما شوهدت مركبات وفرق من الجند مدججين بالسلاح بين السحب فوق المدينة المقدسة ... ويذكر لنا يوسفوس حادثاً عجيباً آخر ... ففي سنة ٦٣ - قبل خراب المدينة بسبع سنوات - ظهر فلاح اسمه يوشيا في مدينة أورشليم في عيد المظال ، وأخذ يصيح بلهجة نبوية نهاراً وليلاً في الشوارع وبين الناس قائلاً : [صوت من الشرق ، صوت من الغرب ، صوت من الرياح الأربعة ، صوت ضد أورشليم والبيت المقدس ، صوت ضد العرائس والعrsan ، صوت ضد هذا الشعب جميعه . ويل ويل لأورشليم] ... وإذ أزعج هذا المتنبيء الحكام بويلاته ، قبضوا عليه وجلدوه لأنه تنبأ بالشر عليهم وعلى مدينتهم ... أما هو فلم يبد أية مقاومة ، بل استمر يردد ويلاته . ولما قدم لألبينوس Albinus الولى ، أمر بجلده حتى ظهرت عظامه . ومع كل ذلك ما كان ينطق بكلمة دفاعاً عن نفسه ، ولا لعن أعداءه . وكل ما فعله أنه كان يصدر صوتاً حزيناً مع كل جلدة [ويل ويل لأورشليم] ... لم يجب بشيء على أسئلة الحاكم ، مَنْ هو ، ومن أين ... أخيراً أطلقوا سراحه كرجل مجنون ... لكنه إستمر على هذه الحال حتى نشبت الحرب ، لا سيما في الأعياد الثلاثة

(٦٨) انظر : مت ٢٤ : ١ ، ٢ ؛ مر ١٣ : ١ ؛ لو ١٩ : ٤٣ ، ٤٤ ؛ ٢١ : ٦ .

(69) Josephus, Wars of the Jews, 6.5.

الكبرى ، معلناً إقتراب سقوط أورشليم ... وحدث أثناء حصار المدينة أنه كان يردد مراثيه فوق سور المدينة . وفجأة أضاف إلى العبارات الأولى التى كان يرددتها قوله : [ويل ويل لى أنا أيضاً] . وما أن إنتهى من قوله هذا حتى إستقر حجر على رأسه ألقاه الرومان فمات .

ثورة اليهود :

فى مدة حكم الولاة الرومان فيلكس وفستوس والبينوس وفولوروس Florus إزداد الفساد الأخلاقى والانحلال الإجتماعى بين يهود فلسطين ، مع إزدیاد ثقل نير الحكم الرومانى على الشعب سنة بعد أخرى . وكان من مظاهر هذا الانحلال ظهور جماعة من السفاحين فى عهد ولاية فيلكس عرفوا باسم « حملة الخناجر » Sicarians ، من كلمة Sica أى خنجر . كانوا مسلحين بالخناجر ، وعلى إستعداد لإرتكاب أية جريمة مقابل أى شىء ... إنتشر هؤلاء فى ربوع فلسطين وهددوا الأمن فى المدن والريف .

وإلى جانب ذلك ، وصلت روح التحزب بين اليهود أنفسهم وكراهيتهم لمستعمرهم الوثنيين ، وتعصبهم السياسى والدينى حدّاً بالغاً . وقد شجع على هذه الروح وزادها إشتعلاً ، ظهور الأنبياء والمسحاء الكذبة . وقد إستطاع أحدهم — بحسب رواية يوسيفوس — أن يجذب وراءه ثلاثين ألف رجل ... وهكذا بدأت تتم كلمات ربنا يسوع النبوية عن ظهور مسحاء كذبة وأنبياء كذبة يضلون كثيرين (٧٠) .

وفى شهر مايو سنة ٦٦ م — تحت حكم الوالى الرومانى فليروس ، وكان طاغية شريراً قاسياً — اندلعت ثورة يهودية منظمة ضد الرومان . وفى نفس الوقت قامت حرب أهلية بين جماعات الثوار المختلفة ، لا سيما بين جماعة الغيورين Zealots المتطرفين ، وفريق المعتدلين ، أو بين المتطرفين والمحافظين من اليهود ...

(٧٠) انظر : مت ٢٤ ؛ مر ١٣ ؛ لو ٢١ .

كان أعضاء جماعة الغيورين مملوئين شراسة وتعصباً للدين والوطن والقومية اليهودية . وكان لهم النفوذ والسيطرة في المجال الحربى . ومن ثم فقد سيطروا بعنفهم على المدينة المقدسة أورشليم وهيكلها . وأشاعوا الذعر بين الأهلين ، وعبأوا أفكار الناس ومشاعرهم إنتظاراً لظهور المسيا . كما رحبوا بكل خطوة نحو الدمار والحزب ، كخطوة نحو التحرر!! وفسروا ظهور المذنبات والشهب والإنذارات المخيفة والأعاجيب التى صاحبت تلك الفترة ، على أنها علامات لمجىء المسيا وملكه على الأمم (٧١) ... لقد كان تحدى اليهود للدولة الرومانية في ذلك الوقت ، يعنى تحديهم لأكبر قوة مسلحة في العالم وقتذاك . ومع ذلك فقد أعماهم تعصبهم الدينى ، الذى استوحوه من ذكريات بطولات ثورات المكابيين ، عن الفشل المحقق .

الغزو الرومانى :

عندما بلغ نيرون خبر ثورة اليهود ، أرسل قائده الذائع الصيت فسبسيان Vespasian على رأس قوة كبيرة إلى فلسطين ... بدأت الحملة سنة ٦٧ من ميناء بتولاميس (عكا) ، وواجهت مقاومة مستميتة في الجليل قوامها ستون ألف مقاتل ... لكن ما لبثت الأحداث في روما أن حالت بين فسبسيان واستكمال النصر ، واضطرته إلى العودة إليها ، بعد أن إنتحر نيرون ، وتعاقد على العرش الإمبراطورى ثلاثة أباطرة في فترة وجيزة . وانتهى الأمر باعلان فسبسيان إمبراطوراً سنة ٦٩ ، فعمل على إعادة الأمن والنظام في ربوع الإمبراطورية .

خلف فسبسيان في قيادة الحرب ضد اليهود ابنه تيطس Titus الذى صار هو الآخر إمبراطوراً بعد هذه الأحداث بعشر سنوات ... كان جيش تيطس قوامه نحو ثمانين ألف مقاتل مدرب ، وأقام معسكره على جبل سكوبس Scopus وجبل الزيتون المتاخم ، في مواقع تمكنه من رؤية المدينة أورشليم والهيكل رؤية واضحة .

(71) Schaff, Vol. 1, pp. 393, 394.

معنى ملك المسيا على الأمم في نظر اليهود ، سيادتهم هم .

وكان وادى قدرون يفصل بين الرومان واليهود المحاصرين .

بدأ الحصار فى أبريل سنة ٧٠ م عقب عيد الفصح مباشرة . وكانت اورشليم غاصة بالغرباء الذين وفدوا إليها لحضور ذلك العيد العظيم . حاول تيطس فى بادىء الأمر التفاهم مع اليهود بالحسنى ، لكن جماعة الغيورين رفضوا بكل تحد مقترحات تيطس ومحاولاته المتكررة ، وتوسلات يوسيفوس (المؤرخ) الذى صحبه كمترجم ووسيط ... وكانوا فى ثورتهم الجنونية يقتلون كل مَنْ يتحدث عن الإستسلام .

قام اليهود ببعض الهجمات أسفل وادى قدرون وفوق الجبل ، كبدوا فيها الرومان خسائر كبيرة ... كان هذا النجاح المبدئى سبباً فى إزدياد حماس الغيورين ، على الرغم مما حل بهم من مصائب ومتاعب ... كان تيطس يصلب يومياً من اليهود العصاة نحو خمسمائة يهودى ... وما لبثت أن ظهرت المجاعة فى اورشليم ، نتيجة احكام الحصار عليها . كانت المجاعة تحصد فى كل يوم آلاف اليهود ، الأمر الذى أضطر إمرأة يهودية أن تشوى طفلها لتأكله (٧٢) !! وعلى الرغم من كل ذلك ، فإن هذا البؤس كله لم يزحزح جماعة الغيورين المسيطرين على الموقف عن تعصبهم الجنونى ... والواقع أن التاريخ لم يسجل لنا صوراً للبؤس أبشع مما شهدته اورشليم مدة حصارها على يد تيطس . كما أنه لا يسجل لنا مقاومة عنيدة ، وشجاعة يائسة ، وإستخفافاً بالموت ، على نحو ما أظهره اليهود فى تلك الحرب (٧٣) .

دمار المدينة والهيكل :

أخيراً - فى يولية سنة ٧٠ م - باغت الرومان حصن أنطونيا Antonia ليلاً واستولوا عليه . وبسقوط هذا الحصن ، أصبح الطريق ممهداً لوضع أيديهم على الهيكل ، فتوقفت الذبائح اليومية فى اليوم السابع عشر من يولية ، لأن اليهود

(٧٢) يذكر يوسيفوس هذه القصة المرعبة فى كتابه : Wars of the Jews, 6.3.4 .

(73) Schaff, Vol. 1, pp. 395-397.

كانوا في حاجة إلى كل الأيدي للدفاع في الحرب ... ولعل آخر ذبيحة وأغزرها
دماء قدمت على مذبح المحرقة كانت آلاف اليهود الذين ذبحهم الرومان
وقد تجمهروا حول هيكلهم للدفاع عنه !!

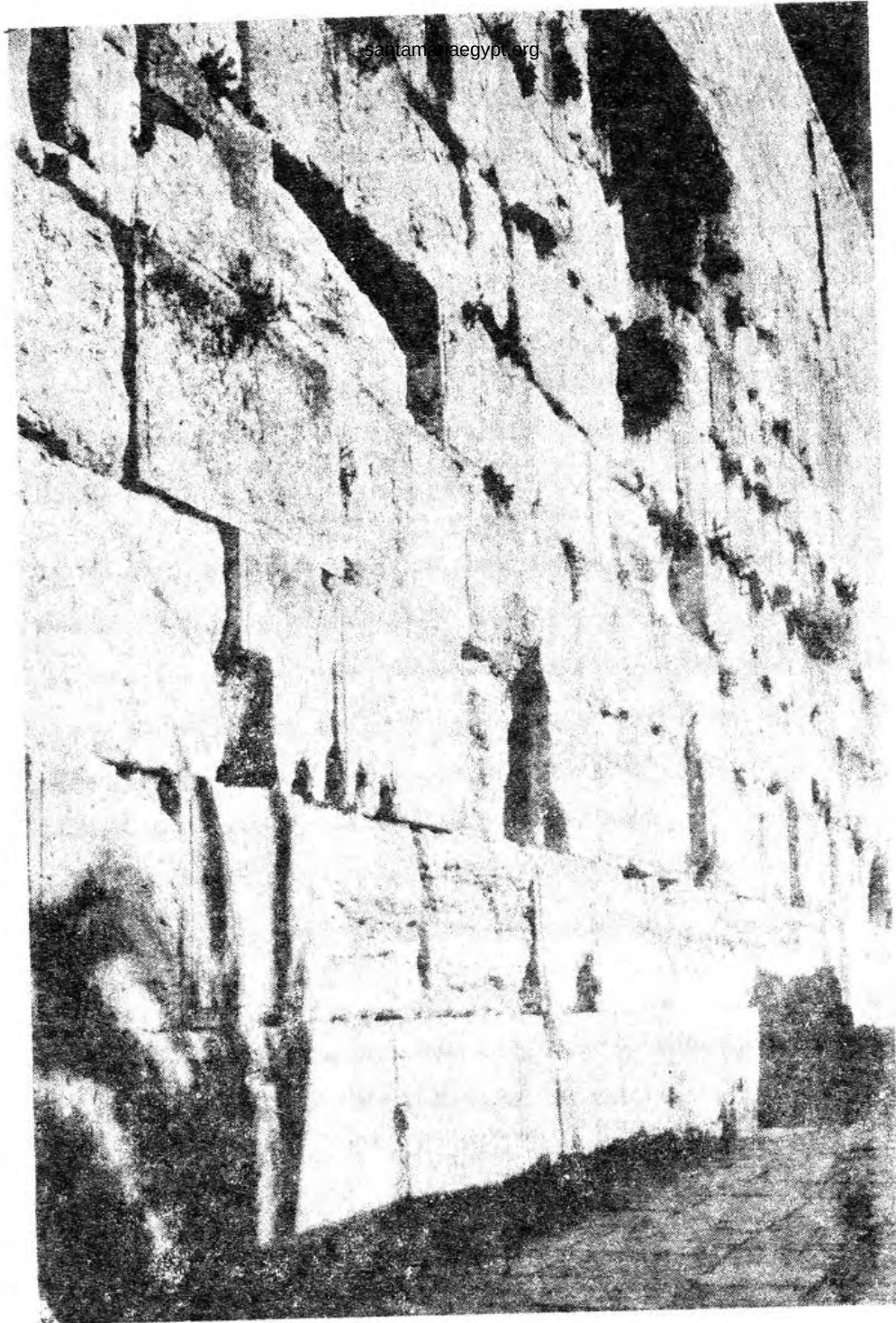
كان تيطس — بحسب رواية يوسفوس — ينوى في بادئ الأمر أن يبقى على
الهيكل ، كعمل معماري رائع يحفظ ذكرى إنتصاره . وعندما هددت ألسنة النيران
قدس الأقداس ، شق طريقه بصعوبة بين اللهب والدخان ، فوق جثث القتلى ،
وتلك التي كانت بين الحياة والموت ، حتى ما يحصر النيران لكن جنوده كانوا في
حالة هياج هستيري نتيجة المقاومة العنيدة التي أبداها اليهود ، والطمع في كنوز
الهيكل الذهبية ، لم يكن في الإمكان إيقافهم عن أعمال التخريب (٧٤) .

كانت الأروقة المحيطة بالهيكل هي أول ما احترق منه . ثم ما لبثت أن
طرحت كتلة نارية عبر البوابة الذهبية . وعندما تصاعدت ألسنة اللهب ، أطلق
اليهود صرخات هستيرية مفرقة ، وحاولوا إخماد النار ، بينما وجد آخرون عزاءهم
— وهم يتعلقون بأخر أمل لهم في خلاص المسيا — في أن يعلنوا نبوءة نبي كاذب ،
مؤداهما أن الله وسط حريق الهيكل ، وسيعطي علامة الخلاص لشعبه !! .. تنافس
الجنود الرومان في تغذية ألسنة النيران ، وسرعان ما تحول كل البناء الضخم إلى
شعلة نارية أضاءت السماء ... هكذا أحرق الهيكل في العاشر من أغسطس سنة
٧٠ م . وهو حسب التقليد ، نفس اليوم الذي خرب فيه الهيكل قديماً على يد
نبوخذنصر ملك بابل (٧٥) !!

يقول يوسفوس — وهو شاهد عيان — في وصفه لخراب الهيكل : [لا يمكن
أن يتصور أحد أصوات أعلى وأكثر فزعاً مما حدث من كل ناحية أثناء
إحترق الهيكل . صيحات الإنتصار والفرح الصادرة من الجنود الرومان تختلط
بصيحات عويل الشعب المحاصر بالنار والسيف فوق الجبل وداخل المدينة .

(٧٤) يتضارب المؤرخون في مدى مسئولية تيطس في حرق الهيكل ، بين من يحملة هذه المسئولية ،
ومن يعفيه منها . انظر : Schaff, Vol. 1, p. 397

(75) Schaff, Vol. 1, pp. 397, 398.



بقايا من حجارة هيكل أورشليم بعد هدمه

وكان الصدى الواصل من كل جانب المحيط يزد هذا الزئير الذى يصم
الآذان . ومع ذلك فالبؤس نفسه كان أظع من هذا الاضطراب . كان التل
المقام عليه الهيكل يغلى من السخونة ، وبدأت وكأنه ملفوف حتى سفحه
بطبقة واحدة من اللهب . كانت الدماء فى كميتها أكثر من النار ،
والمذبحون أكثر عدداً ممن ذبحوهم . ولم تعد الأرض ترى فى أى موضع ،
إذ كانت مغطاة بأكوام من جثث القتلى ، سار فوقها الجند وهم يتعقبون
الهاربين [(٧٦)] .

وما لبث الرومان أن ثبتوا شعاراتهم (النسر الرومانية) فوق الأنقاض فى
الجهة المقابلة لبوابة أورشليم الشرقية ، وقدموا لها القرايين ، وهتفوا لقائدهم المظفر
تيطس بأعظم تهاليل الفرح ... هكذا تمت النبوءة الخاصة « برجسة الخراب القائمة
فى الموضع المقدس » ((٧٧)) .

قصاص الله العادل :

لقد هدمت أورشليم تماماً ، ولم يترك بها سوى ثلاثة أبراج من قصر هيرودس
مع جزء من الحائط الغربى . وقد أبقي عليها كآثار لقوة المدينة المقهورة ، التى
كانت يوماً معقلاً لدولة اليهود الدينية ، ومهد الكنيسة المسيحية ... ولقد أحس
الجميع واعترفوا بأن كارثة اليهود إنما هى قصاص إلهى ... فقد نسب إلى تيطس
قوله ان الله بمعونة خاصة ساعد الرومان ومنع اليهود من الافلات من قبضة يدهم
القوية ...

أما يوسيفوس (٧٨) الذى تابع الحرب بنفسه من أولها إلى آخرها ، فقد

(76) Josephus, Wars of the Jews, 6.5.1.

(٧٧) انظر : دانيال ٩ : ٢٧ ؛ مت ٢٤ : ١٥ بالمقارنة مع لوقا ٢١ : ٢٠ — انظر أيضاً :

Josephus: Wars of the Jews, 6.6.1.

(٧٨) كان يوسيفوس المؤرخ اليهودى ، حاكماً على الجليل ، وقائداً لجيش اليهود ، ثم أسر فى يد
فبسيان . بعد ذلك رافق تيطس وعمل كمترجم ووسيط بين الرومان واليهود .

إستطاع أن يتبين في تلك المأساة عدل الله ، وأعترف بذلك وقال : [إننى لا أتردد في أن أبوح بما يؤمنى إننى أؤمن أنه لو أجل الرومان عقابهم هؤلاء الأشرار لابتلعت الأرض المدينة (أورشليم) ، أو أغرقها طوفان ، أو أحرقت بنار من السماء كما حدث لسدوم ، لأن جيلهم كان أكثر شراً من أولئك الذين حلت عليهم النقمات في سالف الأزمان . فبسبب جنونهم بادت الأمة كلها] (٧٩) ..

هكذا كان لابد لواحد من أفضل الأباطرة الرومان أن ينفذ قضاء الله ، ولآخر من أكثر اليهود ثقافة في زمانه أن يصفه ... وهكذا أيضاً — دون أن يعرفا أو يريدوا — شهداً لصدق النبوة وألوهة يسوع المسيح ربنا ، الذى إذ رفضه هؤلاء اليهود الجاحدون ، عانوا البؤس والشقاء في ملء بشاعتهم (٨٠) .

مصير اليهود بعد هزيمتهم :

بعد حصار دام خمسة أشهر وقعت المدينة كلها في أيدي الرومان الظافرين . وقد بلغ عدد من لقي حتفه من اليهود مدة الحصار — بحسب رواية يوسيفوس — مليوناً ومائة ألف . منهم أحد عشر ألفاً هلكوا جوعاً . وأسر منهم سبعة وتسعون ألفاً . بعضهم بيعوا عبيداً ، والبعض أرسلوا للعمل في المناجم ، بينما قرب البعض كضحايا في حلبات المصارعة في قيصرية وببيروت وأنطاكية وبلاد أخرى . واحتفظ بأكثرهم قوة بدنية ووجاهة ليسيروا في مواكب النصر في روما ، وبينهم أكبر قادة الثورة اليهودية وزعمائها : سمعان بارجيورا Simon Bar-Giora

(79) Josephus, Wars of the Jews, 5.13.6; 6.9.1.

(٨٠) لقد حركت كارثة خراب أورشليم ودمار الهيكل مشاعر الفنانين في كل العصور . وأحدهم وهو الألماني كولباخ Kaulbach من فناني العصر الحديث ، جعلها مادة للوحة من أعظم لوحاته المعروضة في متحف برلين . واللوحة تصور الهيكل المحترق : في صدرها رئيس الكهنة اليهودى يغمد سيفه في صدره ، ومن حوله تصوير لآلام تمزق القلوب وفي أعلا اللوحة الأنبياء القدامى يتأملون إتمام أقوالهم النبوية . وتحتهم تيطس مع جيشه الرومانى كمنفذ للغضب الإلهى دون أن يدري . وأسفل اللوحة من جهة اليسار أهسيروس Ahasuerus السائح اليهودى صاحب الأسطورة التى ذاعت في العصور الوسطى تسوقه النعمة إلى المستقبل البعيد . وإلى اليمين جماعة المسيحيين خارجين في سلام من مشهد الخراب ، وأطفال اليهود يلتمسون حمايتهم ...!!

احتفل فبسيان وتيطس بالنصر معاً إحتفالاً عظيماً في روما سنة ٧١ م. فركب كل منهما مركبة خاصة متوجاً بأكاليل الغار، ولابساً ثياباً أرجوانية، بينما إمتطى دومتيان صهوة جواد ممتاز. سار الموكب في تودة إلى معبد جوبيتر كابيتولينوس Jupiter Capitolinus وسط هتافات الجماهير. وكان يتقدم الموكب جنود في ثياب إحتفالية، وسبعمائة أسير يهودى ...

وقد حملت في هذا الموكب بعض صور الآلهة التي يعبدها الرومان ،
وبعض قطع من أثاث الهيكل اليهودي ^(٨٢) ، وأودعت معبد السلام ^(٨٣)
الذي كان قد بنى منذ وقت قصير ... أما كتب الناموس والستائر الأرجوانية
الخاصة بالهيكل ، فقد إحتفظ بها فبسبسيان لقصره ... كان يوسفوس أحد شهود
هذا الاحتفال الخاص بإذلال أمته ، ووصفه لنا دون أن يبدى أى مشاعر
لتأثره ^(٨٤) .

لقد نتج عن فتح فلسطين على يد الرومان ، دمار مصالح اليهود وتدهور
اقتصادهم ... إحتفظ الامبراطور فسبسيان بالأرض كملك خاص له يوزعها على
أخصائه . ولقد وصل الشعب اليهودي بعد حروب دامت خمس سنوات إلى
حالة من الفقر المدقع ... صاروا بلا حاكم منهم ، بلا وطن^(٨٥) . وبلا

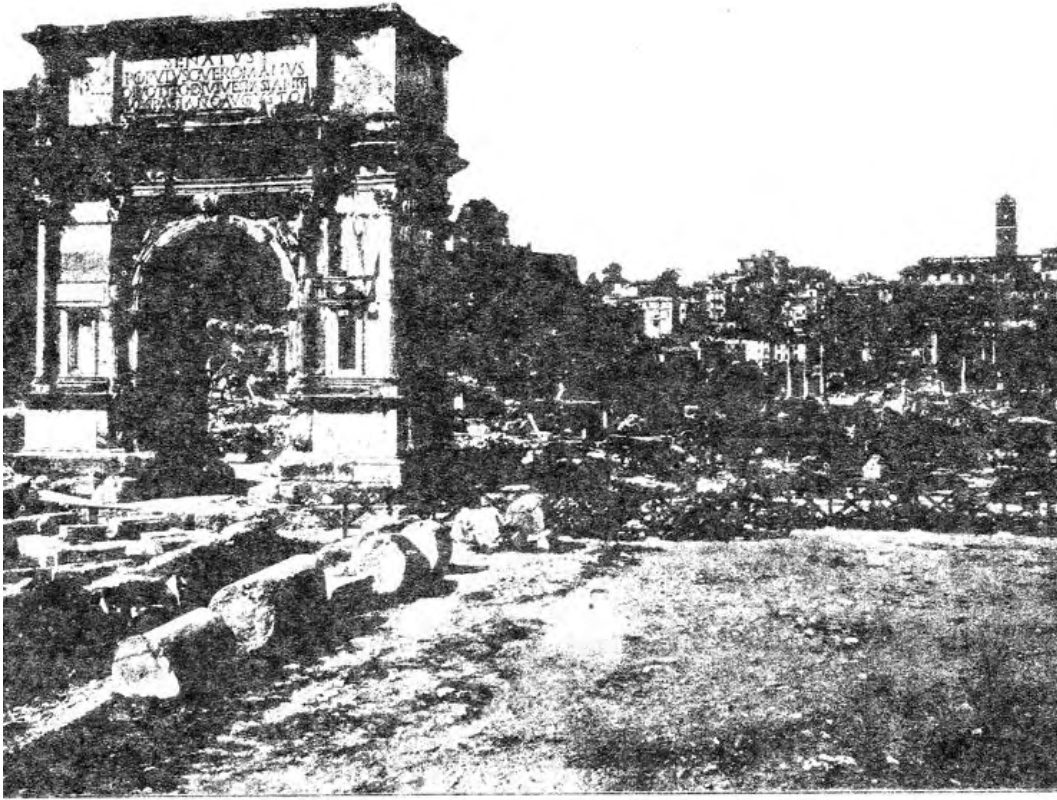
(81) Josephus, Wars of the Jews, 6.9.2-4.

(٨٢) مائدة خبز الوجوه ، والمئارة الذهبية ذات السبعة سرج ، والأبواق التي كانت تعلن بدء سنة اليوبيل والمجامر وبعض أدراج الناموس .

(٨٣) أحرق هذا المعبد فيما بعد في عهد الامبراطور كومودس Commodus ولا يعلم ماذا إنتهت إليه قطع الأثاث المذكورة .

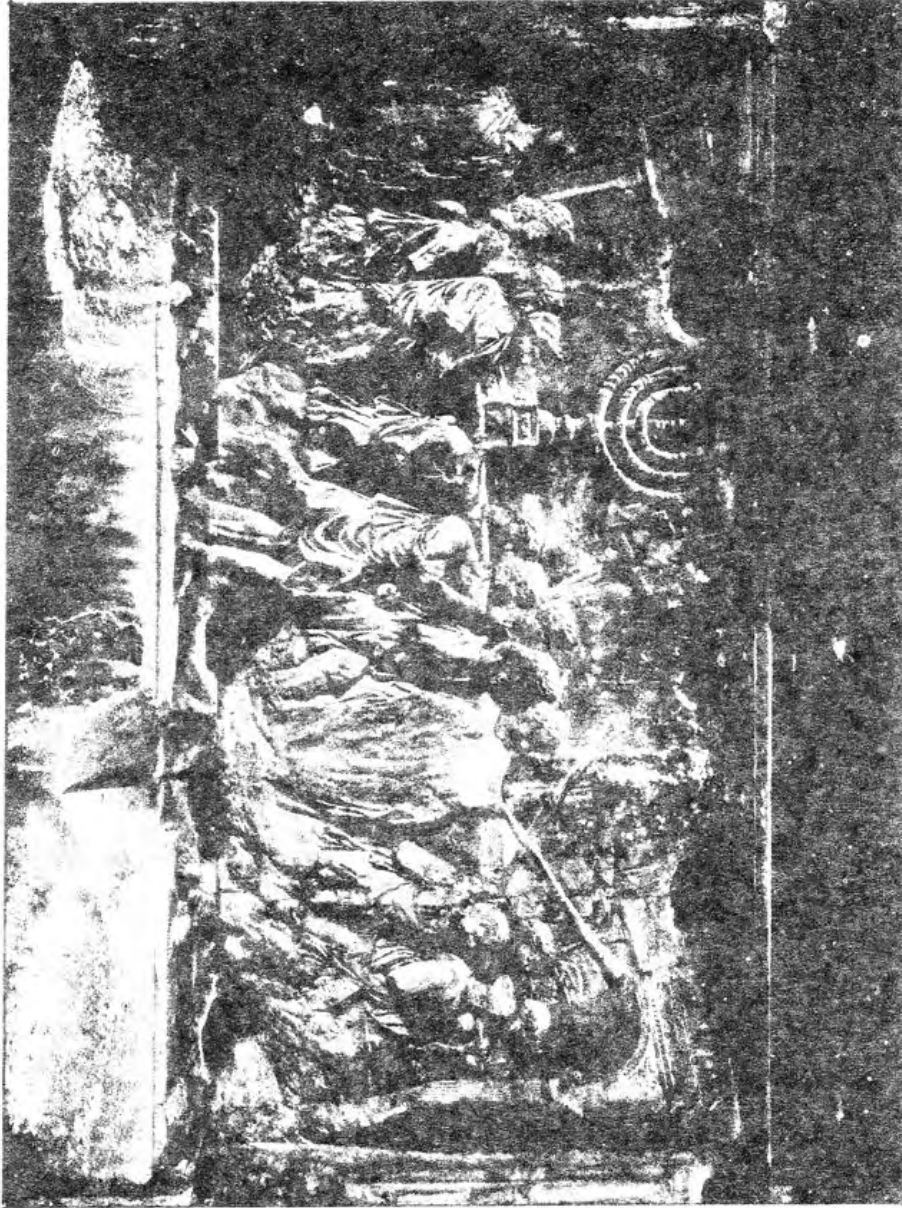
(84) Josephus, Wars of the Jews, 7.5.5-7.

(٨٥) أعلن اليهود عصياناً آخر ، وقاموا بثورة ثانية في عهد الإمبراطور هدریان في الفترة من ١٣٢ إلى ١٣٥م بزعامة مسیح كذاب يدعى باركوكبا Bar-Cocheba ولكنها لم تؤد إلاّ إلى دمار أكمل للأورشليم ، وتخريب كلي لفلسطين .



قوس النصر الذي أقامه القائد تيطس بعد قهره اليهود وتخريب أورشليم

(٨٦) يوليانيوس الجاحد الإمبراطور البيزنطي (٣٦١ - ٣٦٣ م) الذي كان مسيحياً وارتد إلى الوثنية ، حاول مقاومة المسيحية عن طريق تكذيب نبوة السيد المسيح بهدم الهيكل وخرابه . فعاون اليهود وعصدهم لإعادة بناء هيكلهم . وفعلاً بدأوا بحفر الأساسات غير أنهم فشلوا إذ حدثت زلزلة ملأت حفر الأساسات تراباً . كما خربت كرات نارية من الأساسات منعت عمال البناء من العمل ، وأذابت آلات البناء . وهكذا فشل المشروع . ورى هذه الرواية المؤرخ الوثني أميانوس Ammianus الذي كان مرافقاً ليوليانيوس حتى وقت قتله وهذا المؤرخ هو أوثق مصدر لتاريخ يوليانيوس . أنظر: Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 3, pp. 511-



بعض رسوم على قوس تيطس توضح إحتفالات النصر بروما وقرى بعض الأشياء
المؤخوذة من هيكل اورشليم ومنها المنارة الذهبية ذات السبعة سرج .



ما أن تذكر مسيحيو أورشليم تحذيرات الرب (مت ٢٤ : ١٥) ، حتى تركوا المدينة التي ستحل بها النكبة ... تركوها في وقت مناسب وهربوا إلى مدينة بلا Pella في العشر مدن وراء الأردن شمالى بيرية ... هناك فتح لهم الملك هيرودس أغريباس الثانى ملجأ أميناً ... ويقول تقليد قديم — كما يروى يوسابيوس المؤرخ وابيفانيوس — أن ملاكاً أو صوتاً إلهياً أعلن لقادة المسيحيين وجوب الهرب . وقد حدث ذلك قبل خراب أورشليم بأربعة أعوام^(٨٧) ... وهناك وسط سكان معظمهم من الأميين تأسست كنيسة الختان مرة أخرى ... وللأسف لا يمدنا التاريخ بأية معلومات عن الكنيسة المسيحية في بلا ...

لقد أحدثت النكبة المروعة التي حلت بأورشليم وهيكلها اليهودى ، آثاراً ونتائج عميقة في المسيحيين ، يمكن تلخيصها فيما يلى^(٨٨) :

١ - كان المسيحيون حتى قبيل خراب أورشليم وهيكلها ، يعيشون في توقع يومى لإنقضاء العالم ، وعودة الرب يسوع السريعة . لقد إختلط عليهم الأمر في فهم الصورة النبوية التي رسمها الرب عما سيحدث فيما بعد ، فلم يستطيعوا أن يفرقوا بين النبوات المختصة بخراب أورشليم والهيكل ، وتلك التي تشير إلى إنقضاء الدهر والدينونة العامة . لم يفهموا أن خراب أورشليم وهيكلها كان رمزاً للدينونة العامة المحفوظة للعالم أجمع ... هذا الخلط الطبيعى في زمان ما قبل خراب الهيكل ، لم يعد ممكناً بعد أن فقدت اليهودية مركزها الدينى .

(87) Eusebius, H.E., 3.5.3.

(88) Schaff, Vol. 1, pp. 402-404; De Pressensé, Vol. 1, pp. 406-

ولدينا دليل على هذا الفهم الجديد فيما رواه هيجيسبوس Hegesippus ونقله إلينا يوسابيوس المؤرخ . فلقد دعا الإمبراطور دومتيان (٨١ — ٩٦) بعض أقارب الرب يسوع بالجسد ، وسألهم عن مملكة المسيح وعودته . فكان جوابهم : [إن هذه المملكة ليست زمنية أو أرضية ، بل سماوية ملائكية ، سوف تظهر في نهاية العالم ، عندما يأتى فى المجد ليدين الأحياء والأموات ، ويعطى كل واحد حسب أعماله]^(٨٩) ...

٢ - هذا الفهم — بمثل هذا الوضوح والإيجابية — عن طول مدة النضال والألم (الذين ينتظران الكنيسة) وارتباطه بزوال نظام العبادة القديمة — الذى كان مايزال يتمسك به كثير من اليهود المتنصرين ، ساعد على إستقرار تنظيم الكنيسة ... والواقع أنه إبتداء من سنة ٧٠ م ، نلاحظ تقدماً ملموساً نحو وضع محدد لتنظيم الكنيسة وعبادتها . لقد بدأت الكنيسة منذ ذلك الوقت تتحقق من مكانتها كإسرائيل الحقيقى .

٣ - وثمة نتيجة هامة لسقوط أورشليم وخراب هيكلها ... لقد كان هذا الخراب ضربة قوية للمتنصرين من اليهود المتمسكين بالناموس اليهودى . هذا الحدث الهام كان فيه إتمام لكلام السيد المسيح ، وإشعارهم بأنه لا يريد لهم أن يستمروا فى ممارسة العوائد اليهودية التى كان الهيكل مركزها . ومنذ ذلك الوقت بدأ هؤلاء اليهود المتنصرون يقتربون من الأمم المتنصرين ... وبعبارة أخرى بدأ التقارب بين اليهودية المنتصرة والوثنية المؤمنة .

٤ - ومن نتائج خراب أورشليم وهيكلها ، أن بدأت نهضة يهودية قادت حرباً تعليمية سافرة ضد المسيحية . فبعد خراب الهيكل بزمن قصير بدأ اليهود ينظمون صفوفهم ، وتشكل سنهدين جديد فى جبنه^(٩٠) Jabna بدأ يجمع حوله

(89) Eusebius, H.E., 3.20.6.

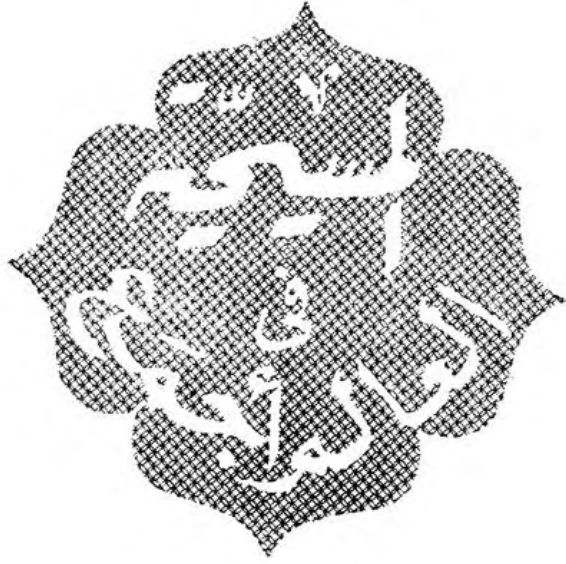
(٩٠) تذكر أيضاً باسم جنيا Jamnia ، وهى على مقربة من ساحل البحر المتوسط فى منتصف المسافة تقريباً بين يافا شمالاً وأشدود جنوباً — انظر : The Westminster Historical Atlas to the Bible, p. 58 .

فلول الشعب اليهودى ... وقد أظهر هذا المجلس كل عدااء نحو المسيحيين . ومما قاله أحد معلمهم وهو الربان تارفو Tarpho : [الأناجيل تستحق الحرق . إن الوثنية أقل خطراً من الشيع المسيحية . فالأولى لا تقبل الحق اليهودى بسبب الجهل ، بينما المسيحيون يعرفونه ومع ذلك يرفضونه . يمكن أن نجد الخلاص فى المعابد الوثنية أسرع من وجوده وسط الجماعات المسيحية] ... ووضعت قيود مُنِعَ بها اليهود من مشاركة المسيحيين الطعام ... وقد وضع الربان غملائيل صورة لحرم مَنْ يتجاسر على مخالفة ذلك فى الصلوات اليومية ، مؤداها أنه لا رجاء للمرتدين (اليهود المتنصرين) ... وهكذا نرى أنه لا توجد هوة أعمق من ذلك ، فصلت بين كنيسة الختان والمجمع اليهودى .

٥ - كان من أثر ذلك أننا نجد فى القرن الثانى الميلادى كنيسة مزدهرة — بدون أية إتجاهات يهودية — فى آليا كابيتولينا (٩١) Aelia Capitolina ... ومن المؤكد أن عدداً كبيراً من سكانها كانوا من المسيحيين الذين ينتمون إلى أصل يهودى . وكان هؤلاء يختلطون بالأمم المتنصرين دون أدنى تمييز أو فوارق . وهذا دليل كبير على إضمحلال المسيحية المتهودة .

(٩١) هى المستعمرة الرومانية التى أقيمت على أنقاض مدينة أورشليم عقب عصيان باركوكبا (١٣٢ — ١٣٥ م) ، ولم يسمح لليهود بدخولها بموجب مرسوم امبراطورى .

الباب الثالث



- + إنتشار المسيحية .
- + عمل الرسل الكرازي .
- + عوامل نجاح الكرازة .
- + علاقة كنيسة الرسل بالدولة .
- + أشهر الكنائس الرسولية .
- أورشليم — أنطاكية —
- الاسكندرية — روما .



« في الأرض كلها ذاع منطقتهم ، وفي أقاصى المسكونة كلامهم » (مز ١٩ : ٤) . هكذا رأى داود النبی — بروح النبوة — بشرى الخلاص تنتشر في كل العالم ... وكأني به أيضاً ، قد رأى إتمام كلمات رب المجد يسوع في تشبيهه للملكوت ، في مثل حبة الخردل التي أخذها إنسان وزرعها في حقله ، فنمت حتى صارت شجرة تتأوى طيور السماء في أغصانها (مت ١٣ : ٣١ ، ٣٢) ... وقد رأى يوسابيوس المؤرخ في إنتشار الكرازة ، إتماماً لنبوة هذا المزمور (١) .

سنحاول بقدر الإمكان أن نرسم صورة لدى إنتشار بشرى الخلاص في العالم القديم على أيدي رسل المسيح ... لكنها مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد فتاريخ الكنيسة في العصر الرسولي تعوزه المصادر والوثائق التاريخية السليمة والموثوق بها ... ومن هنا كانت الصعوبة والتعقيد ... يستثنى من ذلك القديس بولس الرسول ، الذي لدينا عنه مادة لا بأس بها ، لإعطاء صورة واضحة ، مما سجله القديس لوقا في سفر الأعمال ، وما تمدنا به الأربع عشرة رسالة التي تحمل اسم هذا الرسول في كتاب العهد الجديد .

وليس مصدر الصعوبة والغموض قلة الوثائق التاريخية عن تلك الفترة فحسب ، بل هناك عاملاً كبيراً أشرنا إليه قبل ذلك ، وكان له أثره الفعال في حياة الكنيسة في تلك الفترة ، ونعني بها الحماس الشديد لفكرة التهود ... ذلك الحماس — من جانب بعض اليهود المنتصرين المتزمطين المتعصبين لنا موسهم القديم — دفعهم إلى مقاومة رسول الأمم بولس في حقول كرازته ، والكنائس التي أسسها ... وكانوا دائماً يحاولون الإنتقااص من أتعابه وجهوده الكرازية ، ناسيين إياها لغيره من رسل

(1) H.E., 2.3.1.



الختان ، في الوقت الذي يتحمسون لرسل الختان وفي مقدمتهم بطرس الرسول ، ويحاولون إضفاء جهادات مزعومة إلى جهاداتهم الحقيقية في الكرازة ، الأمر الذي طغت به عديد من كتب الأبوكريفا (المزورة) التي حملت أسماء كثير من الرسل .

والأمر الذي لا شك فيه ، أن الرسل جميعاً جاهدوا وتعبوا في الكرازة ، حتى لو أعوزتنا المادة التاريخية عن جهودهم الكرازية ... فقد كان روح الله نفسه هو العامل فيهم وبهم ... لقد كانوا جميعاً في حبهم وطاقاتهم للرب ، جد حريصين على تنفيذ وصيته الأخيرة قبيل صعوده « إذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) ...

حقول كرازة الرسل :

نحن لا نعلم كيف بدأت الكرازة في العالم الخارجي خارج فلسطين ومجاوراتها . وكيف سار الرسل في خط سيرهم الكرازي ... هل تم ذلك بناء عن خطة وضعت ، وإتفاق تم ... أم أن كل رسول إنطلق كيفما شاء ، حسبما أرشده روح الله ... المرجح أنه كان هناك تحديد لحقول الكرازة ، كما نستدل على ذلك من التقليد القديم الذي إستند إليه يوسابيوس المؤرخ .

لكن مَنْ الذي حدد حقول الكرازة وأماكنها ، والرسل لم يكن لهم رئيس يقودهم ويوجههم ويصدر إليهم التعليمات ؟ ... لقد كان هذا هو عمل الرب يسوع — رأس الكنيسة غير المنظور . كان بروحه يقود رسله بحسب حكمته السامية . لكن إذا كان قد تم توزيع مناطق الخدمة والكرازة ، فكيف قام بروح الله بهذه المهمة ؟ ... هناك إشارتان في سفر أعمال الرسل توضحان لنا هذه الناحية ... « كان في أنطاكية ... أنبياء ومعلمون .. وبينما هم يخدمون الرب ويصومون ، قال الروح القدس ، إفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه » (أع ١٣ : ١ ، ٢) ... وواضح هنا أن روح الله تكلم في الأنبياء ... «وبعدما إجتازوا في فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا

بالكلمة في آسيا . فلما أتوا إلى ميسيا ، حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية فلم يدعهم الروح . فمروا على ميسيا وانحدروا إلى ترواس وظهرت لبولس رؤيا في الليل ، رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول ، اعبر إلى مكدونيا وأعنا فلما رأى الرؤيا ، للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية ، متحققين ، أن الرب قد دعانا لبشرهم » (أع ١٦ : ٦-١٠) .

سبق أن عرضنا — حسبما تمدنا الوثائق — للكراسة في ربوع فلسطين .
والآن ننتقل للكلام عن الكرازة في أرجاء العالم القديم :

رواية يوسابيوس المؤرخ :

يقول يوسابيوس (٢) — بعد أن وصف خراب أورشليم : [هكذا كانت حالة اليهود . وفي نفس الوقت تشتت الرسل القديسون وتلاميذ مخلصنا في كل أرجاء العالم . كانت بارثيا (٣) ، كما يقول التقليد من نصيب توما كحقل يعمل فيه . وسكيثيا (٤) لاندراوس ، وآسيا (٥) ليوحنا ، الذى بعد أن عاش فيها وقتاً ما ، مات في أفسس . ويبدو أن بطرس كرز في بنطس وغلطية وبيثينية وكبدوكية وآسيا ، لليهود الذين في الشتات . وإذ أتى أخيراً إلى روما صلب منكس الرأس .

(2) H.E., 3.1.

(٣) بارثيا Parthia بلاد واقعة إلى الشرق من ماضى وإلى الجنوب الشرقى من بحر قزوين . وكانت في زمان الرسل تؤولف مملكة مستقلة تمتد من نهر اندوس Indus (أحد روافد نهر السند شمال غربى الهند) إلى نهر الدجلة ، ومن بحر قزوين إلى الخليج الفارسى ، تذكر في المصادر العربية باسم فرتيه ، ويذكر سكانها في الكتاب المقدس باسم « الفرتيون » (انظر أع ٢ : ٩) .

(٤) استخدم القدماء اسم سكيثيا Scythia بمعنى واسع . فقد أطلقوه على كل المنطقة الواقعة شمالى بحر قزوين والبحر الأسود . كان هنا إقليمان باسم سكيثيا : سكيثيا الأوربية شمالى البحر الأسود ما بين الدانوب وتنايس Tanais (شمالى شرقى البحر الأسود) وسكيثيا الآسيوية وتمتد شرقى جبال الأورال . والمقصود هنا الأولى . وقد أشار إليها القديس بولس (انظر كو ٣ : ١١) .

(٥) كانت كلمة آسيا سياسياً تشمل شريطاً ضيقاً من آسيا الصغرى يطل على شاطئ بحر إيجه ويضم ميسيا Mysia وليديا Lydia وكاريا Caria .

لأنه طلب أن يتألم بهذه الطريقة: ^{santamariapgypt.org} ويقول عن بولس الذى بشر بإنجيل المسيح من أورشليم إلى الليريكون ، واستشهد بعد ذلك فى روما فى عهد نيرون . ولقد روى أوريجينوس هذه الحقائق فى المجلد الثالث من تفسيره لسفر التكوين [.

والآن نتكلم أولاً عن رسل الختان ، ثم ننتقل بعدها للكلام عن بولس رسول الأمم ... ولسهولة رسم صورة لمناطق كرازة الرسل ، كخلاصة لأقدم التقاليد (٦) التى وصلت إلينا ، نستطيع القول إن الرسل إنقسموا إلى ثلاث مجموعات ، من حيث حقول الكرازة :

١ - المجموعة الأولى :

وتشمل الرسل بطرس واندراوس ومتى وبرثولماوس :

يبدو أن بطرس الرسول كرز فى نفس المناطق التى وجه إليها رسالته الأولى « بنطس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبشينية » (١ بط ١ : ١) . فالتقاليد القديمة تذكر هذه المناطق مضافاً إليها المنطقة الواقعة شمالى فلسطين ، ثم روما وهى خاتمة المطاف بالنسبة لهذا الرسول ... ويلاحظ أن هذه المناطق كرز فيها أيضاً بولس الرسول . ولكن بولس كرز بها أولاً ، وليس العكس ، لأن القديس بولس سار على مبدأ كان حريصاً على حفظه « من أوشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح . ولكن كنت مختصراً أن أبشر هكذا . ليس حيث سمي المسيح ، لثلا أبنى على أساس لآخر » (روم ١٥ : ١٩ ، ٢٠) .

أما إندراوس الرسول ، فوفقاً لتقليد قديم كان معلوماً لا أوريجينوس (٧) كرز فى سكيثيا (٨) ، ووفقاً لتقليد قديم آخر ، أنه عمل مع الرسول متى بين سكان المملكة

(6) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, pp. 17-32.

(7) Eusebius, H.E., 3.1.

(٨) من أجل ذلك اتخذت الكنيسة الروسية هذا الرسول شافعاً لها . وإن كانت الكنيسة اليونانية تتنازعه معها ، وتقول إنه صُلب فى اليونان !! وتذكر بعض المصادر أنه كرز فى بيزنطة (منطقة إستنبول الحالية) ، وفى إقليم أخائية ببلاد اليونان ، واستشهد مصلوباً فى مدينة بتراس ببلاد اليونان . انظر: الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة ص ٥١ .

البوسبورية (٩) Besperan Kingdom ، وفي أرض البرابرة (١٠) ، إلى الشرق والجنوب الشرقي للمستعمرات الأغريقية في البنطس . ومنها مدينة سينوب Sinope الواقعة على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود . وكراسة القديس إندراوس في سينوب لها ما يؤيدها في تقليد قديم على ... وإلى جانب ذلك ، فإن تقاليد أخرى ذكرت أنه كرز في مدينة سبسطة Sebastopolis في كولشيس (١١) Colchis ، ومدن أبساروس Apsaros ، وتريبيزوند Trebizond ، وأماسيا Amasia ، ونيقية ونيقوميديا (١٢) . بل لقد ادعت كل من هذه المدن أن كرسيه الرسول كان فيها . ويصور كتاب الأبوكريفا « أعمال بطرس واندراوس » ، الأخوين (بطرس واندراوس) يلتقيان في أرض البرابرة .

بالنسبة للرسول برثولماوس ، فإن جهوده الكرازية كانت في المملكة البوسفورية السابق الإشارة إليها ... ويذكر يوسابيوس المؤرخ (١٣) أنه كرز في بلاد الهند . ومازال الهنود المسحيون يتمسكون بهذا التقليد حتى الآن . ويؤيد هذا الرأي المؤرخ سقراط (١٤) ... ولما وصل العلامة بننينوس^١ مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية إلى بلاد الهند في أواخر القرن الثاني ، وجد مع المسيحيين هناك إنجيل متى باللغة العبرية . وقيل له أن برثولماوس بشر هناك وترك للمؤمنين هذا الإنجيل ... والعجيب أن نفس هذه القصة تذكر عن بلاد اليمن حيث يُقال إنه بشرها وبلاد

(٩) إلى الشرق من شبه جزيرة القرم ، شمالى البحر الأسود .

(١٠) استخدمت هذه الكلمة (البرابرة) للتعبير عن عدة مدلولات : للدلالة على الغرباء ، أو من يتكلمون لغة غير مفهومة . بهذين المعنيين وردت في (أع ٢٨ : ٢ ، ٤ ؛ رو ١٠ : ١٤ ؛ ١ كو ١٤ : ١١ ؛ كو ٣ : ١١) . ظهرت الكلمة أولاً عند الأغريق واستخدموها في فترة استقلالهم ، وعبروا بها عن كل من لا يتكلمون اليونانية ، وبعدها خضعت بلاد اليونان للسيطرة الرومانية ، أصبحت تطلق على كل من ليس يونانياً أو رومانياً . وهى بالمعنى الأخير ، كانت تعبر عن حالة عدم التحضر والخشونة . انظر : Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, p. 355; Hastings, Dictionary of the Bible, p. 84.

(١١) على الساحل الشرقى للبحر الأسود .

(١٢) جميع هذا المدن واقعة جنوبى البحر الأسود .

(13) H.E., 5.10.

(14) H.E., 1.19.

العرب (١٥) ... هذا بينما التقاليد السالطانية تجعل نياحة هذا الرسول في مدينة أريبان Areban أو ألبان Alban في أرمينيا الكبرى ، بعد أن أمضى فيها عدة سنوات كارزاً .

أما متى الرسول فقد ذكر عنه القديس جيروم أنه بشر بلاد فارس واستشهد بها ... وذكر المؤرخان روفينوس وسقراط أنه بشر وتنيح ببلاد الحبشة . ويبدو أن هذا الرأي الثانى هو الأرجح لأن الأحباش حتى الآن يحفظون هذا التقليد .

المجموعة الثانية :

تشمل الرسل القديسين توما وتداوس وسمعان القانوى .

ويمكن القول بصفة عامة أن هذه المجموعة كرزت في الأقاليم الواقعة شرقى الأقاليم التى كرزت فيها المجموعة الأولى .

تذكر التقاليد القديمة أن الرسول توما كرز في أديسا (١٦) Edessa ويذكر يوسابيوس (١٧) نقلاً عن أوريجينوس ، أنه كرز في بارثيا . ويؤيد ذلك المؤرخان سقراط (١٨) وروفينوس (١٩) ... ويذكر سقراط أنه دفن في أديسا (٢٠) . وفقاً لكتاب « أعمال توما » الأبوكريفا ، فإنه كرز في بلاد الهند واستشهد فيها . والسريان الهنود يسمون أنفسهم « مسيحي مار توما » (٢١) .

(15) Daniélou, Vol. 1, p. 48.

(١٦) كانت مدينة تقع شمالى غرب بلاد ما بين النهرين قرب نهر الفرات . عرفت باسم الرها ، ولعبت دوراً هاماً في التاريخ المسيحى . ويظن البعض أنها كانت في موقع أور الكلدانيين موطن إبراهيم .

(17) H.E., 3.1.

(18) H.E., 1.19.

(19) H.E., 2.5.

(20) H.E., 4.18.

(٢١) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة ص ٥٥ ، ٥٦ .

وبالنسبة لتداوس الرسول ، يذكر الأبوكريفا المعروف باسم «أعمال تداوس» أنه كرز لمدة خمس سنوات في آمد (ديار بكر) في أرض ما بين النهرين . وفي تقليد آخر يؤكد يوسابيوس ، أن الرسول توما أرسل تداوس إلى أديسا ليكرز فيها ، وهناك شفى ملكها أبجر (٢٢) .

وفيما يختص بالرسول سمعان القانونى ، فتذكر التقاليد أنه كرز بين البارثيين ، وعلى وجه الخصوص في بابل . وقيل إنه بشر في سوريا ولا سيما في حلب ومنبج (٢٣) .

وجدير بالذكر أن اليهود كانوا يقيمون بأعداد ضخمة في هذه المناطق ، في أرض ما بين النهرين — كما يشهد بذلك يوسيفوس (٢٤) المؤرخ اليهودى . ويساعد ذلك في تفهم الصورة التى رسمها اليهود المنتصرون عن جهود رسل الختان في هذه المناطق .

٣ - المجموعة الثالثة :

وتتألف من الرسولين يوحنا وفيلبس ، وحقلهما الكرازى في آسيا الصغرى .

لا نعرف الكثير عن الكرازة في الجزء الشرقى من آسيا الصغرى (ليكاونية وكيليكية) ، الذى إحتفظ بذكرىات لكرازة القديس بولس . لقد كانت مدينة أفسس هى مركز القديس يوحنا ، بينما كانت مدينة هيرابوليس Hierapolis في مقاطعة فريجية ، هى مركز كرازة القديس فيلبس ... وقد إنحدرت إلينا هذه المعلومات من تقليد قديم يرجع إلى القرن الثانى .

فيما يختص بكرازة يوحنا الرسول في آسيا الصغرى وصلته بمدينة أفسس ،

(٢٢) يقول يوسابيوس أنه وجد هذا الخبر محفوظاً في سجلات أديسا الرسمية ، وأنه أخذه عنها ، وترجمه من اللغة السريانية .

(٢٣) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة ص ٥٦ .

(24) Josephus, Antiquities, 11.5.2.

يكاد يكون هناك إجماع عام بين المؤرخين على ذلك . ويؤكد بابياس أسقف هيرابوليس وتلميذ يوحنا الرسول نفسه ، وإيريناوس وكليمنضس الاسكندري وأوريجينوس وترتليانوس . كما ورد ذكر هذه الرواية في كتاب الأبوكريفا « أعمال الرسل » ... ويزيد من تأكيد هذه الحقيقة الرسائل الموجهة إلى الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤيا (٢٥) . ويبدو أنه تحت حكم الأباطرة دومتيان ونرفا Nerva وتراجان ، كان الجزء الغربى من مقاطعة فريجية والشاطئ الآسيوى ، منطقة خدمة وكرازة القديس يوحنا . ويذكر كليمنضس الاسكندري أن يوحنا أقام أساقفة للجماعات المسيحية في تلك المناطق ...

أما فيما يختص بالرسول فيلبس ، فقد كرز في فريجية . ويقدم لنا بابياس أسقف هيرابوليس — إحدى مدن فريجية — شهادة قيمة عنه ، وعن جهوده الكرازية هناك . ولنا شهادة أخرى من بوليكراتس Polycrates الأفسسى أواخر القرن الثانى ، تؤيد ما قاله بابياس . ومن المؤكد أن فيلبس تنجح أيضاً في هيرابوليس (٢٦) .

حقوق كرازة بولس الرسول (٢٧) :

يقول القديس بولس بالروح القدس — في معرض دفاعه عن قانونية رسوليته التى تسلمها من الرب — أنه تعب أكثر من جميع الرسل (١ كو ١٥ : ١٠ ؛ ٢ كو ١١ : ٢٣) ... وهذا حق يؤيده التاريخ ... فبعد أن كرز بولس في دمشق وأقاليم سوريا وطرسوس وأنطاكية وقبرص وأقاليم آسيا الصغرى في أنطاكية بيسيدية ودربة ولسترة وأقاليم فريجية وغلاطية وأفسس (التى جعلها قاعدة لعمله الكرازى في آسيا ، وأقام بها ثلاث سنوات) وغيرها ... وبعد أن كرز في بلاد مقدونية وأخائية ببلاد اليونان ، وأسس كنائس فيلبى وتسالونيكى وبيرية وكورنثوس

(25) Daniélou, Vol. 1. pp. 39-44.

(26) Ibid; pp. 39-44.

(27) Harnack, Mission ... pp. 73-83; Schaff, Vol. 1, pp. 322-333; Daniélou, Vol. 1, pp. 32-38.

وغيرها ... بعد هذا كله — وقبيل رحلته الأخيرة إلى أورشليم — كتب (٢٨) يقول :
 « من أورشليم وما حولها إلى الليريكون (٢٩) ، قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح .
 ولكن كنت مختصراً أن أبشر هكذا . ليس حيث سمي المسيح ، لثلاث أبنى على
 أساس آخر ... لذلك كنت أعاق المزار الكثرة عن المجيء إليكم . وأما الآن فإذ
 ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم ، ولي إشتياق إلى المجيء إليكم منذ سنين
 كثيرة فعندما أذهب إلى أسبانيا آتي إليكم . لأنني أرجو أن أراكم في مروي
 وتشيعوني إلى هناك » (رو ١٥ : ١٩-٢٤) .

ومعنى هذا الكلام ، أن الرسول أكمل حتى ذلك الوقت (حوالى إلى سنة
 ٥٨ م) الكرازة في العالم الأغريقى ... ويبدأ بعدها الكرازة في العالم اللاتينى
 (الرومانى) ... هكذا يوضح الرسول بولس خدمته الكرازية بالإنجيل لنصف العالم
 الشرقى ، ويحدد بخط يمتد من أورشليم إلى الليريكون .

كان بولس يرى أن عليه حمل الإنجيل والبشارة إلى الحدود الغربية للإمبراطورية
 الرومانية ، وأن يملأ الفراغات التى تركتها الإرساليات الأخرى في جهودها ،
 لتوصيل كلمة الخلاص للعالم كله ... وهكذا إنطلق إلى نصف العالم الغربى حيث
 وصل بكرازته إلى الحدود الغربية للإمبراطورية ، فبشر في إيطاليا ويحتمل أن يكون
 قد كرز في أسبانيا أيضاً .

(٣٠)

عوامل مهت الطريق أمام المسيحية

إن النصر العجيب الذى أحرزته المسيحية — إبان ظهورها — على ديانات العالم
 القديم ، أمر يدعو للدراسة . وإن كان السبب الرئيسى في سرعة إنتشار المسيحية ،
 هو أصلها الإلهى وعناية مؤسسها ، وعقائدها السامية ، التى هى في حد ذاتها شهادة
 (٢٨) في رسالته إلى أهل رومية التى كتبها في كورنثوس حوالى سنة ٥٨ .

(٢٩) على الساحل الغربى لشبه جزيرة البلقان ، المطل على البحر الأدرياتي ، وتسمى دلماتيا .

(30) Harnack; Missions ... pp. 1-21; Gibbon, pp. 259.

مقنعة ، لكن الله دائماً يستخدم ظروف البشر كوسائل لتنفيذ مقاصده الإلهية ... لقد تجسد ابن الله في ملء الزمان (غل ٤ : ٤) . ومعنى الملء هنا ، أن الإعداد لمجيئه قد كمل ... قيل عن يوحنا المعمدان أنه الملاك الذى هيا الطريق أمام ابن الله .. لكن لم يكن هو وحده الذى قام بهذه المهمة ، بل سبقته إعدادات كثيرة . ولعل يوحنا كان حلقة أخيرة فى سلسلة الإعداد الطويل ... فما هى هذه العوامل إذن (٣١) ...؟

١ اليهودية وانتشارها :

كان تشتت اليهود فى أنحاء العالم القديم مظهراً من مظاهر غضب الله على هذا الشعب القاسى القلب ، الغليظ الرقبة ... كانت المجامع اليهودية فى الشتات — بالنسبة للديانة المسيحية الناشئة ، مراكز إضطهاد للمسيحين ، ومعاقل مقاومة للمسيحية وتعاليمها . لكن الله إستخدم هذا العدو الكبير لخير العالم ... لقد كانت إنتشارهم الواسع فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية بمثابة الأساس الممتد الذى بنت عليه المسيحية (٣٢) ... وهكذا غدت هذه المجامع وسائل لنشوء ونمو الجماعات المسيحية فى كل أنحاء الإمبراطورية ... لقد أمدت هذه المجامع الكنيسة المسيحية بمراكز ومناهج للتبشير سرعان ما طورتها المسيحية بما يتفق مع روحها ورسالتها ... وهكذا وجدت إرساليات الديانة الجديدة التى باسم إله إبراهيم وموسى ، جواً مهيباً لها ...

ملاحظات على اليهودية وانتشارها فى العالم :

(أ) إنتشر اليهود فى معظم أقاليم الدولة الرومانية ، وعلى وجه الخصوص فى

(31) Schaff, Vol. 1, p. 198.

(32) Smyth; The story of St. Paul's Life, p. 16 ...

حوض البحر المتوسط أو الأقاليم المتصلة به (٢٢) ... وكانت أكبر تجمعاتهم في سوريا ومصر وروما وأقاليم آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين (شمالى العراق). ووصلوا في إنتشارهم إلى الساحل الشمالى للبحر الأسود، وعلى طول ساحل أفريقيا الشمالى، وفي جنوبى غالبا (فرنسا) وأسبانيا وإيطاليا.

(ب) التحول الذى طرأ على اليهودية فى القرن الأول قبل الميلاد ... فبعد أن ظلت اليهودية لقرون طويلة ديانة مغلقة متحوصلة على ذاتها، يفصلها حاجز ضخيم عن بقية الشعوب والأديان، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بوطنها وأمتها، أصبح لها باعث تبشيرى قوى، وحققت بعض النجاح ... وهذا ما عناه السيد المسيح بقوله للكتبة والفريسيين: «تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً» (مت ٢٣: ١٥) ... وهذه الظاهرة برهان على أن اليهودية — كديانة — أخذت تتفتح نتيجة لتغيرات داخلية، وأصبحت معبراً بين ديانة قومية (اليهودية) وأخرى عالمية (المسيحية) ... كان اليهودى يشعر فخوراً أن لديه شيئاً يقدمه للعالم، ألا وهو الإله الواحد وحده وأحس بأن التبشير بعبادة يهوه واجب عليه. هذا ما يصوره القديس بولس: «وتثق (أيها اليهودى) أنك قائد للعميان، ونور للذين فى الظلمة، ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ...» (رو ٢: ١٩، ٢٠).

ويمكن تلخيص الخدمة التى قدمتها اليهودية للمسيحية فى هذا المجال بالآتى:

- + الحقل المنتشر فى كل الامبراطورية .
- + الجماعات الدينية الموجودة فعلاً فى كل مكان فى المدن .
- + المساعدة التى هيأتها معرفة كتاب العهد القديم ، بالإضافة إلى بعض المواد التعليمية والمختصة بالصلاة ، التى أمكن إستخدامها من غير تغيير كبير .
- + الأمور المختصة بالعبادة .

(٢٣) إن قائمة الشعوب المذكورة فى (أع ٢) التى حضرت يوم الخمسين فى اورشليم واستمعت إلى عظة بطرس تعطينا فكرة عن ذلك .

٢ - إمتداد النفوذ الاغريقى (الهيلينى) ، وتأثيره فى العالم ، وبخاصة فى الشرق ، منذ عهد الاسكندر الأكبر . وما ترتب على ذلك من وحدة فى اللغة والأفكار (★) .

٣ - الدولة العالمية الواحدة فى روما ، والوحدة السياسية التى حققتها لشعوب البحر المتوسط ، واستقرار الحياة الاجتماعية .

لقد أحس الناس فى أقاليم كثيرة فى الشرق بالسلام بعد كل الحروب والقلق المخيفة ، ورحبوا بالقانون الرومانى . وفى ذلك يقول العلامة أوريجينوس فى رده ضد الفيلسوف كلسوس الوثنى : [فى أيام يسوع إكتمل البر والسلام ، اللذان ظهرا بمولده . لقد أعد الله الشعوب لتعليمه ، بأن جعل الامبراطور الرومانى يحكم العالم كله . لم تعد هناك ممالك كثيرة ، وإلاَّ أضحت الشعوب غريبة عن بعضها . ولوجد الرسل أيضاً صعوبة فى القيام بالواجب الملقى عليهم من يسوع حينما قال : « إذهبوا وعلموا جميع الأمم » . من المعلوم جيداً أن ميلاد يسوع حدث فى حكم أغسطس ، الذى صهر ووجد الشعوب العديدة على وجه الأرض فى إمبراطورية واحدة . إن تعدد الممالك كان يمكن أن يصبح عقبة فى سبيل إنتشار الإيمان بيسوع فى كل العالم . ليس فقط للأسباب السالف ذكرها ، بل لأن الأمم أيضاً فى مثل هذه الحالة تصبح مضطرة للحرب دفاعاً عن أراضيها الأصلية ... وكيف يمكن إذن لهذا التعليم الخاص بالسلام — الذى لا يسمح لمجرد الانتقام من عدو — أن ينتشر فى كل العالم ، لو لم تمر ظروف العالم فى كل مكان فى طور ألطف عند مجئ يسوع ؟] (٣٤) .. وفضلاً عن ذلك ، فقد عاون وجود الدولة الأرضية الواحدة فى

(*) حتى منتصف القرن الثالث الميلادى تقريباً ، كانت جميع التآلف العظيمة تكتب باللغة اليونانية ، حتى التى كتبها علماء من روما أو الاسكندرية . كانت اليونانية هى لغة العلم ، فضلاً عن أنها كانت لغة عالمية . وقد كتبت أسفار العهد الجديد جميعها باليونانية ، باستثناء إنجيل متى الذى قيل أنه كُتب أصلاً بالآرامية ... ونشير أيضاً هنا إلى كتاب العهد القديم الذى ترجم من العبرية إلى اليونانية قبل الميلاد بنحو مائتى سنة ، فيما عرف باسم الترجمة السبعينية .

(34) Origen; Contra Celsum, 2. 30.

العالم ، على فهم الملكوت السماوي <http://www.egyptianlibrary.org> وأجناساً متباينة . كما أنه مهد الأفكار لقيام كنيسة عالمية جامعة .

٤ - كثرة الطرق التي شقتها الإمبراطورية ، والأمن الذي صاحبها برأً وبحراً ، الأمر الذي أدى إلى نشاط التبادل التجارى والاتصالات الشخصية ، وما صاحب ذلك من تبادل الأفكار ، وتنقل التجار والأساتذة من مكان إلى آخر .. وقد إستفادت المسيحية من ذلك .

٥ - الاعتقاد النظرى والعملى فى تلك الآونة ، بضرورة وحدة الجنس البشرى ، والحقوق والواجبات الإنسانية التى شجعت عليها الوحدة السياسية Orbis Romanus من ناحية ، وتطور الآراء الفلسفية من ناحية أخرى .

كل هذه العوامل الخارجية أحدثت ثورة كبيرة فى كيان البشر فى ظل الإمبراطورية ... ثورة كان لابد وأن تؤدى إلى إنتشار الديانة المسيحية ... لقد أصبح العالم الضيق عالمًا متسعاً . وغدا العالم الممزق وحدة واحدة ، يخضع لسلطة حاكمة واحدة ، ويتفاهم بلغة عالمية واحدة ... وبعبارة أخرى ، لقد أصبح الوضع وقت قيام الكنيسة المسيحية على النحو الآتى : إمبراطورية واحدة ، لغة عالمية واحدة ، حضارة واحدة ، تطور عام نحو التوحيد ، وإشتياق عام إلى مخلص ...

عمل الرسل الكرازي

هذا العمل العظيم الذى قام به نفر قليل من الرسل والتلاميذ الكارزين ، بلا سند من قوة زمنية ، أو مؤازرة قوة بشرية ... بلا ذهب ولا فضة ... بلا مزود للطريق ، ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا (مت ١٠ : ٩) كحملان وسط ذئاب ... كيف استطاعوا أن يقوموا بهذا العمل الجبار، حينما قال لهم الرب : « إذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » ... كيف كانوا يكرزون ، وماذا كان منهجهم فى الكرازة ، وكيف تغلبوا على الصعاب التى واجهتهم ، وما أكثرها ؟

فى الواقع أن قصة الكرازة بالإنجيل غامضة ... فنحن لا نعرف ماذا قال الرسل فى كرازتهم ، وماذا فعل الإنجيليون والمبشرون ، بل وأين ذهبوا وكرزوا على وجه التحديد ... إننا لا نعرف من ذلك إلا القليل جداً ، ومع ذلك نرى ثمرات متكاثرات فى كل مكان ... نقرأ عن الكرازة والتبشير إشارات مقتضبة عابرة فى سفر الأعمال (٣٥) .. لكن وراء هذه الإشارات العابرة أتعاب وجهادات وإماتات وبطولات وأسهار وأصوام ، وصلوات رفعت ، ودموع سُكبت ، ودماء سُفكت ... تلك التى روت حبة الخردل الصغيرة فصارت شجرة عظيمة تتأوى فى ظلها كل الشعوب والأمم ...

ونلقى الآن بعض أضواء على هذا الموضوع :

(٣٥) انظر فى سفر أعمال الرسل : ٨ : ٤ ، ٥ ، ٤٠ : ٩ ، ٣١ ، ٣٢ : ١١ ، ١٩ : ١٤ : ٢١ ، ٧ .

أسلوب الكرازة (٣٦) :

لم تحمل إلينا أسفار العهد الجديد شيئاً مدوناً عن أساليب الكرازة في عصر الرسل — باستثناء أمثلة قليلة مقتضبة — لكن إكتفت هذه الأسفار بمجرد الإشارة إليها . وهى إشارات عن كلمة الله الحية ، والإعلان المقدس عن الحق من شفاه شهود (٣٧) ... وقد إنتشرت الكرازة في الفترة الأولى لتأسيس الكنيسة بالكلمة الحية المقولة أكثر من الكلمة المكتوبة . وسنعود إلى معالجة هذه النقطة حينما نتكلم عن التقليد كمصدر من مصادر التعليم في الكنيسة .

منهج الكرازة (٣٨) :

لا نعدو الحقيقة إن قلنا أن سفر الأعمال لم يدخر لنا نماذج كاملة لعظات الرسل الكرازية . اللهم إلاّ عظة القديس بطرس في يوم الخمسين ، وعظة للقديس بولس ألقاها في المجمع اليهودي في أنطاكية بيسيدية (أع ١٣ : ١٦-٤١) ، وخطاب وجهه في أثينا في الأريوس باغوس إلى جماعة من الفلاسفة (أع ١٧ : ٢٢-٣١) ، ولم تتح له فرصة إكماله .. يضاف إلى ذلك بعض الأحاديث والإشارات العابرة ، التى توضح جوهر الخدمة الكرازية ، بالإضافة إلى رسائل الرسل ... وسنأخذ خطابى بولس الرسول المذكورين نمودجين للكرازة بين اليهود وبين الأمم .

والآن نستعرض عظة بولس الرسول في المجمع اليهودي في أنطاكية بيسيدية :

(أ) بدأ بذكر تاريخ الأمة اليهودية المجيد ، وكيف إختارهم الله من بين

(36) De pressensé, Vol. 1, pp. 216-218; Carrington, Vol. 1, pp. 38, 39.

(٣٧) انظر أمثلة لهذه الإشارات في : ١ كو ٢ : ٤ ؛ ١ تس ٢ : ١٣ ؛ ١ تي ١ : ١ ؛ ١١ ؛ ٢ تي ٢ : ٢ ؛ ٢ ؛ ١ تي ٣ : ١ ؛ ٣ ؛ ١ ؛ ٢ ؛ ٢٢) .

(38) Harnack, Missions ... pp. 381-386; Allen, Missionary Methods, pp. 87-96; Smyth; The Story of St. Paul's life, pp. 64, 65.

الشعوب ، واعتنى بهم . لكنه أشار إلى أن هذا الماضي المجيد لم يكن إلا إعداداً لمستقبل دى مجد أعظم .

(ب) أشار إلى أن أنبياء اليهود شهدوا لمجىء المسيا ، لا ليبتل الناموس بل ليتمه .

(ج) رؤساء اليهود فى أورشليم رفضوا المسيا وصلبوه لكنهم بهذا تمموا كل ما كُتِبَ عنه .

(د) الحكام — دون أن يعرفوا — قتلوا المسيا ، لكن الله أقامه من الأموات ، ودلل على ذلك بشهادة شهود أظهر لهم نفسه حياً مراراً كثيرة بعد قيامته ، وبشهادة داود فى المزمور الثانى .

(هـ) وختم حديثه بأن الله يدعوهم لغفران خطاياهم ، الأمر الذى لا يستطيع موسى أن يهبه لهم . ثم حذرهم أيضاً من رفض هذه الدعوة ، كما تنبأ الأنبياء

وواضح مما تقدم أن الرسل فى كرازتهم لليهود ، كان من الطبيعى أن يقصروا كلامهم على إثبات أن يسوع المسيح الذى صُلبَ ، هو عينه المسيا الذى ينتظره اليهود ، والذى تنبأ عنه الأنبياء ، وأنه قام من بين الأموات ، وأنه سيأتى فى إنقضاء الدهر دياناً للعالم ...

أما عن خطاب بولس فى محفل فلاسفة أثينا ، ولو أن الرسول لم تنح له فرصة إكماله ، إلا أنه يحوى نقاطاً أساسية وهامة فى تبشير الأمم :

(أ) بينما — فى كرازته لليهود — يستشهد بولس بكلمة الله (٣٩) ، إذ به فى كرازته للأمم يستشهد بالطبيعة المخلوقة .

(ب) يقدم لهم — فى أسلوب واضح — مفاهيم سليمة عن الله وطبيعته بكل

(٣٩) هذا أمر طبيعى ، لأنه كما يقول بولس عنهم « لهم التبنى والمجد والمهودة والاشترع والعبادة والمواعيد . ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد » (رو ٩ : ٤ ، ٥) .

الجوانب الأساسية (الله واحد ، روح ، كلى الوجود والقدرة ، عنايته بالخلق ، وحدة الجنس البشرى وقدراته ، عبادة الروح) .

(ج) يدعوهم للتوبة ، ويعلن لهم أن الله مستعد أن يتغاضى عن أزمته الجهل .

(د) أعلن لهم عن الدينونة العامة التى بها سيدين الله المسكونة كلها بالعدل يسوع المسيح .

(هـ) وثمة ركن أساسى فى الكرازة للأمم ، وهو مطالبتهم بقطع صلتهم بالأوثان ... وهكذا قال للوثنيين فى لسترة الذين أردوا أن يذبحوا له هو وبرنابا كآلهة : « نبشركم أن ترجعوا عن هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » (أع ١٤ : ١٥) .

وكشئ مكمّل لمضمون هذه العظة نقول ، إن الرسول فى منهجه الكرازى بين الوثنيين ، كان يكشف لهم ضلال البشر الشنيع بعيداً عن الإله الحقيقى ، وأن جميع البشر زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله ، وأنهم فى حاجة إلى مخلص (٤٠) ...

ونلاحظ الآتى على منهج القديس بولس الكرازى كمثال :

(أ) حسن الاستهلال فى أحاديثه ، الأمر الذى يهيب قلوب سامعيه للاستماع إلى حديثه الذى سيقدمه ... ففى أنطاكية بيسيدية إستعرض أمام اليهود أمجادهم التاريخية . وفى الأريوس باغوس إمتدح الأثنيين على تدينهم على الرغم من أن روحه إحتدت فيه حينما رأى المدينة مملوءة أصناماً (٤١) (أع ١٧ : ١٦ ، ٢٢) .

(ب) على الرغم مما إتسمت به عظاته الكرازية من صراحة وشجاعة وحزم ووضوح ، لكنه إحترم سامعيه ، وقدر فى عطف إحتياجاتهم الروحية ، وجهلهم بالحقائق التى يدعو هو إليها .

(٤٠) انظر الرسالة إلى رومية ص ١ - ٣ : ١٤ : ٢ : ١ تس ١ : ٩ ، ١٠ .

(٤١) ليس هذا رياء من جانب بولس ، فقد كانوا بالفعل متدينين بحسب مفهومهم ، وإن كانوا غفطين ...

(جـ) إنتفاعة بكل ما قدمته له بيئة سامعيه وظروفهم من أجل نجاح رسالته . مثال ذلك : المذبح المكتوب عليه : « لإله مجهول » في أثينا والعبارة التي إقتبسها من بعض شعرائهم الوثنيين : « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » ... وهو بهذا يسير على المبدأ الذى أوضحه : « صرت لليهود كيهودى لأريج اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأريج الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس ، مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأريج الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأريج الضعفاء . صرت للكل كل شئ لأخلص على كل حال قوماً » (١ كو ٩ : ٢٠-٢٢) .

أماكن الكرازة وأوقاتها :

لم يترك الآباء الرسل والمبشرون مكاناً إلاً وكرزوا فيه ، ولم يدعوا فرصة إلاً واستفادوا منها واستخدموها لأجل مجد الله ونشر بشرى الخلاص .. حتى وهم يحاكمون أمام قضائهم ، كان كل شغلهم الشاغل ، خلاص أنفس سامعيهم ... كان بولس مسجوناً في قيصرية ، وكان في السجن يصلى . لكن صلاته في السجن لم تكن من أجل تبرئة ساحته وإطلاق سراحه ، بل من أجل إيمان كل سامعيه ، وفي مقدمتهم قاضيه الذى كان بيده أن يطلقه ، أو يبقيه مسجوناً .. فبينما كان بولس السجن ييسط دعواه أمام الملك أغريباس ، قال هذا الأخير له : « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » فأجاب بولس : « كنت أصلى إلى الله ، أنه بقليل وبكثير ، ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود » (أع ٢٦ : ٢٨) .

● لقد كرز الآباء الرسل في المجامع اليهودية (٤٢) في كل مكان .

● وكرزوا في البيوت ، كما نقرأ عن ذلك في كورنثوس (أع ١٨ : ٧) ، وفي ترواس (أع ٢٠ : ٧) . وقال القديس بولس لكهنة أفسس : « علمتكم جهراً

(٤٢) انظر : أع ٩ : ٢٠ ؛ ١٣ : ٥ ؛ ١٤ : ١٤ ؛ ١٧ : ١ ؛ ١٧ : ١٠ ، ١٧ ؛ ١٨ : ٤ ، ١٩ ؛ ١٩ : ٨ .

وفي كل بيت » (أع ٢٠ : ٢٠). وفي روم كان يكرز في البيت الذي كان معتقلاً فيه (أع ٢٨ : ١٧-٢٣). وبعد إطلاق سراحه كان يكرز في بيت إستأجره لنفسه سنتين كاملتين (أع ٢٨ : ٣٠، ٣١).

● وكرز القديس بولس في أفسس في مدرسة إنسان اسمه تيرانس لمدة سنتين (أع ١٩ : ٩، ١٠).

● وكرزوا في بيوت الولاة والحكام ... فكرز بولس أمام الوالى سرجيوس بولس في قبرص (أع ١٣ : ٧)، وأمام الوالى فيلكس وزوجته اليهودية دروسلا، حتى أن فيلكس إرتعب من كلام بولس، بينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة (أع ٢٤ : ٢٤، ٢٥) ... وكرز بولس أيضاً أمام الملك اليهودى أغريباس وزوجته برنيكى، حتى قال ذلك الملك لبولس : « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » (أع ٢٦ : ٢٨) ... كما كرز في السجن، بينما كان مسجوناً في فيلبى، وآمن حافظ السجن (أع ١٦).

● وكرزوا في الأسواق Agora كما نقرأ بالنسبة لبولس في أثينا، وأمام مجلس قضاتها ومفكرها في الاريوس باغوس (أع ١٧ : ١٧، ١٩).

● وكرز القديس بولس عند شاطئ نهر في فيلبى (أع ١٦ : ١٣)، وعلى درج سلم المعسكر الرومانى في أورشليم حين هاج عليه اليهود في زيارته الأخيرة لها (أع ٢١ : ٤٠ ؛ ٢٢ : ١-٢١).

● وإذ أمر السيد — فى مثل العشاء العظيم — عبده أن يخرج إلى شوارع المدينة وأزقتها، والطرق والسيارات ليدعو المساكين (لو ١٤ : ٢١)، فعل الرسل مثل ذلك، فبشروا فى الطرق، على نحو ما فعل فيلبس المبشر مع الخصى الحبشى وزير كنداكة (أع ٨ : ٢٦).

● أما عن أوقات الكرازة، فكان الرسل يمارسون خدمتهم بلا فتور ولا هدوء، يكرزون ليلاً ونهاراً (أع ٢٠ : ٣١) ... هكذا تعلم القديس تيموثاوس من

معلمه الكارز النشيط بولس (أناشدك إذن أمام الله ، والرب يسوع المسيح العتيد أن
يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته . أكرز بالكلمة ، أعكف على ذلك في
وقت مناسب وغير مناسب » (٢ : ٤) .





نعرض هنا لبعض عوامل نجاح الكرازة التي كرز بها رسل ربنا يسوع المسيح ،
والمبشرون الأوائل ، حتى فتنوا المسكونة بكرازتهم ، وأضاءوا بالإنجيل طريق الحياة
لكثيرين ...

١ - قيادة الروح القدس للخدمة (*) :

قبل صعود الرب يسوع إلى السماء أوصى تلاميذه « أن لا يبرحوا من
أورشليم ، بل ينتظروا موعد الآب » ... أما الحكمة في ذلك فقد أوضحها الرب
لهم ، إنهم سينالون قوة متى حل الروح القدس عليهم (أع ١ : ٤ ، ٨) ... وهذه
العبارة تحمل تحذيراً فيما لو برحوا أورشليم قبل نوال هذه القوة ... لماذا ؟ لأن الروح
القدس — منذ تأسيس الكنيسة — سيكون هو كل شيء في كنيسة العهد الجديد :
سيكون هو القائد ، والمدبر ، والمعين ، والمرشد ، والمعزى والعامل في الكارزين
والمخدومين والمؤمنين ... ونستطيع أن نلمس أثر الروح القدس في كنيسة الرسل ،
بالنظر فيما يلي :

• كان روح الله هو الذي يدعو للخدمة ... هكذا أعلن لكنيسة أنطاكية
« وبينما هم يخدمون الرب ويصومون ، قال الروح القدس ، إفرزوا لي برنابا
وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه » (أع ١٣ : ٢) ... ولنلاحظ أن المتكلم هو

(*) انظر مجلة مدارس الأحد السنة الخامسة العدد الخامس (للأبنا شنوده) .

الروح القدس ، ومعه نلاحظ أيضاً ككلمتي «ل» و«دعوتهما» .

• وكان يعلم الخدام ويتكلم على ألسنتهم (٤٣) .

• وكان يحدد أماكن كرازتهم ، فيرشدهم إلى حقول ويمنعهم عن آخر ... وهذا الأمر واضح في كرازة فيلبس ووزير كنداكة الخصى الحبشي « قال الروح لفيلبس تقدم ورافق هذه المركبة » (أع ٨ : ٢٦-٢٩) ... وفي قصة كرنيليوس « قال له (لبطرس) الروح هوذا ثلاثة رجال يطلبونك . لكن قم وانزل واذهب معهم غير مرتاب في شيء لأنني أنا قد أرسلتهم » (أع ١٠ : ١٩ ، ٢٠) ... وتنقلات معلمنا بولس الكرازية توضح هذا الأمر بكل وضوح ... « وبعدهما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في آسيا فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية فلم يدعهم الروح ... » (أع ١ : ٦-١٠) .

• وكان الروح ينقلهم أحياناً من مكان إلى آخر ، كما حدث مع فيلبس بعد عماد الخصى الحبشي « خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصى أيضاً ... وأما فيلبس فوجد في أشدود » (أع ٨ : ٣٩ ، ٤٠) .

• وروح الله هو الذي كان يعمل بهم الآيات والمعجزات ... ففي قصة حنانيا وسفيرة ، يقول لها بطرس : « ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الله . هوذا أرجل الذين دفنوا رجلك على الباب وسيحملونك خارجاً . فوقع في الحال عند رجله وماتت » (أع ٩ : ١٠) ... والقديس بولس مع عليم الساحر في قبرص : « إمتلأ من الروح القدس وشخص إليه وقال أيها الممتلئ كل غش ... فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين . ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً مَنْ يقوده بيده » (أع ١٣ : ٩-١١) .

• والروح القدس هو الذي كان يرشد الكنيسة كجماعة وأفراد ... ولذا صدر قرار مجمع أورشليم باسمه أولاً « لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ... »

(٤٣) انظر : أع ٤ : ٧-١٢ بالمقارنة مع مر ١٣ : ١١ ؛ يو ١٦ : ١٣ ؛ ١ كو ١٢ : ٤ ؛ ١٠ ، ١٣ .

● لذا لا نعجب أن جعلت الكنيسة الأولى ، الإيملاء من الروح القدس شرطاً أساسياً للخدمة ... هذا ما نلاحظه في موضوع إختيار السبعة شمامسة . لقد تركوا أمر إختيارهم للمؤمنين ، لكن إشترطوا أن يكونوا « ممتلئين من الروح القدس وحكمة » (أع ٦: ٣) .

٢ - الكرازة بديانة الروح والقوة (٤٤) :

لقد أثبتت المسيحية في نشاطها الكرازي أنها ديانة الروح والقوة . ولا نقصد بهذا القول المثاليات والمفاهيم الروحية التي قدمتها للعالم ، والنهج الروحي الذي نهجته ، بل نقصد قوة رسالتها وفعاليتها في النفوس . فعظة يوم الخمسين التي ألقاها بطرس ، هي عظة قصيرة وبسيطة لكن تأثيرها كان عجبياً ... « لما سمعوا نخسوا في قلوبهم ، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة » . (أع ٢: ٣٧) . وانضم إلى الكنيسة في ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس ... ما الذي حدث ؟ هل هذا هو تأثير كلمات صياد الجليل ورفقائه البسطاء ؟ بكل تأكيد ، لا ... إنها تأثير روح الله المصاحب لهذه الكلمات ... من هنا نفهم ما حدث « نخسوا في قلوبهم » .. وما الذي يستطيع أن ينخس القلب إلا روح الله ؟!

والقديس بولس الفيلسوف يخاطب الكورنثيين في بلاد الفلسفة قائلاً : « وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله ... وكلامي وكرازتي لم يكونوا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة . لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس ، بل بقوة الله » (١ كو ٢: ٥-١) ... ويقصد الرسول بسمو الكلام والحكمة الفلسفة البشرية . أما برهان الروح والقوة فيشير به إلى عمل الروح القدس المصاحب للكرازة (٤٥) ، روح الله

(44) Harnack; Missions ... pp. 199-206.

(٤٥) انظر : لو ٢٤ : ٤٩ ؛ أع ١ : ٨ .

من هنا نفهم كلمات رب المجد « متى ساقوكم ليسلموكم ، فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا ... لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس » (مر ١٣ : ١١) ... ونرى صدقها في محاكمة إستفانوس ، حينما لم يقدر الذين تصدوا لمناقشته « أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به » (أع ١٠ : ٦) .

ومن هنا نفهم كلمات القديس بولس : « لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة ، إستحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة » (١ كو ١ : ٢١) ... وهذا يوضح أن المسيحية فى إنتشارها لم تكن تعتمد على الأساليب العقلية فى الإقناع ، بل أن برهان صدق رسالتها كان ومايزال هو « برهان الروح والقوة » .

وكانت كرازة الروح مؤيدة بقوة الروح فى العجائب والآيات ... « خلاص هذا مقداره قد إبتدأ الرب بالتكلم به ، ثم تثبت لنا من الذين سمعوا . شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » (عب ٢ : ٣ ، ٤) ... وتنوع التعبيرات هنا فى كلام الرسول عن هذه العجائب ، هو فى حد ذاته برهان على الظواهر العديدة المرتبطة بهذا الموضوع .. ومنها شفاء المرضى وإخراج الشياطين باسم الرب يسوع ، وما أكثر الإشارات عنها فى سفر أعمال الرسل ... لقد كان ظل بطرس يشفى الأمراض (أع ٥ : ١٥) ، وكانت مناديل ومآزر بولس تشفى الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (أع ١٩ : ١٢) .

٣ - الكرازة بإنجيل الخلاص :

الإنجيل كما بشر به ربنا يسوع المسيح هو ديانة فداء وخلاص . ولما قال على الصليب « قد أكمل » ، كان قد أتم عمله كمخلص أو شاف ... والحق أن الرب يسوع ظهر وسط شعبه كطبيب « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل

المرضى» (مر ٢ : ١٧ ؛ لو ٥ : ٣٢) ^{santariaegypt.org} والأناجيل الثلاثة الأولى تصوره كطبيب للنفس والجسد، وكمخلص أو شاف للبشر. هكذا نقرأ عنه أنه كان «يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب. ولما رأى الجموع تحن عليهم، إذ كانوا منزعين ومنطرحين كغنم لا راعي لها. حينئذ قال لتلاميذه الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون» (مت ٩ : ٣٥-٣٧) ... ونلاحظ هنا، كيف أن الرب يربط بين مرض الجسد ومرض النفس ... لقد نظر إليهما كتعبيرين مختلفين لعلّة البشرية الكبيرة الواحدة ... كان أيسر له أن يقول للمريض «قم وامش» لكنه قال له : «أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك» (لو ٥ : ١٨-٢٥).

لم ينفر من الخطاة وينفصل عنهم حسب المفهوم اليهودي الفريسي في عصره بل كان تصرفه هذا مثيراً لدهشة اليهود بقدر ما كان إتهاماً موجهاً إليه «يأكل ويشرب مع عشارين وخطاة» (☆) ... كان المحيطون به، أناساً شفاهم من مرض الروح والجسد ... هذا كان في أيام جسده. ولما إرتفع على الصليب أظهر قوته المخلصة في أروع صورها، وادخرها لمن لم يبصره في الجسد «الذى حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذى بجراحه شفيتم» (١ بط ٢ : ٢٤) ... كان هذا هو الحق الجديد الذى إنبثق من الصليب، وينبوع التطهير الذى تفجر منه.

إنتشر الرسل والتلاميذ حاملين بشرى الإله المخلص والطبيب الشافي، الذى كانت حياته وأعماله وموته هى خلاص البشر^(٤٦) ... لقد كانت كل هذه المعانى مرتسمة أمام القديس بولس حينما قال للغلاطيين : «الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢ : ٢٠)، وحينما كتب لتيطس يقول : «لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس ... الذى بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة» (تى ٢ : ١١-١٤).

(*) انظر : مت ٩ : ١١ ؛ مر ٢ : ١٦ ؛ لو ١٥ : ٢ .

(٤٦) انظر : لو ٢ : ١١ ؛ يو ٤ : ٤٢ ؛ تى ٣ : ٤ ، ٦ .

هذا هو الحق الذى أعلنه رسلنا المسيح منذ البداية ... هكذا قال معلمنا بطرس أمام مجمع السنهدرين اليهودى : « ليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء ، قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) ... لذا يتساءل القديس بولس الرسول فى دهشة : « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره ، قد إبتدأ الرب بالتكلم به ، ثم تثبت لنا من الذين سمعوا » (عب ٢ : ٣) .

لاقت هذه الدعوة إلى الخلاص ، قبولاً كبيراً وعميقاً فى العالم القديم ، وبخاصة بين الطبقات الدنيا المزدولة والمحتقرة ... هذه الطبقات التى ما كان يحسب لها أدنى حساب — ليس سياسياً أو إجتماعياً فحسب ، بل وحتى دينياً . كان الدين — بالنسبة للعالم الذى حمل إليه الرسل بشراهم الجديدة — للأصحاء وليس للمرضى ، للأطهار وليس للخطاة ... كانت هذه هى فكرة الوثنيين واليهود على السواء . كان المرضى والخطاة يُتركون فريسة لقوات الظلمة ، لأن الآلهة لا تسر بهم (٤٧) . وكان هذا الفهم موجوداً عند الفيلسوف الوثنى كلوسوس عدو المسيحية اللدود فى القرن الثانى (٤٨) .

كانت الخليقة كلها تن ، متطلعة إلى مخلص ... اليهود يعلنون بلسان مريض بيت حسدا : « ليس لى إنسان » (يوه : ٧) ، والأمم يعلنون بلسان ذلك الرجل المكدونى الذى تراءى لبولس فى رؤيا : « أعبر إلى مكدونية وأعنا » (أع ١٦ : ٩) ... وهكذا عاونت هذه المشاعر ، الكارزين بالمسيحية ..

٤ - الكرازة بإنجيل الحب :

جاءت خدمة الكارزين الأوائل وسط عالم سادته الشرور ، واكتنفته الظلمة ، ووطغت عليه الأنانية ، وقطعت أوصاله الحروب والاعتداءات والمظالم ... نادت

(47) Harnack; Missions ... pp. 103, 104.

(48) Origen, C. Cels., 3.59-

المسيحية بالمحبة للجميع حتى الأعداء ، واتخذتها شعاراً لها ، ونادت بالحب والإخاء بين جميع البشر . وعلمت أن المحبة هي : « الوصية الأولى والعظمى » (مت ٢٢ : ٣٨) ، وأنها « غاية الوصية » (١ : ١ : ٥) ، وهي علامة التلمذة الحققة للرب « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي ، إن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يوح ١٣ : ٣٥) ... بل إنها سمت بالمحبة ورفعت من قدرها حينما قالت : « الله محبة » (١ يوح ٤ : ٨) . وعلمت المسيحية أن كل فضيلة تخلو من المحبة هي مرفوضة حتى لو اقتنى صاحبها إيماناً ينقل الجبال وتكلم بالسنة الملائكة (١ كو ١٣) ... وكان تعليم المسيحية بمحبة الأعداء نعمة جديدة على مسامع العالم القديم ، لم يرق إليه مفكر أو فيلسوف ... كانت المسيحية تهدف إلى تحويل المتنافرين إلى إخوة محبين « إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه . لأنك إن فعلت هذا تجمع جهر نار على رأسه . لا يغلبك الشر ، بل يغلب الشر بالخير » (روم ١٢ : ٢٠ ، ٢١) .

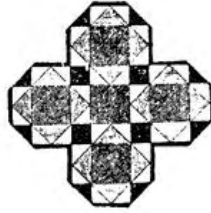
جاء لحن المحبة وأنغامها العذبة شجياً في مسامع العالم القديم المسكين ، الذي سادته الطغيان ، وترك الفقراء نهياً للأغنياء ، والضعفاء غنيمة للأقوياء ... ولم تكن المحبة لحناً عذباً في أفواه الكارزين الأوائل فحسب ، بل شوهدت حياة في حياتهم ، ناطقة بأفعالهم ...

٥ - تعضيد الكرازة بوسائط النعمة :

ينبغي — ونحن نعالج موضوع عوامل نجاح الكرازة في كنيسة الرسل — ألا نغفل سراً هاماً كان وراء تيار الكرازة الدافق ، يدفعه ويقويه ... ونعني به « الصلاة والصوم » ... فمنذ البداية نقرأ عن الكنيسة الأولى أن أعضاءها كانوا « يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلب » (أع ١ : ١٤) ... بل كانت هذه الصلوات — في قوتها وإقتدارها — تزرع المكان (أع ٤ : ٣١) ... وأقام الآباء الرسل السبعة شمامسة لخدمة الموائد ، حتى يتفرغوا هم للمواظبة على الصلاة وخدمة الكلمة (أع ٦ : ٤) .

وقد إستعانت الكنيسة الأولى في حل مشاكلها بالصلاة ، وهذا واضح كل

الوضوح في سفر أعمال الرسل (١٩) وكانت هذه الصلوات غالباً ما تقترب
بالأصوام (٥٠) ... أما النتيجة فكانت « كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر
جداً في أورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان » (أع ٦ : ٧) ...
وكانت الكنائس « تتشدد في الإيمان وتزداد في العدد كل يوم » (أع ١٦ : ٥) ...
وكانت كلمة الرب « تنمو وتقوى بشدة » (أع ١٩ : ٢٠) .



(٤٩) انظر : أع ٤ : ٢٣ - ٣١ ؛ ص ١٢ (سجن بطرس وإطلاقه) .

(٥٠) انظر : أع ١٣ : ٢ ، ٣ ؛ ١٤ : ٢٣ .



إنبثقت المسيحية في بادئ أمرها من اليهودية ومن ثم فقد اعتبرت إحدى شيعها . وبقدروا أفادت المسيحية في البداية من هذه النظرة ، بقدر ما قابلت من متاعب ... فالدولة الرومانية التي ظهرت المسيحية في ظلها ، إعتبرت اليهودية ديانة مسموحاً بها . وقد إستفادت المسيحية من هذا الإمتياز ، فاستطاعت أن تمتد وتنتشر في أنحاء الإمبراطورية قبل أن تفتن الدولة إلى أنها ديانة جديدة ، وبدأت تقاومها وتضطهد أتباعها ...

وصول المسيحية إلى روما :

لا نعرف على وجه التحديد متى وكيف دخلت المسيحية روما ... قد يكون ذلك على يد الرومان الذين حضروا تأسيس الكنيسة يوم الخمسين (أع ٢ : ١٠) فالقديس بولس في رسالته إلى رومية يحى بين الإخوة الذين في روما بعض أنسابه الذين تنصروا قبله (رو ١٦) ... وقد يكون ذلك على يد بعض المسيحيين المتحمسين من سكان فلسطين أو سوريا أو آسيا الصغرى أو بلاد اليونان ، الذين حملوا بشرى الخلاص إليها قبل أن يصلها القديس بولس الرسول .

وأول أثر تاريخي يشير إلى المسيحية في روما في غير الكتب المقدسة ، نجده في إشارة عابرة دونها المؤرخ الوثني سوتونيوس Suetonius ... قال إن الإمبراطور كلوديوس — حوالى سنة ٥٢ م — طرد اليهود من روما بسبب ميلهم للتمرد على

السلطة الحاكمة ، وفتنتهم بتحريف (Santamariaport.org) وقد أشار القديس لوقا في سفر الأعمال إلى هذا الحادث (أع ١٨ : ٢) ... ومن المحتمل جداً أن تكون هذه الفتنة سببها الجدالات بخصوص شخص المسيح بين اليهود والمسيحيين ، الذين كان ينظر إليهم كشعبة يهودية مستحدثة .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان المسيحيون في روما — في أوائل حكم نيرون — يؤلفون جماعة معروفة في كل العالم المسيحي ، هم عدد لا بأس به من المعلمين ، وأماكن متعددة لإجتماعاتهم . وليس أدل على ذلك من شهادة القديس بولس في رسالته إليهم ، والتي قال لهم فيها ، إن إيمانهم ينادى به في كل العالم ، وإن طاعتهم ذاعت إلى الجميع (٥٢) .

وقد تعرض المسيحيون في العصر الرسولي لاضطهادين كبيرين من جانب الدولة الرومانية : الاضطهاد الذي أثاره نيرون ، والاضطهاد الذي أمر به دومتيان ... ونعرض هنا لكل منهما :

نيرون وحريق روما واضطهاده للمسيحيين (٥٣) :

كان نيرون ذا شخصية عجيبة إختلط فيها جنون العظمة بالميل الجارف نحو الشر والدنس وسفك الدماء . ومن ثم فقد كان قتل جمهرة المسيحيين الأبرياء بيد هذا الشيطان المتأنس نوعاً من الرياضة الممتعة بالنسبة إليه ... على أنه ينبغي الإشارة إلى أن الاضطهاد الذي أثاره نيرون ضد المسيحيين ، لم يكن اضطهاداً ديناً خالصاً ، كما حدث فيما بعد ، لكنه بدأ ضمن كارثة عامة

(٥١) هذه الكلمة هجاء خاطيء لكلمة Christos أى المسيح . فقد خلط الرومان بين هذه الكلمة ومعناها المسيح — والكلمة الأولى ومعناها صالح ، وكانوا يسمون المسيحيين Chrestiani أى الصالحين .

(٥٢) انظر روم ٨ : ١٦ ؛ ٥ : ١٥ ، ١٩ .

(٥٣) عن هذا الموضوع بالتفصيل ، انظر : الاستشهاد في المسيحية ص ٤٨ — ٥٢ للمؤلف .

بدأ الحريق ليلاً في ليلة ١٨ / ١٩ يولية سنة ٦٤ م . وظلت ألسنة النيران تلتهم كل ما يصادفها لمدة ستة أيام وسبع ليالى ، بعد أن فشل الجنود ورجال الاطفاء فى إخمادها أو محاصرتها ... وكانت نتيجة الحريق دمار عشرة أقسام من الأربعة عشر قسماً ، التى كانت تتألف منها مدينة روما عاصمة الإمبراطورية بل عاصمة العالم وقتذاك . وإن كان التاريخ لم يعط حكماً قاطعاً فى أسباب ذلك الحريق الهائل ، لكن كل الشائعات التى ترددت والشهادات وكتابات المؤرخين القدامى ، تشير بأصبعها إلى نيرون على أنه الفاعل ، وأنه أراد أن يشيع طموحه وجنونه فى إعادة بناء روما على نسق أفخم ويدعوها باسمه Neropolis أى مدينة نيرون .

حينما إندلعت ألسنة النيران ، كان نيرون على شاطئ البحر فى انتيوم Antium مسقط رأسه ... وحتى يبعد الشبهة عن نفسه فى جريمة الحريق — وفى نفس الوقت يستمتع بقسوة شيطانية جديدة — ألصق تهمة الحرق بالمسيحيين المنبوذين ، الذين أضحووا فى تلك الآونة — وبخاصة بعد خدمة القديس بولس الناجحة فى روما — مميزين عن اليهود .

وقد ترتب على تهمة الحريق ، بدء كرنفال دموى لم تشهد له روما الوثنية مثيلاً ، حتى قال البعض أن ما حدث كان بمثابة إجابة قوات الجحيم لحركة التبشير المثمرة التى قام بها الرسول بولس ، والتى زعزعت أعماق الوثنية فى أهم معاقلها . لقد حكم بالموت على أعداد ضخمة من المسيحيين بأبشع الوسائل ... صلب بعضهم إمعاناً فى السخرية بعقوبة السيد المسيح ، ولف البعض الآخر فى جلود الحيوانات الضارية ، وألقوا للكلاب المسعورة فى مسرح الألعاب الرياضية .

وبلغت المأساة ذروتها ليلاً فى الحقائق الإمبراطورية عندما اشتعلت النار فى المسيحيين والمسيحيات ، بعد أن دهنت أجسادهم بالقار أو الزيت أو الراتنج (صمغ الصنوبر) ، وسمروا فى أعمدة الصنوبر ، يضيئون كالمشاعل لتسلية الجماهير ... هذا ، بينما شوهد نيرون يتجول بعربته ، وقد إرتدى ثياباً غريبة الشكل مرسوم

كان حرق الإنسان حياً هى عقوبة من يحرق عمداً ... وهكذا فإن ما أنزله
نيرون من ضروب الوحشية بالمسيحيين لم تكن — من الناحية الرسمية الشكلية —
عقاباً على ديانتهم بل التكتل الجماعى فى إحراق روما عمداً !!

كان هذا الاضطهاد المروع الذى أثاره نيرون ضد المسيحيين بمثابة تعبئة
لمشاعر جماهير الوثنيين ضدهم . ولابد وأن موجة الكراهية ضد المسيحيين
واضطهادهم قد انتقلت إلى أقاليم الدولة الأخرى فى عهد نيرون أيضاً . وقد أيد
هذه الحقيقة كبار المؤرخين الموثوق بهم (٥٤) ... ومن هول ما ذاقه المسيحيون على
يدى هذا الطاغية ، اعتقدوا أنه سيظهر ثانية كالمسيح الدجال الذى أشار إليه العهد
الجديد . على أن التاريخ مع الأسف لم يحفظ لنا أسماء الشهداء الذين سفكوا
دماءهم وجادوا بأرواحهم على يد هذا الطاغية . لكن من المؤكد أن الرسولين
بطرس وبولس كانا فى مقدمة من إستشهدوا (٥٥) .

الفترة من نيرون حتى نهاية العصر الرسولى :

خلف نيرون على عرش الإمبراطورية ، الأباطرة جالبا Galba وأثو Otho
وفيتليوس Vitellius وفاسبسيان Vespasian وتيطس . وبقدر ما نعرف لم توجه الدولة
إضطهادات كبيرة ضد المسيحيين فى عهدهم . لكن هذا لا ينفى وجود متاعب
إقليمية وشهداء إستشهدوا فى تلك الفترة ، لكن كحوادث فردية وليس كإضطهاد
أمرت به الدولة .

لكن دومتيان (٨١ — ٩٦) — وهو طاغية مرتاب متكبر ، دعا ذاته « رباً
والهاً » — إعتبر اعتناق المسيحية جريمة ضد الدولة . حكم على كثيرين من
المسيحيين بالموت ، ومن بينهم أقرب أقربائه ، القنصل فلافيوس كليمنس Flavius

(54) Schaff, Vol. 1, p. 384.

(٥٥) انظر : رسالة كليمنضس الرومانى إلى كنيسة كورنثوس ف ٩٥ .

Clemens ، ونفى البعض الآخر ^{santa daegyptoloz} كما حدث مع دومتيلا Domitilla زوجة كليمنس .

ويذكر التقليد الكنسي ، ويؤكد القديسان إيريناوس من الجيل الثاني وإيرونيموس والمؤرخ الكنيس يوسابيوس من الجيل الرابع ، أن هذا الإمبراطور أثار إضطهاداً على كنائس آسيا الصغرى ، الأمر الذى أشير إليه فى سفر الرؤيا فى الكلام الموجه إلى ملاك كنيسة سميرنا «أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفقرك ... لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به . هوذا إبليس مزعج أن يلقى بعضاً منكم فى السجن لكى تجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام» (رؤ ٢ : ٨-١٠) . وفى الكلام الموجه إلى ملاك كنيسة برغامس «أنا عارف أعمالك وأين تسكن حيث كرسى الشيطان ، وأنت متمسك باسمى ولم تنكر إيمانى حتى فى الأيام التى فيها كان انتيباس شهيدى الأمين الذى قتل عندكم حيث الشيطان يسكن» (رؤ ٢ : ١٢ ، ١٣) .

ويؤكد التقليد الكنسي وإيريناوس وإيرونيموس ويوسابيوس أن دومتيان هو الذى أمر بإلقاء القديس يوحنا الإنجيلي الرسول فى خلقين زيت مغلى فى روما ، ثم عاد ونفاه إلى جزيرة بطمس . كما إستشهد إبان عهده إنسيموس وديونيسيوس الأريوباغى وكثيرون غيرهم . وتذكر قصة إستشهاد القديس أغناطيوس الأنطاكي أنباء إضطهادات كثيرة حلت بالمسيحيين فى حكم دومتيان .

خلف دومتيان إمبراطور آخر يدعى نيرفا Nerva (٩٦ — ٩٨) ... كان حاكماً عادلاً ، أعاد المنفيين ، ورفض إعتبار إعتناق المسيحية جريمة سياسية لكنه لم يعترف بالمسيحية ديانة مسموحاً بها .



تميزت بعض كنائس العصر الرسولي عن سواها بميزات معينة ، أضفت عليها نوعاً من الشهرة لم تكن لغيرها ... وهذه الشهرة لم تنطو على أى نوع من الرئاسة الكنسية (٥٦) ، لكنها نالتها إما بسبب مركزها الدينى وتأسيس الرسل لها ، وإما لشهرتها الثقافية ، أو مكانتها السياسية ... ونستطيع أن نميز أربع كنائس فى العصر الرسولى حازت شهرتها فى العالم المسيحى وهى : كنائس أورشليم ، وأنطاكية ، والاسكندرية ، وروما .

كنيسة أورشليم

كان أمراً طبعياً أن تحتل كنيسة أورشليم شهرة خاصة فى عصر الرسل فأورشليم لها تاريخها الدينى الطويل منذ أن كانت مركز الديانة اليهودية فى العالم كله وقلبها النابض ، وقبله أنظار اليهود المشتتين فى أنحاء العالم . وقد آل إلى كنيسة أورشليم المسيحية الكثير من الشهرة السابقة ، بعد أن غدت الوريثة الشرعية الأولى للديانة اليهودية ... هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن مدينة أورشليم هى أول مدينة رددت صوت الرب يسوع ، وذاعت حلاوته قبل العالم كله ، وتقّدت ثراها بدم الفادى الزكى الذى أهرق فيها ...

وفى أورشليم ولدت الكنيسة المسيحية ، ومنها ذاعت بشرى الخلاص فى العالم كله ، وحظيت بكراسة الرسل ، والعجائب التى أجراها الرب على أيديهم . وتبركت

(٥٦) لم يستطع فيكتور أسقف روما أواخر القرن الثانى أن يجبر كنائس آسيا الصغرى أن تعيد الفصح مع كنيسة روما فى وقت واحد . وحوالى منتصف القرن الثالث قاوم القديس كبريانوس الشهيد أسقف قرطاجنة بشمالى أفريقيا استغفانوس أسقف روما بشدة بسبب معمودية المراهقة .

بدم باكورة شهداء الحمل ، إستفانوس رئيس الشمامسة ، والرسولين يعقوب بن زبدي ، ويعقوب أخى الرب ، وغيرهم ممن لم يحفظ لنا التاريخ أسماءهم .

كانت أول مركز دينى مسيحي أنشئ ، وفيها عقد أول مجمع كنسى . وكانت تعتبر بحق الكنيسة الأم فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، التى يتطلع إليها المؤمنون (٥٧) ... وقد ورد فى ليتورجية القديس يعقوب تلقيب كنيسة أورشليم « بالأم » كما أجمع آباء الكنيسة على ذلك (٥٨) .

ولما ثارت ريح الاضطهاد على الكنيسة الناشئة فى أورشليم ، واستشهد استفانوس « تشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ، ما عدا الرسل » (أع ٨ : ١) ... وبقاء الرسل فى أورشليم مع تزايد الاضطهاد الدامى ، يرينا أنهم كانوا يعتبرون تلك المدينة ولا شك مركزاً ورأساً للكنيسة الناشئة ، ومصدراً للإشعاع المسيحى ، وإلا لكانوا تفرقوا هم أيضاً مع بقية المؤمنين ، يكرزون بالكلمة حيثما حلوا ... ومن أورشليم كانت الكنيسة تشرف على النشاط الكرازى الذى يقوم به الكارزون ... « ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله ، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلوا صلباً لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس (أع ٨ : ١٤ ، ١٥) . وكذلك أيضاً بالنسبة لأنطاكية ، فحالما سمعت كنيسة أورشليم إيمان عدد من سكانها « أرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية » (أع ١١ : ٢٢) .

وثمة ظاهرة واضحة ترينا مكانة كنيسة أورشليم بين كنائس عصر الرسل ، وإحساس المسيحيين خارج أورشليم بحقها عليهم وواجبهم نحوها ... تلك هى إرسال التقديمات لفقراء أورشليم من الكنائس المختلفة ، يهودية وأمية ... لقد اعتنى القديس بولس بهذا الأمر ، وكان يجمع التقديمات من كنائس الأمم التى

(57) Schaff, Vol. 1, p. 247.

(٥٨) ما أصدق النبوة التى قالها المرتل عن أورشليم « صهيون الأم **Glenn Taa** تقول إن إنساناً حل فيها وهو العلى الذى أسسها إلى الأبد » (مز ٨٦ — الترجمة القبطية) ، انظر الخريدة النفيسة ص ٨٨ ، ٨٩ .

أسسها ، ويرسلها إلى كنيسة أورشليم (٥٩) ... بل هو بنفسه كان يحمل هذه التقدّمات ، كما حدث في زيارته الثانية لأورشليم حوالى سنة ٤٤ م ، حينما كان يحمل تقدّمات كنيسة أنطاكية (أع ١١ : ٣٠) .

وقد تولى أمور كنيسة أورشليم القديس يعقوب البار أحد الاثنى عشر حتى سنة ٦٢ حين إستشهد . وقد كان أول أسقف عليها ، حسبما نخبرنا هيجيسبوس (٦٠) . وخلفه أخوه سمعان بن كلوبا الذى إستشهد مصلوباً على يد أتيكس والى اليهودية سنة ١٠٦ وله من العمر ١٢٠ سنة . ويبدو أن سمعان خلف يعقوب مباشرة عقب إستشهاده ، لأنه هو الذى انتقل بالمسيحيين من أورشليم إلى Pella قبيل خراب أورشليم ، إتماماً لوصية الرب .

لكن كنيسة أورشليم لم تحتفظ بمركزها الدينى المتميز ، بسبب ما حل بالمدينة من خراب سنة ٧٠ م . ولم يسترد الكرسي الأورشليمى مركزه الدينى ، إلاّ أوائل القرن الرابع الميلادى ، حينما اتجهت أنظار المسيحيين إلى إعتبار الأراضى المقدسة بعد تغير الأحوال السياسية ، وزيارة الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين لها ، واكتشافها صليب المخلص بها .

كنيسة أنطاكية

ويأتى بعد كنيسة أورشليم من جهة الأهمية فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية ، كنيسة أنطاكية ... كانت مدينة أنطاكية هى المدينة الثالثة فى الامبراطورية الرومانية بعد روما والاسكندرية ، بسبب مركزها الجغرافى والسياسى ... فقد كانت العاصمة السياسية للاقليم السورى ، ومركزاً إستراتيجياً هاماً فى هذا الجزء من الإمبراطورية ... كان سكانها خليطاً من الأغريق النبلاء والأغنياء ، والسريان وهم عامة الشعب ، واليهود . كان موقعها بين الشرق والغرب أنسب

(٥٩) انظر : غل ٢ : ١٠ ؛ رو ١٥ : ٢٦ ، ٢٧ — خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم ص ٥ .

(60) Eusebius; H.E., 4.22.4.

مكان لنشر الإيمان الزاحف إليها من اورشليم ، في جهات العالم الأخرى ، نظراً لقربها من اورشليم ، وبذا استطاعت أن تظل على صلة دائمة — وبسهولة — بالكنيسة الأم في اورشليم والحصول على ما تحتاج إليه منها ... وفي كلمات أخرى نقول ، إن أنطاكية كانت هي باب فلسطين المفتوح على العالمين اليوناني والروماني . ومن هنا كانت خير قاعدة لنشر المسيحية فيهما ... وكانت بدورها تقدم العون للكارزين الذين يخرجون منها .

وتعتبر كنيسة أنطاكية هي الكنيسة الأمية الأولى (٦١) ، من جهة تاريخ تأسيسها ... وأول ما عرف المؤمنون باسم المسيحيين كان في أنطاكية . وقد تعب في الكرازة بها القديسان برنابا وبولس (أع ١١ : ٢٢-٢٦) ... ووصل إليها القديس بطرس متأخراً ، بعد مجمع اورشليم (غل ٢ : ١١) ... وجعلها القديس بولس مركز إنطلاقه في رحلاته التبشيرية ...

وليس صحيحاً ما يدعيه البابويون الروم والسريان ، من أن القديس بطرس الرسول هو مؤسس كنيسة أنطاكية ، وأنه أول أسقف عليها (٦٢) ... وأنه أسسها بين سنتي ٣٦ ، ٣٧ ، ثم أقام بها سبع سنين (٦٣) ، أبحر بعدها إلى رومية . ومهما كانت شهادات الآباء والمؤرخون التي يستندون إليها ، فشهادة كتاب الله أولى بالصحة والتصديق . فعقب مقتل إستفانوس حوالى سنة ٣٧ ، حدث «إضطهاد عظيم على الكنيسة التي في اورشليم ، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل» (أع ٨ : ١) ... ثم ذهب بطرس مع يوحنا إلى السامرة (أع ٨ : ١٤) ... وفي هذه الأثناء كان بطرس يجتاز في اليهودية وذهب إلى لدة حيث شفى إينياس ، ثم ذهب إلى يافا حيث أقام طابيثا ، ومكث فيها أياماً كثيرة (أع ٩ : ٣٢-٤٢) ... وبعد يافا قصد قيصرية بناء على دعوة كرنيليوس (أع ١٠) . وبعد هذه الجولة الكرازية ، صعد إلى اورشليم حيث خاصمه بعض

(61) Schaff, Vol. 1, p. 279.

(62) De Pressensé, Vol. 1, pp. 77, 78.

(٦٣) أسد رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ج ١ ص ١٩ ، ٢٠ — الدرر النفيسة ص ١٤٢ — سليم سليمان ، تاريخ الأمة القبطية ص ٢٨٩ .

اليهود المتنصرين بسبب عماده ^{سنتماريا} ^{وكنيسة} ^{بولس} ^{من الأميين} (أع ١١ : ٢) .
وكان ذلك حوالى سنة ٤٠ ، وفيها تقابل لأول مرة مع بولس في أورشليم (غل ١ :
١٨ ، ١٩) ... وبعد قصة كرنيليوس الواردة في (ص ١٠ ، ١١) من سفر الأعمال ،
يتكلم القديس لوقا عن دخول الإيمان إلى أنطاكية على يد الذين تشتتوا بسبب مقتل
إستفانوس (أع ١١ : ١٩-٢١) . ولما سمع هذا الخبر عن الأنطاكيين في آذان
الكنيسة التي في أورشليم «أرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية . الذى لما أتى
ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب» (أع ١١ :
٢٢ ، ٢٣) وكان ذلك سنة ٤٣ (٦٤) .. ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب بولس
ليعمل معه في الخدمة ، فخدما معاً بانطاكية سنة كاملة حتى نمت كلمة الرب
وترعرعت (أع ١١ : ٢٥ ، ٢٦) .

**واضح من كل ما تقدم أنه حتى سنة ٤٣ — وهى السنة التى أرسلت كنيسة
أورشليم برنابا إلى أنطاكية ليساعد في الكرازة ونشر الإيمان — لم يكن أحد من
الرسل قد ذهب إلى أنطاكية ... وفي سنة ٤٤ قبض هيرودس أغريباس على بطرس
وسجنه ، لكن ملاك الرب فتح أبواب السجن وأطلقه ، ومضى إلى موضع آخر
(أع ١٢ : ٣ - ١٧) . بعد ذلك لا نقرأ في سفر الأعمال عن بطرس إلا في مجمع
أورشليم حوالى سنة ٥٠ ... على أنه لا يمكن أن يكون قد خرج عن دائرة اليهودية
— لا إلى روما ولا إلى غيرها من الأقاليم النائية — لأن بطرس كان لابد له من
أن يتم تأسيس وتثبيت كنائسها (٦٥) .**

**ثابت أن بطرس ذهب إلى أنطاكية عقب مجمع أورشليم ، أى حوالى سنة
٥١ (غل ٢ : ١١) . ولا يمكن أن يكون قد ذهب قبل ذلك التاريخ .. فالقضية
التي أجمع لأجلها مجمع الكنيسة في أورشليم ، كانت قضية اليهود المعروضة على
المجمع من كنيسة أنطاكية (أع ١٥ : ١ ، ٢) . ولما تكلم بطرس أمام المجمع أشار**

هذه الشهادة لها قيمتها لأن المؤلف راهب يسوعى كاثوليكي
(64) Daniélou, Vol. 1, p. 24.

(65) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, p.803,
سليم سليمان ، تاريخ الأمة القبطية ص ٢٨٩ .

إلى إيمان كرنيليوس ومن معه . ولو كان له سابق خدمة في أنطاكية لكان أشار إلى ذلك باعتباره رئيس الكنيسة هناك وأسقفها ، وأن كنيستها هي التي تعرض القضية على المجمع ... لكن شيئاً من ذلك لم يحدث (أع ١٥ : ٧-١١) ... ولو كان بطرس أية علاقة بكنيسة أنطاكية لظهر ذلك في قرار المجمع . لكن كنيسة أورشليم «الرسل والكهنة مع كل الكنيسة» أرسلوا برسابا وسيلا مع بولس وبرنابا إلى أنطاكية (انظر أع ١٥ : ٢٢، ٢٣) .

إذن — من كل ما تقدم — يتضح جلياً أن وصول بطرس إلى أنطاكية كان حوالى سنة ٥١ أو ما بعد ذلك ... ووجوده هناك وتصرفه إزاء المسيحيين من اليهود والأمم ، والموقف الغريب الذى وقفه بعد وصول جماعة من عند يعقوب ... كل ذلك يدل على أنه لم يكن لبطرس أى موقف متميز هناك ، فكم برئاسة الكنيسة التى يدعيها البعض (غل ٢ : ١١-٢١) !! وثمة ملاحظة أخيرة نوردها عن هذا الموضوع ... فالأب جان كلسون Jean Colson الذى صنف كتاباً كاملاً عن الأسقف فى الكنائس الأولى (٦٦) ، يجعل برنابا المؤسس لكنيسة أنطاكية (٦٧) .

كنيسة الاسكندرية

كانت مدينة الاسكندرية وقت كرازة الرسل ، تعتبر — من الناحية السياسية — المدينة الثانية فى الامبراطورية الرومانية بعد العاصمة روما . لكنها من جهة شهرتها العلمية والثقافية ، كانت دون منازع ، عاصمة العالم الثقافية فى ذلك الحين ... فمدرستها الشهيرة ، كانت أكبر مركز علمى وفلسفى فى العالم الوثنى ، بما توفر لها من مشاهير العلماء والفلاسفة ، وما زخرت به مكتبتها الشهيرة من الكتب والمخطوطات القيمة ... كانت الاسكندرية مدينة دولية ، عامرة بالسكان من المصريين وأغريق ورومان ويهود وبعض أجناس أخرى ... وكانت جاليتها

(66) Colson, L'Evêque dans les communautés Primitives.

(٦٧) أسد رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، ج ١ ص ٢٠ .

وصل الإيمان المسيحي إلى مصر قبل كرازة مار مرقس بها ، نظراً لقرب مصر من بلاد اليهودية ... كما كان بين مَنْ شاهدوا معجزة يوم الخمسين بعض من سكان «مصر ونواحي ليبيا التي نحو القيروان» (أع ٢ : ١٠) . وليس ما يمنع أن يكون هؤلاء الذين آمنوا بأورشليم يوم الخمسين ، قد حملوا الإيمان معهم إلى مواطنيهم ... وهناك إشارة في سفر الأعمال إلى أبلوس الاسكندري الذي كان يهودياً وتنصر ، مقتدراً في الكتب وخبيراً في طريق الرب : «وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب» (أع ١٨ : ٢٤، ٢٥) .. والقديس لوقا كتب إنجيله إلى أحد وجهاء الاسكندرية المدعو ثاوفيلس ... ولم يكن إنجيل لوقا هو الوسيلة الأولى التي حملت الإيمان إلى ذلك الرجل ، بل إنه كان مؤمناً قبل وصول إنجيل لوقا إليه ، إذ يقول له لوقا : «لتعرف صحة الكلام الذي علمت به» (لو ١ : ٣، ٤) ... وقيل إن الرسول سمعان القانوني كرز في جنوبي مصر (منطقة أسوان والنوبة) ... وعلى أية الحالات فقد وصل الإيمان المسيحي إلى القطر المصري قبل وصول مار مرقس إليه ... لكن تأسيس الكنيسة المصرية التي تعرف باسم كنيسة الاسكندرية ، يُنسب إلى القديس مار مرقس .

والقديس مار مرقس — أحد السبعين رسولاً — أسس هذه الكنيسة حوالي سنة ٦٠ م ... وتميزت بكثرة عدد مَنْ آمن ، وبسمو روحانياتهم ، وبحياة الزهد الفلسفية الفائقة الحد التي عاشها جمهور المؤمنين ... ومن فرط إعجابه بهذه الحياة ، أشار إليها فيلو الفيلسوف اليهودي الاسكندري في القرن الأول الميلادي في كتاب حياة التأمل (٦٨) .

كما أسس مار مرقس في الاسكندرية مدرسة لاهوتية ، لتثبيت المؤمنين في الدين الجديد ، وتقف أمام المدرسة الوثنية الشهيرة ، تقاوم تيارها وأفكارها وترد

(68) Eusebius, H.E., 2.17.

عليها ... وقد قدر لهذه المدرسة — فيما بعد — بما توفر لها من علماء أن تجذب بعض فلاسفة المدرسة الوثنية وتهديهم إلى الإيمان ، بل أن تصبح أكبر مركز دراسي لاهوتي مسيحي في العالم كله شرقاً وغرباً لعدة قرون . وقدمت هذه المدرسة للكنيسة المسيحية في مصر وخارجها علماء وفلاسفة ، إستطاعوا أن يخدموا المسيحية أجل خدمة ، ويدودوا عن إيمانهم بأقلامهم التي فندت أدعاءات الفلاسفة الوثنيين ...

ولا صحة مطلقاً للدعاء الضعيف القائل بأن بطرس الرسول في جولاته الكرازية عرج على مصر، ومنها — من بابيلون — كتب رسالته الأولى (١ بط ٥ : ١٣) . وقد تناولنا هذه النقطة بالرد والتفنيد في موضوع آخر .

كنيسة رومانية

كانت مدينة روما في عصر الرسل هي المدينة الأولى في العالم — من الناحية السياسية — باعتبارها عاصمة الامبراطورية الرومانية ... وكان ينظر إليها المعاصرون نظرة كلها إجلال وتقدير حتى سموها « روما الخالدة » وارتبطت أفكار الناس بها إلى حد بعيد (٦٩) ...

سبق لنا أن تناولنا موضوع دخول المسيحية إلى روما ، وقلنا إن ذلك تم إما بواسطة مَنْ حضر معجزة يوم الخمسين من الرومان ، وإما بواسطة بعض المتحمسين من فلسطين أو سوريا أو آسيا الصغرى أو بلاد اليونان ... لكن تأسيس كنيسة رومية ككنيسة لم يتم إلا على يد بولس الرسول ..

لكن البابويين يدعون لما ر بطرس ما لم يُعط له ، وما لم يدعيه هو لنفسه ، وما

(٦٩) استمر هذا الشعور لعدة قرون ، حتى أن القوط الغربيين لما دخلوا روما ظافرين سنة ٤١٠ م ، أحدث دخولهم صدمة شديدة . واعتقد المعاصرون أن هذا نذير بزوال العالم . واستغل أعداء المسيحية هذه الفرصة ، وحاولوا أن يلصقوا هذه الكارثة بالمسيحية ، لأن روما والدولة كانت مهابة الجانب في ظل الوثنية ... فانبرى لدفع هذا الاتهام بعض الشخصيات المسيحية ومنهم القديس أغسطينوس في كتابه « مدينة الله » ... انظر Fisher; History of Europe.

لم تعرفه الكنيسة الأولى . يقولون إن السيد المسيح أقام بطرس نائباً عنه على الأرض ، ورئيساً للكنيسة المنظورة . ويقولون أيضاً أن القديس بطرس هو مؤسس كنيسة رومية وأول أسقف عليها ، وأنه أقام بها ٢٥ سنة من سنة ٤٢ إلى سنة ٦٧ !! وسوف لا نتعرض لدحض الادعاءات الخاصة برئاسة بطرس ، لأن ذلك يبعدنا عن جوهر بحثنا في التاريخ الكنسى وإنما سنناقش فقط موضوع تأسيس بطرس لكنيسة رومية ، وإقامته الطويلة المزعومة بها ...

ولابد أن نشير أولاً إلى نقطة هامة ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا ، وهى أن المراكز الدينية في عصور المسيحية الأولى كانت تقاس قيمتها وعظمتها بما للمدن الكائنة فيها تلك المراكز من قيمة وعظمة مدنية (٧٠) . ولعله مما يفيدنا في هذا المقام ، أن نورد شهادة القديس إرونيموس (جيروم) ، الذى تعتبره الكنيسة البابوية أحد ثقاتها في التعليم ... يقول في كلامه عن الأسقف : [حيثما يوجد أسقف ، سواء كان في روما ، أو في Engubium ، في القسطنطينية أو في Rhegium ، في الاسكندرية أو Zoan ، فإن كرامته واحدة وكهنوته واحد فلا الثروة أو ضعة الفقر تزيده أو تنقص من قدره عن كونه أسقفاً فالجميع سواء خلفاء الرسل] (٧١) .

تأسيس كنيسة رومية

أولاً - الأدلة الكتابية على تأسيس بولس لكرسى رومية :

١ - بولس رسول الأمم :

إن الكنيسة التى تأسست في مدينة رومية عاصمة العالم الوثنى ، هى كنيسة

(70) Fisher; History of Europe; Merle d'Aubigné, History of the Reformation, 1.8.

كيرلس مقار ، الوضع الإلهى في تأسيس الكنيسة ج ٢ ص ١٦٢ - ١٧٧ . وهكذا نص القانونان ٢٨، ١٧ من قوانين مجمع خلقيدونية الذى لا تعترف به كنيستنا [انظر : سليم سليمان ، تاريخ الأمة القبطية ص ٣٣٨ - ٣٤٠] .

(71) St. Jerome, Letter to Evangelus (N.P.N.F., Vol. 6, p. 289).

أمية وليست يهودية (رو ١: ٥) santamariaegypt.org القديس بولس هو رسول الأمم ،
بينما القديس بطرس هو رسول الختان « إذ رأوا (يعقوب وبطرس ويوحنا) أني
أؤتمنت على إنجيل الغرلة (تبشير الوثنيين) ، كما بطرس على إنجيل الختان
(تبشير اليهود) ، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم ، وأما هم
فللختان » (غل ٢: ٧-٩) ... نلاحظ التعبير الذي إستخدمه القديس بولس « إذ
رأوا أني أؤتمنت » ... مَنْ الذي إئتمنه ؟ الرب نفسه منذ البداية أفرز بولس لهذه
المهمة ، وقال لحنانيا في دمشق عن بولس عقب إهتدائه مباشرة : « هذا لي إناء
غثار ليحمل اسمي أمام الأمم والملوك وبني إسرائيل » (أع ٩: ١٥) ... ومرة
ثانية يسجل القديس لوقا في سفر الأعمال ، أن الرب ظهر لبولس في رؤيا في
الهيكل بأورشليم وقال له : « أسرع وأخرج عاجلاً من أورشليم ... فأني سأرسلك
إلى الأمم بعيداً » (أع ٢٢: ١٨ ، ٢١) ...

هذا عن الأمم بوجه عام ، أما عن رومية بوجه خاص ، فقد أعلن له
الرب ذلك في رؤيا بينما كان مقبوضاً عليه ، ومودعاً بالمعسكر الروماني في أورشليم
... « ثق يا بولس ، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم ، هكذا ينبغي أن تشهد
لي في رومية أيضاً » (أع ٢٣: ١١) .

ولا حاجة بنا إلى تفنيد الادعاء القائل بأن القديس بطرس — بعماد كرنيليوس
قائد المائة الأُمى — صار رسولاً للأمم . فهذه كانت حادثة فردية (٧٢) وقعت حوالي
سنة ٤٠ ... ولقد تحدد هذا الإختصاص وتأييد فيما بعد بواسطة مجمع الكنيسة في
أورشليم ، الأمر الذي أشار إليه بولس في (غل ٢: ٧-٩) .

٢ - مبدأ بولس في الكرازة :

سار بولس في كرازته على مبدأ واضح ، وهو أنه لا يركز في مكان كرز فيه آخر
« كنت مختصاً أن أبشر هكذا ، ليس حيث سمي المسيح ، لئلا أبني على

(٧٢) انظر : البابا شنودة الثالث ، مرقس الرسول ٣٢ - ٣٥ .

أساس لآخر» (٧٣) (رو ١٥ : ٢٠) ... ومن العجيب أن يذكر بولس هذا المبدأ في رسالته إلى رومية ، مما يدل على أن أحداً من الرسل لم يذهب إلى تلك المدينة ويبشرها . وكان بولس يشتهي تبشير أهل رومية (رو ١ : ١١ ، ١٥) وذهب إليها بالفعل ، واستأجر بيتاً هناك يكرز فيه ، ويقبل كل الذين يدخلون إليه لمدة سنتين كاملتين (أع ٢٨ : ٣٠) ... وهذا دليل أكيد على أن بطرس لم يكن قد ذهب إلى رومية حتى ذلك الوقت ، ولم يكن موجوداً بها في تلك الفترة بين سنتي ٦١ ، ٦٣ .

٣ - صلات بولس بمؤمنى رومية :

الاصحاح السادس عشر من رسالة بولس إلى أهل رومية حافل بعدد كبير من أسماء المسيحيين الرومان — يهود وأمميين — يبعث إليهم بولس بتحياته الحارة وتقديره ، الأمر الذى يقطع بأن له صلات وثيقة معهم ... فمنهم مَنْ عمل معه في ميدان الخدمة ، ووضع عنقه لأجله . ومنهم مَنْ احتمل الأسر معه . ومنهم مَنْ تعب كثيراً لأجله ولأجل خدمة الرب (رو ١٦ : ٣-١٦) ... وهو يشرح لهم في هذه الرسالة ، كيف أنه كثيراً ما قصد أن يأتى إليهم لكنه مُنِعَ ، وأنه مشتاق أن يراهم لكي يمنحهم هبة روحية لثباتهم ... والرسالة إلى رومية ، تشعرنا بأنه — حتى وقت كتابتها سنة ٥٨ — لم تكن هناك أية كنيسة مؤسسة من هيئة رسولية في روما . فالرسالة يوجهها بولس إلى « جميع الموجودين في رومية أحباء الله مدعوين قديسين » (٧٤) (رو ١ : ٧) .

٤ - كرازة بولس برومية :

لا تحوى أسفار العهد الجديد أية إشارة — ولو من بعيد — لكرازة بطرس
(٧٣) في الترجمة اليسوعية « واعتنيت أن لا أبشر بالإنجيل في موضع دعى فيه اسم المسيح ، لثلا أبني على أساس غيرى » .

في رومية ... لكن ثابت أن بولس وصل إلى رومية وأقام كارزاً بها (أع ٣٨ : ١٦ ، ٣٠ ، ٣١) ... فبعد ثلاثة أيام من وصوله إلى رومية سنة ٦١ ، إستدعى وجوه اليهود ، وحدثهم عن المسيح رجاء إسرائيل ، الذى لأجله كان موثقاً ... وجاءت إجابتهم أنهم لا يعرفون شيئاً عن المسيحية ، وبالتالي أن أحداً لم يبشرهم « لكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى ، لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوم في كل مكان » (أع ٢٨ : ٢٠ ، ٢٢) ... كان معنى إجابة اليهود هذه ، أنه حتى تلك السنة (سنة ٦١ م) ، لم تكن قد تأسست في روما كنيسة Ecclesia ... فأين إذن كانت كرازة بطرس في رومية ، لو كان قد ذهب إليها سنة ٤٢ كما يدعى البابويون ؟!

أما عن كرازة بولس فيشهد عنها كاتب سفر الأعمال بصراحة « وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت إستأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ، ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » (أع ٢٨ : ٣٠ ، ٣١) ... وإلى جانب جهوده الكرازية في رومية ، فقد كتب فيها رسائله إلى أفسس وفيلبي وكولوسى وفليمون .

ثانياً - بطرس وكنيسة رومية من شهادة الكتاب المقدس والتاريخ :

١ - أثبتنا في كلامنا السابق عن كنيسة أنطاكية ، والادعاء بأن بطرس هو مؤسسها ، أنه حتى إنعقاد مجمع أورشليم حوالى سنة ٥١ ، كان بطرس ما يزال ببلاد اليهودية ، وأنه ذهب إلى أنطاكية سنة ٥١ أو بعدها (غل ٢ : ١١) ... بعد ذلك نجد كلوديوس قيصر يطرد اليهود من روما حوالى سنة ٥٢ (٧٥) الأمر الذى أشار إليه القديس لوقا في (أع ١٨ : ٢) ... وكانت المسيحية حتى ذلك الوقت ، معتبرة شعبة يهودية . فلا يمكن أن يكون بطرس قد ذهب إلى رومية في تلك الفترة — ما بين طرد اليهود من روما وعودتهم إليها .

(75) Schaff, Vol. 1, p. 367; Smith. Dictionary of the Bible, Vol. 1, p. 613.

٢ - ولا يمكن أن يكون بطرس قد ذهب إلى رومية قبل سنة ٥٨ م — تلك السنة التي كتب فيها بولس رسالته إلى أهل رومية من كورنثوس ، والتي لم يرد فيها أى تحية أو ذكر لبطرس ، بينما حوت الرسالة تحيات إلى أشخاص عديدين كما سبق أن ذكرنا (عشرين شخصاً وأسرتين) ... والقديس بولس في هذه الرسالة يقول لأهل رومية أنه مستعد لتبشيرهم (روم : ١٥) ، مما يقطع بأن أحداً من الرسل لم يبشرهم حتى ذلك التاريخ ، لا بطرس ولا غيره من الرسل .

٣ - ويغلب على الظن — كما يعتقد البعض — أن بطرس كان في جولات تبشيرية مع زوجته حتى سنة ٥٧ ، وهى السنة التى كتب فيها بولس رسالته الأولى إلى كورنثوس من مدينة أفسس ، وقال فيها : « ألعنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وإخوة الرب وصفا (بطرس) » (١ كو : ٩ : ٥) ... وغالباً ما كانت تلك الجولات في المناطق التى وجه إليها رسالته الأولى (١ بط : ١ : ١) .

٤ - لا أثر لوجود القديس بطرس بروما في فترة وجود بولس بها (٦١ — ٦٣) ... فالقديس لوقا في سفر الأعمال لا يذكر شيئاً عن بطرس . والقديس بولس — في رسائله الأربع التى أنفذها من روما في تلك الفترة — لم يورد أية إشارة تفيد — ولو من بعيد — إلى وجود القديس بطرس في رومية .

٥ - من غير المعقول أن يغفل القديس لوقا كاتب سفر الأعمال ، خبر وجود بطرس الرسول برومية لمدة ربع قرن من الزمان ، وتأسيسه لكنيسة عاصمة الإمبراطورية ، بل عاصمة العالم كله وقتذاك ، لو كان ذلك حدث فعلاً !

وعلى ذلك ، فإن الادعاء بوجود مار بطرس في روما قبل سنة ٥٣ أمر مستحيل كما أثبتنا ... أما احتمال ذهابه إليها بعد ذلك التاريخ ، فليس له ما يؤيده ، سوى إشارات عابرة غير واضحة ولا قاطعة لبعض الآباء اللاحقين ...

٦ - أول من أشار من الآباء إلى إستشهاد بطرس هو القديس كليمنضس الرومانى أسقف رومية (٩٢ — ١٠١ م) في رسالته إلى كنيسة كورنثوس . لكنه لم

يذكر مكان إستشهاده في روما أم في غيرها (٧٦) .

٧ - في الاكليمنضيات المزورة (٧٧) ، والكتابات المدسوسة الغفل من أسماء كاتبها ، يربطون بين بطرس الرسول وسيمون الساحر عقب اللقاء الذي حدث بينهما في السامرة حوالى سنة ٣٧ م . ويصورون بطرس أنه أخذ يتعقبه حتى وصل إلى روما عاصمة الإمبراطورية ، وهناك أماته بصلاته ...

٨ - يذكر يوستينوس الشهيد في دفاعه الذى كتبه حوالى منتصف القرن الثانى ، أن سيمون ذهب إلى روما في عهد كلوديوس قيصر ، ونال شرفاً وتقديساً ، حتى أنه أقيم له تمثال في جزيرة في نهر التيبر كتب عليه Simoni Deo Sancto أى (سيمون الإله القدوس) ... هذا كل ما ذكره يوستينوس عن سيمون (٧٨) ... ويوستينوس لم يكن مؤرخاً ، لكنه عرض لسيمون الساحر في معرض دفاعه الذى قدمه الإمبراطور أنطونيوس بيوس سنة ١٤٧ ، وفيه يوضح ماهية المسيحية كديانة ونقاوتها ، وأن الدولة تشجع السحر والسحرة ، بدليل أنها أقامت تمثالاً لسيمون هذا ... ونحن نتساءل ، ما الذى ربط بين ما ذكره يوستينوس وبين قصة تعقب بطرس له في روما وإماتته بصلاته ؟!! إن يوستينوس لم يذكر اسم بطرس نهائياً ...

أما الدافع الذى دفع الأبيونيين الهراطقة — وهم أصلاً من اليهود المتنصرين المتطرفين — إلى الربط بين سيمون وبطرس في الاكليمنضيات المزورة فقد أشرنا إليه سابقاً حينما عرضنا لمخلفات حركة التهود ، وكيف أنهم كانوا يجدون رسل الختان وفي مقدمتهم بطرس ...

إنحدر هذا الخليط العجيب — إشارة يوستينوس العابرة غير الواضحة وما حوته الاكليمنضيات المزورة — إلى يوسابيوس المؤرخ في القرن الرابع ، وعنه أخذ هذه

(76) Clement of Rome, 1 Corinthians, 5.

(٧٧) كتابات مزورة منسوبة خطأ إلى كليمنضس الرومانى ، ويرجع تاريخها إلى حوالى منتصف القرن الثانى . كتبها جماعة من الابيونيين الهراطقة وهم شيعة متطرفة من بعض اليهود المتنصرين ، الذين قاومتهم الكنيسة في تاريخها المبكر .

(78) Justin Martyr, 1 Apol. chs., 26, 56.

القصة كما هي ودونها في تاريخه ، ومؤداها أن بطرس ذهب إلى روما وراء سيمون الساحر المضل (٧٩) ... ويجدر بنا أن نشير إلى أن يوسابيوس لم يكن مؤرخاً بالمعنى الدقيق للكلمة ، لكنه كان ناقلاً عن غيره ، ويتضح هذا من تاريخه (٨٠) .

على أن رواية يوستينوس هذه قد أظهرت الحفريات خطأها . فقد كشف الباحثون سنة ١٥٧٤ على قطع رخامية من التمثال الذي أشار إليه يوستينوس ، ووجدت عليه الكتابة الآتية Semoni Sanco Deo Fidio Sacrum واتضح أن هذا التمثال أقيم لإله الخصب Semo Sancus ، الذي عبده سكان ساين Sabin شمالى إيطاليا (٨١) ... أما كيف إختلط الأمر على يوستينوس إلى هذا الحد فيبدو أن يوستينوس — وكان سامرياً — إستقى هذه المعلومات المشوشة عن سيمون الساحر السامرى من مواطنيه السامريين الذين كانوا يفخرون به على أنه « قوة الله العظيمة » (٨٢) (أع ٨ : ١٠) . وقد يكونوا في إفتخارهم هذا أخذوا ينسبون إليه أعمالاً عظيمة لكيما يحيطوه بهالة كبيرة ... ومهما يكن من أمر ، فالمؤرخون حالياً يكذبون نهائياً واقعة ذهاب سيمون إلى روما (٨٣) .

٩ - ذكر بعض آباء القرن الثانى ، من أمثال ديونيسيوس الكورنثى وإيريناوس ومن جاء بعدهما ، أن بطرس إشتراك مع بولس في تأسيس كنيسة رومية ... أما تعليل ذلك ، فهو إما أن هؤلاء الآباء أخذوا عن مصدر خاطيء بلا فحص (٨٤) ، وأما أنهم إعتبروا بطرس — في أشخاص الرومانيين اليهود والدخلاء الذين حضروا

(79) Eusebius, H.E., 2.14.

(80) Schaff, Vol. 1, p. 257.

(81) Daniélou, Vol. 1, p. 61.

(82) Justin Martyr; 1 Apol., (A.N.F., Vol. 1, p. 187 foot note).

(83) De Pressensé, Vol. 1, pp. 67, 68; أسد رستم ج ١ ، ص ٢٩

(٨٤) وقع إيريناوس في نفس الخطأ الذى وقع فيه يوستينوس الشهيد ، إذ قال أن الدولة كرمت سيمون وأقامت له تمثالاً من أجل أعماله السحرية (Against Heresies, 1.23) ولا شك أن الدليل المادى هو سيد الأدلة . لقد أثبتت الحفريات خطأ هذه الرواية ... لا يبعد إذن أن يكون إيريناوس في موضوع تأسيس كنيسة روما قد نقل عن مصدر خاطيء أو مغرض ...

معجزة يوم الخمسين ، وآمنوا بعد سماعهم عظة بطرس ، ومن ثم حملوا الإيمان إلى وطنهم — أنه إشتراك بصورة غير مباشرة في تأسيس كنيسة روما (٨٥) .

١٠ - وثمة نقطة كانت مثار جدل بين العلماء ، وهى بابل المذكورة في رسالة بطرس الأولى ، والتي منها كتب هذه الرسالة (١ بط ٥ : ١٣) ... فقد فسرها البابويون على أنها روما (بابل = روما) ، على أساس أن القديس يوحنا أشار إليها في سفر الرؤيا بهذه التسمية الرمزية ... وقصدهم من ذلك أن يثبتوا وجود بطرس في روما ، وأنه كتب منها هذه الرسالة !!

يجمع الآباء والعلماء بلا إستثناء على أن بابل المذكورة في سفر الرؤيا هى روما ، بناء على الملابس المذكورة معها ... ذكرها يوحنا خمس مرات . وفي كل مرة يذكرها باسم «بابل العظيمة» (٨٦) ... أما بابل المذكورة في رسالة بطرس (١ بط ٥ : ١٣) فهى بابل الواقعة على نهر الفرات ، لا يمكن أن يكون المقصود بها التسمية الرمزية أى روما (٨٧) ... هذا هو رأى فطاحل العلماء حالياً (٨٨) ... أما الأدلة على ذلك فكثيرة . منها :

(أ) حينما أشار يوحنا في رؤياه إلى روما على أنها بابل ، فإن هذا السفر نبوى ورمزى ، وتستقيم معه هذه الإشارة . لكن ليس ما يدعو بطرس لأن يستخدم الأسلوب الرمزى في رسالته ، علماً أن أسفار الكتاب المقدس كلها ، لم تشر إلى روما على أنها بابل ، إلا في سفر الرؤيا فقط .

(ب) الأماكن الجغرافية والأقاليم المذكورة في رسالة بطرس الأولى (مقاطعات بنطس وغلطية وكبادوكية وآسيا وبشينية) ، تعنى المعنى الحرفى فلماذا لا يعنى بطرس ببابل معناها الحرفى أيضاً ؟!

(85) Schaff, Vol. 1, pp. 251, 252.

(٨٦) رؤ ١٤ : ٨ : ١٦ : ١٩ : ١٧ : ٥ : ١٨ : ١٠ : ٢١ .

(87) Smith, Dictionary of the Bible. Vol. 2. pp. 803-805; Wuest, First Peter in the Greek New Testament, pp. 132, 133; De Pressensé, Vol. 1, pp. 210, 211.

(88) See. N.P.N.F., series 2, Vol. 1, p. 116 (footnote 7)

(ج) ليس ما يدعوننا إلى الافتراض أن المسيحيين — وقت كتابة هذه الرسالة — كانوا يفهمون روما على أنها بابل القديمة ...

(د) سفر الرؤيا — وهو الموضع الوحيد في الكتاب المقدس الذي فسرت فيه بابل على أنها رومية — كتب بعد زمان كتابة رسالة بطرس الأولى بنحو ثلاثين سنة ، فكيف إتبع بطرس نفس أسلوب يوحنا الرمزي ؟!

(هـ) أينما ذكرت مدينة رومية في العهد الجديد ، ذكرت باسمها باستثناء سفر الرؤيا ... وحتى في الرؤيا ذكرت باسم « بابل العظيمة » .

(و) هناك أدلة قوية على أنه في وقت كتابة رسالة بطرس ، كان المسيحيون من اليهود والوثنيين يؤلفون جماعة كبيرة في مدينة بابل على نهر الفرات وما حولها ^(٨٩) وكانت المدينة على جانب كبير من الأهمية . وقد لعبت مدارس التعليم اليهودي في ذلك الاقليم دوراً هاماً في النهوض باليهودية خاصة بعد خراب أورشليم وهيكلها ^(٩٠) . ولا شك أن هذه المنطقة كانت حقلاً هاماً ومنتسجاً لأعمال بطرس الرسول الكرازية باعتباره رسول الختان الأول ...

الخلاصة

يكاد يجمع التقليد الكنسي المعترف به شرقاً وغرباً ، على أن الرسول بطرس إستشهد في روما حوالى سنة ٦٧ م على عهد نيرون ... وكثرة من المؤرخين يذكرون أنه قبض عليه في مكان آخر بعيد عن روما باعتباره من قادة المسيحيين ، وسيق إلى روما لمحاكمته ، على نحو ما حدث مع القديس أغناطيوس الشهيد أسقف أنطاكية الذي سيق من أنطاكية إلى روما ليلقى للوحوش سنة ١٠٧ م . وهذا يتفق مع رواية

(٨٩) كانت بابل لاتزال مدينة عامرة ولم تكن قد خربت انظر : Josephus; Antiq. 15.3.1.

(٩٠) يورد الدكتور وليم سميث في قاموسه عن الكتاب المقدس إثباتات كثيرة على ذلك منها أن مدرستي الرها ونصيبين المسيحيين الشهيرتين فيما بعد ، مدينتان لكرازة بطرس في هذه المنطقة ، كما أن كتابات معلمى هاتين المدرستين واضح فيها تأثيرات هذا الرسول ... انظر :

(Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 805).

يوسابيوس (٩١) — نقلاً عن العلامة أوريجينوس santamariaegypt.org الذى قال عن بطرس : [وإذ أتى أخيراً إلى روما صُلبَ منكس الرأس] ... ورأى آخرون أنه ذهب إلى روما فى أواخر حياته لمقاومة سيمون الساحر ... وأياً كان سبب ذهابه إلى روما ، فإن ذهابه إليها لم يكن على أية الحالات بقصد تبشيرها أو تأسيس كنيسة لها ، فإن كنيسة كانت قد تأسست بواسطة القديس بولس ... أما هو فلم يذهب إليها إلا فى السنة الأخيرة من حياته ... هذا هو ما يؤكد العلماء (٩٢) .

أما قصد البابويين من محاولاتهم ، فهو أن يجعلوا من بطرس كاروياً للعالم أجمع ، ومبشراً للخليقة كلها ، ومؤسساً لكل الكنائس الكبيرة المتميزة بشهرتها ، حتى يستأهل بذلك رئاسة العالم المسيحى ، كنائب للمسيح على الأرض !! وهو حسب زعمهم ، أسس كراسى أنطاكية وروما والاسكندرية وبيزنطة وأفسس وكورنثوس وبلاد اليونان ، بالإضافة إلى أقاليم آسيا الصغرى ... وأنه أقام لها أساقفة (٩٣) .

وكدليل على هذه الروح الاستعمارية فى الكنيسة البابوية ، نسوق هنا ما يذكره الارشمندريت ميشل عساف فى كتاب سنكسار الروم الكاثوليك ، فى تذكار القديس بطرس (٩٤) :

[يذكر المؤرخون ... الذين وضعوا سير القديسين ، أن بطرس بعد أن مر فى مدن آسيا ، تضرع إلى الرب ليوضح له إرادته ، ويبيّن له الطريق التى يريد أن يسلكها . فترأى له الرب يسوع وقال له : قم يا بطرس ، واستولى على بلاد الغرب ، لأنه ينتظرك لتشرق عليه أنوار الإنجيل ، وسأكون أنا معك . وأوحى إليه الرب أن

(91) H.E., 3.1.

(٩٢) انظر : البابا شنودة الثالث ، مرقس الرسول ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٩٣) حتى الطريق التى مات بها بطرس ، جعلوها مادة لتأييد رئاسته على الكنيسة كلها . فصلبه منكس الرأس يعتبره أحد أساقفة الفاتيكان دليلاً على ذلك . فعلى نحو ما أن رأس بطرس (وهو منكس) حمل جسمه كله ، وليس الجسم هو الذى حمل الرأس ، كذلك بطرس يحمل الكنيسة كلها !! [انظر : (Schaff, Vol. 1, p. 259. (footnote) .

(٩٤) الارشمندريت ميشل عساف ، سنكسار الروم الكاثوليك — تحت يوم ٢٩ حزيران .

كرسیه الثابت الأعلى يجب أن يكون في روما . فقام وسار إلى روما] .
santamariaegypt.org

إن هذا الكلام لا ينطوى على روح إنجيلية سليمة ... فالكراسة في نظر البابويين هي غنيمة وإستيلاء [قم يا بطرس ، واستول على بلاد الغرب] !!
هذه ليست روح المسيح .

أما القديس بولس الذي قال عن نفسه - بالروح القدس - أنه تعب أكثر من جميع الرسل ، فيقول عنه نفس الكاتب : [وتعب بولس أيضاً في تلك الكنيسة (رومية) ، فأصبحت حقاً أم الكنائس] . إلا أننا نلاحظ في كل ما تبقى لدينا من الآثار التاريخية أن منزلة بطرس وبولس في كنيسة روما ليست واحدة ، بل بطرس هو الأول والأكبر ، وبولس هو الثاني . وأما التصاوير التي تمثلهما معاً ، فمنها ما يجعل بطرس جالساً وبولس واقفاً أمامه ومنها ما يمثل بطرس بأثواب مزركشة وبولس بثياب بسيطة . ومنها ما يمثلهما جالسين كليهما ، لكن كرسي بطرس بمسند لظهره ، وبولس بغير مسند ... !!

وكدليل على الانحراف البابوي ، نسوق هنا بعض فقرات مما قاله الأب اليسوعي Marin de Boy Lesve عن بطرس (١٥) :

[بطرس هو الأساس . وكل مَنْ لا يستند عليه ، ليس من الكنيسة] .
Pierre est le fondement. Tout ce qui ne repose pas sur lui n'est pas de l'Eglise .

[بطرس يمسك مفاتيح مملكة السموات . وهو وحده الذي يستطيع أن يمنع الدخول أو يسمح به] .

Pierre tient les Clefs du royaume des cieux. Lui seul peut exclure et introduire.

[بطرس يربط أو يحل الضمائر ، هو يغفر الخطايا أو يبقئها] .

Pierre lie ou délie les consciences, il remet ou retient les péchés .

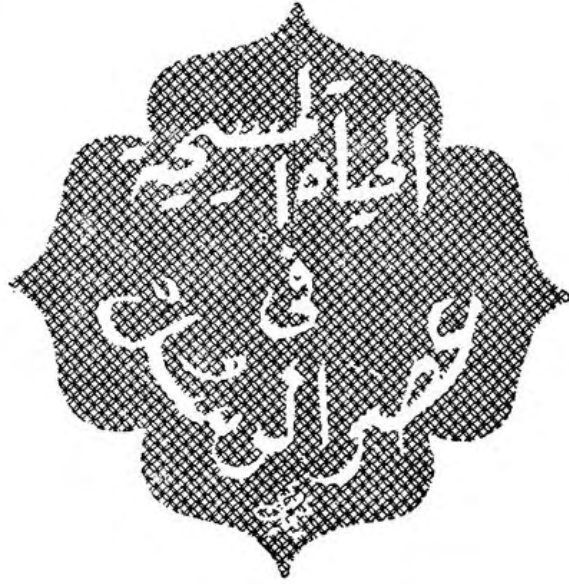
(95) Le Pope et l'Eglise, p. 18.

Pierre ne peut faillir dans la foi. À lui seul d'affermir ses frères.

وبعد ... إذا كانوا قد نسبوا كل هذه الحقوق لبطرس . فماذا أبقوا
للمسيح الإله؟! هذه الروح التي تعبر وتكشف عن ظلام العصور الوسطى ،
نرجو أن تكون قد زالت الآن تماماً ، وحل محلها روح المسيح القائل : «أما
أنتم فلا تدعوا سيدى ، لأن معلمكم واحد المسيح ، وأنتم جميعاً إخوة»
(مت ٢٣ : ٨) .

أما القديس بطرس فهو برىء كل البراءة مما نسبته إليه البعض ...
فتصرفاته وكتاباتاته تظهرانه بمظهر القديس الوديع الهادى .. فبعد أن إستدعاه
كرنيليوس قائد المائة ، إستقبله فى بيته وسجد واقعاً على قدميه . أما هو فأقامه
وقال : « قم أنا أيضاً إنسان » (أع ١٠ : ٢٥ ، ٢٦) ... وفى رسالته الأولى يخاطب
الكهنة قائلاً : « أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم ، أنا الشيخ رفيقهم » (١ بط ٥ :
١) ... هذه الكلمات التى تدحض كل إدعاء للرئاسة ... والتى حوتها رسالة
تفيض عذوبة .. يتحدث فيها معلمنا بطرس عن الإلتضاع « كونوا جميعاً خاضعين
بعضكم لبعض . وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين ، وأما المتواضعون
فيعطيه نعمه . فتواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعكم فى حينه » (١ بط ٥ :
٦ ، ٥) ... وبعد أن اصطدم به القديس بولس ، وقاومه مواجهة أمام الجميع فى
أنطاكية — بسبب موقفه الذى اعتبره بولس رياء — إستشهد بكتاباتاته فى رسالته
الثانية وقال : « كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة
له » (٢ بط ٣ : ١٥) .

الباب الرابع



+ قوة المسيحية الروحية .

+ الكنيسة والرعاية .

الخدام — الرعاية الإجتماعية —

الرعاية الروحية والأدبية — التعليم .

+ بعض مبادئ مسيحية .

+ أسماء المؤمنين .



ظهرت المسيحية على مسرح الحياة ديانة فائقة ، تدعو لحياة جديدة روحية متميزة عن الحياة الفكرية والأدبية ، بكونها حياة القداسة والسلام ، وحياة الشركة مع الله والاتحاد به ... إنها حياة خالدة ، تبدأ بتجديد القلب ، وتصل إلى ذروتها في القيامة ... هذه الحياة تمسك بزمام أعماق الإنسان ، وتعتقه من سلطان الخطية ، وتحضره في وحدة حية مع الله في المسيح ... ومن هذه الأعماق هي تعمل كقوة مطهرة مجددة ، ومنظمة لكل قدرات الإنسان وعواطفه وإرادته وأفكاره ، بل وحتى الجسد تحوله إلى هيكل للروح القدس ...

والمسيحية تسمو فوق جميع الأديان في نظرية الفضيلة والتقوى وممارستها ، وتقدم أرفع مستوى لمحبة الله والإنسان . وليست هذه عقيدة مجردة ، أو شيئاً صعب المنال نترجاه فقط ، لكنها حقيقة حية في الرب يسوع المسيح ، الذي لحياته ومثاله وخلاصه ، قوة وسلطان أكثر من كل قوانين ونواميس الحكماء والمشرعين ... فالأعمال تعلن عن ذاتها دوماً بصورة أقوى من مجرد الكلمات ... إن شخصية السيد المسيح من المذود إلى الصليب هي بلا لوم ... إنه فوق مستوى الخطية والشر « مَنْ مِنْكُمْ يَبْكُنُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ » ... هذا ما اعترف به الأصدقاء والأعداء ، إنه أظهر وأحكم إنسان ظهر على الأرض ... قد تهبط الكنيسة المسيحية — كجماعة مؤمنين فقط — في مستواها الروحي على أيدي بعض القادة الأشرار ، لكن تبقى تعاليم وحياة مؤسسها قائمة دائماً ، كمصدر للكمال ، وينبوع للتطهير ...

لم تستطع أعظم أساليب الفكر والفلسفة أن تجد العالم وتغلبه . لكن هذا ما فعله إنجيل المسيح ، ومازال يعمل حتى الآن . لقد أجاز حكماء اليونان والرومان ألواناً من الشرور ، وناقضوا مبادئهم بسلوكهم ... واليهود — على الرغم من

أنهم كانوا فى مستوى أرفع من مستوى الوثنيين من جهة الفضيلة — لكن أحداً من بطاركتهم أو أنبيائهم لم يصل إلى الكمال . ويروى الكتاب المقدس فى أمانة أخطاء هؤلاء جميعاً إلى جانب فضائلهم ... أما المسيحية ، فبلسان رسولها العظيم بولس تنادى منذرة كل إنسان ، وتعلم كل إنسان بكل حكمة ، لكى تحضر كل إنسان كاملاً فى المسيح يسوع (١ كو ١ : ٢٨) .

الحياة المسيحية هى إقتداء بحياة المسيح ... ومن كلمته وروحه الذى يعمل فى أسرار الكنيسة المقدسة ، يتدفق سيل لم يتوقف من القوة المقدسة على الأفراد والأسرات والشعوب لنحو عشرين قرناً من الزمان ... وسيظل الأمر على هذا النحو حتى يصبح الله الكل فى الكل ... فكم من أشرار بلغوا عمق الرذيلة ، رفعتهم المسيحية إلى علو الفضيلة . وكم من قتلة ولصوص وزناة وأشرار ، تبدلت حياتهم بقوة المسيحية ونعمتها ، وصاروا قديسين ... لقد إستطاعت المسيحية بقوتها وفعالية نعمتها أن تحول الذئاب المفترسة إلى حملان وديعة .

والآن نعرض لبعض مظاهر قوة المسيحية الروحية :

المسيحية والفرد :

إن خطة المسيحية فى الإصلاح تبدأ دائماً من الداخل . والثورة الروحية والأدبية والفكرية الكبيرة التى أحدثتها فى العالم ، كانت بدايتها فى النفس البشرية . فهدف المسيحية الأول أن يتغير الفرد ، وعن طريقه تقوم بعملها فى تحويل الأسرة ثم المجتمع الكبير ... لقد نظرت المسيحية إلى الفرد على أنه نواة الأسرة ونواة المجتمع المحلى ، بل ونواة العالم الكبير . ومن ثم إهتمت بحياته وتجديدها ، وجعلت منه الرافعة التى رفعت بها العالم القديم إلى سمو الفضيلة (١) ...

هكذا ظهرت فعالية المسيحية الروحية المجددة ، أول ما ظهرت فى حياة الأفراد .

(1) De Pressensé, Vol. 1, p. 386.

وقد إرتفع الرسل والمسيحيون الأوائل إلى درجة من القداسة والفضيلة ، أعلى بكثير مما أحرزه أبطال الفضيلة في أية ديانة أخرى ، بما في ذلك اليهودية . كانت حياتهم اليومية شركة حياة مع المسيح . وقدموا بسيرتهم نماذج من فضائل لم تكن معروفة في كمالها قبل المسيحية ، كالإتضاع ومحبة القريب ، ومحبة الأعداء ... لقد عاشوا حياة الكمال ، وكانوا نوراً للعالم وملحاً للأرض . وكانوا أمناء في حفظ وصية سيدهم المبارك ، وأظهروه نوراً للعالم ، إستضاء به كل الجالسين في ظلمات الخطية والجهل ... وقدموه بحياتهم صورة حياة ، فيما إصطلح العلماء على تسميته [الإنجيل غير المكتوب] (٢) .

المسيحية والمرأة :

لم يكن تأثير المسيحية قاصراً على الرجال ، بل تعداه إلى النساء ... لقد رفعت المسيحية المرأة من مرتبتها الذليلة التي كانت عليها في اليهودية والوثنية ، إلى مكانة ممتازة ذات أهمية ، فأضحت وارثة لنفس الخلاص مع الرجل (١ بط ٣ : ٧ ؛ غل ٣ : ٢٨) وفتح لها آفاقاً لأنبيل الفضائل ... لم يكن للمرأة في العالم الوثني وضع وسط . فإما الحبس الكامل الذى ينطوى على الكسل والبلادة ، وإما الإنطلاق في حياة الجسد والخلاعة ... لكن المسيحية رفعت من قدرها وجعلتها عوناً للرجل (٣) .

وتمثل العذراء مريم أم مخلصنا نقطة التحول في تاريخ المرأة . فهي كأم للمسيح — آدم الثانى — تقابل حواء ، وبالمفهوم الروحي أم كل حى ، بحسب تعبير القديس إيريناوس ... فيها وبها — وهى المباركة في النساء — بورك كل جنسها ، وأزيلت عنه اللعنة والعار ... نرى فيها مثال الأنثى المسيحية في الطهارة والبرقة والبساطة والتواضع والطاعة الكاملة والتسليم لله بلا تحفظ ...

(2) Hill, p. 41; Schaff, Vol. 1, p. 441.

(3) De Pressensé, Vol. 1, p. 388.

والى جانب العذراء يقدم لنا الإنجيل مجموعة كبيرة من التلميذات والمحبات ، إلتففن حول الرب وخلدت أسماؤهن ... من بينهن مريم زوجة كلوبا ، وسالومي أم يعقوب ويوحنا ، ومريم ومرثا ، ومريم المجدلية ، والمرأة الخاطئة التى غسلت قدمي الرب بدموع توبتها ، ومسحتهما بشعر رأسها ... يضاف إليهن بعض النساء النبيلات خدمن ابن البشر بعواطفهن وأموالهن مدة حياته فى الجسد التى عاشها فى فقر على الأرض (٤) . واجتمعن أخيراً حول الصليب ، وكن أول من ولجن قبره فجر القيامة (لوقا ٢٤ : ١-١٠) .

وفى الفترة بين القيامة وحلول الروح القدس ، كانت إجتماعات الصلاة التى يعقدها الرسل فى عليية صهيون ، تواظب عليها النساء والعذراء مريم (أع ١ : ١٤) ... بل إن هذه العلية التى أصبحت أول كنيسة مسيحية فى العالم ، كانت فى بيت امرأة ، وهى مريم أم يوحنا الملقب مرقس وهو كاروز بلادنا (أع ١٢ : ١٢) ... ومنذ البداية ، سمح للمرأة - فى حدود معينة - أن تشارك فى خدمة الكنيسة «لأن الرجل ليس من دون المرأة ، ولا المرأة من دون الرجل فى الرب . لأنه كما أن المرأة هى من الرجل . هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة» (١ كو ١١ : ١١، ١٢) ... وسنعود إلى معالجة هذا الموضوع .

المسيحية والزواج والأسرة :

من أجل وأنبل الأشياء التى خلقتها المسيحية ، الأسرة . فالمسيحية برفعها المرأة ، لمكانتها وحريتها الحقيقية ، غيّرت وقدست حياة الأسرة كلها . فهى تحرم تعدد الزوجات ، وتعتبر الزواج الواحد هو الوضع الإلهي السليم ... إنها تدين نظام المحظيات بكل مظاهر عدم الطهارة والدنس ، وتظهر الواجبات المشتركة للزوج والزوجة ، وللآباء والابناء فى صورتها الحقيقية ... فالزواج فى المسيحية - كما علمت عنه - هو عمل إلهي ، وليس نتيجة لتطور تدريجي فى تاريخ البشر ...

(٤) انظر : مت ٢٧ : ٥٥ ، مر ١٥ : ٤١ ، لو ٨ : ٣ .

« الذى خلق من البدء خلقهما لا كزوجة وبنى من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مت ١٩ : ٤-٦) .

لقد رفعت المسيحية الزواج إلى مرتبة السر المقدس « يكون الاثنان جسداً واحداً » ، والله — فى سرّ الزواج — بروحه هو الذى يقوم بهذه المهمة ... وقد أكد القديس بولس هذه الحقيقة ، كما أوضح علاقة التعاطف بين الزوج وزوجته . وشبه إتحاد الرجل بالمرأة فى سرّ الزواج ، باتحاد المسيح بكنيسته (أف ٥ : ٢٨-٣٣) ... ولدينا عينة مباركة من العصر الرسولى ، أكيليا وبريسكلا ، اللذان عاونا القديس بولس فى خدمته الكرازية (أع ١٨ : ٢، ٢٦) .

وقد بدأت علاقة الوالدين بأولادهم طوراً جديداً بواسطة المسيحية ... فحل الحب المسيحى محل قسوة الأب الرومانى . فالوالدون عليهم أن يحبوا أولادهم ولا يغيظوهم ، وعلى الأولاد أن يطيعوا والديهم ... لكنها علاقة غير قائمة على الخوف (أف ٥ : ١-٤) .

والقديس بولس يظهر لنا المثال الحلو للأم المسيحية حينما يقول عنها إنها : « ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل » (١تى ٢ : ١٥) ... إنه يرى فى المرأة المسيحية ، حواء التى تلد الذرية المباركة التى تسحق رأس الحية ، والتى تنجب للعالم يوماً فيوماً خداماً لله ، ينشرون عمل الخلاص ويتممونه . هؤلاء الأولاد تغذيهم الأم بالتعليم المسيحى ... وهكذا تكون الأسرة المسيحية .

ويؤكد قدسية الزواج فى المسيحية ووضعه الإلهى ، عدم الطلاق ... وكان الطلاق فى العصر الرسولى أمراً شائعاً وشرعياً ومألوفاً ، سواء بين الوثنيين أو اليهود ... والرب يسوع نفسه هو واضع أساس هذه العقيدة ... فلا طلاق إلاّ لعلّة الزنا ...

الزواج المختلط :

وهو من المشاكل التي واجهتها الكنيسة منذ عصرها الرسولى ... ويقصد به أن يكون أحد الزوجين مسيحياً والآخر غير مسيحى (وثنى أو يهودى) ... كان من الطبيعى أن يظهر هذا الموضوع كمشكلة منذ فجر المسيحية ... ففيما يعرض الإيمان المسيحى ، كان يحدث أن تؤمن الزوجة بالمسيحية مثلاً ، ولا يؤمن زوجها ، وقد يحدث العكس . وتبعاً لذلك فكر الطرف المنتصر أن يتحلل من رباط الزوجية ، ظناً منه أنه أصبح فى وضع غير إلهى وغير مقدس ...

لكن الكنيسة — بالنسبة لهذا الوضع الخاص (٥) — صرحت باستمرار هذا الزواج المختلط قائم فعلاً ، واعتبرته مقدساً ... ومن ناحية أخرى لم تصرح بأن يبدأ أحد أعضائها المؤمنين علاقة زوجية جديدة بزواج مختلط .

أثيرت هذه المشكلة فى كنيسة كورنثوس ، وأرسل المؤمنون إلى القديس بولس ، يطلبون رأيه ... فكان جوابه بالنسبة للزواج القائم والسابق على الإيمان ... « إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترضى أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التى لها رجل غير مؤمن ، وهو يرضى أن يسكن معها فلا تتركه . لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة ، والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل . وإلاً فأولادكم نجسون . أما الآن فهم مقدسون » (١ كو ٧ : ١٢-١٤) . وكانت الكنيسة تهدف بهذا التصريح ، إلى خير أولادها واستقرارهم ... يضاف إلى ذلك أن الكنيسة كانت واثقة من أن الطرف المؤمن فى مثل هذه الأسرة ، قادر — بما له من إمكانيات روحية وأدبية — أن يجذب ويربح للمسيح الطرف الآخر غير المؤمن (٦) .

كان هذا إستثناء بالنسبة لوضع خاص وقائم فعلاً كما أوضحنا ... أما بالنسبة لبدء علاقة زوجية جديدة بزواج مختلط ، فقد نهى عنه الرسول بولس فى نفس (٥) هو وضع خاص فعلاً لأن الزواج كان قائماً قبل إيمان أحد الطرفين ، وقد يكون الزوجان قد أنجبا نسلأ .

(٦) انظر (١ بط ٣ : ١) ، وكيف أن الأزواج غير المؤمنين يربحون بسيرة زوجاتهم بدون كلمة أو وعظ !!

يرتبط بالرهينة التي أخذت وضعها كنظام في النصف الثاني من القرن الثالث .

وموجة الحماس الشديد للسمو عن الجنس والجسد ، لم تقتصر على مَنْ لم يتزوجوا ، بل تعدّتهم إلى المتزوجين أيضاً ، فامتنع البعض كلية عن المعاشرات الزوجية ، وعاشوا مع بعضهم كإخوة وأخوات^(٩) ، الأمر الذي دعا القديس بولس إلى التدخل ، لينظم موضوع المعاشرات الزوجية بين المتزوجين (انظر ١ كو ٧ : ٣ - ٧) ... كما ظهر في تلك الفترة ما عُرف باسم « الزواج الروحي » ، وهو أن يعيش رجل مع امرأة في بيت واحد ، في إخوية روحية تقوية ، بدون علاقة جنسية^(١٠) .

ويحاول البعض أن يقلل من قيمة كلام الرسول عن البتولية ، فيقول إن كلام بولس في هذا المقام موجه للخدام ، وبالذات الذين يشتغلون بالكراسة ، على إعتبار أن هذا اللون من الحياة يناسبهم أكثر من الارتباط ببيت وزوجة وأولاد ... لكن الرسول يتكلم كلاماً عاماً يوجهه لجميع المؤمنين ، ويقول : « حسن للرجل أن لا يمس امرأة » . وهنا يتكلم عن أى رجل ، وليس الخادم ... والكلام كله يسير على هذا النمط ، وبنفس النغمة ... (انظر ذهبي الفم في تفسيره للاصحاح السابع من الرسالة الأولى إلى كورنثوس N.P.N.F., Vol 12 p. 105) .

وقد شجع على الحماس للبتولية ، حياة العذراء مريم وميلاد الرب يسوع منها

(٩) قال بطرس للسيد المسيح « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » ، فكان جواب الرب عليه « ليس أحد ترك بيوتاً أو إخوة ... أو امرأة (زوجة) » (مت ١٩ : ٢٩ ؛ مر ١٠ : ٢٩ ، ٣٠ ؛ لو ١٨ : ٢٩) ويتضح من رد السيد المسيح العالم بالخفايا ، أن عملية الترك التي أشار إليها بطرس كانت تشمل الزوجات أيضاً ، بمعنى الامتناع عن المعاشرات الزوجية ، والعيشة معهن كأخوات ... يؤكد ذلك ما قاله بولس « أعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وإخوة الرب وصفا (بطرس) » (١ كو ٩ : ٥) ... ومن كلام بولس أن الزوجة صارت أختاً .

انظر تاريخ سوريا ج ٢ مجلد ٣ ص ٤٤٦ نقلاً عن كليمنطس الاسكندري وذهبي الفم ؛
Jerome, Against Jovinianus, 1.26.

(10) Lietzmann, A History of the Early Church, p. 153; Carrington, Vol. 1, p. 136.

وقد تدخلت الكنيسة ومنعت هذا النوع من الزواج لما نتج عنه من أخطاء وانحرافات .

وهى عذراء ، وحياة يوحنا المعمدان ، بل وحياة الرب يسوع نفسه (١١) ، كما شجعته ، تلك الحقيقة التى علّمت بها المسيحية ، أن المؤمنين هم أعضاء فى جسد المسيح وهيكل للروح القدس (١ كو ٦ : ١٥ ، ١٩) ... وشجع على حياة التبتل أيضاً ما كشفه القديس يوحنا فى رؤياه عن مركز البتولين فى العالم العتيد ، حينما ذكر المائة والأربعة وأربعين ألفاً المصاحبين للخروف على جبل صهيون السمائي ، الذين يترنمون بترنيمة خاصة بهم ، وقال عنهم : « هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أبكار ... » (١٢) (رؤ ١٤ : ١ - ٥) .

وقد أفاض آباء الكنيسة الأوائل فى مدح البتولية وتمجيدها (١٣) . وأظهرت الكنيسة تقديرها لها فى معاملة المتبتلين وأماكن جلوسهم فى الكنيسة . فرتبت أن يجلسوا فى الصفوف الأولى قبل بقية المؤمنين (١٤) ... ومما يوضح شرف التبتل والعفة فى كنيسة الرسل ، أن المتزوج ثانية كان لا يتمتع بشرف الكهنوت ... هكذا إشتراط القديس بولس فى الأسقف والشماس أن يكون كل منهما بعل امرأة واحدة (١٥) ... وحينما يقول : « بعل امرأة واحدة » ، لا يقصد تعدد الزوجات ، فهذا الأمر لا وجود له فى المسيحية ، لكنه يقصد ألا يكون قد إرتبط بأكثر من زيجة واحدة ... وحتى الأرملة ، التى لها وضع خاص وتخدم فى الكنيسة ، لا تحتسبها الكنيسة فى صفوف الأرامل إلا إذا كانت قد تزلت بعد زيجة واحدة (١٦ : ٥) .

(11) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 1, p. 323.

(١٢) أبكار وليس أطهار كما فى الترجمة البيروتية المتداولة ... هكذا فى كل الترجمات القديمة وحتى الحديثة أيضاً .

(١٣) نذكر من الآباء الرسولين والمعلمين الأوائل هرماس وأغناطيوس الشهيد ويوستينوس الشهيد وإثيناغوراس وأوريجينوس .

(14) Constitutions of the Holy Apostles, 2.7, 4.14, 8.24; Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 2019.

(١٥) ١ : ٣ ، ٢ : ١٢ ، ١ : ٦ .

المسيحية تعلم وتنادى بالمحبة ... وإن كان أساس المحبة في الفرد والأسرة لكنها لا تقف عند هذه الحدود . إنها تشمل كل البشر وتضمهم بين ذراعى حنوها ... فبينما أقامت الروح القومية قديماً ، حواجز ضخمة بين الشعوب المختلفة (يهود وأمم ، ورومان ويونان وبرابرة) حتى كانوا كالأغريباء بالنسبة لبعضهم البعض ، إذ بالمسيحية تزيل هذه الحواجز جميعاً ، وتعلم أن الله « صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض » (أع ١٧ : ٢٦) ...

وبتمجيد فكرة الإنسانية ووضعها فوق القومية ، غيرت المسيحية بالتدريج وجه العالم القديم ، وطعمت فكرة الوطنية الجامدة بمشاعر أنبل وأفكار أرحب (١٦) .

لقد تغلغلت المسيحية في حياة الناس المدنية والإجتماعية بفضيلتها وأدبياتها وقادتهم في الطريق نحو التمدين الحقيقي ... هى لا تقدم شكلاً معيناً للحكم ، بل إنها تمتنع عن كل التدخلات الخاطئة في الشؤون السياسية الدنيوية ... هى تستطيع أن تحيا في ظل أى نظام من أنظمة الحكم ، ويمكنها أن تنتعش تحت ضغط واضطهاد الحكومات ، على نحو ما تُظهر الفترة المبكرة من تاريخها ... لكنها تعلن واجبات الحكام والرعية ، وتشجع على إبطال القوانين والأنظمة غير الصالحة ، وإحلال ما هو صالح بدلها ... وهى لا تقر الحكم الاستبدادى والفوضى ، وقيل — تحت كل وضع من أوضاع الحكم — نحو النظام واللياقة والعدل والإنسانية والسلام .

والإنجيل يصلح العلاقات الدولية ، ويهدم فواصل البغضة والكراهية بين مختلف الأمم والأجناس ... إن روح المسيحية روح مسكونية جامعة ، تسمو على كل النزعات الإقليمية ، على نحو ما كان المسيحيون جميعاً في كنيسة أورشليم « قلباً واحداً ونفساً واحدة » (أع ٤ : ٣٢) ... لقد وقع لها بعض الاضطرابات

(16) De Pressensé, Vol. 1, p. 393.

العرضية والاصطدامات الوقتية، santamariaegypt.org بولس وبطرس ، وبين المنتصرين من اليهود والأمم ، لكن لا تأخذنا الدهشة ، بل نعجب على الغلبة المتواصلة لروح الإنسجام والمحبة على الطبيعة القديمة المتبقية ... فلقد أرسل مسيحيو كنائس بولس الأمميون الفقراء في اليونان ومقدونية إحساناتهم لليهود المنتصرين في أورشليم . وهكذا برهنوا على عرفانهم للإنجيل وشركته التي اقبلوها من الكنيسة الأم بأورشليم (١٧) .

المسيحية والرق :

سبق أن أشرنا إلى الرق في العالم الوثني ، وما وصل إليه العبيد من مذلة واحتقار وسوء معاملة ... هذا في الوثنية ، أما اليهودية فقد أظهرت معاملة أفضل للعبيد ، فأوصت بعدم إساءة معاملتهم ، وأمرت بعق جميع العبيد اليهود في سنة اليوبيل ، التي تقع كل خمسين سنة (لاووين ٢٥ : ٣٩-٤٦) .

جاءت المسيحية ولم تصدر تشريعاً عاماً وصريحاً ضد نظام الرق ، بل على العكس تقابلنا بعض نصوص في رسائل الرسل تدعو العبيد إلى الطاعة الكاملة لسادتهم حسب الجسد ، وتقديم الإكرام والخضوع اللائقين بهم (١٨) ... وهذا ما دعا بعض أعداء المسيحية إلى أن يأخذوا عليها هذا الموقف ، إنها لم تطالب بالغاء الرق ، بل شجعت عليه .

والواقع أن الإنجيل — بروحه العام أكثر من أى نص خاص — قاوم روح التعسف المستمر والتحقير الأدبي نحو فئة الأرقاء ... وهو لم يوص في أى موضع منه بالعنف الخارجى أو المقاييس الثورية ، لأن ذلك — فضلاً عن كونه يتعارض مع طبيعة المسيحية ورسالتها — فإنه كان عديم الجدوى ، بل ضار في تلك الأزمنة ... وعوضاً عن ذلك ، عالج المشكلة علاجاً جذرياً

(17) Schaff, Vol. 1, pp. 448, 449.

(١٨) انظر : كو ٣ : ٢٢ ؛ ١ ؛ ٦ : ١ ؛ ١ ؛ بط ٢ : ١٨ .

داخلياً ، هادفاً بالدرجة الأولى إلى تطهير حدة الشر ونزع شوكته ، وأخيراً أبطاله كلية (١٩) .

فالمسيحية تهدف قبل كل شيء إلى تحرير الإنسان — دون نظر إلى رتبة أو وضع إجتماعى — من أشد أنواع العبودية ، ألا وهى عبودية الخطية ، وتهبه حرية روحية حقيقية ، وتؤكد الوحدة الأولى لكافة البشر المخلوقين على صورة الله ، وتعلم بالفداء العام ، والمساواة الروحية للجميع قدام الله « ليس عبد ولا حر .. لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » (غل ٣ : ٣٨) ...

لقد تصرفت المسيحية إزاء مشكلة العبيد ، بنفس طريقة الحل الموضوعى المنهجى ، الذى عاجلت به كثيراً من مشكلات الحياة . إنها تهتم أولاً ودائماً بالعلاج الجذرى ... تهتم بعلاج أساس المشكلة ، لأن فى هذا حسم للمشكلة وإستئصال لها من جذورها . ومن ناحية أخرى تهتم أن يكون علاجها سلمياً بما يتفق وطبيعة رسالتها ... فنحن نرى أنها إهتمت بعلاج المشكلات الروحية جذرياً فعاجلت القتل بالنهى عن مجرد الغضب « كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً فهو قاتل نفس » (١ يوحنا ٣ : ١٥) . وعاجلت شهوة الجسد وأنواع الزنا ، بالنهى عن مجرد النظرة المصحوبة بشهوة جسدية (مت ٥ : ٢٨) ... وهذا يتفق مع منهجها ، الذى يقضى بعدم وضع رفعة جديدة على ثوب عتيق ، أو خيراً جديدة فى زقاق عتيقة ... لأنه ماذا يحدث لو لم يراع هذا المنهج ؟ الجواب بضم رب المجد ... « يصير الخرق أردأ ... والخمر تنصب والزقاق تتلف » (مت ٩ : ١٦ ، ١٧) .

هذا هو ما علمته المسيحية إزاء مشكلة الرق والعبيد ... لقد نادت بالاصلاح الأدبى ، دون أن تدخل فى صراع مع الدولة وتشريعها الخاص بالعبيد ... لم يكن من رسالتها الروحية ، ومبادئها التى حددتها لنفسها ، أن تعلن أو تطلب — من الوجهة القانونية — إنهاء نظام الرق . لو فعلت ذلك لجعلت من نفسها قوة سياسية ، وتدخل فى صراع مسلح ، وتعرض ما يؤخذ بالسيف إلى أن يفقد بالسيف ... ما كان أسهل على المسيحية ، أن تصدر شعارات

(19) Schaff, Vol. p. 445.

براقة تخص العبيد وتحريرهم (٢٠)، حتى لما اكتسبهم إلى صفوفها، لكنها لم تفعل شيئاً من ذلك. كان ذلك معناه قيام العبيد بثورات عارمة، لم تكن جديدة عليهم، فقد قاموا بعدة ثورات قبل ذلك وسحقها قوات الدولة وانتهت إلى لا شيء. كانت إيطاليا في ذلك الوقت قد سحقت لتوها إحدى ثورات العبيد بكل صعوبة، وكانت يقظة لأية محاولة أخرى (٢١). إن تحريك مثل هذه الثورات كان لا يؤدي إلى التقدم خطوة واحدة نحو الحرية.. بل في هذه الحالة، كان أمام المسيحية طريقان: إما أن تزول، وإما أن تتوقف عن أن تكون ديانة الروح...

ومن ناحية أخرى، فإن العبد الذى حطم قيود عبوديته المادية، ونال الحرية قبل أن يتحرر داخلياً (روحياً) لا يكون قد تحرر حقاً... فقد يبقى على كل ردائل العبودية، ويستخدم حريته المكتسبة وقوته، إستخداماً إستبدادياً خاطئاً.. وفي هذه الحالة كانت العبودية ستظل باقية بكل فظاعتها، مع تغير واحد، هو أن المضطهدين سيتحولون إلى مُضطهدين...

كان من الأهمية بمكان إذن، أن تحرص الكنيسة على عدم إحداث هزة في المجتمع يتعرض معها الجميع، وتعرض رسالتها إلى خطر محقق... لم تبطل الكنيسة الرق بنص صريح، لكن من الإنصاف القول إنها قوضت هذا النظام بما أحدثته من تغييرات جوهرية في حياة الإنسان. والنتيجة، أنه حينما يفقد ذلك المخلوق البائس — الذى كان يعامل كآلة صماء أو كجسد بلا نفس — لكرامته الأدبية، وحقوقه وواجباته، تبطل الحجة لإبقائه في العبودية. والمسيحية وقد ظهرت أولاً حامية للعبد في ضعفه، كانت تميل دائماً إلى تحريره الكامل (٢٢).

(٢٠) كان عدد العبيد في حكم الإمبراطور كلوديوس (حوالى منتصف القرن الأول الميلادى)، يوازى نصف سكان الإمبراطورية الرومانية كلها، أى حوالى ستين مليوناً حسب تقدير المؤرخ جيبون . Gibbon

(21) Hill, pp. 235-237.

(22) De Pressensé, Vol. 1, pp. 430-433.

١ - كان أول ما ينبغي عمله هو إصلاح حالة العبيد بتبني قضيتهم وحمايتهم من سوء معاملة سادتهم ... كان السادة غير المؤمنين خارجين عن سلطان الكنيسة ، أما المؤمنون فكانت توصيهم باللطف وطول الأناة والعدل ، وتناشدهم أن يعاملوا عبيدهم معاملة حسنة « وأنتم أيها السادة ، افعلوا لهم (العبيد) هذه الأمور ، تاركين التهديد ، عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً في السموات ، وليس عنده محابة » (أف ٦ : ٩) .

لقد أعاد القديس بولس ثانية ، العبد اللاجئ إليه — إنسيموس — إلى مولاه الأرضي فليمون ، بعد أن جذبه إلى معرفة المسيح . لكنه أوصى فليمون أن يقبل العبد ويعامله فيما بعد كأخ محبوب في المسيح ، بل كأحشاء الرسول (فل ١٢ ، ١٦) ... من المستحيل أن نتصور إمكان وجود علاج أفضل من ذلك . ومن المستحيل أن نجد في الأدب القديم ، ما يوازي رسالة بولس الرسول القصيرة إلى فليمون ، والمملوءة لطفاً ورقة وإنسانية ، فضلاً عن المشاركة الرقيقة لعبد مسكين (٢٣) .

٢ - كانت المعاملة القاسية التي يلقاها العبد من سيده المؤمن ، سبباً كافياً لطرد ذلك السيد من جماعة المؤمنين . كما كانت الكنيسة تسقط لقب مسيحي عمّن يسيئون معاملة تابعيهم وخدمهم (٢٤) .

٣ - ولم يكن مجرد إعطاء الحماية والمعاملة الحسنة للعبيد كافياً ، بل كان على السادة أن يسموا بهم أديباً ، فيعلمونهم الحق ، ويقودونهم إلى النور ...

(23) Schaff; Vol. 1, p. 446.

أمرت قوانين الرسل بأن يمنح العبيد راحة من العمل في بعض المواسم والتذكارات الدينية ، وقد حددتها كالاتي : السبت والأحد أسبوعياً ، وأُسبوع البصخة ، والأسبوع التالي لتذكارات القيامة ، وفي تذكارات الميلاد والغطاس والصعود وحلول الروح القدس وتذكارات إستشهاد بعض الشهداء وفي مقدمتهم استفانوس . انظر : Constitutions of the Holy Apostles, 8.33.

(24) Constitutions of the Holy Apostles, 4. 6.

وكان على السيد المسيح أن يكون مستعداً أن يضع نفسه ليكون معلم عبده طواعية ، تحركه غيرته نحو أخيه العبد إلى ذلك الواجب ... وكان السادة يتمنون هذا الواجب المقدس الصعب عن حب . هذا الأمر دعا الفيلسوف الوثني كلسوس لأن يسخر من المسيحية لعنايتها بالعبيد . فرد عليه أوريجينوس موضحاً أن المسيحية آثرت الاتجاه إلى منبوذى العالم القديم ، مبتدئة بالعبيد ، الذين لم يفكر فيهم أحد . وقال له : [نحن نشعر أننا مدينون للعقلاء والجهلاء .. نحن لا نرفض أحداً ، ولا حتى العبد العادى . فنحن نميل نحوه كما إلى طفل أو امرأة جاهلة ، آمليين أن نجعله في وضع أفضل] (٢٥) .

٤ - ما أن يقبل العبيد والإماء الإيمان المسيحى ، حتى كانوا يحصلون على عضوية الكنيسة كاملة ، ويرفعون فيها إلى مستوى الأحرار . كانوا يعتبرون إخوة وأخوات للمؤمنين بكل ما في هذه الكلمة من معنى . وقد أشار بولس في رسالته إلى كولوسى إلى « أبفراس العبد الحبيب معنا ، الذى هو خادم أمين للمسيح » (كو : ١ : ٧) ... ليس في الكنيسة أى أثر للفوارق الاجتماعية بين المسيحيين في أوقات العبادة . والفاصل الوحيد كان هو الذى يفصل الموعوظ عن المؤمن ، والجنسين عن بعضهما (٢٦) ... بل ربما كان العبد في حالة أفضل روحياً ، حينما يكون هو مؤمناً وسيده ما يزال موعوظاً ... والعبد الذى يسجد جنباً إلى جنب مع سيده في عبادة نفس الإله ، لا يمكن أن يستمر فيه الاحساس بعدم الكرامة ، أو مركب النقص الذى يرتبط بوضعه الاجتماعى . وقد أوجبت قوانين الرسل على السيد أن يحب عبده كابن أو كأخ بسبب إيمانهم الواحد (٢٧) .

٥ - كان في إمكان العبد أن يقبل أية وظيفة كنسية ، حتى الأسقفية ، إذا دعى إلى ذلك (٢٨) ... ولدينا مثل على ذلك ، كلستوس Callistus الذى كان

(25) Origen, C. Celsum, 3. 49.

(26) Constitutions of The Holy Apostles, 2. 58; De Pressensé, Vol. 1, pp. 434-436.

(27) Constitutions of the Holy Apostles, 4.12.

(28) Ibid, 7. 46

عبداً مسيحياً لسيد مسيحي ، ووصل إلى منصب أسقف روما (٢١٧ — ٢٢٢) وذكر في قوانين الرسل أن أنسيموس الذى كان عبداً لفليمون رسم أسقفاً على بيرية (٢٩) .

٦ - وبفضل جهود الكنيسة فى التعليم ورعايتها الروحية ، أخذ كثير من السادة المسيحيين يعتقدون عبيدهم المسيحيين ... وكثيراً ما كان يتم عتق العبيد وتحريرهم فى الكنيسة ، فى أيام الأعياد الكبيرة ، وعلى الأخص عيد القيامة ، تذكراً لعمل المسيح الفادى الذى حررنا من أسر إبليس ... وكان ينظر إلى هذا العمل كعمل من أعمال الرحمة المقبولة لدى الله (٣٠) .

٧ - ونظراً لأن الحياة الدينية للعبيد المسيحيين الذين يعملون مع سادة غير مسيحيين كانت فى خطر ، فالكنيسة فى بعض الأحيان ، كانت تشجع السادة الوثنيين على تحرير عبيدهم المسيحيين مقابل فدية مالية تدفعها الكنيسة (٣١) .

٨ - من الناحية الأدبية ، كانت شخصيات العبيد تتمتع بكل إحترام الأحرار داخل الكنيسة . كان يجب إحترام الإماء ، ولا يعتدى عليهن بسبب ضعفهن .. وكانت الكنيسة تحمى الروابط الزوجية للعبيد ، وتنتظر منهم فضائل كما من الأحرار . وكنيجة لذلك حازت فضائلهم نفس التقدير والاحترام وقد صار منهم شهداء وشهيدات (٣٢) .

٩ - أما من جهة العبيد أنفسهم ، فقد إهتمت الكنيسة بحياتهم ونفسياتهم وروحياتهم وكانت تقوم بتعليمهم وتلقينهم الإيمان (٣٣) .

(29) Ibid, 7. 46

(30) Latourette, pp. 261-263.

(*) Constitutions of the Holy Apostles, 4.9.

(٣١) من أمثلة ذلك : بلاندينا من شهداء ليون ، وفيليسيتاس رفيقه بربيتوا فى قرطاجنة ، وبروفيرى عبد بامفيلوس البيروتى — انظر كتاب الاستشهاد فى المسيحية ، Harnack, Missions .., pp. 168, 169.

(32) Aristides, Apol., 15.

وإن كانت المسيحية لم تستطع — بقرار أو نداء أو تعليم — أن تحرر العبيد كلهم دفعة واحدة ، لكنها كانت أولى الأنظمة التي جعلت من طاعة العبيد التي بلا سند ، واجباً أدبياً يؤدي بفرح ، بعد أن كانت الأنظمة القديمة تحرص على طاعة العبيد عن طريق الإرهاب والتخويف (٣٣) ... وهكذا أوصى القديس بولس العبيد بالصبر ، وأن يبقوا في حالتهم ، ويعزوا أنفسهم بالفكرة أنهم عتقاء الرب ... « الدعوة التي دعى فيها كل واحد فليلبث فيها . دعيت وأنت عبد فلا يهملك . بل وإن إستطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحرى . لأن مَنْ دعى في الرب وهو عبد فهو عتيق الرب . كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح » (١ كو ٧ : ٢٠-٢٢) .

ومن ناحية أخرى عاونت المسيحية في تخفيف العار الذي كان مرتبطاً بالعمل كما كانت نظرة المجتمع القديم — لقد أكدت المسيحية وجوب العمل (٣٤) وطالما كان العمل مرتبطاً بالعبودية ، فقد إستراح العبيد من الحزى الذي لحقهم ولصق بهم (٣٥) .

وقد لاحظ العالم دى روسى De Rossi ، الذى كرس جهوده لدراسة سرايب روما والمقابر المسيحية الأولى أن لقب « عبد » لم يشاهده إطلاقاً في الكتابات على المقابر المسيحية (٣٦) .

المواهب الروحية

منحت كنيسة الرسل منذ تأسيسها في يوم الخمسين ، كل المواهب

(٣٣) انظر : كو ٣ : ٢٢ ؛ ١ ؛ ٦ : ١ ؛ ١ ؛ بط ٢ : ١٨ ، وأيضاً :

Karl Kautsky; Foundations of Christianity, p. 350.

(٣٤) انظر : أع ١٨ : ١ - ٣ ؛ أف ٤ : ٢٨ ؛ ٢ تس ٣ : ٧ - ١٠ .

(35) Latourette, pp. 261-263.

(36) Harnack, Mission ..., p. 168.

الروحية (٣٧) التي تحتاجها — لا لتبهر الناس بها ، بل لأجل نشر الإيمان الجديد ، وتجديد العالم روحياً وأدبياً ... ولقد كانت هذه المواهب بمثابة ثياب عرسها الذي تزينت به ، وعدتها التي صمدت بها إزاء مقاومات اليهود الوثنيين وتعرف هذه المواهب الروحية في اليونانية باسم charismata أو مواهب النعمة ، تميزاً لها عن المواهب الفطرية الطبيعية ...

وهذه المواهب الروحية طاقات وظواهر للروح القدس « أنواع مواهب واحدة ، ولكن الروح واحد » (١ كو ١٢ : ٤) ... أما تنوع المواهب ، فلكي تفي بحاجات الكنيسة المتنوعة « ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة » (١ كو ١٢ : ٧) ... وهي فائقة للطبيعة من جهة مصدرها ، لكنها تتمشى مع الفضائل الطبيعية ... وفي عملها تتبع قدرات الإنسان العقلية والأدبية ، وتسمو بها وتنشطها ، وتقدها لخدمة المسيح .

وهذه المواهب غيرية ، أى أنها توهب لأجل خدمة الآخرين ... هكذا دعاها القديس بولس في (١ كو ١٢ : ٤-٧) « خدم ، أعمال ، منفعة » ... « أنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد . وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد . الذى يعمل الكل فى الكل . ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة » ... وهكذا ينبغي ألا يسعى الإنسان وراء هذه المواهب من أجل ذاتها ، أو لأجل الاستئثار بها لفائدته الشخصية « ليس أنى أطلب العطية ، بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم » (فى ٤ : ١٧) .

على أن تمتع البعض بأنواع من المواهب لا يعنى بالضرورة أن هؤلاء الناس قد يحيون فى قداسة السيرة ، أو أنهم ذوو حظوة لدى الله (٣٨) ... فقد كشف لنا الرب

(37) St. John Chrysostom, Homily 29 on 1 Cor. 12; De Pressensé, Vol. 1, pp. 339-344; Schaff, Vol. 1, pp. 436-440.

(38) See: St. Chrysostom, Homily 24 on St. Mathew (N.P.N.F., Vol. 10, p. 167);

St. Augustine, sermon on the Mount, ch. 25 (N.P.N.F., Vol. 6, p. 62);

St. Augustine, Homilies on the Gospels, Sermon 87, 88, 92; (N.P.N.F., Vol. 6, pp. 520, 523, 535).

يسوع عن هذه العينة من الناس ، وقال إن كثيرين سيأتون إليه في اليوم الأخير ويقولون له : « باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة » ... ومع ذلك يقول لهم الرب : « إنى لا أعرفكم قط ، إذهبوا عني يا فاعلى الإثم » (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

على أنه يجب الإشارة إلى الخطر الذى كان يكمن في هذه المواهب الروحية .. إذ بدأ الشيطان يحارب البعض بتقليدها وادعائها ، إما بقصد الإحتيال أو الكسب المادى ، حتى في ذلك الوقت المبكر جداً من تاريخ الكنيسة ... وقد حذر كتاب تعاليم الرسل Didache الكنائس من أمثال هؤلاء الأشخاص المحتالين (٣٩) .

ويمكن تقسيم المواهب الروحية بصفة عامة إلى ثلاثة أنواع :

أولاً - مواهب عقلية تختص بالعلم ، وهى نظرية وتختص باللاهوت والعقيدة .
ثانياً - مواهب تتمشى مع العاطفة وتختص بالشعور ، وتظهر في العبادة المقدسة من أجل ببيان حياة الأفراد والكنيسة .
ثالثاً - مواهب عملية تختص بالإدارة ، وبقصد إدارة الكنيسة وتنظيمها وحكمها .

وهذه المواهب غير منفصلة عن بعضها إنفصلاً متميزاً تماماً ، لكنها تعمل معاً في توافق من أجل الهدف الواحد ، ألا وهو ببيان جسد المسيح الذى هو الكنيسة .

وموضوع المواهب الروحية ، يكتنفه الغموض ، كما يقول القديس يوحنا الذهبى فمه ، نظراً لقلّة معلوماتنا عنها ، إلا من الإشارات العابرة في رسائل القديس بولس ، ولتوقف وجودها في الكنيسة بالصورة التى كانت عليها في كنيسة الرسل .
لكننا نحاول أن نلقى عليها بعض الضوء ...

(٣٩) يقول العلامة أوريجينوس في المقالة ٢٧ : ١١ على سفر العدد [يمكن أن تكون الرؤى سبباً للوقوع في تجارب ، لأن الشيطان في بعض الأحيان يغير شكله إلى شبه ملاك نور . ومن هنا يجب أن نحترسوا حتى ما تميزوا نوع الرؤيا ، على نحو ما فعل يشوع بن نون إذ لما رأى الرؤيا أحس أنه تكمن فيها تجربة ، فسأل المنظر الذى رآه ، هل أنت معنا ، أم مع أعدائنا] . أنظر :

Haranck, Missions ..., pp. 201-203.

(أ) موهبة الحكمة والعلم :

ويقصد بالحكمة الذى يفسر بعمق وحكمة أسرار مقاصد الله ، ووسائل خلاص الإنسان ، بينما يقصد بالعلم تفسير كلام الحكمة للمؤمنين ليعرفوا طريق الخلاص ... «لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ... ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد» (١ كو١٤: ٨) .

(ب) موهبة التعليم :

وتختص بالاستخدام العملى لموهبة العلم ، وتعطى صاحبها قوة لشرح الأسفار المقدسة بوضوح لتعليم وتثقيف وبنيان المؤمنين ... «ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا . أنبوة فبالنسبة إلى الايمان . أم خدمة ففى الخدمة . أم المعلم ففى التعليم» (رو١٢ : ٦، ٧) .

(ج) موهبة النبوة :

وتتصل بالموهبتين السابقتين ... وهى عادة تستخدم لغة الالهامات العالية ، دون العرض والدليل المنطقى ... وتنحصر رسالتها فى التنبؤ بحدوث المستقبل (أع ١١ : ٢٨) ، وكشف مقاصد الله الخفية ، ومعانى الأسفار المقدسة العميقة ، وخفايا القلوب (١ كو١٤ : ٢٥) ، وأعماق الشر ، وأجناد النعمة المخلصة . وأحياناً كانت ترشد لتعيين البعض للخدمة فى الكنيسة (أع ١٣ : ١ ، ٢ ؛ ١١ : ٤ : ١٤) ... وبينما موهبة التعليم تناسبها حالات الهدوء والنمو الطبيعى للكنيسة ، فإن موهبة النبوة تنشط فى البدايات ، وأوقات الشدائد .

(د) موهبة تمييز الأرواح :

وكان لابد من وجود هذه الموهبة كضابط ومرشد لموهبة النبوة ، للتمييز بين

الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة ، بين الإلهام الحقيقي والإنفعال البشرى أو الشيطانى ... وبعبارة عامة ، كانت هذه الموهبة للتمييز والتفريق بين ما هو صواب وما هو خطأ ... « أما الأنبياء ، فليتكلم إثنان أو ثلاثة ، وليحكم الآخرون » (١ كو ١٤: ٢٩) .

(هـ) التكلم باللسنة (٤٠) :

وموضوع التكلم باللسنة من اعقد الأمور المتصلة بالكنيسة الأولى ، وأكثرها صعوبة وغموضاً ... يختلف علماء الكنيسة وآباؤها بخصوصه ، ولم يعطوا رأياً محدداً واضحاً بشأنه ، نظراً لأن هذه الظاهرة إنتهت تقريباً بانتهاء عصر الرسل ، وكان لا وجود لها في زمانهم .

ظهرت موهبة الألسن مع مولد كنيسة العهد الجديد يوم الخمسين (أع ٢ : ١-١٣) ... وبعدها نقرأ عنها مرتين في سفر أعمال الرسل (أع ١٠ : ٤٦ ؛ ١٩ : ٦) . أما في الرسائل فلم يتناولها سوى بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس (١ كو ١٢-١٤) (٤١) .

والواقع أن موهبة التكلم باللسنة ، وإن كانت تذكر صراحة وبهذه التسمية في المواضع التى أشرنا إليها ، لكنها تختلف عن بعضها في الجوهر ، ولا تعبر عن ظاهرة واحدة ... فمعجزة يوم الخمسين كانت معجزة تمتاز بطابعها الخاص وهدفها الخاص (٤٢) ... تكلم التلاميذ بفضلها بلغات مختلفة من أجل حاجة

(40) See: Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3, pp. 1555-59; Hastings, Dictionary of the Bible, pp. 943, 44; Schaff, Vol. 1. pp. 230-241.

(٤١) قيل أن ما دونه الرسول في (رو ٨ : ١٥ ، ٢٦ ؛ غل ٤ : ٦ ؛ أف ٥ : ١٩) إنما هو إشارات عنها أيضاً .

(٤٢) يرى البعض — وهذا الرأى له مؤيدوه ومعارضوه — أن معجزة التكلم بلغات جديدة كانت قاصرة على يوم الخمسين وحده ، وأن هذه المعجزة لم تتبع الرسل أينما اتجهوا . ويدللون على ذلك — إستنتاجاً — من أن بولس الرسول لم يفهم اللغة الليكاونية التى تكلم بها أهل لسترة (أع ١٤ :

سامعيهم بقصد تبشيرهم ... أما التكلم بالألسن المذكور في رسالة كورنثوس فهو عمل تعبدى خالص يختص بالصلاة ، ولا علاقة له بالتكلم بلغات جديدة بقصد الكرازة والتبشير.

● فيما يختص بما حدث يوم الخمسين ، هناك رأيان : رأى يقول إن الرسل تكلموا بلغات جديدة لم يكونوا يعرفونها . إتماماً لوعد السيد المسيح « ويتكلمون بألسنة جديدة » (مر ١٦ : ١٧) ، وهذا هو رأى غالبية آباء الكنيسة وعلمائها .. ورأى آخر يقول لم يتكلم الرسل بلغات جديدة ، بل تكلموا الآرامية الخاصة بهم ، بينما سامعهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بلغاتهم ... وكأن الروح القدس في تلك الحالة كان يقوم بدور المترجم ، وكان يترجم فوراً لكل لغات الحاضرين .. ومن بين أصحاب هذا الرأى القديس غريغوريوس أسقف نيصص ...

وفي رأينا أن الرأيين على صواب ... فالرسل تكلموا فعلاً لغات جديدة لم يكونوا يعرفونها ، ما في ذلك شك (أع ٢ : ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١١) ، بل تفاهموا مع سامعيهم بلغاتهم (أع ٢ : ٣٧) . وهذا واضح مما ذكره لوقا في (أع ٢) ، ومما ذكره السيد المسيح صراحة في (مر ١٦ : ١٧) ... ومن ناحية أخرى ، حينما القى بطرس عظته (وطبعاً ألقاها بلغة واحدة أياً كانت) ، فهمها الجميع ، وبناء عن ذلك تساءلوا « ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة » ... وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الروح القدس — أثناء إلقاء بطرس للعظة — قد قام فعلاً بترجمة فورية لكل لغات الحاضرين ... وعلى ذلك نستطيع القول إن الرسل تكلموا في يوم الخمسين بلغات جديدة لم يكونوا يعرفونها ، وأن الروح القدس في بعض المواقف كان يقوم بدور المترجم ... ولا غرابة في ذلك ، فالترجمة موهبة من مواهب الروح القدس التى تكلم عنها الرسول بولس (١ كو ١٢ : ٤ ، ٨ ، ١٠) .

ومهما يكن من أمر ، فأباء الكنيسة وعلمائها رأوا أن الله أعطى الرسل موهبة التكلم بلغات أخرى جديدة من أجل حاجة أعمال الكرازة ، خاصة في ذلك الدور

٨-١٤) . وأن بطرس الرسول — بناء على رواية بايلاس وإيريناوس — كان يترجم له مرقس في روما (يوسابيوس ٣ ، ٢٩ ، ١٥) . ونحن لا نستطيع أن نقطع برأى في هذه القصة .

الأول التأسيسى للكنيسة ... البعض رأى — ومنهم القديس يوحنا الذهبى فمه (٤٣) — أن كل تلميذ وهبت له اللغة الخاصة بالحقل الكرازى الذى عُين له . والبعض رأى — ومنهم القديس أغسطينوس (٤٤) — أن كلاً من الرسل تكلم لغات جميع الشعوب ليظهر بذلك أن الكنيسة الجامعة ستضم كل الشعوب .

أما عن عدد اللغات التى تكلموا بها ، فى ذلك اليوم التاريخى (يوم الخمسين) فقد اختلف الآباء أيضاً فيه ... فمن قائل إنهم تكلموا بلغات الشعوب التى ذكرها لوقا فى (أع ٢ : ٩ - ١١) . ومنهم من قال إنهم تكلموا ٧٠ لغة أو ٧٢ أو ٧٥ على عدد أبناء نوح أو يعقوب (تك ١٠ : ٤٦) . بينما رأى آخرون أنهم تكلموا ١٢٠ لغة على عدد التلاميذ الذين حل عليهم الروح القدس فى ذلك اليوم (أع ١ : ١٥) ... وعلى أية الحالات ، فقد كان التكلم باللسنة فى يوم الخمسين آية للكرامة ولتمجيد الله بلغات متنوعة لم تكن معروفة للتلاميذ ، وشهادة لجميع الشعوب أن الله كان حقاً فى وسطهم .

• أما عن موهبة التكلم باللسنة التى عاجلها القديس بولس فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس ، فتظهر أنها كانت عملاً من أعمال التعبد والصلاة ... ويمكن القول إنها كانت نوعاً من الصلاة والتسبيح والتمجيد والشكر لله ، ينطق بها الإنسان فى حالة نشوة روحية لا إرادياً ، وفى لغة يعطيها الروح القدس ، غير اللغة التى يتكلمها ذلك الإنسان .. وفى هذه الحالة تكون روح الإنسان فى سلبية ، مستسلمة للروح القدس ، بينما يكون الذهن غير واع لما ينطق به الإنسان . وهذا واضح من كلام الرسول بولس ، فهو يدعوها صلاة «إن كنت أصلى بلسان ، فروحى تصلى ، وأما ذهنى فهو بلا ثمر» (١ كو ١٤ : ١٤) . ويقول أيضاً : «من يتكلم بلسان ، لا يكلم الناس بل الله ، لأن ليس أحد يسمع ولكنه بالروح يتكلم بأسرار» (١ كو ١٤ : ٢) ...

وهكذا نرى أن التكلم باللسنة فى كنيسة كورنثوس ، لم يكن فى صورة تعليم أو

(43) Homily 4 on the Acts of the Apostles.

(44) City of God, 18. 49.

نبوة، بل كان نوعاً من التعبد الروحي الشخصي ... ومن هنا نفهم لماذا يربط بولس بين التكلم باللسنة، وبين التكلم باللسنة الناس والملائكة (انظر ١ كو ١٢: ٣٠؛ ١٣: ١) ... إن ألسنة الملائكة تنطق دائماً بالتسبيح للجالس على العرش ...

ويؤيد هذا المفهوم، ما حدث أيضاً يوم الخمسين ... لقد تكلم الرسل «باللسنة أخرى» قبل عظة بطرس، وقبل أن يجتمع إليهم الشعب (أع ٢: ٤، ٦، ٨) ... أما موضوع كلامهم بهذه الألسنة الأخرى، قبل عظة بطرس، فكان «الكلام بعظائم الله» (أع ٢: ١١) ... ونفس هذا الأمر حدث في بيت كرنيليوس بعد حلول الروح القدس على المجتمعين فيه، فقد سمعوا «يتكلمون باللسنة، ويعظمون الله» (أع ١٠: ٤٦) ... وتعظيم الله هو عينه عمل التسبيح والتمجيد والشكر ...

● ومن حيث أن التكلم باللسنة الذى أشار إليه بولس في كورنثوس هو عمل تعبدى خالص، فإنه يبنى المتكلم وحده دون الآخرين «مَنْ يتكلم بلسان يبنى نفسه» (١ كو ١٤: ٤) ... ومن هنا فقد اعتبرت موهبة التكلم بالألسنة أقل درجات المواهب الروحية، لأنها تستهدف الذات، ولا يترتب عليها بنيان الكنيسة كلها ... لكن المؤمنين في كورنثوس رفعوا من قدر هذه الموهبة، لأنها — كما يقول الذهبى فمه — كانت الموهبة الأولى التى نالها الرسل.

● على أنه سرعان ما أسىء استخدام هذه الموهبة في حياة القديس بولس نفسه، فصارت سبباً للتفاخر والتشويش والعثرة. لذا نراه يقلل من أهميتها (٤٥)، ويدعو المؤمنين إلى التعلق بالمواهب الأخرى، مبيناً لهم أن هناك طريقاً أفضل من المواهب، هو المحبة (٤٦) ... وتلافياً للعثرات، أوصى بولس المتكلم باللسان أن يترجم ما يقوله عن طريق إستحضار ذهنه بالصلاة. وإذا تعذر عليه ذلك، فليترجم كلامه آخر ممن نالوا موهبة الترجمة. أما إذا لم يوجد مَنْ

(٤٥) انظر ١ كو ١٤: ٦، ٩، ١٩، ٢٢، ٢٦.

(٤٦) انظر ١ كو ١٢: ٣١، ١٣: ١، ٢.

ومن الثابت أن هذه الموهبة قد إنتهت تقريباً بانتهاء عصر الرسل . وإن كان إيريناوس — من آباء القرن الثاني — قد ذكر أن هذه الموهبة كانت قائمة في الكنيسة في زمانه ، لكن العلماء يشكون في صحة ذلك .

● وثمة ملاحظة هامة ، ينبغي ألا نغفلها فيما يتعلق بموضوع التكلم باللسنة . لقد كانت هناك حكمة خاصة في كل مرة من المرات الثلاث التي حدثت فيها هذه المعجزة وأوردها القديس لوقا في سفر أعمال الرسل ... ففي يوم الخمسين ، كان التكلم باللسنة آية لجمهور المجتمعين « من كل أمة تحت السماء » ، وما حدث في بيت كرنيليوس كان علامة للرسل أن الرب قد فتح باب الخلاص للأمم الوثنية (انظر أع ١١ : ١ - ١٨) . وما حدث في أفسس كان آية لَمَنْ نالوا الروح القدس بعد أن قالوا : « ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس » (انظر أع ١٩ : ١ - ٦) ... أما أن يكون التكلم باللسنة بلا أدنى هدف أو حكمة إلهية كما يشاهد عند شيعة الخمسينيين حالياً ، فأمر يقطع ببطلان إدعائهم بأنهم يتكلمون باللسنة ، ولا يعدو الأمر أن يكون بعض الحركات الهستيرية أو المفتعلة ...

(و) موهبة الترجمة :

وتهدف إلى جعل موهبة الألسن ذات فائدة للمستمعين ، وتعطى المترجم القدرة على ترجمة الصلوات والأغاني الروحية من لغة الروح إلى لغة مفهومة .. «أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد ... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ... ولآخر أنواع ألسنة ... ولآخر ترجمة ألسنة » (١ كو ١٢ : ٤ ، ٨ ، ١٠) .

(ز) موهبة الخدمة الجسدية :

وبالأخص لخدمة الشمامسة والشماسات ، للرعاية المنتظمة في الكنيسة وهي

تختص بكل أعمال المحبة والرحمة المسيحية، وعلى وجه الخصوص رعاية الفقراء والمرضى ... والقديس بولس يسمى أصحاب هذه الموهبة «أعواناً» (١ كو ١٢: ٢٨).

(ح) موهبة التدبير:

للرعاة وذوى السلطان فى الكنيسة ، سواء كانوا رسلاً أم أساقفة أم قسوساً ... ذكرها القديس بولس باسم تدابير Kybernéseis ... وإلى هذا التدبير فى الرعاية يشير القديس بولس بقوله : « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ... والبعض رعاة ... لأجل تكميل القديسين ، لعمل الخدمة » (أف ٤ : ١١، ١٢) .

(ط) موهبة صنع المعجزات :

وهى القوة التى منحها الرب للرسل ولبعض المؤمنين ليشفوا كل الأمراض الجسدية ، ويخرجوا الشياطين ، ويقىموا الموتى ، ويجزوا عجائب أخرى بالإيمان وقوة الصلاة ووضع الأيدى باسم الرب يسوع ولجده «شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته» (عب ٢ : ٤) ... «أنواع مواهب موجودة ... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ... ولآخر مواهب شفاء ... ولآخر عمل قوات» (١ كو ١٢ : ٤، ٨-١٠) . وقد كانت هذه المعجزات خاتم الرسولية المقدسة وبرهانها ، فى زمان وبين قوم كانوا فى حاجة إلى هذه العلامات المادية لإيمانهم ... «إن علامات الرسول عملت بينكم فى كل صبر، بآيات وعجائب وقوات» (٢ كو ١٢: ١٢) ...

لكن بعد أن توطدت المسيحية فى العالم ، كانت آثارها الأدبية أفضل شاهد لحقيقتها ، فحلت محل الآيات المادية الخارقة ... لكن ليس معنى هذا أن المعجزات والآيات قد توقف حدوثها فى كنيسة المسيح ... إنها تحدث يومياً، لأن الآيات تتبع المؤمنين كما قال رب المجد (مر ١٦ : ١٧، ١٨) ... لكننا نقصد الآيات الباهرة

التي كانت تحدث بكثرة وبقوة عجيبة في سحر تاريخ الكنيسة ، من أجل نشر الإيمان ، وتدعيم عمل الكرازة ، إزاء جحافل الظلمة التي كانت تكتنفها من كل جانب .

وبعد ...

فهذه لمحة سريعة عن المواهب الروحية التي خص الله بها كنيسة من أجل الخير العام وبنیان النفوس ... ليتنا نذكر أن هناك شيئاً اسمه مواهب روحية يخص بها الله بعض المؤمنين ... ليتنا نذكر أن ليس كل إنسان يصلح أن يكون معلماً أو مدبراً أو حتى شماساً يقوم على خدمة الإحتياجات الجسدية ... ليتنا نلجأ إلى روح الله القدوس ليرشد إلى كل ذى موهبة ، حتى يوضع - في كنيسة الله - الإنسان المناسب في الخدمة المناسبة ... ليس كل إنسان تقى يصلح أن يكون كاهناً أو معلماً أو مدبراً ... فالتقوى شيء والموهبة شيء آخر ... التقوى مطالب بها جميع المؤمنين ، بل مفروض أن يتحلوا بها ، أما الخدمة في كنيسة الله فتحتاج إلى مؤهلات أخرى ، وتنجح وتفلح بالمواهب التي خص الله بها كنيسة ...





منذ القديم ... منذ أن اتخذ الرب لذاته شعباً خاصاً من بين الأمم ، عاملهم كرعية خاصة له ، وأقام لهم رعاية ... لكن رعاية إسرائيل إنحرفوا عن رسالتهم ورعوا أنفسهم ، فوبخهم توبيخاً شديداً بضم أنبيائه (٤٧) . وفي ملء الزمان ، لما سر الله أن يصنع فداء لشعبه ، وظهر في الجسد ، كان ينظر في حزن إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، وكان يتحنن عليهم إذ رآهم منزعين ومنطرحين كغنم لا راعي لها (مت ٩ : ٣٦) ... وهكذا قدم ذاته مثلاً للرعاية ، وأعلن أنه هو «الراعي الصالح» .

وحيثما قتله رعاية اليهود بأيد أئمة ، وقام وارتفع إلى المجد ، بقى كما هو الراعي الصالح ، لكن رأساً غير منظور للكنيسة ... وهكذا دعى «راعى النفوس وأسقفها ، ورئيس الرعاية» (١ بط ٢ : ٢٥ ؛ ٤ : ١٤) ، «وراعى الخراف العظيم» (٤٨) . وأقام نيابة عنه الرسل وخلفاءهم والكهنة ، رعاية مؤتمنين على الخراف الناطقة .

هكذا أحس الرسل — باكورة رعاية العهد الجديد — أن عمل الكنيسة الأول والأعظم في العالم ولأجله ، هو الرعاية ... فحينما أراد الرب يسوع أن يرد بطرس إلى رتبته الرسولية بعد أن أنكر وجدف ، قال له : «إرع خرافى ... إرع غنمى» (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) ... وقال القديس بولس إلى رعاية كنيسة أفسس : «إحترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية ، التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» (أع ٢٠ : ٢٨) ... وقال القديس بطرس فى رسالته : «أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم ... ارعوا رعية الله التى

(٤٧) انظر : حزقيال ٣٤ : ٢ - ٦ .

(٤٨) عب ١٣ : ٢٠ .

بينكم نظاراً لا عن إضطرار بل بالاختيار. ولا لربح قبيح بل بنشاط. ولا كتمن
يسود على الأنصبة. بل صائرين أمثلة للرعية. ومتى ظهر رئيس الرعاة تناولون إكليل
المجد الذى لا يبلى» (١ بط ٥ : ١-٤).

وحيثما قدم الرب يسوع ذاته كالراعى الصالح ، كشف عن سر صلاحه فى
الرعاية ، ومعه كشف عن الرعاة المزيفين ... فالراعى الأمين يدخل من باب
الخراف ، الذى هو الرب يسوع نفسه ، ويعرف خرافه ، ويدعوها بأسمائها .
ويكون مستعداً أن يبذل ذاته عنها ... أما الراعى الكاذب المزيف ، فيدعوه الرب
سارقاً ولصاً . وهو لا يدخل من الباب ، بل يطلع من موضع آخر. وكل همهم أن
« يسرق ويذبح ويهلك » ... ومتى رأى الذئب مقبلاً ... متى نظر خطراً داهماً ،
يترك الخراف ويهرب غير مبال بها (يو ١٠ : ١٠-١٣) .. هكذا علمت الكنيسة
الأولى يقيناً ، أن عملها الأول والأعظم والأسمى هو الرعاية ، فانصرفت إليه
بكل طاقاتها ، وأولته كل عنايتها ، عن طريق الخدام المختلفين ، وأنواع الخدم
المتنوعة .

والآن تناول بالكلام عصب الرعاية وهم الخدام ، ثم نعرض لثلاثة
ميادين للرعاية فى كنيسة الرسل : الرعاية الاجتماعية ، الرعاية الأدبية
والروحية ، ثم الرعاية التعليمية .

الخدام

تذكر الخدمة فى العهد الجديد تحت أسماء متعددة ، تصف خصائصها ...
فتذكر باسم « خدمة الكلمة » و « خدمة الروح » و « خدمة البر »
و « خدمة المصالحة » ... وخدام الكلمة هم خدام الله بالمعنى السامى للتسمية ،
وخدام الكنائس فى إتضاع وحب ... إنهم نور العالم ، ملح الأرض ، العاملون مع
الله ، وكلاء سرائر الله ، وسفراء المسيح ... لكن هذه الكرامة العظيمة تحمل معها
مسئولية متساوية ... والقديس بولس ، وهو يتأمل مجد الخدمة والوظيفة ، وأنها رائحة

موت لموت ، ورائحة حياة حياة ، يتعجب قائلاً : « مَنْ هو كفاء لهذه الأمور؟! »
ثم ينسب كل أتعابه ونجاحه في الخدمة والكراسة لنعمة الله التي لا يستحقها (٤٩) .

والآن نتكلم عن فئات الخدام في كنيسة الرسل :

١ - الرسل :

على الرغم من أن لقب « رسول » في الكنيسة الأولى أطلق على تلاميذ المسيح الذين إختارهم ، لكنه أطلق تجاوزاً على آخرين ... فالقديس بولس في (٢ كو ٨ : ٢٣) يتكلم عن « رسول الكنائس » . كما ذكر ابفروتس أنه رسول الفيلبيين وكان قد حمل إليه مقدمة كنيسة فيلبى (في ٢ : ٢٥) ...

ولم تعرف اليهودية هذا اللقب بالنسبة للخدام حتى خراب أورشليم سنة ٧٠ ... أما بعد هذا التاريخ ، فأرسلت أشخاصاً — دعتههم رسلاً — إلى كل يهود الشتات ، ليحملوا إليهم معلومات وافية عن الرب يسوع وتلاميذه ، أو بعبارة أخرى عن المسيحية . وكان هذا العمل بمثابة إجراء مناهض للإرساليات المسيحية (٥) ... ومهما يكن من أمر ، فإن إطلاق لقب رسل على هؤلاء اليهود المرسلين ، كان من قبيل التسمية اللغوية فقط . وهو في هذا يختلف مع طبيعة وضع الرسل في المسيحية .

كان رسل المسيح يتمتعون بمكانة كبيرة بين المؤمنين ، حتى أن القديس بولس يقول لأهل تسالونيكي : « مع أننا قادرون أن نكون في وقار كرسل المسيح » (١ تس ٢ : ٦) ... ويقول لأهل غلاطية : « وتجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها ولا كرهتموها ، بل كملاك من الله قبلتموني ، كالمسيح يسوع ... لأنني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتهموني » (غل ٤ : ١٤ ، ١٥) ... وقد استمدوا هذه المكانة من وضعهم كرسل المسيح ، والأعمال والآيات العظيمة التي

(٤٩) انظر ٢ كو ١٤ : ١٦ - ٣ : ٥ ، ٦ .

(50) Justin Martyr, Dialogue, 17, 108, 117; Harnack, Missions... p. 327.

خصهم بها الله لتأييد رسالتهم ، ولإحساس المؤمنين أنهم مدينون لهم بحياتهم ...
هكذا يكتب بولس إلى فليمون « حتى لا أقول لك أنك مدينون لى بنفسك أيضاً »
(فل ١٩) .

وكان الرسل غير مستقرين فى مكان واحد ، لأن مهمتهم كانت تقتضيهم
التنقل لأعمال الكرازة ... كانوا يؤسسون الكنائس ويقيمون لها الخدام ، وينتقلون
إلى أماكن أخرى وهكذا ...

٢ - الأنبياء :

كانت الفكرة الشائعة أن الأنبياء قد بطل ظهورهم فى الديانة اليهودية قبل عصر
الرب يسوع ورسله بزمان طويل . لكن العهد الجديد يثبت خطأ هذه الفكرة ...
فيوحنا المعمدان كان نبياً ، وهكذا دعى (٥١) . وكانت حنة أيضاً نبية (لوقا ٢ :
٣٦) . والنبي اليهودى فى كريت الذى أشار إليه بولس (تى ١ : ١٢) ... وذكر
لنا يوسفوس المؤرخ اليهودى ، أن الاسينيين كان بينهم أنبياء صادقون (٥٢) ...
وكتب الرؤى اليهودية التى إنتشرت نحو ذلك العصر ، تشير إلى كثرة عدد الأنبياء
وأنه كان لهم أتباع وقراء ... ومن ثم لم يكن هناك أية غرابة فى ظهور الأنبياء ...
لقد قبل يوحنا المعمدان والرب يسوع بلا غرابة كأنبياء ...

هكذا لم تكن النبوة فى الكنيسة المسيحية حدثاً جديداً فى ظهورها المبكر ،
واعتبرت ظاهرة تتمشى مع مثلتها فى اليهودية المعاصرة ... وفى كلا الحالين
— اليهودية والمسيحية — حاز الأنبياء شهرة كبيرة باعتبارهم صوت الله . وحينما
كان يعترف بهم كأنبياء حقيقيين ، كانوا يتمتعون بسلطة مطلقة فى كرازتهم
وعظهم ونصائحهم (٥٣) ...

(٥١) انظر لوقا ١ : ٧٦ ؛ ٧ : ٢٦ ؛ ٢٠ : ٦ .

(52) Josephus, the wars of the Jews 1.3.5; 2.7.3; 2.8.12; Antiquities, 13.11.2,
15.10.5, 17.3.3.

(53) Harnack, Missions ... pp. 331-333.

ومن أمثلة الأنبياء في الكنيسة الأولى ، أنبياء كنيسة أنطاكية (أع ١٣ : ١) ،
والنبي أغابوس (أع ١١ : ٢٨ ؛ ١١ : ٢١) ، ويهوذا وسيللا (أع ١٥ : ٣٢) ...
وبالإضافة إلى الرجال ، فقد كان هناك عذارى ونساء يتنبأن (٥٤) مثل العذارى
الأربع بنات فيلبس المبشر (أع ٢١ : ٩) ... وغالباً ما كان الأنبياء ينتقلون من
مكان إلى آخر مثل النبي أغابوس ، لكنهم كانوا في أحيان أخرى يقيمون في أماكن
لا ينتقلون منها مثل هرماس (٥٥) .

٣ - المعلمون :

كان للمعلمين اليهود مكانة كبيرة جداً خاصة في فلسطين . ولكي نقف على
مكانة المعلمين المسيحيين في كنيسة الرسل ، نرى من المفيد الإشارة إلى مكانة
المعلمين في اليهودية ...

لقد طالب معلمو اليهود Rabbis لأنفسهم باحترام كامل من تلاميذهم ، يفوق
إحترامهم لوالديهم ... فقالوا : [إن إحترام المعلم يجب أن يفوق إحترام الأب ، لأن
الابن والأب كليهما يحترمان المعلم ... إذا فقد كل من والد التلميذ ومعلمه شيئاً ،
فخسارة المعلم لها الأولوية في المطالبة بالدين . لأنه بينما الأب قد أتى بالتلميذ إلى
العالم ، فالمعلم قد لقته الحكمة ، ويوصله إلى الحياة الأبدية . وإذا اتفق أن والد
تلميذ ومعلمه كانا يحملان حملاً ، فواجب التلميذ أن يعاون معلمه أولاً ، ثم بعد
ذلك أباه . وإذا أسر الأب والمعلم ، وجب على التلميذ أن يفدى المعلم
أولاً ...] (٥٦) .

وكقاعدة ، كان المعلمون اليهود يطلبون لأنفسهم المقام الأول أينما كانوا ،
الأمر الذي وبخهم عليه السيد المسيح بقوله : « يحبون المتكأ الأول في الولائم ،

(٥٤) انظر : أع ٢ : ١٧ ؛ ١ : ١١ ك ٥ .

(55) Didache, 11, 13; Cārrington, Vol. 1, p. 274. ...

(56) Harnack, Missions ... pp. 333, 334.

والمجالس الأولى في الجامع ، والتحيات في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي « (مت ٢٣ : ٦ ، ٧) ... وما لبثت هذه المطالبة بالكرامة أن تحولت إلى كرامة فعلية من جانب الشعب اليهودي ، على نحو ما ذكر عن غملاثيل معلم الناموس ، الذي قيل عنه أنه « كان مكرماً عند جميع الشعب » (أع ٥ : ٣٤) ...

وقد نالت خدمة التعليم في المسيحية كرامة عظيمة ، لكنها ليست الكرامة «الفريسية» المفروضة على الشعب ، بل الكرامة النابعة عن الحب والبذل والإتضاع ... يكفي خدمة التعليم في المسيحية شرفاً أن الرب يسوع نفسه كان يدعى «المعلم» ... ويشير القديس بولس إلى كرامة المعلمين بقوله لتيموثاوس : «وليحسب الكهنة الذين يحسنون التدبير أهلاً لكرامة مضاعفة ، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم» (١ تي ٥ : ١٧) ... لقد كانت الحاجة ملحة في ذلك العصر إلى مثل هؤلاء المعلمين ، لتعليم الذين ينضمون إلى الكنيسة مفاهيم الإيمان المسيحي . هذا ، في الوقت الذي كان على الكنائس أن تتخذ حذرهما الشديد من المعلمين الكذبة (٥٧) ...

وكان الرسل والأنبياء والمعلمون لا يقامون بالانتخاب كالأساقفة والقسوس والشمامسة ، لأن عملهم كان يعتمد على النعمة الإلهية والمواهب الخاصة (٥٨) ... كما أن التمييز بين الرسل والأنبياء والمعلمين كان واضحاً منذ تاريخ المسيحية المبكر ، ومألوفاً لدى جميع الكنائس (٥٩) . وإن كان بعضهم قد يجمع أكثر من صفة في نفس الوقت فالرسل معلم وقد يكون نبياً أيضاً ...

٤ - درجات الكهنوت الثلاث :

ويقصد بها الأسقفية والقسيسية والشماسية . ويشترط فيها جميعاً القداسة

(٥٧) انظر : ٢ كو ١١ : ١٣ ؛ غل ١ : ٧ ؛ ٢ بط ٢ : ١ .

(٥٨) انظر : أع ١٣ : ١ - ٣ ، حيث أخذت الكنيسة تعليمات من الروح القدس ، غالباً بغم الأنبياء .

(59) Harnack, Missions ..., pp. 335, 336.

(أ) الأسقف :

عبر عنه في العهد الجديد بالكلمة اليونانية Episkopos ومعناها الناظر أو الرقيب أو المتعاهد . واللفظ قديم الاستعمال في اليونانية ، وورد في الترجمة السبعينية للعهد القديم ...

والأسقف هم رؤيس الكنيسة ومدبرها وراعيها ومعلمها . وقد أقيم الأساقفة أصلاً نواباً عن الرسل ، الذين ما كانوا يستطيعون البقاء في مكان واحد لفترة طويلة ، لأن مهمتهم كانت تقتضى التنقل لأعمال الكرازة ... وقد أقيم الأساقفة بوضع أيدي الرسل ، وأعطوا حقوقهم واختصاصاتهم ، بل حملوا — في بعض الأحيان — اسم «رسل» ... هؤلاء الأساقفة لم يعينوا على كنيسة واحدة ، بل على إقليم بأكمله هكذا أقام الرسول بولس تيموثاوس على كل آسيا ، وتيطس على كريت . ولا بد وأنه أقام أساقفة آخرين على أقاليم أخرى بنفس الطريقة ... وكان الأسقف ير على كل الكنائس في إقليمه ، ويرسم كهنة للخدمة الكنسية في الأماكن المحتاجة إلى ذلك ، ويحل أية مشكلات ، ويوجه الخدام والشعب للسلوك المسيحى السليم والعقيدة القوية بعظاته وتعليمه (٦١) ... وكانت إقامة الأسقف تتم بانتخاب الشعب . وقد تكلمت تعاليم الرسل Didache (٦٢) وقوانين الرسل كثيراً عن الأسقف وإقامته وعمله وخدمته (٦٣) .

وقد أورد القديس بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ، وفي رسالته إلى تيطس ، الصفات الواجب توافرها في الأسقف . وقبل أن نتكلم عن هذه الصفات ، نشير إلى ملاحظة هامة ، وهى أن هذه الوظيفة — في مفهومها

(٦٠) انظر ١ : ٣ - ٢ : ٧ ؛ ١ : ٦ - ٩ .

(61) Harnack, Missions ..., p. 445.

(62) Didache, 15.1 - See A.N.F., Vol. 7, p. 381 (Footnote).

(63) Apostolical Constitutions (A.N.F., Vol. 7).

الرسول - لم تكن وظيفة عبودية وعظمية عالمية وكرامة فرسية ... إن احيطت بهالة من الكرامة ، فهي كرامة النعمة والفضيلة وحياة الزهد والبذل ... وليست الكرامة المفروضة على الشعب ، كضريبة يؤدونها صاغرين ... وهكذا نفهم كلمات الرسول بولس : « إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملاً صالحاً » (١ : ٣) ، لأنه في هذه الحالة يشتهي حياة الخدمة والبذل والفقر ... « أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة . إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعري ... صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء » (١ كو ٤ : ١٠ - ١٣) .

وأما الصفات الواجب توافرها في الأسقف ، فيمكن تلخيصها فيما يلي :

● **صفة عامة تختص بالفضيلة :** عدد الرسول بولس عدة فضائل ينبغي أن يتحلى بها من يؤهل لهذه الدرجة السامية ، ثم عاد وأجملها في عبارة واحدة مقتضبة « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله » (١ : ٧) ... ما أكبر الحروف التي ينبغي أن تكتب بها هذه العبارة القصيرة الجامعة .. ما أرفع الدرجة ، وما أخطر المسؤولية والدينوية المرتبطة بها ... « بلا لوم كوكيل الله » !! لا تحتاج هذه العبارة إلى مزيد من الكلمات التفسيرية ، بقدر ما تتطلب دراسة جدية ، ووقفات طويلة تأملية !!

● **صفة تختص بالعلم والتعليم :** وعن هذا قال معلمنا بولس « ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم ، عاكفاً على القراءة » (١ : ٤ : ١٣) ... والرسول لا يشترط في الأسقف أن يكون هو نفسه متعلماً ، فهذا وحده لا يكفي . لكنه يشترط أن يكون هو نفسه ملازماً للعلم وصالحاً للتعليم ، وبعبارة أخرى قادراً على تعليم الآخرين . وهذا التعليم لا يقتصر على المؤمنين وحدهم ، بل يتعداهم إلى الخارجين عن الإيمان « لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ، ويوبخ المناقضين » (١ : ٩) .

● **صفة خاصة من جهة محبة المال :** ويؤكد الرسول بولس على هذه النقطة في رسالتيه إلى تيموثاوس وتيطس « ولا طامع بالربح القبيح ... ولا محب للمال »

(١تى ٣ : ٣ ؛ ١تى ٧) ... ونفس الأمر يسير إليه الرسول بطرس إلى الكهنة «إرعوا رعية الله التى بينكم نظاراً ، لا عن إضطراب بل بالاختيار ، ولا لربح قبيح بل بنشاط ، ولا كمن يتسلط على ميراث الله ، بل صائرين أمثلة للرعية» (١بط ٥ : ٢ ، ٣) .

● **صفة من جهة الخارجين عن الإيمان :** يقول الرسول : « يجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج » ... لماذا ؟ لأن هؤلاء هم من صميم اختصاصه ومسئولته ، ويجب أن يأتى بهم إلى الخطيرة ... هو ليس أسقفاً على المؤمنين وحدهم ، بل عليه واجب ومسئولية من نحو غير المؤمنين « ولى خراف أخر ليست من هذه الخطيرة ، ينبغى أن آتى بتلك أيضاً ... وتكون رعية واحدة وراع واحد » (يو ١٠ : ١٦) .

(ب) القسوس :

ويذكرون فى العهد الجديد ، أحياناً باسم « قسوس » (أع ١٤ : ٢٣ ؛ ٢٠ : ١٧) ، وأحياناً باسم « شيوخ أو مشايخ » (٦٤) ... وقد أشارت إليهم قوانين الرسل فى كثير من المواضع (٦٥) . وقد حدث هذا التعدد فى الأسماء والخلط بينها ، لأن القسوس كانوا أصلاً يختارون من الشيوخ كبار السن . فكلمة شيخ هى ترجمة حرفية للكلمة اليونانية Presbyteros ، وهى تعريب للكلمة السريانية قشيش (قسيس) ... فحينما يذكرون فى العهد الجديد باسم قسوس ، فهذا يوضح رتبهم الكهنوتية ، وحينما يذكرون تحت اسم شيوخ أو مشايخ ، فهذا يعبر عن تقدمهم فى السن ...

والأمر أوضح فى الرسالة الأولى إلى الأسقف تيموثاوس ... فحينما قال له بولس : « لا تزجر شيخاً بل عظه كأب ، والأحداث كأخوة ، والعجائز كأمهات ، (٦٤) انظر : أع ١١ : ٣٠ ؛ ١٥ : ٤ ، ٢٣ ؛ ١٦ : ٤ ؛ ٢١ : ١٨ ؛ ١تى ٥ : ١٧ ؛ ١تى ٥ : ١٤ ؛ ١بط ٥ : ١٠ .

(65) Apostolical Constitutions 2. 26, ٥7, 58; 3. 20; 8. 116.

والأحداث كأخوات بكل طهارة» (١٦: ٥، ١، ٢)، كان يقصد بالشيخ هنا، مَنْ هو متقدم في السن ... وبعد قليل - وفي نفس الأصحاح - حينما قال له: «أما الشيوخ المدبرون حسناً، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم ... لا تضع يداً على أحد بالعجلة ...» (١٦: ٥، ١٧، ٢٢)، كان يقصد القسوس القائمين بالخدمة الكنسية (٦٦) ويحسن في مثل هذا الوضع أن تترجم الكلمة اليونانية بعبارة (قسوس) وليس بعبارة (شيوخ). وهكذا يوجد في الترجمات غير البروتستانتية للكتاب المقدس.

وكانت تناط بالقسوس بعض الأعمال الرعوية، والتعليم، وخدمة الأسرار الكنسية المتصلة بالكهنوت ... وقد دعت الضرورة إلى سيامتهم بوضع اليد من الرسل وخلفائهم الأساقفة، لما إزداد عدد المؤمنين، وكثرت الكنائس ولم يعد ممكناً أن يؤدي الرسل ثم الأساقفة، الخدمة المتسعة المتزايدة ...

(ج) الشمامسة :

والشمامسة كلمة معربة عن السريانية، وتعني خادم ديني، ويقابلها اللفظ اليوناني دياكون Diakonos. وتقابلنا كلمة شمامسة في رسائل القديس بولس (٦٧)

(66) Wuest, The Pastoral Epistles, pp. 77, 85, 86; Studies in first and second Epistles of St. John, p. 199.

(٦٧) الكلمة اليونانية دياكونية Diakonia وفعلها Diakonein يخدم، استخدماً في العهد الجديد ليصفوا أنواعاً مختلفة من الخدمة. وهناك كلمة يونانية أخرى تطلق على الخدم وهي doulos، وتقابلها الكلمة الإنجليزية servant وكلمة دياكونية في المعنى الحرفي تتصل بالاحتياجات الجسدية. هكذا عبر بها الرسل عن خدمة الموائد. ولكنها استخدمت فيما بعد للدلالة على معاني أوسع تشمل كل أنواع الخدمات الزمنية والروحية. واستخدمها رب المجد حينما قال: «إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم diakonêthênai بل ليخدم diakonêsai». وأيضاً حينما قال: «أنا بينكم كالذي يخدم» (مت ٢٠: ٢٨؛ لو ٢٢: ٢٧). ويستخدمها القديس بولس حينما يتكلم عن نفسه وعن شركائه في الخدمة للتعبير عن خدمة الكلمة، والاحتياجات المادية. وقد استخدمت أيضاً للتعبير عن الخدمة التي كانت النساء يقدمنها للسيد المسيح (١ مر: ٣١)، وعن خدمة مرثا (لو ١٠: ٤١؛ يو ١٢: ٢) ... لكن سرعان ما خصصت هذه الكلمة للتعبير عن خدمة معينة في الكنيسة، هي المعروفة بخدمة الدياكونية أو الشماسية. (انظر: في ١: ١؛ ١: ١١؛ ١: ٣؛ ١٠؛ ١٢، ١٣)، وأيضاً:

The Ministry of Deaconesses, pp. 1-3.

... وكانت إقامتهم في بادىء الأمر لخدمة الموائد (خدمة الفقراء المادية) ... وقد أقيموا بانتخاب المؤمنين تحت شرط أن يكونوا مملوءين من الروح القدس وحكمة . ثم قدموهم للآباء الرسل ، فصلوا ووضعوا أياديهم عليهم .

كان مَنْ سامهم الرسل في بادىء الأمر لهذه الدرجة الكهنوتية ، عددهم سبعة ، كان أبرزهم استفانوس (أع ٦ : ١-٨) ... وقد حذت الكنائس الأخرى حذو كنيسة أورشليم الأم في إقامة الشمامسة للمساعدة في الخدمة ... البعض تقيد بالعدد سبعة ، والبعض لم يتقيد ... وقد ظلت كنيسة روما — ولعدة قرون — متمسكة بإقامة سبعة شمامسة فقط (٦٨) .

كانت الشمامسية درجة كهنوتية سامية ، ووظيفة بارزة في كنيسة الرسل ، وليس كما نرى الآن بعد أن كادت هذه الرتبة بالمفهوم الرسولى الإنجيلي أن تندثر ... كان للشمامسة خدمة قوية مثمرة ... وإن كنا نقرأ عن هؤلاء الشمامسة ، أنه أنيطت بهم في بادىء الأمر خدمة الموائد الجسدية ، لكنهم كانوا يمارسون التعليم والكرازة ... نقرأ في سفر أعمال الرسل — كمثال — عن استفانوس وخطابه الكرازي القوى (أع ٦ ، ٧) ، ومنه نلمس — إلى جانب الروحانية العجيبة والقلب الملتهب — ثقافته الدينية العالية ... ونقرأ أيضاً — كمثال — عن فيلبس أحد السبعة شمامسة ، وجهوده الكرازية (أع ٨ : ٥-٨ ، ٢٦-٤٠) ... وإلى جانب ذلك نقرأ عن الآيات والمعجزات التي كان الرب يجريها على أيدي هؤلاء الشمامسة . وقد أشارت تعاليم الرسل وقوانينهم إلى الشمامسة وخدمتهم (٦٩) .

كان الشمامسة يقومون بالخدمة الخاصة بهم في القداس الإلهي أثناء تقديس الأسرار ، وفي الخدمات الطقسية الأخرى المرتبطة بالكهنوت في حدود رتبهم . كانوا يحملون الجسد والدم إلى بيوت مَنْ عاقبتهم ظروفهم عن حضور خدمة القداس . ومعظم هؤلاء من المرضى . هكذا يشهد أغناطيوس الأنطاكي الشهيد في رسالته إلى

(68) Eusebius, H.E., 6. 43. 11; Schaff, Vol. 1, p. 499.

(69) Didache, 15; Apostolical Constiutions, 2:26. 29. 30, 31. 44. 57:3. 19; 8. 18.

الترالين (٧٠) ، ويوستينوس الشهيد في دفاعه الأول (٧١) .

هكذا كان الشماسية يقومون بخدمة نشيطة متعددة الجوانب ... فألى جانب خدمة الفقراء ، كانوا يسهمون في خدمة الليتورجية ، كما كانوا يساعدون الأسقف في الشؤون الإدارية للجماعة المسيحية . ولعل ذلك يفسر لنا سبب وضوح عمل الشماسية عن القسيسية أحياناً ، في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة (٧٢) .

هل القسوس لهم الأساقفة ؟

جميع الطوائف البروتستانتية ، ومن سار في فلكها ، ممن تنكر الكهنوت المسيحى ، تعتقد وتعلم أن القسوس (الشيوخ أو المشايخ) هم عينهم الأساقفة . وإن هذه الأسماء الثلاثة : شيخ ، قس ، أسقف ، إنما هي ثلاثة مدلولات لوظيفة كنسية واحدة ... وقالوا فيما قالوا ، أن تسمية قسيس ربما عبرت عن الرتبة ، بينما تسمية أسقف عبرت عن واجبات هذه الوظيفة . وأن الأولى أخذت عن المجمع اليهودى ، والثانية عن الجماعات اليونانية ...

أما مصدر هذا الاعتقاد فهو :

* المقارنة بين (أع ٢٠ : ١٧) ، (أع ٢٠ : ٢٨) ، حيث يدعى نفس الأشخاص بالتسميتين (قسوس وأساقفة) .

* مقارنة (١ : ٣ : ١ - ٧) مع (١ : ٥ : ١٧ - ١٩) ، حيث الأولى تصف مؤهلات الأساقفة ، بينما توضح الثانية تنظيمات باسم الشيوخ .

* أن القديس بولس الرسول يوجه رسالة فيلبى إلى الأساقفة والشماسية ، دون أى ذكر للقسوس (فى ١ : ١) .

(70) Ignatius, Epistle to the Trallians, 2.

(71) Justin Martyr, 1 Apol., 65, 67.

(72) Schaff, Vol. 1, p. 500.

• وأن القديس بولس ، في رسالته إلى تيطس بعدما تكلم عن الشيوخ إنتقل فجأة للحديث عن مؤهلات الأسقف (تى ١ : ٥-٧) ، مما يشعر بأن التسميتين لنفس الأشخاص والوظيفة ... هذا هو مدعاة إعتقادهم (٧٣) .

لكننا سنرى أن الأساقفة ، كانوا منذ عصر الرسل ، رتبة أخرى غير القسوس المدعويين في ترجمة العهد الجديد البيروتية البروتستانتية ، شيوخاً ومشايخ ، وأن رتبة الأسقفية أسمى من رتبة القسيسية (٧٤) .

١ - أول ما تقابلنا كلمة « شيخ » (★) في سفر أعمال الرسل ، حينما أرسلت كنيسة أنطاكية تقدمتها إلى « المشايخ » (★) (في كنيسة أورشليم) بيد برنابا وشاول (أع ١١ : ٣٠) . وكان ذلك بسبب المجاعة التي تنبأ عنها النبی أغابوس ... وبمقارنة هذا النص بما ورد في (أع ٤ : ٣٥) ، عن الأموال التي كان المؤمنون يضعونها تحت أقدام الرسل ، يتضح لنا حدوث تحول في نوع الخدمة التي كان الرسل مسئولين عنها في بادئ الأمر ... لقد إنتقلت هذه الخدمة (قبول العطايا المادية) ، من الرسل إلى المشايخ (★) .

ولما برزت مشكلة التهود في الكنيسة الأولى ، وكان أول ظهورها في أنطاكية ، رتب الإخوة المؤمنون في أنطاكية أن « يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ (★) إلى أورشليم من أجل هذه المسألة . ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والمشايخ » ... وما لبث مجمع أورشليم أن انعقد « فاجتمع الرسل والمشايخ (★) لينظروا في هذا الأمر » . وبعد فحص الموضوع : « رأى الرسل والمشايخ (★) مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم ، فيرسلوهما إلى أنطاكية مع بولس وبرنابا » ... أما صيغة الرسائل فكانت ... « الرسل

(73) Encyclopadia of Religion and Ethics, Vol. 2, p. 660; Schaff, Vol. 1, pp. 491-496.

انظر أيضاً : كتاب الكهنوت لعوض سمعان البليموثي .

(74) Histoire de l'Eglise, T. 1, pp. 270-274.

(*) يمكن وضع كلمة (قسيس) هنا بدلاً من كلمة « شيخ » ، وكلمة « قسوس » بدلاً من كلمتي شيوخ ومشايخ .

والمشايع (★) والإخوة يهدون سلاماً إلى الإخوة الذين من الأمم في أنطاكية» (٧٠) ... وبعدها يقول كاتب سفر الأعمال : « وإذ كانوا يجتازون في المدن ، كانوا يسلمونهم القضايا التي حكم بها الرسل والمشايع (★) الذين في أورشليم ليحفظوها » (أع ١٦ : ٤) .

مَنْ يكون إذن هؤلاء المشايخ (★) الذين تكرر ذكرهم فيما يتصل بمجمع أورشليم إلى جوار الرسل ؟ هل هم الأساقفة ؟ ثابت تاريخياً أنه لم يكن هناك حتى ذلك الوقت سوى يعقوب البار أسقفاً على أورشليم . فَمَنْ يكون هؤلاء سوى الكهنة القسوس ، الذين تحولت إليهم بعض الخدمة التي كان الرسل يقومون بها أولاً كما ذكرنا ... وبالتأكيد ، لم يكونوا الشمامسة ، فهؤلاء أمرهم واضح ...

٢ - وفي سنة ٥٨ حضر القديس بولس إلى أورشليم حاملاً معه إحسانات كنائسه الأُممية ، إلى فقراء أورشليم ، وقابل القديس يعقوب أسقف أورشليم ، وحضر جميع المشايخ (★) تلك المقابلة (أع ٢١ : ١٨) . فَمَنْ يكون هؤلاء المشايخ الذين حضروا مع أسقف أورشليم ، إلا الكهنة القسوس .

٣ - ولا ينبغي أن يتبادر إلى الأذهان ، أن هؤلاء الشيوخ كانوا من الوجهاء والأراخنة المتقدمين أو الأعضاء البارزين . نفس القديس يعقوب أسقف أورشليم ، يكشف في رسالته الجامعة التي تحمل اسمه ، الدور الذي كان هؤلاء القسوس في الكنيسة ، فيقول : « أَمْرِيضُ أَحَدَ بَيْنَكُمْ فليدع شيوخ (قسوس) الكنيسة فيصلوا عليه ، ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤ ، ١٥) ... هكذا نرى أن هؤلاء الشيوخ (القسوس) لا يمكن أن يكونوا مجرد أعضاء بارزين في وسط الجماعة المسيحية ، بل هم خدام منوط بهم وظيفة دينية طقسية ، ولهم القدرة على منح نعم روحية (٧٦) ... وحديث معلمنا بولس الرسول في ميليتس إلى قسوس أفسس ، شاهد قوى على وظائفهم الرعوية (أع ٢٠ : ٢٨-٣١) .

(٧٥) انظر : أع ١٥ : ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(76) Histoire de l'Eglise, T. 1, pp. 270, 271.

٤ - الربط الظاهري السطحي بين (أع ٢٠ : ١٧) « ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة » ، وبين (أع ٢٠ : ٢٨) حيث يدعوهم أساقفة « إحترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي إقتناها بدمه » ... هذا الخلط نتج من الترجمة العربية لكلمة episkopos اليونانية إلى أسقف . فهذه الكلمة في اليونانية — كما قلنا سابقاً — تعنى « ناظر » overseer ، « مدير » superintendent^(٧٧) ، « معتنى » one who exercises care over أو « قيم » guardian^(٧٨) . فلماذا ترجمت إلى العربية في هذا الموضع بكلمة أسقف ، وهو ليس المعنى الوحيد للكلمة ؟ هذا ، بينما ترجمت نفس الكلمة اليونانية في (١ بط ٥ : ٢) « نظاراً » ... « إرعوا رعية الله التي بينكم نظاراً ، لا عن إضطرار بل بالإختيار » ...

وفي الترجمة الإنجليزية مثلاً ، نجد أن هذه الكلمة في الآية المذكورة (أع ٢٠ : ٢٨) ، لم تترجم بكلمة bishops أى أساقفة ، بل ترجمت إلى المعانى الأخرى التي تعنيها هذه الكلمة — فترجمت guardians^(٧٩) ، وترجمت في أحدث ترجمة لجامعتي إكسفورد وكامبريدج^(٨٠) : ... which the Holy spirit has given you charge

كما أن كلمة أسقف التي وردت في الترجمة العربية للآية (١ بط ٢ : ٢٥) « لأنكم كنتم كخراف ضالة ، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها » ، لم ترد في الترجمات الأخرى هكذا . فوردت في الترجمة الإنجليزية guardian وليس bishop . ووردت في الترجمة الفرنسية gardien وليس évêque كما في الآيات الأخرى التي تتكلم عن الأسقف كرتبة كهنوتية .

(*) نفس الهامش السابق بخصوص كلمات شيخ وشيوخ ومشايخ .

(77) Young's Analytical Concordance to The Bible.

(78) Wuest, The Pastoral Epistles, p. 52.

(79) The Revised Standord Version; Moffatt, A New translation of the Bible.

(80) Oxford and Cambridge; The New English Bible.

واضح إذن من كل ما سبق أن كلمة «أساقفة» الواردة في الترجمة العربية للآية (أع ٢٠: ٢٨)، لا تعنى الرتبة الكهنوتية بحسب مفهوم الكلمة، بل المقصود هو المعنى اللغوي للكلمة على النحو الذى ذكرناه. ولعل أكبر دليل على صدق رأينا هذا، هو أن القديس لوقا كاتب سفر الأعمال قال عن بولس أنه: «إستدعى قسوس الكنيسة» ... وقد فهمت الكنيسة منذ القديم الآية المذكورة على هذا النحو ... فالقديس يوحنا الذهبي فمه — وهو من أئمة التفسير في الكنيسة الجامعة — في تفسيره لهذه الآية، لا يذكر كلمة أساقفة، بل نظار^(٨١).

٥ - أما الإدعاء بأن القديس بولس لم يشير إلى القسوس بينما ذكر شروط الأسقف والشماسية في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (١ تي ٣: ١-١٣)، فهو إدعاء غير صحيح ... فالواقع أن مار بولس تكلم في نفس الرسالة عن القسوس تحت اسم الشيوخ، فقال: «أما الشيوخ (القسوس) المدبرون حسناً، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم ... لا تقبل شكاية على شيخ (قس) إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود» ... ولئلا يظن أحد أنه قصد بالشيوخ كبار السن (كما في ١ تي ٥: ١)، قال بعدها مباشرة: «لا تضع يداً على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين» ... وواضح أنه يقصد بوضع اليد هنا الرسامة الكهنوتية، — كما سنشرح ذلك فيما بعد.

وجديرًا بالذكر أن القديس بولس، غالباً ما يشير إلى القسوس في رسائله الأخرى بحسب الخدمات التى كانوا يقومون بها. فيذكر مدبرين^(٨٢)، ورعاة ومعلمين^(٨٣)، وأساقفة وشماسية (في ١: ١)، ومرشدين^(٨٤). وفي (١ تي ٥: ١٧) يذكر «الشيوخ»^(٨٥) المدبرين حسناً^(٨٦).

(81) Homily 44 on the Acts (N.P.N.F., Vol 11, p. 269).

(٨٢) ١ تس ٥: ١٢؛ رو ١٢: ٨.

(٨٣) أف ٤: ١١.

(٨٤) عب ١٣: ٧، ١٧، ٢٤.

(٨٥) وترجم القسوس أيضاً.

(86) Histoire de l'Eglise, T. 1, p. 271.

٦ - القديس بولس ، يوجه رسالة إلى فيلبى إلى « جميع القديسين فى المسيح يسوع الذين فى فيلبى مع أساقفة وشمامسة » (فى ١ : ١) — وليس هناك أى ذكر أو إشارة إلى القسوس . ومن الملاحظ أن القديس بولس فى كل مرة تكلم فيها عن الأسقف بالمعنى الكهنوتى ذكره بصيغة المفرد ^(٨٧) . أما عن القسوس (الشيوخ) ، فلم يرد ذكرهم فى كتابات العهد الجديد ، سواء لبولس أو لكاتب سفر الأعمال أو لغيرهما إلا بصيغة الجمع ^(٨٨) ... والمرات الوحيدة التى وردت فيها كلمة شيخ فى صيغة المفرد ، قصد بها شيخوخة السن وليس وظيفة القسيس الكهنوتية ^(٨٩) وفى هذا دليل على سمو رتبة الأسقفية عن القسيسية ، والدرجة الأسمى عدد وظائفها أقل من الأدنى منها ...

من أجل هذا فإن أولئك الذين ذكرهم القديس بولس فى (فى ١ : ١) على أنهم أساقفة ، هم فى الواقع قسوس وليسوا أساقفة . وهو فى هذه الحالة يخاطب هؤلاء القسوس باعتبار خدمتهم وعملهم الرعوى . ومن ناحية أخرى ، فإن التقليد القديم جداً منذ تأسيس الكنيسة إستقر على أن يقام أسقف واحد على مدينة واحدة ، أو على إقليم (عدة مدن) ... أما القديس يوحنا الذهبى فمه — وهو من أعمدة التفسير فى الكنيسة الجامعة — فىرى — إلى جانب ما ذكرنا — أن مار بولس كان يعنى بالأساقفة القسوس ، لأن العادة كانت أن يتبادل الخدام الألقاب ... يقول فى تفسيره للآية (فى ١ : ١) : [يقول (مار بولس) إلى شركائى ^(٩٠)] الأساقفة والشمامسة . ما هذا ، هل كان هناك أساقفة عديدون لمدينة واحدة ؟ قطعاً لا . لكنه دعا القسوس هكذا ، لأنهم كانوا يتبادلون الألقاب . وكان الأسقف

(٨٧) ١ تى ٣ : ٢ ؛ ١ تى ٧ : ٧ .

(٨٨) انظر : أع ١١ : ٣٠ ؛ ١٤ : ٢٣ ؛ ١٥ : ٤ ، ٢٣ ؛ ١٦ : ٤ ؛ ٢٠ : ١٧ ؛ ٢١ : ١٨ ؛ ١ تى ٥ : ١٧ ؛ ١ تى ٥ : ١ ؛ يع ٥ : ١٤ ؛ ١ بط ٥ : ١ .

(٨٩) ١ تى ٥ : ١ ؛ فل ٩ : ٢ ؛ ١ يو ٣ : ١ — انظر :

Wuest, The Pastoral Epistles, p. 77; The Second and Third Epistles of John, p. 199.

(٩٠) « شركائى » ، هكذا هى موجودة فى عدد كبير من المخطوطات القديمة للعهد الجديد .

يدعى خادماً^(٩١) . ولهذا السبب ، فليكن كتب إلى تيموثاوس — وهو أسقف — قال له : « تم خدمتك » . أما كونه أسقفاً فيتضح من قوله له : « لا تضع يدك على أحد بالعجلة » (١تى ٥ : ٢٢) ، وأيضاً : « المعطاة لك بوضع أيدى المشيخة » (١تى ٤ : ١٤) . ومع ذلك فلا يمكن أن يكون القسوس (الشيوخ) قد وضعوا أيديهم على أسقف ... لذلك — وكما قلت — فقد دعى القسوس قديماً أساقفة ، وخادماً للمسيح . ودعى الأساقفة شيوخاً ... ولكن فيما عدا ذلك فالاسم الخاص مخصص بوضوح لكل منهم [٩٢)] .

٧ - أما ما جاء في (١تى ٥ : ٧ - ٧) « م أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة ، وتقيم في كل مدينة شيوخاً (قسوساً) كما أوصيتك . إن كان أحد بلا لوم ... لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله » ... فالقديس بولس يتكلم أولاً عن القسوس ، ثم ينتقل فجأة ليتكلم عن الأسقف ، مما يوحي للبعض أن القسوس والأساقفة هم درجة واحدة .

ونلاحظ هنا ، أنه في الوقت الذي يتكلم فيه عن إقامة شيوخ (قسوس) بصيغة الجمع ، ينتقل فجأة لكلام عن الأسقف بصيغة المفرد ... أما السبب في ذلك فهو لأن الكنيسة درجت على اختيار الأساقفة من بين القسوس^(٩٣) ... ووضعت شروطاً خاصة لمن يرقى لهذه الدرجة السامية ... فلا تعارض بين النصين ، ولا خلط بين الرتبين والوظيفتين ... ومازالت الكنيسة حتى الآن تمارس الترقية من درجة كهنوتية إلى أخرى .

يقول الأستاذ كينيث وست^(٩٤) Kenneth Wuest في شرحه للاصحاح الخامس من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ، مستشهداً برأى أستاذ آخر يدعى فنسنت Vincent ،

(٩١) باليونانية Diakonos ، وهي أيضاً الكلمة المستخدمة للتعبير عن الشماس .

(92) N.P.N.F., Vol. 6, Homily 1, p. 184.

(93) Carrington, Vol. 1, p. 269.

(٩٤) أستاذ الدراسات اليونانية للعهد الجديد في معهد مودى للكتاب المقدس في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية .

يقول : [إن النقد الحديث ، يضطرنا — كما أعتقد — أن نتخلى عن فكرة وحدة الأسقف والشيخ (القس)]. ويستشهد بشهادة القديس أكليمنضس الروماني ، في أن الأساقفة متميزين عن القسوس . وإذا كان الأساقفة يشار إليهم بوضوح كقسوس ، فما ذلك إلاّ لأنهم كانوا يختارون من بين جماعة القسوس ، وظلوا يحتفظون بالاسم حتى بعد أن تركوا الوظيفة (٥٠) .

“ Vincent presents a strong case for his assertion, that modern criticism Compels us, I think. to abandon the view of the identity of bishop and presbyter. He cites the testimony of Clement of Rome to the effect that bishops are distinguished from the presbyters, and if the bishops are apparently designated as presbyters, it is because they have been chosen from the body of presbyters, and have retained the name even when they have ceased to hold office ” (٥٠) .

وفي تفسيره (تى ١ : ٥ - ٧) يورد الأستاذ وست Wuest أيضاً رأى الأستاذ فنسنت الذى يقول : [إن معنى الوصية ، هو أن يختار تيطس من بين مجموعة الشيوخ (القسوس) ذوى السمعة الطيبة ، بعضاً ، ليكونوا نظاراً (أساقفة) على الكنائس فى المدن المتعددة (٩٦) ... ونفس المعنى يورده أيضاً المؤلف فى معرض حديثه عن (١يو ٢) فيقول : [من بين رتبة هؤلاء (القسوس) ، كان يختار الأساقفة » (٩٧) .

درجات الكهنوت الثلاثة فى كتابات الآباء الرسولين :

نلاحظ أن درجات الكهنوت الثلاثة (الأسقفية والقسيسية والشماسية) ،

(٥٠) كلمة قسوس هنا يمكن أن تحمل المعنى العام أى كهنة كما يقال عن قائد الجيش أنه جندى .

(95) Wuest, The Pastoral Epistles, p. 77.

(96) Ibid, p. 183; Carrington, Vol. 1, p. 269; Daniélou, Vol. 1, p. 37.

(97) Wuest, Studies in 2 John, p. 199.

واضحة كل الوضوح في كتابات الآباء الرسولين ، ونقصد بهم تلاميذ الرسل ومعاصريهم . ونكتفى بعيتين من كتابات القديسين كليمنضس الروماني ، وأغناطيوس الأنطاكي الشهيد ...

● يقول كليمنضس في رسالته إلى كنيسة كورنثوس : [والرسل ... بعد أن كرزوا في الأقاليم والمدن ، أقاموا باكورة أعمالهم — بعد أن اختبروهم في الروح — أساقفة وشمامسة لأولئك الذين سيؤمنون فيما بعد ... طوبى لأولئك القسوس (الشيوخ) ، الذين أكملوا قبل الآن (تنيحوا) ، فقد كان إنتقالهم من هذا العالم مثمراً وكاملاً] (٩٨) .

● أما أغناطيوس الشهيد ، فقد أشار مراراً في رسائله إلى درجات الكهنوت الثلاثة :

(أ) يقول في رسالته إلى أهل أفسس : [يليق بكم أن تكونوا باتفاق مع إرادة الأسقف الذى يدبركم ، بعد أن أقامه الله عليكم ، الأمر الذى تفعلونه بالحقيقة من تلقاء أنفسكم ، حيث أن الروح يعلمكم أن قسوسكم الذائعى الصيت كما يليق بالله ، منسجمون مع الأسقف ، إنسجام الأوتار بالقيثارة] (*) .

(ب) وفي رسالته إلى الترابين يقول : [إخضعوا للأسقف كما للرب ، لأنه يسهر لأجل نفوسكم ، كإنسان سيعطى حساباً لله . من الضرورى إذن — مهما فعلتم — ألا تفعلوا أمراً بدون الأسقف . واخضعوا للقسوس كما لرسول يسوع المسيح رجائنا ... ويليقي بكم أيضاً — من كل وجه — أن ترضوا الشمامسة الذين هم خدام أسرار يسوع المسيح . فهم ليسوا خدام طعام وشراب ، بل خدام كنيسة الله] (**) .

(ج) ومن رسالته إلى أهل فيلادلفيا : [لى ثقة بكم فى الرب ، أن لا تتحولوا عن ذهنكم — وأكتب إليكم واثقاً فى محبتكم اللاتئة بالله ، حاثاً إياكم أن

(98) Clement of Rome, Epistle to the Corinthians, 42, 44. (A.N.F., Vol. 1, pp. 16, 17).

(*) A.N.F., Epistle of Ignatius to the Ephesians, Ch. 4, p. 50.

(**) A.N.F., Epistle of Ignatius to the Trallians, Ch. 2, pp. 66, 67.

يكون لكم إيمان واحد ... وافخارستيا واحدة . فإنه ليس هناك سوى جسد واحد
لربنا يسوع المسيح ، ودمه الواحد الذى سُفِكَ عِنا ... ومذبح واحد للكنيسة كلها .
أسقف واحد مع القسوس والشمامسة شركائى فى الخدمة [(***)] .

(د) ويذكر فى قصة إستشهاده ، أنه بعد أن وصل إلى سميرنا (أزمير) ،
إستقبله هناك الأساقفة والقسوس والشمامسة ، الذين أسرعوا من الجهات المتاخمة
للقائه والتبرك منه (٩٩) .

خدمة النساء

سبق أن عرضنا لأثر المسيحية على المرأة ، ووضع المرأة فى الكنيسة المسيحية .
لذا ، فليس غريباً أن نلمس خدمة النساء واضحة فى كنيسة الرسل ، ونقرأ عن
نشاطهن . على أن ذلك لم يكن شيئاً مألوفاً فى مجتمع ذلك العصر ... لقد وجدت
كاهنات فى بعض الديانات الوثنية ، ووجدت عذارى للآلهة فستا Vesta ، لكن دور
المرأة اليهودية — فى الخدمة الدينية — كان ضئيلاً ومحدداً . والمرأة اليهودية لم تكن
فى حال أفضل من هذه الزاوية ، إذ لم يكن يسمح لها بالمشاركة فى الخدمة
الدينية . وباستثناء أمثلة نادرة ومتفرقة (١٠٠) ، فإن المرأة فى اليهودية ، كانت
بمعزل عن مجال الخدمة الدينية . وليس أدل على ذلك من الغرابة التى تملكت
تلاميذ السيد المسيح حينما رأوه — فى قصة السامرية — يكلم امرأة (يو : ٤ : ٢٧)
... فلقد نظر معلمو اليهود فى ذلك العصر إلى المرأة نظرة إحتقار . لكن المسيحية
رفعت من قدر المرأة .

(***) A.N.F., Epistle of Ignatius to the philadelphians, Ch. 4, p.81.

(99) A.N.F., The Martyrdom of Ignatius, Ch. 3, p. 130.

(١٠٠) مثل دبوراة وخلدة النبيتين — انظر : قض : ٤ : ٤ ؛ مل ٢٢ : ١٤ .

لقد أشرنا قبلاً إلى النساء اللاتي كن يخدمن الرب يسوع من أموالهن ... هؤلاء لم تتوقف خدمتهن له بانتهاء حياته الجسدية على الأرض . لكنهن قدمنها له شخص كنيسة المقدسة التي هي جسده . وحتى قبل مولد الكنيسة في يوم الخمسين ، نرى مشاركة المرأة في حياة الكنيسة وخدمتها . لقد قدمت مريم أم يوحنا الملقب مرقس (مار مرقس) بيتها في أورشليم ليكون أول كنيسة مسيحية في العالم (أع ١٢ : ١٢) . وهناك كانت النساء المؤمنات والعذراء الطاهرة مريم يواظبن على الصلاة مع الرسل ، منتظرين موعد الآب (أع ١ : ١٤) .

وخارج أورشليم ، نقرأ عن طابيثا في يافا ، تلك التي كانت ممثلة أعمالاً صالحة وإحسانات للفقراء والأرامل (أع ٩ : ٣٦) ، وبنات فيلبس المبشر الأربع اللاتي كن يتبنأن في قيصرية (أع ٢١ : ٩، ٨) ... ويحدثنا مار بولس في رسالته إلى أهل فيلبى عن أفودية وسنتيخي اللتين جاهدتا معه في الإنجيل (في ٤ : ٣، ٢) ... ويشير مار بولس في رسالته إلى أهل رومية عن خدمة النساء في عاصمة الإمبراطورية ... فيذكر مريم التي تعبت كثيراً ، وتريفينا وتريفوسا التابعتين في الرب ... كما يذكر برسيس المحبوبة (رو ١٦ : ١٢، ٦) .

وفي كنيسة كورنثوس وجدت إثنتان من أنشط نساء العصر الرسولي خدمة هما بريسكلا وفيبى ... وقد خدمت الأولى مع زوجها أكيلا في أفسس وروما وكورنثوس . وقد أقام بولس في بيتهما في كورنثوس مدة إقامته الطويلة هناك . ويتحدث عنهما بتقدير كبير فيقول : « اللذين وضعنا عنقيهما من أجل حياتي » (رو ١٦ : ٤) .

أما فيبى فهي أيضاً من كنيسة كورنثوس ، ويذكرها القديس بولس في الرسالة إلى أهل رومية ، وهي نفسها كاتبة هذه الرسالة ... « أوصي إليكم بأختنا فيبى التي هي خادمة الكنيسة التي في كنعخريا (١١) ، لكي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين ... لأنها صارت مساعدة لكثيرين ، ولي أنا أيضاً » (رو ١٦ : ٢، ١) .

(١٠١) ميناء كورنثوس .

الشماسات (١٠٢):

تكلمنا عن النساء في كنيسة الرسل ، وذكرنا بعض الأسماء . هؤلاء اللائي ذكرنا أسماءهن ، كن يعملن بغيرة قلبية ، لكننا لا نعتقد أنهن كن مكلفات من قبل الكنيسة ... وأول إشارة تقابلنا في العهد الجديد عن دياكونية المرأة ، هي المرتبطة بفيبي ... يقول مار بولس في (رو ١٦ : ١) «أوصي إليكم بأختنا فيبي ، التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا» . والكلمة اليونانية التي ترجمت خادمة هي Diakonos وهي نفس الكلمة التي إستخدمت عن السبعة شمامسة (أع ٦) .

والقديس بولس في رسالته إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس ، فيما يتحدث عن صفات الشمامسة ، يشير إلى النساء « كذلك يجب أن تكون ذوات وقار غير ثالبات صاحيات أمينات في كل شيء » (١ تي ٣ : ١١) . ويكاد يجمع جميع المفسرين القدامى والمحدثين ، على أن الرسول يتكلم هنا عن الشماسات ، وليس عن زوجات الشمامسة . يقول القديس يوحنا الذهبي فمه في تفسيره لهذه الآية : [لقد ظن البعض أن هذا الكلام قد قيل عن النساء عامة . لكن الأمر ليس كذلك ... إنه يتكلم عن الشماسات] (١٠٣) ... ويؤكد الأستاذ وست Wuest أن النص اليوناني يؤكد وجهة النظر بأن الأمر يختص بالشماسات (١٠٤) .

أما الخدمة التي كانت الشمامسة منوطة بها ، فهي خدمة بغات جنسها بصفة عامة ، كما نصت على ذلك قوانين الرسل . كانت تقوم على المداخل المؤدية إلى القسم المخصص للنساء في مكان العبادة (١٠٥) . وكان من أعمالها الهامة ،

(102) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 8, pp. 668, 669; Dictionary of Christian Antiquities Vol. 1, pp. 532, 533; The Ministry of Deaconesses, pp. 64-79.

(103) Commentary on 1 Timothy, Homily 11 (N.P.N.F., P. 441).

(104) Wuest, the Pastoral Epistles, p. 61.

(105) Apostolical Constitutions, 2. 57. (A.N.F., p.42).

مساعدة الكاهن في عماد النساء في الأمور واللحطات التي يجب أن يتنحى ، حتى لا يبصر جسد امرأة عارياً (١٠٦) ... وكان الأسقف يرسلها لإفتقاد النساء ، خاصة في بيوت غير المؤمنين ، حيث يستحسن ألا يذهب الشماس الرجل للإفتقاد منعاً للعثرات (١٠٧) .

وقد أجملت قوانين الرسل خدمة الشماسة في النص التالى [والشماسة فلتكن صاحبة في العناية بالنساء ، ويكون كلاهما (الشماس والشماسة) على استعداد لحمل رسائل ، للسفر ، وللخدمة] (١٠٨) ... وفي تقليد قديم أن فيبى شماسة كنيسة كنخريا هي التي حملت رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ، بعد أن كتبها في كورنثوس .

وقد إشتطت قوانين الرسل أن تكون الشماسة عذراء طاهرة ، أو على الأقل أرملة سبق لها الإرتباط بزوجة واحدة (١٠٩) . ونلاحظ أن رتبة الشماسة في الكنيسة ليست درجة كهنوتية ، فلا كهنوت للنساء . ولا توضع عليها الأيدى كما في حالة الرسامات الكهنوتية . لكنها تقام من الأسقف ، ويتلو عليها صلاة ، وردت في قوانين الرسل (١١٠) ، جاء فيها :

« يا الله الأبدى ، أبا ربنا يسوع المسيح ، خالق الرجل والمرأة ، الذى ملأ بروحه مريم ودبورة وحنة وخلدة ، ولم تستكف أن يولد ابنك الوحيد من امرأة ... إلخ » .

هكذا كانت الكنيسة الأولى حية لكل إحتياجاتها ، واستغلت كل طاقات أعضائها ، من أجل تحقيق الرعاية الكاملة لكل فرد فيها ... وعلى الرغم من الجمود الذى كان يتصف به المجتمع وقتذاك من جهة إحتجاب المرأة ووضعها ، فقد عرفت الكنيسة كيف تتغلب على هذه الصعوبات الإجتماعية ، التى كان لا سبيل

(106) Ibid, 3. 16. (A.N.F., p. 431).

(107) Ibid, 3. 2. (A.N.F., p. 431)

(108) Ibid, 3. 19. (A.N.F., p. 432)

(109) Ibid, 6. 17. (A.N.F., p. 457).

(110) Ibid, 8. 20 (A.N.F., p. 492).

لقد دخلت الكنيسة إلى حيث النساء والفتيات في شخص الشماسات القديسات . ونحن لا نشك في أن شطراً كبيراً من تعليم النساء والأطفال كان موكولاً إليها . وكانت هي همزة الوصل بين الكنيسة والقطاع النسوى فيها (١١) .

الأرامل (١٢) :

أول ما نقرأ عن الأرامل في الكنيسة المسيحية في (أع ٦ : ١) ، فيما يتصل بموضوع إقامة السبعة شمامسة . ثم نقرأ عنهن في قصة طابيثا (أع ٩ : ٣٩ ، ٤١) ... ويبدو أن رعاية الكنيسة لهن في الفترة المبكرة من تاريخها كان ينحصر في تقديم وجبات طعام يومياً (أع ٦ : ١) . لكن سرعان ما تزايد عدد الأرامل ، حتى أن الرسول بولس يعطى إهتماماً خاصاً لهن في رسائله الرعوية . وإزاء تزايد الأعباء المادية على الكنيسة بسبب مساعدتها للأرامل ، كتب القديس بولس هكذا : « إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل فليساعدهن ، ولا يثقل على الكنيسة لكي تساعد هي اللواتي هن بالحقيقة أرامل » (١ تي ٥ : ١٦) .

على أن ما يهمنا في موضوع الأرامل ، ليس هو رعاية الكنيسة لهن مادياً ، فهذا أمر مفروغ منه ، ويتكلم عنه يعقوب الرسول على أنه الديانة الطاهرة (يع ١ : ٢٧) ... لكن الكنيسة الناشئة عرفت كيف تقوم بواجبها إزاء هذه الفئة البائسة ، وفي نفس الوقت رفعت من معنوياتهن ، واستفادت منهن بعد أن كن يشكلن عبئاً عليها ... لقد عرفت الكنيسة كيف تحول هذه الفئة إلى طاقة فعالة ضمن طاقاتها .

(١١١) يقول المؤرخ شاف Schaff أن وظيفة الشمامسة في الكنائس الشرقية استمرت حتى نهاية القرن الحادى عشر — انظر : Schaff, Vol. 1, pp. 500, 510.

(١١٢) اهتم الآباء بوضع الأرامل في الكنيسة ووضعوا لهن القوانين — انظر : قوانين باسيليوس الكبير ص ٣٦٦ - ٣٧٠ ، S.. Augustin, Good of widowhood.

لقد شكلت الأرامل طغمة خاصة داخل الكنيسة ، هن عمل ورسالة ... وهكذا نقلتهن الكنيسة من وضع المنتفعين الذين يتقاضون مساعدات مادية ، إلى وضع الخادמות ... ليس معنى هذا أن الكنيسة تخلت عن اعالتهن والعناية بهن ، لكن كانت عليهن أعمالاً يؤديونها ، مقابل اعالتهن ...

يقول القديس بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس : « لتكتب أرملة أن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، امرأة رجل واحد . مشهود لها في أعمال صالحة . ان تكن قد ربت الأولاد ، اضافت الغرباء ، غسلت أرجل القديسين ، ساعدت المتضايقين ، إتبعك كل عمل صالح . أما الأرامل الحداث فارفضهن لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن » (١ تي ٥ : ٩-١١) ... هذا الكلام يوضح أنه كانت هناك شروط لعضوية طغمة الأرامل في الكنيسة ... ليس معنى هذا أن الكنيسة كانت تساعد فريقاً من الأرامل دون فريق ، بل هي كانت تساعد الجميع ، لكنها إشتربت مؤهلات معينة لعضوية طغمة الأرامل ، اللائى سوكل إليهن خدمات معينة (١١٣) .

هكذا نرى أن مؤهلات الأرملة كانت مؤهلات عالية ، حتى أن القديس يوحنا الذهبي فمه ، في تعليقه على قول الرسول « اتبعك كل عمل صالح » . (١ تي ٥ : ١٠) يقول : [عجباً ! أى نوع من التدقيق هذا الذى يطلبه الرسول من الأرامل . إنه يكاد يكون نفس ما يطالب به الأسقف ...] (١١٤) وليس هذا فحسب ، بل إن قوانين الرسل أمرت بأن تبقى الأرملة فترة تحت الإختبار ، إن لم يكن موثقاً بها ، وذلك قبل أن تدرج في قوائم طغمة الأرامل (١١٥) .. ولا شك أن هذا يوضح لنا مدى إهتمام الكنيسة الأولى بهذه الفئة ، التى غدت عبر الأجيال كماً مهملاً في كنيسة المسيح !!

هكذا نرى أن الأرامل قد شكلن طغمة خاصة داخل الكنيسة ، هن كيان

(113) Wuest; The Pastoral Epistles, p. 78.

(114) Commentary on first Timothy, Homily 14 (N.P.N.F., p. 454).

(115) Apostolical Constitutions, 8. 25 (A.N.F., p. 493).

خاص متميز عن العلمانيين العاديين^(١١٦). لكن يبدو أن الأرامل في عملهن وخدمتهن كن على نوعين: نوع منقطع للصلاة وملازمة الكنيسة تشبهاً بحنة بنت فنوئيل^(١١٧) التى وهى «أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً» (لو ٢: ٣٧)، ونوع كان يخدم بين المرضى، ويبحث الشابات على حياة الطهارة، ويشربون غير المؤمنات^(١١٨) وهذا يتمشى مع وصية القديس بولس لتلميذه الأسقف تيطس عن العجائز «معلمات الصلاح»^(١١٩)، لكى ينصحن (يدربن) الحدّثات» (تى ٢: ٣، ٤).

وقد أشار الآباء الرسوليون إلى الأرامل وخدمتهن، وأوصوا بهن ... أشار إليهن هرماس في كتابه الراعى^(١٢٠). والقديس أغناطيوس الشهيد، غير الهراطقة لأنهم أهملوا الأرامل^(١٢١)، ويبحث القديس بوليكرابوس، ألا يهمل الأرامل، بل يجعلهم موضع عنايته الخاصة^(١٢٢) ... وبوليكرابوس نفسه بحث قسوس فيلبى ألا يهملوا الأرامل، ويدعوهم [مذبح الله]^(١٢٣) ... وقوانين الرسل تشبه الأرامل والأيتام بمذبح المحرقة الذى كان في هيكل العهد القديم، الذى كانت التقديمات تقدم عليه لله^(١٢٤) ... ويوستينوس الشهيد، يضع الأرامل والأيتام على رأس قائمة من توزع الكنيسة عليهم مساعداتها^(١٢٥).

(116) Ibid, 3. 1. 2; 8. 25.

(117) Ibid, 3. 1 (A.N.F., p. 426).

(118) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 2034; Hastings, Dictionary of the Bible, p. 972.

(١١٩) لفظ معلمات الصلاح في اليونانية هو Kalodidaskalos وتعنى معنى التعليم الشفوى والتدريب. انظر: Wuest; The pastoral Epistles, p. 191.

(120) Hermas; The Pastor, 3. 26.

(121) Epistle to the Smyrnaeans, ch. 6.

(122) Epistle to Polycarp, ch. 4.

(123) Epistle to the Philipians, ch. 4.

(124) Apostolical Constitutions, 2. 26.

(125) Justin Martyr, 1 Apol. 67.

الرعاية الاجتماعية

ونقصد بالرعاية الاجتماعية كل أعمال الرحمة التي خصت بها الكنيسة الأولى أعضاءها من الفقرا والمنكوبين والأرامل والأيتام في شتى صور عوزهم واحتياجاتهم ... وقد استمدت الكنيسة الأولى مشاعر العطف على الفقراء من كلمات رب المجد يسوع نفسه ، وحياته الجسدية على الأرض .

١ - نظرة الكنيسة للفقراء :

عاش السيد المسيح - وهو رئيس ملوك الأرض (رؤ ١ : ٥) - في العالم فقيراً ، ليس له بيت خاص يأوى إليه ، ولا حتى موضع يسند فيه رأسه (مت ٨ : ٢٠) ، ولا يمتلك ثوبين ... وقد أظهر بتصرفاته حنواً بالغاً على الفقراء ، وفتح بكلماته وأمثله عن الرحمة كنوز الأغنياء ، حينما أظهرها في صورة مشرقة قوية قادرة أن توصل إلى المجد (١٢٦) ... هكذا أضاعت حياة الرب يسوع وكلماته بقوة أجيال الكنيسة في كل مكان . وكان لها من القوة والتأثير ، أن عملت معجزات عبر الأجيال المتلاحقة في الأفراد والجماعات والشعوب ...

لقد إكتسب الفقر وضعاً جديداً نتيجة شعاع إنعكس عليه من مجد ذاك الذى إتضع وصار فقيراً ... وهكذا رفع الفقراء وكرموا بعد أن جعلهم المسيح إخوته ، واعتبر ما يصنع بهم من أعمال الرحمة كأنها قدمت إليه . وتستوى في ذلك الأعمال العظيمة ، مع ما يبدو تافهاً ... فحتى كأس الماء البارد باسمه لا يضيع أجره (مت ١٠ : ٤٢) ...

هكذا آمنت الكنيسة الأولى بالرحمة كفضيلة كبرى ومظهر للقلب الذى

(١٢٦) انظر : مت ٥ : ٧ : ٩ : ١٣ : ٢٥ : ٣٤ - ٣٦ : ٤٠ : ٦٠ : ٣٦ : ١٢ : ٢١ : ١٦ : ١٩ - ٣١ .

يريده الله ، وعلمت بنفعها ، وبأنها الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب
(يع ١ : ٢٧) ، في الوقت الذى حملت على الثروة المادية المعطلة التى يساء
إستخدامها ، وعلى الأثرياء الذين يعيشون لأنفسهم فقط ...

ويقدم لنا سفر أعمال الرسل البرهان العملى على إيمان أعضاء الكنيسة الأولى
بعمل الرحمة ، فيذكر لنا مَنْ باعوا حقولاً وبيوتاً وقدموا أثمناتها للكنيسة ... ومن
بينهم يسجل لنا أسماء برنابا الرسول وحنانيا وسفيرة (أع ٤ : ٣٤ - ٥ : ٢) . كما
يذكر اسم طابيثا التى إهتمت بالفقراء ، وعلى الأخص بالارامل (أع ٩ : ٣٦ - ٣٩)
... هذا من الناحية الفردية ، أما على مستوى الكنيسة العام ، فقد كان هناك
تنظيم مالى خاص ...

٢ - التنظيم المالى والرعى فى كنيسة الرسل :

واضح أن المجتمع المسيحى الأول — على الأخص فى أورشليم — كان معظم
أعضائه من العناصر الفقيرة الكادحة (١٢٧) ويكشف لنا القديس بولس ذلك حينما
يقول : « ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ، ليس كثيرون أقوياء ، ليس
كثيرون شرفاء » (١ كو ١ : ٢٦) . وإزاء ذلك — ومع إزدياد عدد المؤمنين يوماً
فيوم — أخذت مسئوليات الكنيسة المالية تتزايد ... ووضحت الحاجة ماسة إلى
تنظيم رعى للفقراء ، بالإضافة إلى تنظيم مالى ...

فيما يختص بالتنظيم الرعى ، أقامت الكنيسة الأولى السبعة شمامسة كهنة
مسئولة عن خدمة الموائد ، وهو إصطلاح يعنى الخدمة الإجتماعية . وكانت الكنيسة
فى الفترة المبكرة جداً تقدم وجبات طعام يومية لفقراء المؤمنين .

أما التنظيم المالى فكان الغرض منه ، أن يحيا كل فرد فى الجماعة حياة
كريمة « لم يكن فيهم أحد محتاجاً » (أع ٤ : ٣٤) . هذه الحياة الكريمة جاءت

(127) Karl Kautsky, foundations of Christianity, p. 272.

نتيجة للحياة المشتركة ، أو الحياة الإشتراكية كما تسمى « لم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له ، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً » (أع ٤ : ٣٢) .
ونلاحظ على الإشتراكية المسيحية الأولى ، أنها مفهوم روحى بالدرجة الأولى وليست بحسب المفهوم الإقتصادى فى النظام الشيوعى الحديث ... ونلاحظ على هذه الإشتراكية المسيحية الأولى ما يلى :

(أ) لم تكن إجبارية (أع ٥ : ٤) ... فالمسيحية تعلم أن الإنسان لا ينال جزاء عمل طيب يعملهُ إلا إذا عمله برضاه وبمحض إرادته ورغبته . هكذا يقول مار بولس لفلبيون : « لكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً ، لكى لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار ، بل على سبيل الاختيار » (فل ١٤) .

(ب) هذه الإشتراكية الأولى لم تكن تعنى التجرد التام من كل شيء .
فمريم أم يوحنا الملقب مرقس ، استمرت تمتلك بيتاً فى أورشليم ، كانت تعقد فيه إجتماعات الكنيسة (أع ١٢ : ١٢) .

(ج) إن هذه الإشتراكية كانت وليدة مفهوم روحى جديد ، ونتيجة عمل النعمة فى القلب ... لقد أصبح جميع المسيحيين أعضاء فى جسد واحد رأسه المسيح ، وكان لهم قلب واحد ونفس واحدة (١٢٨) . فلا عجب إن كان لهم الإحساس الواحد بالآلام البعض واحتياجاتهم . والكنيسة لم تطالب أعضاءها بأن يقدموا ... لقد قدموا هم من تلقاء أنفسهم ، بل كانوا يلتمسون من الكنيسة أن تقبل عطاياهم . هذا ما كشفه القديس بولس عندما تكلم عن المكذوبين « لأنهم أعطوا حسب الطاقة ، أنا أشهد وفوق الطاقة من تلقاء أنفسهم . ملتمسين منا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة ، وشركة الخدمة التى للقديسين » ... أما السر فى ذلك ، فيكشفه الرسول فى الآية التالية مباشرة ، فيقول إنهم سبق وأعطوا أنفسهم أولاً للرب (٢ كو ٨ : ١-٥) . ولا شك أن هذه هى مفاعيل النعمة .

(د) إن الحادث المحزون الذى تخلل هذه الروح الرائعة — ونعنى به موت حنانيا

(١٢٨) انظر : رو ١٢ : ٥ : كو ١ : ١٨ : أع ٤ : ٣٢ .

وسفيرة بالصورة التي ماتا عليها santamariaegypt.org إلهياً لهما لإحتجازهما جزء من
ثمن الحقل ، بل لأنهما كذبا على روح الله « لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على
الروح القدس ... أليس وهوباق كان يبقى لك . ولما بيع ألم يكن في سلطانك ...
أنت لم تكذب على الناس بل على الله » (أع ٥ : ١-١٠) ... هكذا لم يكن
قصد الله من هذه التجربة إرهاب الأغنياء ، إنما تأكيد حضوره وسط شعبه
وإبراز لأهمية الفضيلة ، وأنه فاحص القلوب وعالم بالخفايا .

(هـ) إن عبارة « لم يكن فيهم أحد محتاجاً » ، هي تطبيق لما جاء في
(تث ١٥ : ٤) ، وهي صورة مثالية لمستقبل الكنيسة — إسرائيل الجديد . وكأن
حالة الكنيسة في أورشليم إنما هو إتمام لتلك النبوة القديمة (١٢٩) .

أما ملامح هذا التنظيم المالى ، فكانت كالاتى :

(أ) كانت جميع التقدّمات وأثمان المبيعات يأتى بها أصحابها « ويضعونها عند
أرجل الرسل ، فكان يوزع على كل أحد كما يكون له إحتياج » (أع ٤ :
٣٤ ، ٣٥) ... ومعنى هذا أنه كان هناك صندوق عام تحفظ فيه كل
التقدّمات . ونعل الرسل أخذوا هذا التنظيم عن معلمهم نفسه (١٣٠) . فنحن نعلم
بما أورده القديس يوحنا في إنجيله ، أنه كان هناك صندوق للجماعة في عهدة يهوذا
الإسخريوطى (يو ١٢ : ٦) . وكان الغرض من هذا الصندوق أن ينفق على الجماعة
ويعطى للفقراء « لأن قوماً ، إذ كان الصندوق مع يهوذا ، ظنوا أن يسوع قال له
اشتر ما نحتاج إليه للعيد ، أو أن يعطى شيئاً للفقراء » (يو ١٣ : ٢٩) .

(ب) كان المحتاجون يأخذون المعونات من الكنيسة وليس من الأفراد .
ولا شك أن هذه طريقة كريمة تحفظ للفقراء كرامتهم كبشر وكأعضاء فى الكنيسة ،
فضلاً عن ضبط عملية الإحسانات ذاتها . يقول القديس يوحنا الذهبى فمه : [لم
يعط الأثرياء المحتاجين فى أيديهم ، ولم يقدموا تقدّماتهم بتفاخر ، لكنهم وضعوها

(129) Weiss; Earliest Christianity, p. 69.

(130) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, part 2, p. 1832.

عند أقدام الرسل ، وتركوها للمبشرين santandriaegypti.org مالاً عاماً ، حتى يسدوا فيما بعد الإحتياجات ، ليس من أموال خاصة بل من مال الجماعة [(١٣١)] .

(ج) ليس لغير حكمة ذكر سفر الأعمال أن أموال التقدّمات كانت «توضع عند أرجل الرسل» (أع ٤ : ٣٤) ... فلا شك أن هذا يوضح نظرة الآباء الرسل للمال ... إنه دائماً عند أرجلهم ، كناية عن أن شهوة المال لا تسود عليهم ... ألاّ يتمشى هذا التعبير — بما يحمله من مفهوم روحى — مع ما اشترطه مار بولس فى الأسقف «ألاّ يكون طامعاً بالربح القبيح ... ولا محباً للمال» (١تى ٣ : ٣) . ثم ألاّ تفسرها كلمات مار بطرس للكهنة فى رسالته «إرعوا رعية الله التى بينكم ... لا لربح قبيح بل بنشاط . ولا كمنّ يتسلط على ميراث الله ، بل صائرين أمثلة للرعية» (١بط ٥ : ٢ ، ٣) ... ؟

(د) كانت الكنائس الأخرى تعاون فى سد إحتياجات الكنيسة الأم فى أورشليم ، إحساساً منها بأنها مدينة لها بالإيمان (١٣٢) «لأنه إن كان الأمم قد إشتراكوا فى روحياتهم ، يجب عليهم أن يخدموهم فى الجسديات أيضاً» (رو ١٥ : ٢٧) ... فقد حمل القديس بولس تقدّمات كنائسه الأُمّية عدة مرات إلى أورشليم . وحينما أعطوه الرسل يمين الشركة مع برنابا ، أوصوهما بأن يذكرنا فقراء أورشليم (١٣٣) ... وقد غدا هذا تقليداً ثابتاً فى الكنائس (١٣٤) .

(هـ) يبدو أنه كانت هناك سجلات منظمة تسجل فيها أسماء الذين يستحقون ويتقاضون الإعانات المالية . ففيما يختص بالأرامل ، يقول بولس الرسول : «لتكتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، امرأة رجل واحد ...»

(131) Commentary on the Acts of the Apostles, Homily 11 (N.P.N.F., p. 73).

(١٣٢) يضاف إلى ذلك نقطة أخرى ، وهى أن اليهود المتنصرين فى أورشليم تحملوا عبء اضطهادات كثيرة من بنى جلدتهم اليهود وشلبت أموالهم وممتلكاتهم ، أى أنهم قد ضيروا كثيراً بسبب إيمانهم بالرب (انظر : ١تى ٢ : ١٤ ؛ عب ١٠ : ٣٤) .

(١٣٣) انظر : أع ١١ : ٣٠ ؛ ٢٤ : ١٧ ؛ غل ٢ : ١٠ .

(١٣٤) انظر : رو ١٥ : ٢٦ ؛ ١ كو ١٦ : ١ - ٤ .

(١٠ : ٩) . والكلمة اليونانية التي تعبر عن « يكتب » هي Katalego ، ومعناها [يختار ويكتب في سجل أو قائمة] (١٣٥) ... وهذا يلقي ضوءاً على ناحية من نواحي التنظيم في الكنيسة الأولى .

هكذا كانت الكنيسة الأولى ، وهي مازالت في طور طفولتها من جهة عمرها الزمني — لكن في إكمال رجولتها الروحية — تؤدي بالرعاية الاجتماعية لشعبها وأعضائها على خير وجه ، بدقة متناهية ، وبصورة كريمة لا تهدر شخصية الفقير ولا تؤدي شعوره ، وفي إعتناء كبير بمن دعاهم الرب إخوته ...

الرعاية الأدبية والروحية

ويمكن أن نلمس جهود الكنيسة في هذا الميدان ، حينما نستعرض النقاط التالية :

١ - الحياة الأدبية :

الكنيسة المسيحية الناشئة — وهي محاطة بكل غوايات الوثنية وشروورها ومفاسدها — كان عليها أن تسهر دائماً . وكانت هذه هي وصية سيدها ومعلمها دائماً (١٣٦) ... وتعكس لنا بعض رسائل القديس بولس صوراً لفساد العالم الوثني القديم ، كما تحمل لنا في أسى ، إشارات إلى أن العالم كان أقوى من بعض حديثي الإيمان ، واستطاع أن يستردهم ويطويهم في لوجه ... ومن أمثلتهم ديماس الذي « أحب العالم الحاضر » (٢ : ٤ : ١٠) ، وأولئك الذين أشار إليهم بولس في حزن لأنهم صاروا « أعداء صليب المسيح » (في ٣ : ١٨) .

(135) Wuest; The Pastoral Epistles, p. 82.

(١٣٦) انظر : مت ٢٤ : ٤٢ ؛ ٢٥ : ١٣ ؛ مر ١٣ : ٣٥ ؛ لو ١٢ : ٣٧ ؛ ٢١ : ٣٦ ؛ ١ كو ١٦ : ١٣ ؛ ١ تس ٥ : ٦ ؛ ١ بط ٥ : ٨ ؛ رؤ ٣ : ٢ ؛ رؤ ١٦ : ١٥ .

كانت المعركة التي خاضها سانتاماريا (pt. doc) كل أنواع الفساد الخلقي «عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سكر، بطر وأمثال هذه» (غل ٥ : ١٩) (١٣٧). لكنها تركزت بالأكثر ضد خطايا الجسد (١٣٨)، التي قال عنها الرسول بولس «أعمال الجسد ظاهرة (واضحة أو معروفة) التي هي زنى، عهارة، نجاسة، دعارة» (١٣٩) (غل ٥ : ١٩).

ويكشف لنا تحذير القديس بولس المستمر من الوقوع في خطايا الجسد، ما كان يمكن أن تحدثه هذه الخطايا في نفوس البعض، نتيجة إستعدادهم الخطير للارتداد إلى غواية الخطية (١٤٠). وكانت الكنيسة لا تتساهل مع الأعضاء الدنسين الذين في وسطها، لأنها كانت تدرك تماماً، أنها لو سمحت بالإنحلال الخلقي والدعارة فسيلاشي وجودها.

ونلمس من كتابات القديس بولس أن الحياة الأدبية لم تكن إحدى جوانب المسيحية، بل كانت ثمرها وغايتها على الأرض «أما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف... الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥ : ٢٢-٢٤) ... ويمكن القول بأن عمل الرسل الكرازي، كان عملاً روحياً أدبياً، يهدف إلى إنهاض الإحساس الأدبي وتقويته. وكانت الوصايا الأدبية لها دائماً المكانة الأولى.

(١٣٧) انظر أيضاً : كو ٣ : ٨ ، ٩ .

(١٣٨) كان الامتناع عن الزنا هو أحد قرارات مجمع أورشليم (أع ١٥) .

(١٣٩) يقصد بالزنى تدليس مضجع الزوجية بسبب الإتصال الجنسي المحرم من جانب شخص متزوج . واستعملت أصلاً للتعبير عن الفحش خاصة غش العملة . ويقصد بالمهارة الاتصال الجنسي بين أشخاص غير متزوجين أو بين متزوج وغير متزوج . والنجاسة باليونانية هي akatharsia وتعني الدنس الجسدي أو عدم الطهارة الجسدية . أما الدعارة فهي ترجمة للكلمة اليونانية aselgeia التي تشير إلى الشهوة الشديدة المشتعلة المحرمة وعدم ضبط النفس . انظر (١ تس ٤ : ١ - ٨ ؛ ١ بط ٤ : ٣ - ٥ ؛ ٢ بط ٢ : ٥ - ١٠ ؛ يه ٧) انظر أيضاً : Missionary Methods, p. 149.

(١٤٠) انظر ا كو ٦ : ١٥ - ٢٠ ؛ كو ٣ : ٥ - ٧ .

وتنعكس هذ الأهمية من ثنايا كتابات الآباء الرسولين ، وآباء وعلماء القرن الثاني . ونلمس ذلك بوضوح في الفصل الأول من رسالة كليمنضس الرومانى إلى كنيسة كورنثوس ، وكتاب تعاليم الرسل Didache وخاتمة رسالة برنابا ، وكتاب الراعى هرماس ، والمقالة المعنونة كليمنضس الثانية ، والفصل الأخير من دفاع أرسطيديز Aristides ، كما أن يوستينوس الشهيد يركز في دفاعه على أدبيات المسيحية ، وأنها مرعية من المسيحيين (١٤١) .

ونلاحظ على هذه الكتابات أنها تتسم بأسلوب العنف والشدة . والسبب في ذلك كما ذكرنا ، أن بقاء المسيحية كديانة روحية ، كان مرتبطاً بمبادئها التي قدمتها للعالم ... وكان دفاع المدافعين المسيحيين منصّباً على دفع شهادات الفساد الخلقى الذى حاول أعداء المسيحية أن يلصقوه بها . والعقوبة القاسية التى أوقعها القديس بولس على الشاب الزانى بالمحارم في كورنثوس (١ كوه) ، لم تكن حادثة فريدة . فقد كانت الكنيسة تطرد وتقطع من شركتها ، مرتكبى هذه الخطايا الشنيعة (١٤١) .

كان الارتباط بزوجة واحدة في الجماعات المسيحية ، هو العلاقة الشرعية الوحيدة المسموح بها بين الجنسين . وكان الزواج الثانى (بعد الترميل) غير مستحب ، وبسببه كثرت المناقشات في القرن الثانى ، هل يسمح بالزواج الثانى أم لا . ولا شك أن هذا الموضوع يتصل إتصلاً وثيقاً بموقف الكنيسة من الشهوات الجسدية ، ونظرتها لحياة العفة ومفهومها . ويتصل بهذا الموضوع أيضاً تحريم الإجهاض تحريماً باتاً ، وتعريض الأطفال للموت (١٤١) .

كانت مهمة الكنيسة كبيرة وخطيرة وشاقة . فقد كان عليها أن ترعى دائماً — بنفس ساهرة وعين لا تنعس — أعضاءها المبعثرين هنا وهناك في أنحاء المسكونة ، وسط غالبية وثنية ساحقة ، وفساد متأصل . وبفضل جهود الكرازة والخدمة التى قام بها خدام أمناء ورعاة ملتهبون من أمثال بولس الرسول وغيره من الكارزين ، ومؤازرة روح الله وعمله في المخدمين ، نمت أدبيات المسيحيين

(141) Harnack, Missions ... p. 206-208.

وروحياتهم في ذلك العصر إلى درجة كبيرة من الطهارة والتقوى والقداسة .
واتسمت مسيحية الكنيسة الأولى بكل جمال خليقة الله الجديدة . وكان لذلك
أثر عظيم في إنتشار الإيمان بصورة مذهلة ... فقد أحب العالم القداسة ، وآمن
بأفضليتها ، حينما رأوا أناساً قديسين (١٤٢) .

٢ - السلطان الكنسى :

هذه الكنيسة التى أقتناها الله بدمه ، كان لابد لها من سلطان عال يرفع
كيانها ويحفظه ، ويدبر أمورها الداخلية ويسوسها ... هذا هو ما نسميه بسلطان
الكنيسة ... وقد إنتقل هذا السلطان إليها من الرب نفسه . الذى قال لرسله
القديسين قبيل صعوده إلى السماء «دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى
الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح
القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل
الأيام إلى إنقضاء الدهر» (مت ٢٨ : ١٨-٢٠) ... وقد تقلد الرسل هذا
السلطان أيضاً حينما قال لهم : «وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك
كالوثنى والعشار . الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً
فى السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» (مت ١٨ :
١٧، ١٨) ... بل لقد جعل الرب يسوع صوت الكنيسة كصوت الله نفسه «الذى
يسمع منكم يسمع منى» (لو ١٠ : ١٦) ...

وحيث أن الكنيسة مؤسسة روحية ، فسلطانها سلطان روحى خالص ... ولم
تحاول كنيسة الرسل أن تخرج عن هذا النطاق ، أو تدعى لنفسها سلطاناً زمنياً ، أياً
كان نوعه ... فمملكة المسيح مملكة روحية ليست من هذا العالم ... فى هذا الدهر
يملك المسيح على القلوب ، وفى الدهر الآتى مملكته فى السماء ... وقد استخدمت
كنيسة الرسل هذا السلطان الإلهى المعطى لها كسياج للحفاظ على حياة المؤمنين

(142) De Pressensé, Vol. 1, pp. 395, 396.

الروحية والأدبية ، ولصون الإيمان الأرثوذكسى ، وكل ما يتصل بنظام الكنيسة وعبادتها سليماً ...

ولقد مارس الآباء الرسل هذا السلطان الإلهى فى هذه الأغراض وأشباهها :

+ تكلم القديس بولس عن هذا السلطان الإلهى فقال « فإننى وإن افتخرت شيئاً أكثر بسلطاننا الذى أعطانا إياه الرب لبنيانكم لا لهدمكم لا أنجبل ، لئلا أظهر كأنى أخيفكم بالرسائل » (٢ كو ١٠ : ٨ ، ٩) . وقال أيضاً « لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكى لا أستعمل جزماً وأنا حاضر حسب السلطان الذى أعطانى إياه الرب ، للبنيان لا للهدم » (٢ كو ١٣ : ١٠) .

وفى كلا القولين نلاحظ أمراً هاماً ، وهو أن هذا السلطان الإلهى الذى أعطى للكنيسة فى شخص الرسل ، يهدف بالدرجة الأولى للبنيان لا للهدم ، لبنيان المؤمنين لا لهدمهم . وقد تناولت قوانين الرسل هذا الموضوع بإسهاب ، ووضعت تحت طائلة العقاب الإلهى كل من يستخدم هذا السلطان إستخداماً مغرضاً ...

+ وكمثال لسلطان الكنيسة للمحافظة على حياة المؤمنين الروحية والأدبية ، موقف القديس بولس إزاء الشاب الذى إرتكب زنا بالمحارم فى كورنثوس ... قال : « فإننى أنا كأنى غائب بالجسد ، ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأنى حاضر فى الذى فعل هذا هكذا ، باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع » (١ كو ٥ : ٣ - ٥) ... ومرة ثانية يكتب لكنيسة كورنثوس ... « هذه المرة الثالثة آتى إليكم . على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة . قد سبقت فقلت ، وأسبق فأقول كما وأنا حاضر المرة الثانية ، وأنا غائب الآن أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين أنى إذا جئت أيضاً لا أشفق » (٢ كو ١٣ : ١ ، ٢) .

+ وكمثال لسلطان الكنيسة للحفاظ على الإيمان الأرثوذكسى ، ما قاله معلمنا بولس لكنيسة غلاطية ... « ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيماً (محروماً) . كما سبق فقلنا أقول الآن وأيضاً إن كان أحد يشرككم بغير ما قبلتم فليكن أناثيماً (محروماً) » (غل ١ : ٨ ، ٩) (١٤٣) ... وبعد أن عرض الرسول للذين يعلمون تعليماً خاطئاً ، قال « الذين منهم هيمينائس ، والاسكندر اللذان أسلمتهما للشيطان لكى يؤدبا حتى لا يحدفا » (١ : ٢٠) ... وقال القديس يوحنا الرسول فى رسالته الثانية « إن كان أحد يأتىكم ولا يحىء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة » (٢ يوح ١٠) .

+ وكمثال لسلطان الكنيسة للمحافظة على نظام الكنيسة وعبادتها ، ما قاله معلمنا بولس لكنيسة كورنثوس « كما دعا الرب كل واحد هكذا ليسلك ، وهكذا أنا آمر فى جميع الكنائس » (١ كو ٧ : ١٧) ... « ولكن إن كان أحد يظهر أنه يحب الخصام فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله » (١ كو ١١ : ١٦) ... ويقول للتسالونيكين « ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا ... وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يحجل » (٢ تس ٣ : ٦ ، ١٤) .

٣ - التأديبات الكنسية :

مارست كنيسة الرسل ، سلطانها المعطى لها من الله ، لبنيان نفوس أعضائها ، فأوقعت على بعض المنحرفين والخطاة بعض تأديبات خاصة بقصد تقويمهم فى الفضيلة وتهذيب نفوسهم وتدريبهم على التقوى (١٤٤) ... والتأديبات الكنسية ليست قصاصاً

(143) See: John Chrysostom; Commentary on the Galatians (N.P.N.F., p. 8).

(144) Lietzmann, A History of the Early Church, pp. 137, 138;

موسهيم ، تاريخ الكنيسة المسيحية ك ١ ، ق ٢ ، ف ٣ عن القرن الأول ص ٣٩ .

أو عقلاً يكفر عن خطية الإنسك لا يكفر عنها سوى دم المسيح وحده ،
أما هذه التأديبات فهي — كما قلنا — للتقويم والتهذيب ، وفي بعض الحالات
لدرء خطر أو ضرر يمكن أن يحدث ...

إن الكنيسة في هذه الحالة كالطبيب الذى يعالج مرضاه ، كلاً حسب حالته
... فهو يعالج البعض بالأدوية مرة المذاق ، وينصح البعض بالتزام الراحة التامة ،
والبعض الآخر تستدعى حالتهم عزلهم عن الأصحاء ، ونهى الأصحاء عن مخالطتهم
حتى لا تنتقل العدوى إليهم ... لكن إذا كان المرض خطيراً جداً ولا سبيل إلى
البرء منه ، ويُخشى من إمتداد المرض إلى باقى الأعضاء ، فقد كانت الكنيسة
— فى حزن وألم — تقطع العضو من شركتها ، على نحو ما يفعل الطبيب الذى
تضطره حالة المريض إلى أن يبتز عضواً من أعضاء جسمه ..

لكن نلاحظ فيما وصل إلينا من كتابات العهد الجديد أو قوانين الرسل ،
إن هذه التأديبات الكنسية كانت تنسم بروح المحبة والحنو والرحمة وطول
الروح ، وتستهدف ، بالفعل بنيان المؤمنين ، لا هدمهم (٢ كو ١٠ : ٩ ؛
١٣ : ١٠) . ولا شك أن الكنيسة قد تسلمت هذه الروح من الرب يسوع الذى
أظهر ملء الحنان والحب والشفقة فى معاملته للخطاة ، وفى اقتيادهم إلى التوبة ...

فالشاب الذى إرتكب خطية زنا بالمحارم فى كورنثوس — بعد أن قدم ثمار
توبته ، كتب معلمنا بولس إلى الكنيسة يقول : « مثل هذا يكفيه هذا القصاص
الذى من الأكثرين حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه لئلا يبتلع
مثل هذا من الحزن المفرط . لذلك أطلب أن تتمكنوا له المحبة » (٢ كو ٢ :
٦-٨) . ويكتب إلى كنيسة تسالونيكي يقول : « إن كان أحد لا يطيع كلامنا
بالرسالة ، فسموا هذا ولا تخالطوه لكي ينجل . ولكن لا تحسبوه كعدو بل
انذروه كأخ » (٢ تس ٣ : ١٤) .

وقد أفاض الآباء الرسل فى الكلام عن معاملة الخطاة بالحنو والرفق والرحمة
والعدل ... وقد حذروا الأسقف من القسوة والصرامة وتعالى القلب ونصحوه بالترىث

وعدم الاسراع فى الحكم . واعتبروا سقوط الفصح من شركة الكنيسة جريمة قتل ،
وتبديداً لشعب الله (١٤٥) .

وكانت هذه التأديبات الكنسية تتدرج وتتفاوت فى نوعها حسب الخطأ
الذى إرتكبه الشخص . وأقصى عقوبة كانت هى الفرز من الكنيسة ... لكن
حتى فى هذه الحالة كان الهدف هو أن ينجل الخاطيء ويحس بما إرتكبه ...
« لا تحسبه كعدو، بل إنذروه كأخ » .

الرعاية والتعليم

كان التعليم يمثل قطاعاً متميزاً فى الرعاية فى حياة الكنيسة الأولى . فلقد
كانت وصية الرب لرسله قبيل صعوده ، أن يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم ،
ويعمدوهم ويعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصى به (مت ٢٨ : ١٨-٢٠) .
وقبل أن يأمرهم بالذهاب والتعليم ، أعطاهم سلطاناً «دفع إلئى كل سلطان فى
السماء وعلى الأرض» ... هذا السلطان هو سلطان التعليم ... ليس لكل إنسان أن
يعلم ، بل للذين أعطى لهم . لقد وجد كثير من المعلمين فى زمان السيد المسيح ،
لكنه اختلف عنهم ، إذ كان يعلم « كمَنْ له سلطان وليس كالكتبة » ... وقد
سبق لنا أن تناولنا بالكلام المعلمين فى الكنيسة ، وموهبة التعليم التى هى إحدى
مواهب الروح القدس ...

وربما احتاجت الكنيسة الأولى إلى التعليم أكثر من أى زمان آخر ...
فالمؤمنون الجدد كانوا فى حاجة إلى ثبات فى الإيمان مقابل أعدائهم الذين كانوا
يثيرون عليهم أتعاباً ، وكانوا فى حاجة إلى معرفة عقلية عقيدية عن هذه الديانة
الجديدة ، وعن كل ما يتعلق بها ... خصوصاً وأن الديانة المسيحية تختلف عن

(١٤٥) انظر الدسقولية الباب الرابع والخامس والثامن والعاشر — وانظر أيضاً :

Apostolical Constitutions, 2. 13-16, 20, 21, 38-41.

الديانات الأخرى إختلافاً جوهرياً، وهي أنها حياة، وليست مجموعة فرائض وطقوس شكلية خارجية ...

لقد وقعت مسئولية التعليم بأكملها على الرسل في بداية الأمر، حيث هم وحدهم الذين جلسوا تحت قدمي الرب يسوع وتلقنوا منه . ونلاحظ أنهم أعطوا التعليم أهمية كبرى عما سواه من المسئوليات ... فقد رفضوا أن يتركوا كلمة الله ليخدموا الموائد (أع ٦ : ٢) ... وليس أدل على الإهتمام بالتعليم من الشرط الأساسي الذي إشتراطه في الأسقف «أن يكون صالحاً للتعليم» (١٤٦). وما لبثت أن إزدادت الحاجة إلى المعلمين والتعليم بانتشار الإيمان المسيحي، واصطدامه باليهودية ممثلة في اليهود واليهود المتنصرين والأبوينيين، وبالوثنية ممثلة في الفلسفات الوثنية المختلفة ... وكان لابد من علماء مسيحيين قادرين على رد هجمات هؤلاء وأولئك وإلاً أصيبت المسيحية بنكسة ...

ونستطيع أن نميز في كنيسة الرسل ثلاثة أنواع من التعليم (١٤٧). نوع يختص بتبشير غير المؤمنين وهو ما يسمى Kerygma، ونوع يعنى بتعليم الموعوظين قبل العماد، وتعبّر عنه الكلمة اليونانية Didache. ثم كان هناك وعظ وتعليم المؤمنين أنفسهم، وكان يهدف إلى الحث على الثبات في الإيمان والفضيلة، وهو ما يُعرف باسم Paraklésis (أع ١٤ : ٢٢ ؛ ١٥ : ٣٢).

(١٤٦) اللفظ اليوناني الذي يقابل « صالح للتعليم » هو didaktikon وهي تعنى — إلى جانب القدرة على التعليم — الحذق فيه، والاستعداد الشخصي له — انظر:

Wuest; the Pastoral Epistles, pp. 55, 56.

(147) Daniélou, Vol. 1, p. 13.

بعض مبادئ مسيحية في عصر الرسل

ونعرض هنا لبعض المبادئ المسيحية التي حض عليها الآباء الرسل والتي ظهرت في حياة الجماعة في ذلك الوقت المبكر من تاريخها :

١ - المحبة :

المحبة في المسيحية هي الوصية الأولى والعظمى (مت ٢٢ : ٣٨) . وهي أعظم من الإيمان الذي ينقل الجبال ويقيم الموتى ، وأعظم من الرجاء (١ كو ١٣ : ١٣) ، وهي غاية الوصية (١ تي ١ : ٥) وهي علامة التلمذة الحقة للمسيح (يو ١٣ : ٣٥) . وهي تكميل الناموس الإلهي (يع ٢ : ٨) ، وهي أول ثمار الروح القدس (غل ٥ : ٢٢) ، بل هي الله نفسه « الله محبة » (١ يو ٤ : ٨) ... ولم تكن هذه المحبة وقفاً على الأحياء ، بل تعدتهم إلى الأعداء لتحوهم إلى أحياء (مت ٥ : ٤٤ ؛ رو ١٢ : ٢٠) ... لا عجب إذن إن رأينا آثار هذه المحبة كوصية إلهية ، تظهر بوضوح في حياة الجماعة الأولى ... ونستطيع أن نلمسها في النقاط التالية :

(أ) العطايا المادية :

وقد عرضنا لها في كلامنا عن التنظيم المالي والرعى ... ونضيف هنا أن المسيحيين الأوائل أظهروها في :

• العطاء والحسنات في مجموعها . وبالإضافة إلى ما ورد في أسفار العهد الجديد ، فقد تكلم عنها بوضوح وتقدير كبير هرمانس في كتابه الراعي ، وكليمنطس الروماني فيما يعرف بالرسالة الثانية (١٤٨) .

(148) Harnack; pp. 153-155.

● **إعالة المعلمين والخدام** . فبالإضافة إلى مبدأ القديس بولس أن الفاعل مستحق أجرته ، فقد أوصى به الآباء والرسل في تعاليمهم وقوانينهم (١٤٩) .

● **إعالة الأرامل والأيتام** ، وقد عرضنا لذلك قبلاً .

● **رعاية المرضى والعجزة والمقعدين وغير القادرين** . ومنذ البداية كانت الكنيسة ترعى هؤلاء بذكرهم في صلواتها وزيارات الخدم لهم ، وسد احتياجاتهم المادية (١٥٠) .

● **العناية بالمحبوسين** . قال معلمنا بولس : « أذكروا المقيدون كأنكم مقيدون معهم ، والمذلين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد » (عب ١٣ : ٣) . ويقول هرماس « خلص خدام الله من قيودهم » ... كان هناك محبوسون لأجل إيمانهم ، وآخرون محبوسون وفاء لديون عليهم . وكان يجب افتقاد النوعين بالصدقة والمحبة . وكان الشمامسة يزورون في السجون المحبوسين لأجل الإيمان يعزونهم ويشجعونهم ويقدمون لهم ما يحتاجونه ... وكان المؤمنون العلمانيون يظهرون أيضاً نفس المحبة (١٥١) .

● **العناية بمن تحل بهم الكوارث** . وقد مدحت الكنيسة — منذ وقت مبكر — لأنها وقفت بنبل إزاء إختبار الاضطهاد والكوارث التي حلت بها (انظر عب ١٠ : ٣٢-٣٤) .

● **ضيافة الغرباء** . ومنذ البداية أبرز الآباء الرسل أهمية إضافة الغرباء (١٥٢) . ويذكر هرماس في كتابه الراعى ، ضيافة الغرباء ضمن قائمة الفضائل ... ولعل

15. Didache; chs. 11, 13; Harnack, Missions..., pp. 158, 159; Apostolical Constitutions, 2. (149)

(١٥٠) هذا واضح من رسالة « كليمنطس الروماني » وكتاب الراعى هرماس — انظر : Harnack, pp. 160, 161.

(151) Harnack, Missions ..., pp. 162, 163.

(١٥٢) انظر : رو ١٢ : ١٣ ، ١٦ ، ١ : ٢ ، عب ٦ : ١٠ ، ١٣ ، ٢ : ١ ، بط ٤ : ٩ ، ٣ : ١٠

أهمية هذه الفضيلة في تاريخ الكنيسة المبكر يرجع إلى أنها — الكنيسة — كانت بلا أمكنة ثابتة . وكان الإخوة والخدام دائمى السفر والتنقل (١٥٣) ... وفي رسائل ووثائق الكنيسة الأولى ، نجد صلوات وتشفعات مقدمة من الكنيسة لأجل الغرباء والمعتنين بهم (١٥٤) .

● العناية بالكنائس الفقيرة أو التى يحيق بها خطر . وهذا واضح فى سفر أعمال الرسل ورسائل القديس بولس ... فقد كانت تجمع تقدمات لأجل فقراء اورشليم . وقد إهتم بولس بهذا الأمر ، وجمع من كنائس أنطاكية وغلاطية ومقدونية وأخائية (١٥٥) .

(ب) روح الاخوة :

مجدت المسيحية فكرة الإنسانية ، ووضعتها فوق القومية التى مزقت العالم القديم بمدولها الحسى ، وما أثارته من نعرات . ومن ثم ، فقد قادت الناس إلى مشاعر أنبل نحو روح الإخوة ... فهناك رابطة روحية متينة وعميقة وحية بين كل من هم شركاء فى نفس الإيمان . وقد دعو بعضهم بعضاً «إخوة» تأكيداً لهذه الحقيقة ... هؤلاء الإخوة لهم قلب واحد ونفس واحدة (أف : ٤ : ١-٦) . ويسلمون على بعضهم بعضاً بقبلة مقدسة (١٥٦) ... لقد كان هناك منظر يثير دهشة اليهود والأمم ، فيقولون : [انظروا كيف يحبون بعضهم بعضاً] ؟! وحينما كان أى مسيحي غريب يصل إلى أية مدينة ، كان يقبل فيها كممثل لكنيسته . وكانوا

(١٥٣) فى القرن الثانى وضع ميليتو Melito أسقف ساردس بآسيا الصغرى ، كتاباً عن هذه الفضيلة .

(١٥٤) مازال أثر ذلك باقياً فى القداس الإلهى ... « بارك إكليل السنة بصلاحك من أجل فقراء شعبك . من أجل الأرملة واليتيم والغريب والضعيف » .

(١٥٥) انظر : أع ١١ : ٢٧ - ٣٠ ؛ ٢ كو ٨ : ١ - ٥ ؛ رو ١٥ : ٢٦ ؛ غل ٢ : ١٠ .

(١٥٦) انظر : رو ١٦ : ١٦ ؛ ١ كو ١٦ : ٢٠ ؛ ٢ كو ١٣ : ١٢ ؛ ١ تس ٥ : ٢٦ ؛ ١ بط : ١٤ : ٥ .

يقدمون له المسكن . وكانت الأرامل التقيات يغسلن قدميه وكان يعامل بكل ما يدل على المحبة الأخوية (١٥٧) . لم يعد سكان اليهودية يتصورون أنهم أفضل من الجليليين ، وهذان أفضل من الساكنين خارج الأراضى المقدسة ، تلك الامتيازات التى انتقلت فى بادئ الأمر مع اليهود المتنصرين إلى الكنيسة (أع ٦ : ١) ... لم يعد لهذا الإحساس أى وجود . لقد غدا المؤمنون إخوة حقيقيين فى أسرة واحدة (١٥٨) .

إن أسفار العهد الجديد كلها بنصوصها فضلاً عن روحها ، تؤكد هذا المفهوم . فالقديس يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم يدعو المؤمنين إخوته فى مواضع عديدة من رسالته (١٥٩) . وكذا القديس بولس فى أكثر من موضع من رسائله (١٦٠) ... بل إن الرب يسوع نفسه يدعو المؤمنين إخوته (١٦١) .

هكذا شعر المسيحيون أنهم إخوة متأثرين بأصلهم الواحد ، ومصيرهم الواحد ، وتمموا واجبهم المقدس بحفظ وحدانية الروح برباط السلام ... وبينما اليهود بكبريائهم الروحى مقتوا جميع الأمم ، واليونانيون احتقروا جميع المتبررين . وبينما الرومان بكل ما فيهم من قوة وسياسة ، حولوا شعوبهم المقهورة إلى كتل آلية ، كعمللاق بلا روح ، إذ بالمسيحية — بواسطة وسائل أدبية خالصة — تؤسس إمبراطورية روحية مسكونية ، ومجتمع قديسين تربطهم روح اخوة واحدة ، وهى تقف ثابتة حتى اليوم ، وستمتد حتى تضم كل شعوب الأرض كأعضاء حية فيها ، وتصلحهم جميعاً مع الله .

(157) Fisher, p. 568; De Pressensé, Vol. 1, p. 394.

(158) Hill, p. 41.

(١٥٩) يع ١ : ٢ ، ١٦ ، ١٩ ؛ ٢ : ١ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ؛ ٣ : ١ ، ٤ ؛ ١١ : ٥ ؛ ١٢ : ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٩ .

(١٦٠) رو ٩ : ٣ ؛ ١٢ : ١٠ ؛ ١٦ : ١ .

(١٦١) انظر : مت ٥ : ٢٢ ؛ ٢٣ ؛ ١٢ ؛ ٥٠ ؛ ٢٥ ؛ ٤٠ ؛ ٣٥ ؛ ٣٠ ؛ ٤١ ؛ يو ٢٠ : ١٧ ؛ ١٧ ؛ ٨٠ ؛ ٢٩ ؛ عب ٢ : ١١ ، ١٢ ، ١٧ .

من الأمور الواضحة في كتابات العهد الجديد نظرة المسيحية ومدى تقديرها للعالم والعالميات ، ولا شك أن هذا يتمشى مع رسالة المسيحية كديانة .. فالسيد المسيح حذر من كنوز العالم (مت ٦ : ١٩) ؛ ونعت بالغباوة الغنى الذي « يكثر لنفسه وليس هو غنياً لله » (لو ١٢ : ٢١) ، وعلم بأن دخول جبل من ثقب أبرة أسير من دخول غنى إلى ملكوت السموات . وقد علم بأن يطلب الإنسان أولاً ملكوت الله وبره ، أما الماديات فتزاد له (مت ٦ : ٣٣) ، لأنه « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » (مر ٨ : ٣٦) .

(١٦٢) الترجمة العربية لهذه الكلمة غير دقيقة . فهي باليونانية πολιτεία ومعناها citizenship وبالقبطية *ⲉⲉⲧⲣⲉⲉⲉⲃⲁⲕⲓ* والمقصود أن وطننا هو في السماء .

.. وتعاليم الآباء الرسل Didache santamaria.egypt.org كتابه « الراعى » مشحونة بالحماس لهذا الاتجاه ...

وقد ساعد على الحماس لهذا الاتجاه إحساس المؤمنين في العصر الرسول بأن مجيء المسيح الثانى قريب ، بل إنه على الأبواب (فى ٤ : ٥) ... والقديس يوحنا فى رؤياه يؤكد هذا الاتجاه « لأن الوقت قريب » (رؤ ٢٢ : ١٠) ؛ ويكرر فى رؤياه أكثر من مرة عبارة « ها أنا آتى سريعاً » (١٦٣) .

٣ - وجوب العمل وقديسته :

ليس للمسيحى الحق فى هجر العمل لأى سبب من الأسباب « فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا ، أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً . لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب ، لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون . فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم » (٢ تس ٣ : ١٠ - ١٢) ...

فالعمل نفسه يستند إلى قانون إلهى منذ خلق العالم . فقد قال الرب لآدم بعد أن أخطأ « بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها » (تك ٣ : ١٩) . كان معظم أعضاء الكنيسة الأولى من الطبقات الفقيرة والصناع الذين يعولون أنفسهم بعمل أيديهم ، فكتب إليهم القديس بولس يقول : « وإنما أطلب إليكم أيها الإخوة أن ... تشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم ... ولا تكون لكم حاجة إلى أحد » (١ تس ٤ : ١٠ - ١٢) .

والرسول بولس فى كلامه السابق يحارب إتجاه الكسل والخمول . ورجال الدين أنفسهم الذين تخصصوا لخدمة الله ولا يشتغلون بالأعمال الدنيوية ، يعملون أيضاً ، لكن فى دائرة خدمة الله ، ولذا فالناس مكلفون باعالتهم « تعلمون أن الذين يعملون فى الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون . الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح .

(١٦٣) رؤ ٣ : ١١ ؛ ٢٢ : ٧ ، ١٢ ، ٢٠ .

هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون» (١ كو ٩ : ١٣، ١٤) ... ومع هذا التصريح ، فإن الرسول نفسه — تقديساً لمبدأ العمل ، وحتى ما يكون قدوة — لم يستعمل هذا الحق بل كان يعمل بيديه في صناعة الخيام ... «أما أنا فلم استعمل شيئاً من هذا . ولا كتبت هذا لكي يصير فيّ هكذا . لأنه خير لي أن أموت من أن يعطل أحد فخري» (١ كو ٩ : ١٥) ... «فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته . أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان» (أع ٢٠ : ٣٣، ٣٤) .

والواقع أن المسيحية برفعها من قدر العمل اليدوي ، مهدت الطريق إلى واحد من أهم الإصلاحات التي أكملتها . لقد كان المجتمع القديم ينظر إلى الكد نظرة تحقير ، وكانت الأعمال اليدوية يقوم بها العبيد المقهورون الكسالى . ولقد قلب هذا المبدأ نظرة الوثنية إلى العمل ، رأساً على عقب ... وقد أوصت تعاليم الرسل وقوانينهم المؤمنين بوجوب العمل (١٦٤) .

٤ - طاعة السلطات الزمنية :

ليست المسيحية دين ودولة ، لكنها تعلم بفصل الدين عن الدولة ... «اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله» (مت ٢٢ : ٢١ ؛ لو ٢٠ : ٢٥) . فالمسيحية — كديانة — يمكنها أن تحيا وتنمو في ظل أي نظام من أنظمة الحكم .. والقدس بولس ينظر للدولة كنظام إلهي .. «لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلاً من الله ، والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة . فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة . أفتريد أن لا تخاف السلطان أفعل الصلاح فيكون لك مدح منه ، لأنه خادم الله للصلاح . ولكن إن فعلت الشر فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثاً ، إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر . لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً

(164) Didache, 12; Apostolical Constitutions, 2, 63; De Préssensé Vol. 1, p. 387.

بسبب الضمير» (رو ١٣ : ١) ووضح أن الرسول هنا يرتفع بالحكومة الأرضية — على الرغم مما يحيط بها من فساد واضح أمام عينيه — إلى أصلها وفكرتها الأساسية ، إنها نظام إلهي .

ويتضح هذا من وصيته لتلميذه الأسقف تيموثاوس « إطلب أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس . لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي نقضى حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار . لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله » (١ تي ٢ : ١-٣) . وفي وصيته لتلميذه الأسقف تيطس يقول : « ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلطين ، ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح . ولا يطعنوا في أحد ويكونوا غير غاصمين » (تي ٣ : ١ ، ٢) ... ويؤكد مار بطرس نفس المعنى السابق فيقول في رسالته « إخضعوا^(١٦٥) لكل ترتيب بشري من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل . أو للولاة فكمرسلين منه للإنتقام من فاعلي الشر ، وللمدح لفاعلي الخير » (١ بط ٢ : ١٣ ، ١٤) .

ولدينا وثيقة قديمة من رسالة القديس كليمنطس الروماني أسقف رومية وتلميذ الرسل (حوالي سنة ٩٥ م) إلى كنيسة كورنثوس تتضمن التوسل الآتي من أجل الحكام :

[اعط يارب ألفة وسلاماً لنا ولكل الساكنين على الأرض ، كما أعطيت لأبائنا حينما سألوكم بإيمان وحق مع قداسة سحتى ما نخلص . وهبنا أن نكون طائعين لاسمك الكلى القدرة والعظمة ، ولحكامنا والمتسلطين علينا على الأرض . أنت أيها السيد أعطيتهم قوة السيادة عن طريق قوتك العظيمة التى لا يعبر عنها ، حتى نعرف المجد والكرامة اللذين أعطيتهما لهم ، ونخضع لهم ، دون أن نقاوم مشيئتكم . هبهم يارب عافية وسلاماً ووفقاً واستقراراً حتى ما يسوسوا الحكومة التى أعطيتها لهم بدون فشل . لأنك أنت أيها السيد السمائي الملك

(١٦٥) كلمة « اخضعوا » فى اليونانية Hupotasso ، وهى لا تعنى مجرد الطاعة الشكلية المظهرية والخضوع

للنظام ، لكنها تعنى طاعة القلب داخلياً — انظر : Wuest, First Peter, pp. 60, 61.

الأبدى ، أعطيت لبنى البشر مجداً وكرامه وقوة فوق كل الأشياء الكائنة على الأرض . كن مرشداً لهم أيها الرب فيما هو صالح ، وما يحسن في عينيك ، حتى يحكمون في سلام ، ولطف مع صلاح ، بالقوة التى منحتها إياهم ، ويجدون رحمة أمالك [(١٦٦)] ...

وجدير بالملاحظة أن توسلات المسيحيين هذه قدموها لله لأجل حكامهم ، إبان حكم الإمبراطور دومتيان الذى أثار اضطهاداً عنيفاً على الكنيسة ... والقديس بوليكرابوس الشهيد فى رسالته إلى أهل فيلبى يقول : [صلوا لأجل جميع القديسين صلوا أيضاً لأجل الملوك والحكام والأمرء ، وعن الذين يضطهدونكم ويغضونكم ، وعن أعداء الصليب] (١٦٧) .

ذاك كان تعليم الكنيسة بخصوص الطاعة الواجبة على المسيحى نحو السلطات الحاكمة أياً كانت عادلة أو ظالمة ، صالحة أو شريرة . وهى فى ذلك تسلك متشبهة بالسيد المسيح ذاته ، الذى خضع فى الأمور الزمنية لهيرودس وببلاطس ، وأعطى قيصر ماله ... إن المسيحية لا تعرف العصيان المسلح ، فكما يقول القديس بولس : « أسلحة محاربتنا ليست جسدية ، بل قدرة بالله على هدم حصون » .

لكن ينبغى ألا ننسى أن تلك الطاعة لم تكن طاعة مطلقة فى كل ما يخص المواطن ويعنيه ، بل هى طاعة تختص بواجباته المدنية كمواطن ؛ دون أن تكون هكذا من حيث علاقته بإلهه ... إذا تعارضت طاعته لله مع طاعته للدولة من جهة إيمانه وعقيدته ، فإنه كان ينفذ تعليم الكنيسة « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أع ٥ : ٢١) وكان فى هذه الحالة مستعداً أن يجود بحياته مقابل إيمانه ... ولهذا السبب استشهد كثيرون من أجل إيمانهم ، وروت دماؤهم أرض المسكونة كلها ، تمسكاً بالحرية المقدسة التى حررهم بها المسيح الإله . وكانت شهادتهم — كما يقول المؤرخ شاف Schaff — بطولة أكثر نبلاً من المقاومة بالسيف

(166) Clement of Rome, Epistle to the Corinthians, chs. 60, 61.

(167) Polycarp, Epistle to the Philipians, 12.

٥ - التقاضي والمحاكمات :

من الأمور التي عاجلها القديس بولس موضوع التقاضي والمحاكمات . ونقصد هنا المحاكمات الخاصة بالأمور المدنية . إنه يستنكر بشدة الإلتجاء إلى المحاكم المدنية والوثنية ، ويحث المؤمنين على الإلتجاء إلى السلطات الكنسية لفض المنازعات . ويقول لأهل كورنثوس « أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر ، أن يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين . أستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم . فإن كان العالم يدان بكم ، أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى . أستم تعلمون أننا سندين ملائكة ، فبالأولى أمور هذه الحياة . فإن كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة ، فاجلسوا المحتقرين في الكنيسة قضاة » (١ كو ٦ : ١-٨) .

كانت التقاليد اليهودية تقضى بأن يتقاضى اليهود المؤمنون أمام مجامعهم اليهودية ... لكن القديس بولس لم يورد إشارة إلى ذلك ، بل إكتفى في تبريره لهذا التعليم ، بإظهار سمو المسيح الذي يؤهله لمحاكم العالم الصغرى (١٦٩) أما الحكمة التي تكمن وراء هذا المبدأ ، فهي أن المتقاضين الذين يلجأون للقديسين في الكنيسة ، لابد وأن إشكالاتهم ستحل حلاً مرضياً يرشد إليه روح الله الساكن في أولئك القديسين ، وفي هذا تدعيم لروح الأخوة المسيحية ... أما المحاكم الوثنية ، فهي لا يعينها - في قليل أو كثير - الإبقاء على روح المحبة والأخوة بين المتنازعين ... والحق أن البراهين التي أوردها بولس على وجوب الإحتكام إلى القديسين في الكنيسة ، تكشف لنا الدور الخطير الذي لكنيسة المسيح في العالم ...

ودعمت قوانين الآباء الرسل مبدأ تقاضي المؤمنين أمام المحاكم الكنسية ،

(168) Schaff, Vol. 1, p. 507.

(169) Leitzmann, p. 138; Fisher, pp. 571, 572.

وأفاضت فيه ... تكلمت عن دور الأسقف ومعاونيه في المحاكمات ، والأيام التي تعقد فيها هذه المحاكمات ، والصفات التي يجب أن يتصف بها الأسقف ، والشهود في هذه المحاكمات (١٧٠) .

٦ - أكل لحم ضحايا الأوثان :

ثمة موضوع حساس أثارته ظروف المسيحيين في العصر الرسولي ... هذا الموضوع هو علاقة المسيحيين بمواطنيهم وأصدقائهم الوثنيين ... هل يجوز لهم أن يشاركوهم في أعيادهم التي تقام في الهياكل الوثنية أو فيما له مساس بالعبادة الوثنية ، وهل يجوز لهم أن يأكلوا من لحوم الضحايا التي تقدم للأوثان ؟

وعلى الرغم من صدور قرار من مجمع أورشليم بالامتناع عما دُيِّح للأصنام (أع ١٥ : ٢٩) ، وتحذير موجه من الرب إلى كنيستي برغامس وثياتيرا لأن بها مَنْ يأكلون ما دُيِّح للأوثان (رؤ ٢ : ١٤ ، ٢٠) ، إلا أننا نجد الرسول بولس يحل هذا الموضوع بطريقة عجيبة ، تدل على إنفتاح الذهن ، وسيادة الروح على الحرف . وهو يصل إلى ما وصل إليه عن طريق البرهان العقلي ، والدليل الروحي :

(أ) صرح لهم بأكل كل ما يباع في الملحمة (سوق اللحم) بدون فحص (١ كو ١٠ : ٢٥) .

(ب) صرح لهم بتلبية دعوة أصدقائهم الوثنيين ، وأكل ما يقدم لهم بدون فحص . لكن إذا نبههم أحد إلى أن اللحم الذي يأكلون منه مذبح للأوثان ، فيجب عليهم في هذه الحالة أن يمتنعوا عن الأكل ، لعدم إغثار ذوى الضمائر الضعيفة (١ كو ١٠ : ٢٧-٢٩) .

(ج) نهى نهياً قاطعاً عن الإشتراك في الإحتفالات التي تقام في الهياكل الوثنية وتناول أى طعام فيها ... لقد اعتبر الرسول أن تقدمات الوثنيين في هذه

(170) Apostolical Constitutions, 2. 46-53, (A.N.F., p. 417-419).

الحالة مقدمة للشياطين . واعتبر كل مَنْ يأكل أو يشرب من هذه التقدّمات هو شريك الشياطين ، على نحو ما يجعلنا الإشتراك في جسد المسيح ودمه واحداً معه . ولا شك أن الرسول كان يخشى مما يمكن أن تحدثه هذه الإحتفالات بما تحويه من مجون في بعض الأماكن والمعابد ، وما يضيفه الجو الوثني العام ، من ضعف البعض وإرتدادهم إلى الوثنية ، وخاصة وقد كانوا مايزالون حديثي عهد بالإيمان ، إلى جانب ما يمكن أن يحدثه هذا التصرف من عثرات لبعض ذوى الضمائر الحساسة . لذا ينصحهم الرسول بالهروب من عبادة الأوثان . ونلاحظ أنه نفس التعبير الذى استخدمه فيما يختص بالزنى ، ولعل هذا يوضح لنا مدى تأثير الوثنية على الناس في ذلك الوقت (١ كو ١٠ : ١٤ - ٢١) .

على إننا نرى أنه من المفيد أن نعرض بعض الجوانب التى راعاها الرسول في حل هذه المشكلة الحساسة . وتتلخص في أنه لا يكفى لتنفيذ أمر ما ، إقتناع الإنسان بأنه على صواب ، وإرتياح ضميره له ، غير مبال بعثرة الآخرين .

+ فكنيسة المسيح تضم أعضاء مختلفين من جهة مستوياتهم في المعرفة .. فالبعض على جانب من المعرفة تؤهلهم إلى الإستخفاف بالأوثان ، واعتبارها لا شئء ويؤمنون أنه « ليس وثن في العالم ، وأن ليس إله آخر إلا واحد » (١ كو ٨ : ٤) ... لكن إلى جانب هؤلاء ، يوجد فريق من البسطاء تعوزهم هذه المعرفة ، لأنه « ليس العلم في الجميع » (١ كو ٨ : ٧) ... ومثل هؤلاء تتعب ضمائرهم إزاء الموضوع الذى نحن بصددده ، وينبغى عدم تجاهلهم لأن مَنْ لا يبالي بذوى الضمائر الضعيفة يخطئ إلى المسيح (١ كو ٨ : ١٢) .

+ على الرغم من إبراز الرسول لفكرة أن « الطعام لا يقدمنا إلى الله ، لأننا إن أكلنا لا نزيد ، وإن لم نأكل لا ننقص » (١ كو ٨ : ٨) ... وأنه لا ينجسنا لأن « ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان » (مت ١٥ : ١١) ، ... فإنه يقول « انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء » (١ كو ٨ : ٩) .

+ ويخلص القديس بولس من هذا الموضوع بمبادئ عامة سامية ، تدل على أنه

لا يفكر في ذاته بل في الآخرين ، ولا يعيش لنفسه بل لهم ... وهذه المبادئ هي للتنفيذ في كافة المجالات والأوضاع :

« كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق »

« كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء تبني »

« لا يطلب أحد ما هو لنفسه ، بل كل واحد ما هو للآخر »

(١ كو ١٠ : ٢٣ ، ٢٤)

وهو في سبيل تحقيق هذه المبادئ ، ومن أجل محبته لإخوته ، الذين مات المسيح لأجلهم ، مستعد أن يحرم نفسه من أكل اللحم إلى الأبد « لذلك إن كان طعام يعثر أخى ، فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخى » (١ كو ٨ : ١٣) .

وقد صارت تعليمات القديس بولس في هذا الأمر هادية للكنيسة كلها في ذلك العصر المبكر . ونجد تأكيداً لذلك في تعاليم الآباء الرسل ، وفي حوار يوستينوس الشهيد مع تريفو اليهودى (١٧١) .

أسماء المؤمنين

لقد دعا الرب يسوع أولئك الذين تجمعوا حوله « تلاميذاً » ودعا هو ذاته « معلماً » ... ولقب معلم وتلاميذ لم يكن غريباً عن تلك البيئة . فقد عرف أتباع يوحنا المعمدان باسم « تلاميذ يوحنا » (١٧٢) . كانت علاقة الرب يسوع بتلاميذه خلال حياته في الجسد ، علاقة المعلم بتلاميذه . أما إيمانهم به على أنه المسيا ، فقد ظل سرّاً غير واضح إلى ما بعد قيامته .

وبعد قيامة الرب يسوع من بين الأموات ، وحلول الروح القدس ، شهد تلاميذه علانية أنه هو المسيا ، واستمروا يدعون أنفسهم « تلاميذ » .. على أن التسمية

(171) Didache, 6. 3; Justin Martyr, Dialogue, 34, 8.35. 1. Leitzmann, p. 139.

(١٧٢) انظر : مت ٩ : ١٤ ؛ لو ١١ : ١ ؛ يو ١ : ٣٥ ؛ ٣ : ٢٥ .

«تلاميذ» لم تكن قاصرة على الرسل الإلهيين عشر، بل أطلقت على جميع أعضاء الكنيسة الأولى، الذكور والإناث (١٧٣). وقد شاعت هذه التسمية على وجه الخصوص بين مسيحيي فلسطين (١٧٤).

ويتضح لنا من دراسة سفر أعمال الرسل ورسائلهم، أن هناك ثلاث تسميات شاعت في العصر الرسولي وما بعده، دعى بها المسيحيون ... وهذه التسميات هي: مؤمنون وقديسون وإخوة ... وهى تعبر عن حياة أولئك المسيحيين الأوائل (١٧٥).

+ فتسمية «مؤمنين» (١٧٦)، كانت تعبر عن إيمانهم الجديد الذى إقبلوه، وحياة الإيمان التى يحيونها، حية فى أشخاصهم وفى سلوكهم ...

+ أما تسمية «قديسين» ، فكانت تعبر عن حياتهم وعلاقتهم بالله ... فقد تقدسوا فى الله وله بالروح القدس، وكانوا فى حياتهم فى قداسة حقيقية كشركاء للمجد العتيد. إن كلمة قديسين باليونانية هى hagios، والفعل منها hagiozo ومعناه «يفرز ويكرز لأجل الله» ... وهكذا فإن لفظ «قديس» تعنى مسيحى مفرز ومكرس لأجل الله ... لم تكن تسمية «قديسين» مجرد تسمية، لكنها كانت تعبيراً عن واقع قدسى روحانى يحياه المسيحيون ... كانوا يشعرون أنهم للرب وليسوا لسواه، كشيء مكرس ومقدس، لا يستخدم إلاً للشيء الذى كرس له وقدس لأجله. وتقابلنا هذه التسمية كثيراً فى سفر الأعمال ورسائل الآباء الرسل (١٧٧) ...

(١٧٣) انظر: أع ٩ : ١ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ١١ : ٢٦ ، ١٣ : ٥٢ ، ١٤ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ١٥ : ١٠ ، ١٦ : ١ .

(١٧٤) أطلق اليهود فى بداية الأمر على مواطنيهم المرتدين (المسيحيين) بعض تسميات مثل «ناصرين» و«جليلين» (أع ١١ : ١١ ، ٧ : ٢). لكن هذه التسميات لم تنتشر إلاً فى دوائر ضيقة، واستخدمت غالباً للتحقير.

(175) Harnack, Missions ... pp. 399-404.

(١٧٦) انظر: أع ٥ : ١٤ ، ١٦ : ١ ، أف ١ : ١ ، كو ١ : ٢ ، ١٦ : ٥ .

(١٧٧) انظر: أع ٩ : ١٣ ، ٣٢ ، ٤١ ، ١٠ : ٧ ، ١ : ١ ، ٢ : ١ ، أف ١ : ١ ، ٤ : ٢١ .

إن لفظ « قديسين » في مفهومه لا يُطلق إلا على مَنْ انتقلوا إلى العالم الآخر ، وعاشوا حياة القداسة على الأرض . أما في عصر الرسل فكانت تطلق على أعضاء الكنيسة الأحياء ... ظلت هذه التسمية شائعة ، يطلقها المسيحيون على بعضهم بعضاً حتى ما بعد منتصف القرن الثاني ، لكن ما لبثت أن إختفت تدريجياً بعد ذلك ، إذ لم يعد للمسيحيين الشجاعة على دعوة أنفسهم « قديسين » بعد أن بدأت تظهر عليهم أعراض الضعف الروحي وبدأت تأثيرات العالم تأخذ طريقها إليهم (١٧٨) .

+ وإذا كانت التسمية « مؤمنين وقديسين » ، هي تعبير عن علاقتهم بالله ، فالتسمية الثالثة « إخوة وأخوات » تعبير عن علاقتهم ببعضهم ببعض كأعضاء في جسد المسيح الواحد (١٧٩) . تلك العلاقة الحبية التي كانت تدعو إلى الدهشة والإعجاب ، كما أشرنا إلى ذلك قبلاً ... إنها تسمية تلائم سلوكهم المسيحي (١ بط ٢ : ١٧ ؛ ٩ : ٥) ... وأسفار العهد الجديد وكتابات الآباء الرسولين وبخاصة كتابات كليمنضس الروماني وتعاليم الرسل Didache . تكشف لنا عن سمو حياة المسيحيين الأوائل وحياتهم الأخوية ...

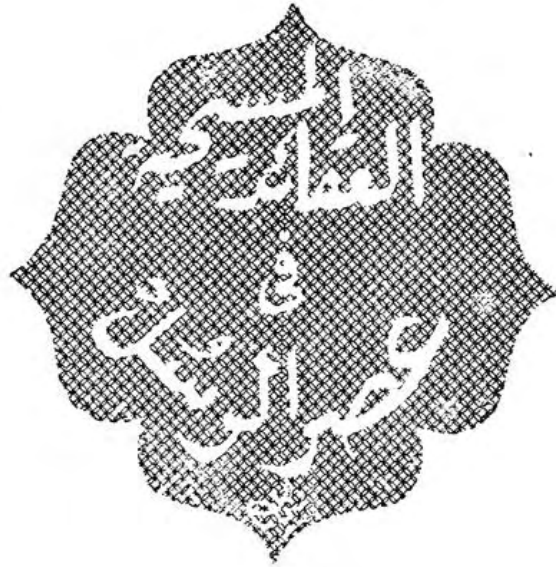
أما التسمية « مسيحيين » الشائعة الآن ، فقد بدأت في أنطاكية حينما « دعى التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً » (أع ١١ : ٢٦) ... ولم يستخدم بولس هذه التسمية في رسائله ، ولا نجد لها في أى موضع في العهد الجديد كتسمية أطلقها المسيحيون على أنفسهم ... فلم ترد إلا في موضعين ، ويبدو أنها مقتبسة مما تردد على ألسنة خصومهم (١ بط ٤ : ١٦ ؛ أع ٢٦ : ٢٨) ... ومن ناحية أخرى لا نجد لها أى أثر في كتابات الآباء الرسولين ما عدا أغناطيوس الأنطاكي الشهيد الذى إستخدمها كثيراً ... لقد أطلقت هذه التسمية للسخرية والاستهزاء بأولئك الذين عبدوا المسيح الإله دون الإمبراطور الرومانى . وقد بدأت السلطات الرومانية تستخدمها منذ عهد تراجان (٩٨ - ١١٧ م) (١٨٠) .

(178) Harnach, Missions ..., p. 405.

(١٧٩) انظر : أع ١٤ : ٢ ؛ ١٧ : ١٠ ؛ ١٤ : ٢٨ ؛ ١٤ : ١٦ ؛ ١٤ : ١٤ ؛ ١٤ : ١٦ ؛ ١٢ : ٢٠ ؛ غل ٢ : ١ ؛ ١ : ١٤ ؛ ٤ : ٢١ ؛ ١ : ٤ ؛ ٦ : ٤ ؛ عب ٢ : ١١ ؛ ١ : ٣ ؛ ١٤ : ١ .

(180) Harnack, Missions ..., pp. 405-412; Wuest, The Pastoral Epistles, p. 83.

الباب الخامس



ماذا عن إيمان كنيسة الرسل ؟

هل كان مجرد إيماناً ساذجاً بشخص الرب يسوع المسيح وخلاصه ، قوامه حياة التعبد والتقوى الخالصة فقط ، دون أن يلتزم المؤمن بعقائد إيمانية محددة ؟

الواقع أنه يخطيء مَنْ يظن هذا الظن ، أو يتصور الكنيسة الأولى بهذه الصورة ... لقد كانت لكنيسة الرسل عقائد إيمانية أساسية محددة ، صاغت في قانون إيمان ، عُرف فيما بعد باسم قانون إيمان الرسل . وقد حفظ كل راغب في العماد هذا القانون ، وكان يعلنه لحظة عماده ، متعهداً بالتمسك به (١) ...

يقول الأستاذ تشارلس جور (٢) Charles Gore : [إن تصوير المسيحية الأولى على أنها مجرد طريق للحياة بدون عقيدة لاهوتية — على نحو ما تصورها العظة على الجبل — ولا شيء غير ذلك — أمر ليس فيه إنصاف ، ولا تؤيده الأسانيد التاريخية ... لقد وجد منذ البداية إيمان عام واحد ، كثيراً ما أشار إليه العهد الجديد تحت اسم « التقليد » (١ كور ١١ : ٢) ، « صورة التعليم التي تسلمتموها » (رو ٦ : ١٧) ، « تعليم الرسل » (أع ٢ : ٤٢) ، « صورة الكلام الصحيح » (٢ تي ١ : ١٣) ؛ « الإيمان المسلّم مرة للقديسين » (يه ٣) ... وإيمان الكنيسة كما عبر عن ذاته في الحياة والعبادة والغيرة والاستشهاد كان قوياً سليماً ، ويشير إلى أن مصدره هو تعليم الرسل وكتاباتهم ..] .

كانت هناك إذن عقائد إيمانية محددة في كنيسة الرسل ... وقد دافع الرسل عنها وحاربوا الخارجين عنها الذين — بحسب تعبير معلمنا بطرس — « يدسون بدع هلاك » وحذروا المؤمنين منهم ومن ضلالتهم . وقطعت الكنيسة

(1) Rawson Lumby; The History of The Creeds, pp. 1-11.

انظر : تفسير المؤرخ روفينوس لقانون إيمان الرسل — وقد أشرنا إليه في موضع آخر في هذا الفصل .

(2) The Incarnation of the Son of God, pp. 93, 94.

من شركتها كل مَنْ يخرج عن إيمانها السليم (٣) ... بل وصل الأمر بالقديس يوحنا الرسول — الذى كان يتصف بالركة والوداعة — أن أمر المؤمنين ألاّ يسلموا على أمثال هؤلاء المبتدعين ، ولا يقبلوهم فى بيوتهم ، وإلاّ اعتبروا شركاءهم فى أعمالهم الشريرة (٢ يوحنا ١٠ ، ١١) ...

ونجد الغيرة واليقظة على الإيمان ، واضحة أيضاً فى كتابات الآباء الرسولين :

فالقديس أغناطيوس الشهيد لم يكتف بتحذير المؤمنين من سماع أقوال المبتدعين الهرطقة ، بل نعتهم بأقبح النعوت فقال عنهم إنهم : ذئاب خاطفة بمظاهر خداعة ، وحيوانات مفترسة فى صورة بشرية ، ونعوش ومقابر ، وأغصان طفيلية تحمل أثماراً مسمومة لم يفرسها الرب ، وجيف منتنة . يعلمون تعليماً فاسداً يفسد الإيمان ، ونصيبهم النار المؤبدة . ويمزجون السم الزعاف بالخمير لينشروا الموت ... ويحذر أهل سميرنا قائلاً : [تجنبوهم ولا تتحدثوا معهم لا منفردين ولا مجتمعين] (٤) ... وهكذا يفعل القديس بوليكاربوس فى رسالته إلى أهل فيلبى (٥) .

ونشير فى هذا الفصل إلى العقائد المسيحية الأساسية فى عصر الرسل ... ونلفت النظر إلى أننا فى تعرضنا لهذه العقائد ، لا نعالجها كمواضيع عقيدية يدلل على صحتها من أسفار الكتاب المقدس بمعهديه القديم والجديد ، ومن أقوال آباء الكنيسة فى مختلف عصورها ، ومن قرارات المجامع المسكونية مثلاً ، ومن وسائل الأثبات ، لكننا عرضنا لها كعقائد مسيحية فى كنيسة الرسل ... ولم نتجاوز فى إثباتها كتابات الآباء الرسل الواردة فى أسفار العهد الجديد ، وأقوال الآباء الرسولين ... وفى موضوع لاهوت السيد المسيح ، تركنا جانباً أقوال المسيح نفسه الواردة فى البشائر الأربع حتى لا يكون هو شاهداً لذاته ...

(٣) انظر : رو ١٦ : ١٧ ، ١٨ ؛ غل ١ : ٦ - ٩ ؛ كو ٢ : ٤ ، ٨ ؛ تي ٣ : ١٠ ؛ عب ١٣ : ١٩ ؛ بط ٢ : ١ ؛ ١ يوحنا ٤ : ١ .

(٤) Ignatius: philad., 2.3.6; Smyrn., 4.5.6; Eph., 16; Trall., 6,11.

(٥) Polycarp, Phil., 7.

أولاً - العقائد الأساسية

١ - عقيدة التجسد :

هى عقيدة المسيحية الأولى ، أن الله ظهر فى الجسد ... أن المسيح ابن الله الكلمة أخذ ناسوتاً كاملاً من العذراء مريم ... يقول القديس يوحنا الرسول : « والكلمة صار جسداً » (يوا : ١٤) ... ويقول فى رسالته الأولى : « الذى كان من البدء ، الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا » (يوا : ١) ... « ونحن قد عاينا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم » (١ يوا : ٤ : ١٤) .

وقد قاوم الآباء الرسل كل مَنْ أنكر التجسد الإلهى ، فكتبوا عن المنكرين يصفونهم بأضداد المسيح والمعاندين له . وحثوا المؤمنين على مجانبتهم ، وعدم مخالطتهم ...

يقول القديس يوحنا فى رسائله ... « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح ، بل إمتحنوا الأرواح هل هى من الله ، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم . وبهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح ، الذى سمعتم أنه يأتى » (١ يوا : ٤ : ١ - ٣) ... « لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد . هذا هو المضل والضد للمسيح ... إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن مَنْ قال له سلام ، فقد إشتراك فى أعماله الشريرة » (٢ يوا : ٧ ، ١٠ ، ١١) .

وعقيدة التجسد تؤلف بنداً فى قانون إيمان الرسل ، حيث يقول : [أؤمن بالله

الآب الكلى القدرة، خالق السماء والأرض، وإبنيه الوحيد يسوع المسيح ربنا،
الذى حُبِلَ به من الروح القدس، وولد من العذراء مريم^(٦)].

والآباء الرسوليون يشهدون بهذه العقيدة :

فالشهيد أغناطيوس يقول :

[لا يوجد سوى طبيب واحد من لحم وروح ، مولود وغير مولود ، الإله
المتجسد ، الحياة الحقيقية فى قلب الموت . المولود من مريم ومن الله ... يسوع المسيح
ربنا]^(٧) ... [صموا إذاً آذانكم عن تعاليم مَنْ لا يخاطبكم عن يسوع المسيح ابن
الله ، الذى من ذرية داود ومن مريم ، المولود حقاً من الله ومن العذراء]^(٨) ...
وأنتم مقيمون على ثبات الاعتقاد بأن ربنا هو بالحقيقة من ذرية داود حسب
الجسد ، وابن الله بإرادة الله وقدرته ، والمولود حقاً من عذراء]^(٩) .

وبوليوكاريوس الشهيد يقول :

[كل مَنْ لا يعترف أن يسوع المسيح قد أتى فى الجسد هو ضد المسيح]^(١٠)
ويوستينوس الفيلسوف الشهيد ، يشهد بصدق هذا المعتقد فى دفاعه الأول^(١١) ،
وفى حوارهِ مع تريفو اليهودى^(١٢) .

٢ - عقيدة الفداء والصلب

عقيدة الفداء فى المسيحية — أن الرب يسوع المسيح ، صنع فداءً للعالم أجمع
وللبشرية كلها — نجدها واضحة كل الوضوح فى كتابات العهد الجديد بنفس
المفهوم اليهودى القديم : إنه فدانا ، ومات نيابة عنا ، على نحو ما كان الحيوان

(6) The History of the Creeds; p. 7.

(7) Eph., 7.

(8) Trall., 9.

(9) Smyrn., 1.

(10) Phil., 7.

(11) 1 Apol. 33.

(12) Dial., 43.

البريء يذبح ويموت نيابة عن إنسان مذنب ... فالمسيح بقبوله الموت على الصليب . جعل نفسه بدلاً عن الإنسان ، ونقلت عقوبة الخطية ومسئولياتها التي على الإنسان ووضعت على رأس المسيح . وهذا هو ما يعنيه إشعياء بقوله : « الرب وضع عليه إثم جميعنا » (إش ٥٣ : ٦) ...

ويوضح القديس بولس هذا المفهوم فيقول :

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلقَ على خشبة » (غل ٣ : ١٣) .

« الذي لم يعرف خطية ، صار خطية لأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كوه : ٢١) . وواضح أن الرسول يتكلم في هذه الآية كما لو كان المسيح ذبيحة خطية ... « إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع ، فالجميع إذاً ماتوا » (٢ كوه : ١٤) ... « أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله ، رائحة طيبة » (أف ٥ : ٢) ... « لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني » (غل ٤ : ٤ ، ٥) . « ومنه أنتم بالمسيح يسوع ، الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداءً » (١ كوه : ٣٠) .

ويوضح الرسول فعالية ذبيحة المسيح الفدائية الكفارية ، فيقول : « الذي فيه لنا الفداء ، بدمه غفران الخطايا ، حسب غنى نعمته » (أف ١ : ٧ ؛ كوه ١ : ١٤) ... ويبيّن استمرار فعاليتها فيقول : « وليس بدم تيوس وعجول ، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس ، فوجد فداء أبدياً » (عب ٩ : ١٢) ... أما عن حدودها ، فقد أوضح الرب يسوع نفسه أن فداءه يشمل كافة البشرية (مت ٢٠ : ٢٨ ؛ مر ١٠ : ٤٥) ... والرسول بولس يؤكد هذا المعنى فيقول : « الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع » (١ تي ٢ : ٦ ؛ ٢ كوه ١٤ : ١٤) .

الصليب :

ويتصل الصليب إتصلاً وثيقاً بعقيدة الفداء ... وقد اعتقدت الكنيسة

منذ نشأتها بأنه قوتها وفخرها ومجدها ... والأمر واضح في كتابات القديس بولس والآباء الرسولين :

فهو قوة الله ... « إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله ... نحن نركز بالمسيح مصلوباً » (١ كو ١ : ١٨ ، ٢٣) .

وهو موضوع تطلع المؤمنين الدائم « لأننى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » (١ كو ٢ : ٢) ... ويعاتب الغلاطيين وينسب لهم الغباء في الفهم ، لأنهم يتجاهلون يسوع المسيح المصلوب ... « أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم (١٣) يسوع المسيح بينكم مصلوباً » (غل ٣ : ١) .

وهو موضوع فخر المؤمن « وأما من جهتى فحاشا لى أن أفخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلبَ العالم لى وأنا للعالم » (غل ٦ : ١٤) .

ويقول أغناطيوس الشهيد في رسالته إلى الأفسسيين : [إن روحى مكرسة للصليب ، الذى هو عشرة لغير المؤمنين ، لكنه خلاصنا وحياتنا الأبدية] (١٤) ... ويصوره في موضع آخر بشجرة ، غصيناتها هم المؤمنون ، وعصارة الشجرة هى دم المسيح (١٥) .

والشهاد بوليكاربوس في رسالته إلى أهل فيلبى يقول : [كل مَنْ لا يعترف بان يسوع المسيح قد أتى فى الجسد هو ضد المسيح . وَمَنْ لا يعترف بموته على الصليب فهو من إبليس] (١٦) .

ويوستينوس الشهيد فى حوارهِ مع تريفو اليهودى ، يتكلم كثيراً عن الصليب ورموزه فى العهد القديم (١٧) ... كما أشار إليه وإلى البركات النابعة منه كاتب رسالة برنابا (١٨) .

(١٣) اللفظ لا علاقة له بالرسم والتصوير . اللفظ اليونانى Prographo ومعناه يُشهر أو يُعلن .

(14) Eph. 18.1

(15) Trall., 1.2; phild., 3.1.

(16) Phil., 7.1.

(17) Dial. Chs. 55, 86, 89-91.

(18) The Ep. of Barnabas; Ch. 11.

٣ - عقيدة النعمة والخلاص :

نعمة الله هى السبب فى كل ما يتمتع به البشر من بركات العهد الجديد ... فلولاها ما كان فداء ولا كان خلاص ولا شئ مما نتج عن ذلك ... لقد طرد الإنسان الأول من الفردوس بسبب عصيانه ، وأغلق على أثر ذلك ، وأقام الله « الكروبيم وهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (تك ٣ : ٢٤) ... لكن كيف أعيد الإنسان إلى رتبته الأولى ، - فهذا هو دور نعمة الله ...

ولفظ « نعمة xápic » فى أصله اللغوى اليونانى قبل المسيحية ، كان يستخدم للتعبير عن فضل أو إحسان قدمه إنسان لآخر عن جود قلبى طاهر ، دون أمل فى أن يرد هذا الآخر الجميل لصاحبه ... واستخدمت فى العهد الجديد عن جود الله المجانى الذى صنعه مع البشر عند الجلجثة ، حينما أخلى ذاته ، وتنازل عن مجده ، وحمل خطاياهم والعقوبة التى يستحقونها ... ونلاحظ أن استخدام الكلمة فى اليونانية القديمة ، كان للتعبير عن الجميل أو المعروف الذى يقدم إلى صديق ، وليس إلى عدو . أما فى حالة الله ، فقد قدم إحسانه إلى أعدائه ... إلى البشر الخطاة الذين إمتلأ قلبهم كراهية نحو الله (١٩) ... ومهما يكن من أمر فإن كلمة « نعمة xápic » فى العهد الجديد هى كلمة جديدة ، بمفهوم جديد ، وأصبحت إصطلاحاً خاصاً (٢٠) . وتتردد كلمتا النعمة والخلاص كثيراً فى أسفار العهد الجديد ، خاصة فى رسائل القديس بولس ... لكن من الخطأ تصوّر أن القديس بولس هو صاحب هذه العقيدة ، وأصل هذا المفهوم . بل إن السيد المسيح هو مصدره ، وإن كان بولس أبرزه إبرازاً متميزاً واضحاً ... فالسيد المسيح يعبر عن نعمة الله المحبة الرحيمة التى تريد خلاص جميع البشر ، ويصورها بكلمات وأمثال ، دون أن يضبطها فى تعبيرات وألفاظ محددة ... فوصيته أن نحب - ليس أحباؤنا فقط - بل أعداءنا أيضاً ، تشبهاً بالآب السماوى الذى

(19) Wuest; Studies in the Vocabulary of the greek N.T.; pp. 132-139.

(20) Torrance; The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; pp. 20,21.

يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين (مت ٥ :
 ٤٣ - ٤٨) . ووصيته لتلاميذه « مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا » (مت ١٠ : ٨) . وفي
 سعيه نحو الخطاة وجلوسه معهم ، وفي أمثله التي ساقها عن محبة الله لخلاص
 الأشرار ، وحنوه في معاملتهم كما في حالة المرأة الزانية التي أمسكت في ذات
 الفعل (يوحنا ٨ : ٣-١١) ... في كل ذلك إعلان بالأمثال والتصرفات والإشارات
 لنعمة الله الفائقة ، الحانية الشاملة ، المجانية ...

والنعمة مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بموضوع الخلاص . فإن كانت نعمة الله ظهرت في
 خلاص البشر . فيكون الخلاص من جانب البشر ، هو نوال هذه النعمة ... وفيما
 يختص بموضوع نعمة الله وخلاصه ، في المفهوم الرسولي ، نلاحظ الآتي :

(أ) إن هذه النعمة ، وهذا الخلاص — من جانب الله — هما هبة مجانية ،
 بلا مقابل ، ولا تتوقف على إستحقاقات البشر وأعمالهم ...

فالبشر جميعاً شملتهم الخطية ، وملك عليهم ، يستوى في ذلك الوثني
 واليهودي ... « لأنه لا فرق . إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (روم ٣ :
 ٢٢ ، ٢٣) ... والناموس — وهو مجموع الوصايا التي أعطاه الله لشعبه اليهودي ، لم
 يكن له القدرة على تخليصهم « لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر
 أمامه » . وكل ما استطاع الناموس أن يفعله ، هو أنه كشف لهم سوء أحوالهم
 واحتياجهم لله « لأنه بالناموس معرفة الخطية » (روم ٣ : ٢٠) ... « وأما الناموس
 فدخل لكي تكثر الخطية » (روم ٥ : ٢٠) ... وهكذا فقد كان الناموس بمثابة مرآة
 تستعمل لاقتناع ذى الوجه القذر بقذارته ، دون أن يكون لها القدرة على تنظيفه ... !!

والنتيجة التي وصل إليها القديس بولس بعد أن استعرض حالة العالم الأدبية
 الروحية والشرور الكثيرة التي غرق فيها ... النتيجة ... « يستد كل فم ويصير كل
 العالم تحت قصاص من الله » (روم ٣ : ١٩ ، ٢٣) ... وكنتيجه لهذه النتيجة تظهر
 نعمة الله المخلصة المجانية « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح .
 الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا
 السالفة بإمهال الله » (روم ٣ : ٢٤ ، ٢٥) ... بهذا نستطيع أن نفهم كلمات الرب

يسوع : « لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجذبه الآب » (يو ٦ : ٤٤) ... لا إستحقاقات للبشر في هذه النعمة ، وإلاّ لو كان للبشر إستحقاقات ما كانت تعتبر نعمة « فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال » (٢١) ، وإلاّ فليست النعمة بعد نعمة . وإن كان بالأعمال (٢١) فليس بعد نعمة » (رو ١١ : ٦) ... « الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح . بالنعمة أنتم مخلصون ... ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائقة باللفظ علينا فى المسيح يسوع . لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان ، وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال (٢١) كيلا يفتخر أحد » (أف ٢ : ٤-٩) (٢٢) ...

ونلفت النظر — فيما يختص بكلام الرسول السابق عن التبرير بالنعمة المجانية ، وليس بالأعمال ، أن المقصود هو حياة البشر عامة وأعمالهم السابقة للفداء الذى تم على الصليب ، ولا يقصد بها بحال أعمال الإنسان المسيحى المؤمن فى ظل الفداء والصليب ، فنعمة الله التى ظهرت فى عمل المسيح الكفارى كانت — بحسب تعبير القديس بولس : « صفحاً عن الخطايا السالفة » (رو ٣ : ٢٥) ... على نحو ما يصدر رئيس دولة عفواً عاماً عن المسجونين السياسيين مثلاً ... فليس معنى هذا أن يعود هؤلاء المسجونون المحررون أو غيرهم إلى نفس جرائمهم أو جرائم مشابهة ، إحتماء فى العفو السابق ، أو إستغلالاً له ... وسنعود إلى مناقشة هذا الموضوع فيما بعد .

(ب) أن هذه النعمة المجانية المخلصة عامة لجميع البشر منذ آدم وإلى نهاية العالم ... فإن كانت خطية آدم الأول شملت كافة البشر ، فنعمة المسيح الفائقة أقوى بما لا يقاس ... « كما فى آدم يموت الجميع ، هكذا فى المسيح سيُحيا الجميع » (١ كو ١٥ : ٢٢) ... « ليس كالخطية هكذا أيها الهبة . لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون . فبالأولى كثيراً ، نعمة الله ، والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح ، قد إزدادت للكثيرين » (رو ٥ : ١٥) ...

(٢١) المقصود بالأعمال هنا ، أعمال البشر السابقة للفداء .

(٢٢) انظر : أف ١ : ٤ - ٦ : ٢٤ ، ١ : ٩ ، رؤ ٢١ : ٦ ، ٢٢ : ١٧ .

« مخلصنا الله ، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ... الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع » (١ تى ٢ : ٣-٦) ... ويقول يوحنا الرسول « وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط . بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ٢) .

(جـ) وأن هذه النعمة العامة المجانية من أجل خلاصنا ، نستحقها بالإيمان فى شخص المسيح الفادى وعمله الخلاصى .

فلا شك أن الإيمان بالمسيح الفادى وبعمله الكفارى الخلاصى هو المدخل لهذه النعمة ... نقول المدخل ولا نقول إنه كل شيء ... هكذا يقول القديس بولس : « ... ربنا يسوع الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون » (رو ٥ : ١، ٢) ... فالإنسان الذى هو خارج الدائرة يحتاج أن يُدخل أولاً ، وبعد ذلك يقال له ماذا ينبغى أن يفعل فى الداخل ... « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى ببسوع المسيح ... بالإيمان بدمه » (رو ٣ : ٢٤، ٢٥) ... « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان » (أف ٢ : ٨) ...

على أن هذه الآيات التى ترسم لنا التبرير بالإيمان بالنعمة المجانية ، إنما هى توضيح للجانب الإلهى . لكن الخلاص الأبدى الأخير لا يناله الإنسان إلا بما يقوم به هو من أعمال صالحة كتجاوب مع نعمة الله ... وسنعرض لهذا فيما بعد .

(د) قلنا فى النقطة السابقة إن النعمة العامة المجانية نستحقها بالإيمان فى شخص المسيح ، ولم نقل إنما ننالها بالإيمان ... وقلنا عن الإيمان إنه المدخل فقط ، لأنه هو الخطوة الأولى التى تفتح القلب لقبول الخلاص . ومع ذلك فليس الإيمان هو الذى يخلص الإنسان ، إنما الذى يخلص الإنسان هو المعمودية (٢٣) ... « مَنْ آمَنَ واعتمد يخلص وَمَنْ لم يؤمن يدان » (مر ١٦ : ١٦) ... فالإيمان

(٢٣) الأنبا غريغوريوس : مفهوم الخلاص فى الكنيسة الأرثوذكسية — محاضرة فى مؤتمر خريجي الكلية الإكليريكية فى الفترة من ٦ إلى ٩ فبراير سنة ١٩٦٧ .

يُجْعَل القلب في حالة القبول والاستعداد للخلاص ، لكنه لا يخلص . والخلاص لا يتم بغير المعمودية ، التي ينقل بها الروح القدس إلينا إستحقاقات المسيح الكفارية ، وخلصه الذي تممه بالصليب . نلاحظ قول الرب : « مَنْ آمَنَ واعتمد » ، ولم يقل « مَنْ آمَنَ » فقط . وأما قوله « وَمَنْ لم يؤمن يدان » فلأن الإيمان هو الخطوة الأولى التي تمهد للخلاص . فإذا لم يوجد لدى الإنسان الإيمان ، فإنه يدان على عدم إيمانه ، ولكن إذا وجد الإيمان ، فليس بالإيمان يخلص ، ما لم تأت الخطوة التالية وهي المعمودية .

٤ - عقيدة موت المسيح وقيامته :

موضوع موت المسيح وقيامته عقيدة أساسية في كنيسة الرسل ، ونلمسها واضحة في الأسفار المقدسة (٢٤) . فمنذ اليوم الأول الذي تأسست فيه الكنيسة المسيحية ، نرى موت المسيح وقيامته يحتل حجر الزاوية في التعليم ، على أنها حقيقة حدثت تماماً لنبوء الأنبياء قديماً ...

ففي عظة بطرس يوم تأسيس الكنيسة نراه يؤكد هذا الأمر « بأيدى أئمة صلبتموه وقتلتموه . الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت » (أع ٢ : ٢٣ ، ٢٤) ... ونفس الكلام تكرر في الهيكل اليهودي ، ومرتين أمام مجمع السنهدرين (٢٥) ... وأكد الكلام السابق استفانوس في خطابه الناري أمام المجمع (أع ٧ : ٥١ ، ٥٢) ... ولا شك أن موضوع موت المسيح وقيامته كان هو موضوع كرازة فيلبس للخصي الحبشي الذي كان يقرأ من إشعياء الفصل الخاص بالآلام المسيح (أع ٨ : ٣٢) ... وكان هو أيضاً موضوع كرازة بطرس لكرنيليوس (أع ١٠ : ٣٨ - ٤٠) ... وهكذا فعل بولس في المجمع بأنطاكية بيسيدية (أع ١٣ : ٢٨ - ٣٠) .

ويروى معلمنا بولس أن التقليد الخاص بموت المسيح وقيامته ، تسلمه من

(24) Weiss, Earliest Christianity, Vol. 1, pp. 94-96.

(٢٥) انظر : أع ٣ : ١٥ ؛ ٤ : ١٠ ؛ ٥ : ٣٠ - ٣٢ .

الكنيسة وقبله كعقيدة أساسية ... «فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» (١ كو ١٥: ٣، ٤) ... ويوصي أهل كورنثوس أن يحفظوا هذه الذكرى مرتبطة بالأفخارستيا (١ كو ١١: ٢٦) ... ويقول لأهل فيلبى: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته» (فى ٣: ١٠). ويقول للتسالونيكين: «لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه» (١ تس ٤: ١٤). وموت المسيح وقيامته هو جوهر قانون إيمان الرسل ... [أؤمن بالله الآب الكلى القدرة، خالق السماء والأرض، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، الذى حبل به بالروح القدس، وولد من العذراء مريم. تألم على يد بيلاطس البنطى، وصلب ومات ودفن ونزل إلى الجحيم. وقام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الله الآب الكلى القدرة] (٢٦) ...

وهو واضح أيضاً في كتابات الآباء الرسولين :

يذكره أكليمنضس الرومانى (٢٧) مستشهداً بما جاء فى (إش ٥٣) ... ويذكره أغناطيوس الأنطاكي الشهيد فى رسائله (٢٨). وكذلك بوليكرابوس الشهيد فى رسالته إلى أهل فيلبى (٢٩) ويوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول (٣٠)، وحواره مع تريفو اليهودى (٣١)، وفى كتابه عن القيامة (٣٢) ...

(26) The History of Creeds; p. 7.

(27) Clement of Rome, Ep. to the Corinthians, Chs. 16, 24.

(28) Mag., 11; Tral. 1,2,9; Philid., Chs. 6,8, Smyrn. Chs. 1,6,7.

(29) Ch. 2.

(30) 1 Apol., Chs. 13, 31, 35, 50.

(31) Dial., Chs. 54, 95-110.

(32) Ch. 19.

٥ - عقيدة لاهوت المسيح :

اعتقدت الكنيسة المسيحية منذ تأسيسها ، اعتقاداً أساسياً وراسخاً ، أن الرب يسوع المسيح هو الله الظاهر في الجسد ، وأنه هو الله الكلمة (اللوغوس) ، وأنه ابن الله الوحيد الجنس ، وأنه هو المخلص الوحيد . ويتضح ذلك من النقاط الآتية التي نعرضها في إيجاز (٣٣) .

أولاً - كانت تقدم له العبادة :

كانت الكنيسة منذ البداية — جماعة وأفراد — تقدم العبادة للرب يسوع :
+ هكذا صلت الكنيسة في عليّة صهيون لانتخاب خلفاً ليهوذا الاسخريوطي (أع ١: ٢٤) .

+ وبطرس في عظة يوم الخمسين إقتبس من نبوءة يوشع « ويكون كل مَنْ يدعوا باسم الرب (يصلي باسم الرب يسوع) يخلص » (يوشع ٢ : ٣٢ ؛ أع ٢ : ٢١) .

+ واستفانوس أول شهداء المسيحية — فيما كانوا يرجونه — كان « يدعو ويقول أيها الرب يسوع إقبل روحي » (أع ٧ : ٥٩) ... لقد ختم إستفانوس حياته وهو يردد عبارتين من العبارات السبع ، التي قالها الرب يسوع على الصليب ... « أيها الرب يسوع إقبل روحي ... يارب لا تقم لهم هذه الخطية » (أع ٧ : ٥٩ ، ٦٠) ... وبينما وجه الرب يسوع عبارتيه للآب ، فإن استفانوس وجههما للرب يسوع . ومثال إستفانوس له قيمته ، خاصة في تلك اللحظات الحاسمة التي رأى فيها مجد الله والسموات مفتوحة ، وكان وجهه يضيء كوجه ملاك . وهو الشخص الذي شهد عنه الكتاب المقدس أنه كان مملوءاً من الإيمان والروح القدس

(٣٣) نحن لا نثبت هنا لاهوت المسيح من العهد القديم أو من كلام السيد المسيح الوارد في الأناجيل ، بل من كتابات الآباء الرسل والآباء الرسولين فقط . لأن قصدنا هو إظهار عقيدة كنيسة الرسل فيما يختص بشخص المسيح .

(أع ٦ : ٥ ؛ ٧ : ٥٦، ٥٥) ... على أن صلاة إستفانوس وأسلوبها ، لم تكن حدثاً. فمما لا شك فيه أنها كانت نموذجاً وامتداداً لصلواته السابقة التي إعتادها ، بل و لصلوات الكنيسة كلها آنذاك (٣٤) .

+ وفي قصة إيمان بولس ، نقرأ عن المسيحيين أنهم كانوا يدعون باسم الرب يسوع (٣٥) أى يصلون باسمه . هكذا قال حنانيا للرب يسوع . وهذا ما علق به كل مَنْ سمع بولس يكرز بالمسيح في دمشق عقب إيمانه (أع ٩ : ١٤ ، ٢١) . وبعد أن التقى حنانيا بشاول (بولس) قال له : «والآن لماذا تتوانى . قم واعتمد واغسل خطاياك . داعياً باسم الرب» (أع ٢٢ : ١٦) (٣٦) ، أى صل للرب (يسوع) ... وبعد فترة وجيزة ، كتب بولس رسالة إلى كنيسة كورنثوس عنونها : «إلى القديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح (٣٧) في كل مكان» (١ كو ١ : ٢) .

+ والقديس بولس الرسول كان يصلى للرب يسوع في الهيكل بأورشليم (أع ٢٢ : ١٧-٢١) .

+ ويقول لأهل فيلبى : «على أنى أرجو في الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس» (في ٢ : ١٩) . وفي (١ تي ١ : ١٢) يقول : «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى أنه حسبى أميناً إذ جعلنى للخدمة» ... وكلا التعبيرين يظهران أن الرب يسوع كان هو محور تفكير الرسول بولس ، على نحو ما نطلق التعبيرات المعتادة ، إن شاء الله ، وأشكر الله ... إن الرب يسوع هو الإله الذى عبده بولس ، والذى ظهر له في الجسد .

+ وواضح من كلام بولس بخصوص شوكة جسده ، أن صلواته كان يقدمها

(34) The Divinity of Our Lord; p. 377.

(٣٥) هكذا في القبطية $\epsilon\upsilon\tau\omega\beta\epsilon\lambda\ \mu\pi\epsilon\kappa\rho\alpha\nu\ ;\ \eta\eta\eta\epsilon\iota\tau\omega\beta\epsilon\lambda\ \mu\pi\alpha\iota\rho\alpha\nu$ بمعنى صلى أو طلب وتضرع .

(٣٦) هكذا في القبطية $\epsilon\kappa\tau\omega\beta\epsilon\lambda\ \mu\pi\epsilon\upsilon\rho\alpha\nu$

(٣٧) لا جدال في أن هذا التعبير معناه الصلاة — انظر : Hastings, Dictionary of the Bible, p. 744.

للرب يسوع ... « من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات ... فبكل سرور
أفتخر بالحرى في ضعفاتي لكي تحل علىّ قوة المسيح » (٢ كو ١٢ : ٨ - ١٠) .

+ ولم تكن الكنيسة المجاهدة على الأرض هي وحدها التي تقدم العبادة
للرب يسوع المسيح ، بل إشتراك معها في ذلك كل الخلائق سواء في السماء
أو على الأرض ... يقول معلمنا بولس عن الرب يسوع : « متى أدخل البكر إلى
العالم ، يقول ولتسجد له ملائكة الله » (عب ١ : ٦) . ويقول أيضاً : « لذلك
(من أجل تواضعه) رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم ، لكي تحثو باسم يسوع
كل ركبة ممّن في السماء ومّن على الأرض ومّن تحت الأرض » (في ٢ :
٩ ، ١٠) ...

من هذه الآيات يتضح أن الرب يسوع — الإله المتجسد — عبده الملائكة
والبشر وأرواح المنتقلين ... ولم تكن صلوات عبيده وخدامه على الأرض ، إلاّ
إنعكاساً لصلوات الكنيسة المنتصرة في السماء . والأمر واضح في رسائل يوحنا
ورؤياه ... يقول :

« وهذه هي الثقة التي لنا عنده ، أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا .
وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا ، نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها
منه ... » (١ يو ٥ : ١٤ ، ١٥) ...

هذه التوسلات من الكنيسة المجاهدة على الأرض تتوافق مع العبادة التي
تقدم للرب يسوع المسيح في السماء .

« ورأيت فإذا في وسط العرش خروف قائم كأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) ... ثم
يرسم لنا يوحنا صورة ثلاثة فئات تقدم العبادة للمسيح « الخروف القائم كأنه
مذبوح » ... الفئة الأولى : الأربعة حيوانات غير المتجسدين والأربعة وعشرون
كاهناً ... والفئة الثانية : ربوات وألوف من الملائكة ... والفئة الثالثة ، يقول عنها
يوحنا : « كل خليفة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض ، وما على البحر
كل ما فيها » (رؤ ٥ : ٨ - ١٤) .

قد يختلف المفسرون في مدلولات رموز سفر الرؤيا النبوية ، لكن لن يختلف إثنان في مَنْ يكون الحمل المذبح ، وطبيعة العبادة التي تقدم له ... إن السجود والعبادة تختص بالله وحده (تث ٦ : ١٣ ؛ ١٠ : ٢٠ ؛ مت ٤ : ١٠) ... والعبادة التي كانت تقدم للمسيح في العصر الرسولي ، هي نفس العبادة الواجبة لله وحده ... وقد سلمت كنيسة الرسل هذه العقيدة إلى الأجيال التالية .

+ والآباء الرسولين يشيرون في كتاباتهم إلى عبادة ربنا ، كشيء غير قابل للنقاش .

فالقديس أغناطيوس الأنطاكي الشهيد ، يطلب من مؤمنى رومية قائلاً :
[إسألوا المسيح أن يجعل منى ضحية بواسطة هذه الحيوانات] (٣٨) .

+ والقديس بوليكاربوس يفتح رسالته إلى أهل فيلبى ببركة هي في حقيقتها صلاة ليسوع المسيح ربنا ... وفي وقت إستشهاده قدم صلاته للمسيح (٣٩) .

وتقول قصة إستشهاد بوليكاربوس التي كتبتها كنيسة سميرنا عقب إستشهاده مباشرة ، أن اليهود أدركوا رغبة المسيحيين في إختطاف جسد بوليكاربوس من النار ، فحرضوا الوالى ألاّ يسلم الجسد للمسيحيين ، لئلا يتركوا المصلوب ويعبدوا بوليكاربوس ... ثم يعلقون على ذلك بقولهم عن اليهود : [غير عالمين أننا لن نترك المسيح الذى تألم من أجل خلاص كل العالم ولن نعبد آخر] (٤٠) .

● والمدافعون المسيحيون أشاروا إلى هذه العبادة . فقد إتهمهم الوثنيون في ذلك الوقت المبكر بعبادة آلهة متعددة . لذلك نجد يوستينوس الفيلسوف الشهيد يقول في دفاعه أن المسيحيين يعبدون الله وحده ، لكنه يؤكد أن الابن والروح القدس يشتركان مع الآب في العبادة التي تقدم إليه (٤١) ... وفي حوار مع تريفو

(38) Rom. 4. 3.

(39) Mart. St. Polyc. ch. 14.

(40) Martyrdom of Polycarp; ch. 17.

(41) Justin; 1, Apol., 6. 17.

اليهودى ، أثبت له أن الأنبياء تنبأوا عن عبادة المسيا (٤٢) .

• والليتورجيات القديمة تقطع بأن العبادة كانت تقدم للسيد المسيح .
ففى ليتورجية القديس يعقوب أخ الرب (٤٣) ، يقول الكاهن فى صلاة رفع البخور ... « يا ربنا وملكنا يسوع المسيح ، يا كلمة الله ، الذى قدم ذاته بإرادته ، لله الآب ، ذبيحة بلا عيب على الصليب ... » . وأيضاً « يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح ، الذى من أجل صلاحه الفائق ، ومحبتة التى لا تعاق ، صلبت ، ولم ترفض أن تطعن بالحربة وتثقب بالمسامير . الذى أعطانا هذه الخدمة السرية المخوفة ... » .

ويرتل الشماس قائلاً : « أنت هو ابن الله الوحيد وكلمة الله غير المائت ، الذى تنازلت من أجل خلاصنا ، وأخذت جسداً من والدة الإله القديسة مريم الدائمة البتولية ... أنت أيها المسيح إلهنا ، دست الموت بموتك » .

وفى ليتورجية القديس مار مرقس (القداس الكيرلسى) ، يصلى الكاهن « أنت هو الذى خلق الإنسان كصورتك وكشبهك ، وخلقت كل الأشياء بحكمتك . نورك الحقيقى ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ، هذا الذى من قبله نشكر ونقرب لك معه ومع الروح القدس الثالوث المقدس المساوى غير المفترق هذه الذبيحة الناطقة وهذه الخدمة غير الدموية » (٤٤) .

• والتسابيح والمزامير التى إستخدمت فى العبادة فى الكنيسة الأولى تشهد بذلك . ويسجل لنا يوسابيوس المؤرخ عبارة وردت فى مؤلف قديم تقول [مزامير الأخوة وتسابيحهم ، التى كتبها المؤمنون منذ أيام المسيحية الأولى ، كلها تقدم التسبيح للمسيح كلمة الله ، وتعلن لاهوته] (٤٥) .

(42) Justin; Dial., ch. 68.

(٤٣) يؤكد كثير من العلماء صحة نسبتها إليه — انظر : A.N.F., Vol. 7; pp. 537, 538.

(44) A.N.F., Vol 7; p. 555.

(45) H.E., 5, 28, 5.

ويشير أوريجينوس إلى أن التسابيح وجهت لله فقط ، وابنه الوحيد الكلمة الذى هو الله أيضاً (٤٦) .

وما زالت بين أيدينا تسابيح مما كانت تستخدمها الكنيسة الأولى في عبادتها ، وجميعها مقدمة للمسيح ... وهناك تسبحة قديمة تقول : « أيها الرب الإله حمل الله ابن الآب حامل خطايا العالم إرحمنا » (٤٧) .

وفي التقرير الذى أنفذه بلىنى الأصغر Pliny حاكم بيشينية سنة ١١٢ م إلى الإمبراطور تراجان ، يصف فيه عبادة المسيحيين ، يقرر [أنه كان من عادتهم أن يجتمعوا معاً في يوم معين من الأسبوع قبل الفجر وينشدون بالتناوب ترنيمة للمسيح باعتبار أنه الله] (٤٨) .

ثانياً - كتابات الآباء الرسل :

وليس موضوع تقديم العبادة للرب يسوع المسيح وباسمه ، هو الوحيد الذى يقوم شاهداً على لاهوت المسيح ، بل إن كتابات الآباء الرسل ، التى حواها كتاب العهد الجديد تقطع بذلك ... فقد لقب الآباء الرسل السيد المسيح بكل الألقاب الإلهية ، كما نسبوا إليه جميع الصفات الإلهية ، التى لا يلقب بها غير الله :

١ - الألقاب الإلهية :

(أ) الله :

« وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) .

(46) Contra Celsus; 8, 67.

(47) The Divinity of Our Lord; pp. 394, 395.

ما زالت هذه الفقرة في تسبحة الملائكة ضمن صلاة باكر المستخدمة في الكنيسة حتى الآن .

(48) Documents of the Christian church, pp. 4, 5.

سأل حافظ سجن فيلبى بولس وسيلاً عما يفعله لكى يخلص . أجاباه : « آمن
بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » ... وبعد أن اعتمد « تهلل مع جميع
بيته إذ كان قد آمن بالله » (أع ١٦ : ٣١ ، ٣٤) ... واضح من هاتين الآيتين
اللتين دونهما القديس لوقا فى سفر الأعمال ، أن الإيمان بالرب يسوع ، هو بعينه
الإيمان بالله . يقول المرتل فى (مز ٤٥ : ٦ ، ٧) : « كرسيك يا الله إلى دهر
الدهور » ... ويقتبس بولس هذه الآية ، فيقول فى (عب ١ : ٨) : « وأما عن
الابن ، كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » . وواضح هنا أن الابن هو الله .

وفى مدينة ميليتس ، حث القديس بولس قسوس أفسس أن يرعوا « كنيسة الله
التي إقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) . وضمير الغائب المفرد فى كلمة « دمه » تعود
على الله ، والذي سفك دمه هو المسيح . واضح أن المسيح هنا هو الله .

(ب) يهوه (الله فى العهد القديم) :

فى الأصحاح العاشر من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس يسوق
الرسول بولس مثلين على ذلك ، وهو يتكلم عن بنى إسرائيل الذين خرجوا من مصر
مع موسى ، وظلوا فى البرية أربعين سنة . قال :

« لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم ، والصخرة كانت
المسيح » (١ كو ١٠ : ٤) . وبالرجوع إلى (خر ١٧ : ٦ ، ٧) حيث سجل هذا
الحادث ، نجد أن موسى دعا اسم ذلك الموضع « مَسَّة ومريية » من أجل تجربتهم
للرب قائلين ، أفى وسطنا الرب أم لا ... وبمقارنة النصين يتضح أن يهوه
(الله) كان فى وسطهم ، الذى كشف عنه بولس أنه المسيح (٤٩) . « ولا نجرب
المسيح كما جرب أيضاً أناس منهم فأهلكتهم الحيات » (١ كو ١٠ : ٩) . وبمقارنة
هذه العبارة بالحادث المشار إليه فى العهد القديم (عدد ٢١ : ٥ ، ٦) . ومع ما ذكره

(٤٩) موضوع الصخرة موضوع جدير بالملاحظة والتأمل ، خصوصاً بعد أن كشف معلمنا بولس أن
« الصخرة كانت المسيح » . فحينما طلب موسى أن يرى مجد الله ، أمره الرب أن يقف على صخرة
(خر ٣٣ : ١٨ - ٢٣) . هل فى ذلك إشارة إلى أنه لن يرى الله إلا مَنْ يقف على الصخرة أى يكون
على أساس المسيح !؟ انظر وتأمل فى (مز ١٠ : ٤١ ، ٤٢ ؛ ١١٤ : ٨) بعد ربط الصخرة بالنهر والياه
والينابيع ...

معلمنا بولس في (عب ٣ : ٧ - santamarieegypt.org) المسيح هو يهوه العهد القديم ،
الذى تدمر عليه بنو إسرائيل في البرية .

إن الدارس لرسالة معلمنا يعقوب يستطيع أن يدرك على أنه يتكلم عن السيد
المسيح على أنه هو يهوه العهد القديم (٥٠) ... وبمقارنته (يع ٤ : ١٢) حيث يتكلم
عن الله واضح الناموس والديان ، مع (يع ٥ : ٩) حيث يتكلم عن المسيح الديان ،
يزداد الأمر وضوحاً .

(ج) صورة الله غير المنظور :

قال القديس بولس « الذى (يسوع المسيح) إذ كان فى صورة الله ، لم
يحسب مساواته لله إختلاساً » (فى ٢ : ٦) ... يقول الأستاذ الدكتور وست (٥١)
Wuest : [هذه الآية وحدها كافية لدحض إدعاء منكرى لاهوت المسيح] ...
لابد إذن من وقفة عند هذه الآية التى تتكلم عن المسيح « صورة الله » ...

فى الآية السابقة ، الكلمة اليونانية المترجمة صورة هى Morphi وكلمة صورة
لا تعبر بدقة عن المعنى المقصود . وعلى كل ، فلا يوجد فى اللغات الحالية — سواء
العربية أو غيرها — لفظ واحد يعبر عن معنى الكلمة اليونانية ... هى لا تعنى
الشكل الجسدى ، بل كانت تعبيراً يونانياً (فلسفياً) يعبر به عن الكائن الذى
يحمل فى ذاته الطبيعة والصفة المميزتين للكائن الذى ينسب إليه ... فهى
والحال هذه تدل على الوصف الخارجى الذى ينبع من الداخل والذى يعبر به
الكائن عن طبيعته فى أعماق أعماقها . كان ربنا يسوع فى صورة الله بهذا المعنى
الذى أشرنا إليه . ولفظ « الله » ورد فى النص اليونانى بدون أداة تعريف ، لذا فهو
يشير إلى الجوهر الإلهى ...

ومن هنا يتضح المعنى : فتعبير الرب يسوع الخارجى لأعماق أعماقه
الداخلية بالنسبة لطبيعته ، إنما هو تعبير عن جوهر اللاهوت الإلهى . وحيث

(٥٠) انظر : يع ٥ : ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢ : ١ .

(٥١) الأستاذ السابق للغة العهد الجديد اليونانية بمعهد مودى للكتاب المقدس فى شيكاغو .

أن ذلك التعبير الخارجى — ^{σπαραγωγὴ} الذي يدل عليه لفظ «صورة» — نابع من الكيان الداخلى، ويصوره تصويراً حقيقياً، فإنه يتبع ذلك، أن ربنا يسوع — من جهة طبيعته يملك جوهر اللاهوت الإلهى، ويشترك مع الله الآب، والله الروح القدس فى نفس جوهر اللاهوت ...

وثمة ملاحظة أخرى على هذه الآية ... عبارة «إذ كان» فى أصلها اليونانى لا تشير إلى الزمن الماضى، الذى تم وانقضى، بل هى فى الصيغة التى تعبر عن حالة فى الماضى تمتد إلى الحاضر ... والمعنى أن الرب يسوع — من جهة حوزته جوهر اللاهوت — لم يتوقف عن ذلك حينما (أخلى ذاته) بالتجسد ... وبعبارة أخرى، أن الرب يسوع كان بجوهر اللاهوت، ليس فقط قبل تجسده، بل بعد هذا التجسد أيضاً.

عبارة «لم يحسب» فى اليونانية، تفيد الحكم المبني على حقائق .
«مساوياً لله» ... ومرة أخرى كلمة الله بدون أداة تعريف، وتعنى اللاهوت فى جوهره. والمساواة هنا لا يقصد بها المساواة بين أقانيم الثالوث القدوس — أى أنها لا تشير إلى مساواة الرب يسوع للأقنومين الآخرين، فيما يختص بجوهر اللاهوت. إنما هى تشير هنا إلى مشاركة الرب يسوع للأقنومين الآخرين فى التعبير عن الجوهر الإلهى الأقدس. وهذه نقطة هامة. لأنه حينما «أخلى ذاته»، لم يُخل ذاته من حوزة اللاهوت، بل أخلى ذاته من التعبير عنه (٥٢) «آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس».

• وعن المسيح «صورة الله» يقول معلمنا بولس أيضاً «الذى هو صورة الله غير المنظور» (كو١ : ١٥) ... «المسيح الذى هو صورة الله» (٢ كو٤ : ٤) وهنا كلمة صورة فى النص اليونانى هى εἰκών = eikon. وتعنى فى معناها الأصل المماثلة. وأنها نموذج مطابق تماماً للأصل. وهى تختلف عن كلمة يونانية أخرى homoioima وتفيد معنى التشابه ... أى أن الابن هو نفس صورة الآب (صورة طبق الأصل للآب).

(52) Wuest; philippians in the Yreek N.T.; pp. 62;65.

هكذا نفهم كلمات الرب يسوع « من رأى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) .
 أى أن الابن هو نفس صورة الآب (صورة طبق الأصل للآب) ... إنها تفيد
 الاعلان عن المخفى واطهاره^(٥٣) ... وثمة فكرة أخرى تنطوى عليها كلمة
 « صورة » ... فالابن (اللوغوس) هو إظهار للآب غير المنظور « الله لم يره أحد
 قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر » (يو ١ : ١٨) .

(د) إله : « المسيح ... الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » (رو ٩ :
 ٥) « فان فيه يحل^(٥٤) كل ملء اللاهوت جسدياً » (كو ٢ : ٩) ... « هذا هو
 الإله الحق والحياة الأبدية » (١ يو ٥ : ٢٠) ... « الإله الحكيم الوحيد مخلصنا له
 المجد والعظمة والقدرة والسلطان » (يه ٢٥) .

(هـ) رب : انظر (أع ٢ : ٣٦ ؛ ١ كو ٨ : ٦ ؛ ١٢ : ٣ ؛ ٢ كو ٤ : ٥ ؛
 أف ٤ : ٥ ؛ في ٢ : ١١ ؛ ٢ تس ٢ : ١٦ ؛ ٢ بط ١ : ١ ؛ رؤ ١١ : ٨ ، ١٥) ... بل
 دعى رب الأرباب (رؤ ١٩ : ١٥) ودعاه القديس يعقوب « رب المجد »
 (يع ٢ : ١) .

(و) ابن الله الوحيد الجنس : انظر (أع ٩ : ٢٠ ؛ رو ١ : ٣ ؛ ٨ : ٢٩ ،
 ٣٢ ؛ أف ٤ : ١٣ ؛ كو ١ : ١٤ ؛ عب ١ : ٢ ؛ ٢ يو ٣) .

وتعبير ابن الله الوحيد الجنس هو التعبير الذى أطلقه رب المجد يسوع على ذاته
 واستخدمه ليبين لليهود وللبنس علاقته بالآب ... أو العلاقة بين الله غير المنظور
 (الآب) وقد أصبح منظوراً فى المسيح (الابن) . وعبرة ابن الله معناها أنه مساو
 لله ... هكذا فهم اليهود هذا التعبير « فازداد اليهود لأجل هذا طلباً لقتله ... لأنه
 كان يقول أن الله أبوه ، مساوياً نفسه بالله » (يو ٥ : ١٨) . فعبارة أن الله أبوه
 معناها أنه مساو لله فى الجوهر (من ذات جوهر الآب) ...

(٥٣) Wuest; Colossians in the Yreek N.T.; pp. 181-183.

(٥٤) كلمة « يحل » فى النص اليونانى الأصلى يفيد عنصر الدوام والاستمرار ولا يعنى الحلول
 المؤقت .

(ن) كلمة الله (اللوغوس) : (يوحنا ١ : ١٤ ، ١ يوحنا ١ : ١٠ : ٥ : ٧) .

٢ - الصفات الإلهية :

+ الخالق : (يوحنا ١ : ٣ ، ١٠ : ١١ : ٣٦ : ١ كو ١ : ١٦ : عب ١ : ١٠ ، ٢) .

+ أزلى أبدى : (١ : ١٦ : عب ١ : ١٠ : ١٢ : ١ يوحنا ٥ : ٢٠ : رؤ ١ : ٤ ، ٨ ، ١٨) .

+ روح الله هو روحه : « وأما أنتم فليستم في الجسد بل في الروح ، إن كان روح الله ساكناً فيكم ، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح ، فذلك ليس له » (روم ٨ : ٩) .

+ قدوس : أع ٣ : ١٤ ، ١٥ : ٤ : ٢٧ : ١٣ : ٣٥ : عب ٧ : ٢٦) .

+ لا يتغير : « يسوع المسيح هو هو ، أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب ١٣ : ٨) ... ونلاحظ أن الرسول بولس بعد هذه الآية مباشرة ، يقول للعبرانيين : « لا تساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة » . وفي ذلك تحذير من بعض الهرطقات التي ظهرت في ذلك الوقت مشوهة لاهوت المسيح .

+ الديان : (أع ١٠ : ٢٢ : روم ١٤ : ١٠ : ١٢ : ١ كو ٤ : ٥ : ٢ كو ٥ : ١٠ : ٢ : ٤ : ٨ : ١ بط ٤ : ٥ : رؤ ٢٢ : ١٢) .

+ هو الحياة ومصدرها وواهبها ، وله سلطان الموت : (يوحنا ١ : ١ - ٤ : ١ يوحنا ٩ : ٥ : ١٠ - ١٢ : ٣ : ٢٠ ، ٢١ : ١ تس ٤ : ١٦) .

+ عالم بكل شيء : (٢ بط ١ : ١٤ : رؤ ٢ : ٢٣) .

+ قادر على كل شيء ويمنح القوة : (٢ كو ١٢ : ٩ : في ٤ : ١٣ : ١ كو ٢٨ ، ٢٩ : ٢ : ٤ : ١٧ ، ١٨ : رؤ ٨ : ٨) .

- + بلا خطية : (عب ٤ : ١٥ : ٧ : ٢٦ : ١ : بط ٢ : ٢٢ : ١ : يو ٣ : ٥) .
- + غافر الخطايا والمطهر من كل إثم : (أع ٥ : ٣١ : ٧ : ٥٩ : ٦٠ : ١٠ : ٤٣ : ٢٦ : ١٨ : ٣ : ١٣ : ١٠ : ١٧ : ٧ : ٩ : ٢ : ١٢) .
- + مخلص البشر وحده : « ليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) .
- + المؤمنون يعمدون باسمه : (أع ٢ : ٣٨ : ٨ : ١٦ : ١٠ : ٤٨) .
- + البشر يدعون عبده وقديسه : (أع ٩ : ١٣ : ١ : ١ : ٥ : ١ : غل ١ : ١٠ : ١ : ١) .
- + رجاء المؤمنين : (رو ٥ : ٢ : ١ : ١٥ : ١٩ : أف ١ : ١٢ : ١ : تس ١ : ٣ : ١ : ١ : ١) .
- + أعداؤه نهايتهم الهلاك الأبدى : (في ١ : ٢٧ : ٢٨ : ٣ : ١٨ : ١٩ : ٢ : تس ١ : ٩ : ٩ : ٤ : ٥) .
- + اليوم الأخير هو يومه : (٢ : بط ٣ : ١٠ : ١٢) .
- + الملكوت الأبدى هو ملكوته : « لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » (٢ : بط ١ : ١١ : ٢ : ٤ : ١) .

ثالثاً - كتابات الآباء الرسولين :

ولاهوت السيد المسيح واضح كل الوضوح في كتابات الآباء الرسولين ...
وكعينة لذلك نعرض لشخص المسيح في كتابات القديس اكليمنضس
الرومانى ، وأغناطيوس الأنطاكى الشهيد ...

يقول اكليمنضس الرومانى :

[فلنحدق بأبصارنا فى دم المسيح . ولنعلم أنه ثمين فى نظر أبيه ، لأنه سفك

لأجل خلاصنا ، وأتى بنعمة التوبة لكل العالم [(٥٥)] .
 [وكل مَنْ يؤمن بالله ويترجاه سينال الفداء يوم الرب] (٥٦) .
 [فلنكرم الرب يسوع الذى سفك دمه عنا] (٥٧) .
 [هذا هو السبيل يا أحبائى ، حيث نجد خلاصنا يسوع المسيح ، رئيس كهنة
 تقدماتنا ، المدافع والمعين لضعفنا] (٥٨) .

أما أغناطيوس فرسائله مليئة بالتصريحات عن لاهوت المسيح من جوانب
 متعددة .

يقول عن ميلاده وآلامه وموته وقيامته :

[لا يوجد سوى طبيب واحد من لحم وروح ، مولود وغير مولود ، الله
 المتجسد ، الحياة الحقيقية فى قلب الموت ، المولود من مريم ومن الله . متألم أولاً
 والآن غير متألم ، يسوع المسيح ربنا] (٥٩) ... « لأن الله — يسوع المسيح — حملته
 أحشاء مريم ، حسب الترتيب الإلهى] (٦٠) ... [يسوع المسيح إلهنا لم يتراءى لنا
 بأفضل نوع إلا بعد رجوعه إلى حضن أبيه] (٦١) ... [أشكر يسوع المسيح إلهنا الذى
 ألهمكم حكمة كهذه . فقد اتضح لى أنكم متحدون بإيمان وطيد ، مسمرون — كما
 يقال — بصليب سيدنا يسوع المسيح ، جسداً ونفساً ، وثابتون بالمحبة بدم المسيح .
 وأنتم مقيمون على ثبات الاعتقاد بأن ربنا هو بالحقيقة من نسل داود حسب
 الجسد ، وابن الله بإرادة الله وقدرته . المولود حقاً من عذراء ، والمعتمد من يدي
 يوحنا ليكمل كل بر . الذى ثقب جسده بالمسامير لأجلنا ، على عهد بيلاطس
 البنطى وهيرودس رئيس الربع . وقد صارت لنا الحياة بثمرة صليبه ، وبآلامه
 المقدسة الإلهية . وهكذا رفع رايته على كل الأجيال بقيامته ، ليجمع قديسيه
 ومؤمنيه ، من اليهود ومن الشعوب ، فى جسد واحد هو كنيسته] (٦٢) ...

(55) Corinthians, 7. 4.

(57) Corinthians, 21, 6.

(59) Eph., 7. 2.

(61) Rom., 3. 3.

(56) Corinthians, 12. 7.

(58) Corinthians, 36. 1.

(60) Eph., 18. 2.

(62) Smyrn., 1.

ويقول لصديقه بوليكاربوس : [أسأل يسوع المسيح إلهنا أن يوليكم القوة والشجاعة في كل شيء] (٦٣) ... ويقول لكنيسة أفسس [ربنا وإلهنا يسوع المسيح ابن الله الحي ، عمل أولاً ثم علم كما يشهد لوقا ... لا يخفى شيء عن الرب ، بل إن أسرارنا العميقة مكشوفة له . فلنعمل كل شيء كمن يسكن الله فيهم ، حتى ما نكون هياكل له ، ويكون هو داخلنا كالله] (٦٤) .

● ويقول عن أزليته : [المسيح المولود من الآب قبل الدهور ، هو الله الكلمة الابن الوحيد . ويبقى هكذا إلى الأبد ، لأن ليس لمملكته نهاية كما يقول دانيال النبي] (٦٥) .

● وعن إتحاده بالآب يقول : [إذا كان ابن الإنسان يشير إلى إتحاده بجنس البشر ، فابن الله يشير إلى علاقته بالله ، وأنه واحد معه] (٦٦) ... وأيضاً [يسوع المسيح الواحد ، الذي خرج من الآب الواحد ، ومازال متحداً به ، ثم عاد إليه] (٦٧) ويتكلم أغناطيوس كثيراً ، وبأسلوب عذب عن إتحاد المسيح بالله الآب في وحدة كاملة تامة [(٦٨) .

● ثم أن المسيح هو اللوغوس . المسيح ليس لوغوس a logos بل هو اللوغوس The Logos — وهو أيضاً ابن الله الوحيد ...

إن كتابات القديس أغناطيوس تظهر لنا بوضوح تام لا لبس فيه ولا إبهام ، أن الرب يسوع المسيح هو الله الظاهر في الجسد .

(63) Polyc., 8.3; Smyrn., 3.1. f; cf. 2. 1; Trall. 9. 2; Rom. 7. 3.

(64) Eph., 15.

(65) Magn., 6.

دانيال ٢ : ٤٤ ؛ ٧ : ١٤ ، ٢٧ ؛ لو ١ : ٣٣

(66) Eph., 20. 2.

(67) Magn., 7. 2.

(68) Magn., 1. 2; Trall. 2. 2; cf. Phil. 4. 1; 7. 2; 8. 1; 9. 1; Polc. 1. 2; 5. 2; Magn. 13. 2; 7. 1.

f; Smyrn., 3.3; Eph. 3, 2; 5: 1.

ولذا يقول أغناطيوس « دم الله » : [إنكم متمثلون بالله . وبعد أن أضرمتم عملكم الأخوى بدم الله ، أكملتوه على أتم وجه] (٦٩) . ولا يتردد أغناطيوس أن يدعو المسيح ، الله بصريح العبارة (٧٠) . ويقول الأستاذ الدكتور توماس تورانس عن عقيدة أغناطيوس في المسيح : [أنه المسيح الله ... He is the Christ God ...] (٧١) .

• أما عن الخلاص بدم المسيح وحده ، فيقول أغناطيوس :
[لا يضلن أحد . أن سكان السماء أنفسهم ، والملائكة رغم كل مجدهم ، والسادات المنظورين وغير المنظورين ، سوف يدانون إن لم يؤمنوا بدم المسيح . مَنْ يستطيع الفهم فليفهم] (٧٢) .

٦ - عقيدة الإله الواحد المثلث الأقانيم

آمنت كنيسة الرسل بإله واحد (٧٣) مثلث الأقانيم . وهذا واضح من أسفار العهد الجديد وكتابات الآباء الرسولين ...

والتثليث بحسب المفهوم الرسولى هو حقيقة دينية ، وليست فلسفية ... ولم يأت التعليم بالتثليث لفظاً في الكتاب المقدس ، وإنما أتى فيه معنى ، ووردت أسماء الأقانيم في العهد الجديد ...

ففى قصة البشارة تحدت الأقانيم الثلاثة الإلهية ... فالله الآب هو الذى أرسل جبرائيل رئيس الملائكة المبشر . وبُشرت العذراء بأنها ستحبل وتلد ابن العلى

(69) Eph., 1. 1.

(70) Eph., 7.2; 18.2; Rom., 3.3; Smyrn., 1.1; - cf., Polc., 2.2; 8.3; Rom., 6.3; 7.3; Eph., 1.1.

(71) Torrance; The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; pp. 57, 58.

(72) Smyrn., 6. 1.

(٧٣) المسيحية ديانة توحيدية — انظر : مت ١٩ : ١٧ ؛ مر ١٢ : ١٩ ؛ ٣٢ ؛ يو ١٧ : ٣ ؛ أع ١٠ : ٣٦ ؛ رو ٣ : ٣٠ ؛ ١٠ : ١٢ ؛ ١ كو ٨ : ٤ ، ٦ ؛ ١٢ : ٦ ؛ غل ٣ : ٢٠ ؛ أف ٤ : ٦ ؛ اتس ١ : ٩ ؛ ١ تي ٢ : ٥ ؛ رؤ ٨ : ١٧ ؛ ١٣ : ٢٢ .

(لو ١: ٣١، ٣٢). والذي حبل في العذراء هو من الروح القدس (مت ١: ٢٠؛ لو ١: ٣٥) ... وفي قصة العماد (الظهور الإلهي)، نلاحظ أقنوم الآب ينادى من السماء «هذا هو ابني الحبيب» (مت ٣: ١٧؛ لو ٣: ١٢)؛ وأقنوم الابن في الماء — وهو المعنى بهذا القول؛ وأقنوم الروح القدس هو الذي ظهر بهيئة جسمية مثل حمامة (مت ٣: ١٦؛ لو ٣: ٢٢) ... كما نجد أيضاً ذكر للأقنيم الثلاثة في كلام السيد المسيح عن عمل الروح القدس (يو ١٤: ٢٦؛ ١٥: ٢٦) ... والسيد المسيح قبيل صعوده إلى السماء، قال لتلاميذه: «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩).

وفي البركة الرسولية التي ختم بها القديس بولس رسالته الثانية إلى كنيسة كورنثوس يقول: «نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله (الآب)؛ وشركة الروح القدس مع جميعكم» (٢ كو ١٣: ١٤) ... وفي رسالته إلى كنيسة غلاطية، يتكلم عن مسحة الروح القدس للمؤمنين، فيقول: «ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم» (غل ٤: ٦) ...

ويقول يوحنا الحبيب: «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (١ يوه ٧).

وفي كتاب تعليم الرسل الإثني عشر Didache يتكلم عن العماد ويقول: [فيما يختص بالعماد، هكذا تعمدون ... عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس في ماء حي] (٧٤).

وفي ليتورجية القديس يعقوب أخ الرب يقول الكاهن أمام المذبح: «المجد للآب والابن والروح القدس، النور المثلث الواحد لللاهوت ... لأن الثالوث هو الله الكلي القدرة، الذي تعلن السموات مجده» (٧٥) ...

وذكرت الأقانيم الثلاثة في البركة الختامية في بعض رسائل الآباء

(74) Didache; ch. 7. 1, 3.

(75) A.N.F.; p. 537.

الرسولين مثل أغناطيوس الشهيد^(٧٦) وفي قصة إستشهاد بوليكاربوس ، التي كتبها كنيسة سميرنا عقب إستشهاده مباشرة^(٧٧) .

ويوستينوس الشهيد في دفاعه الأول يذكر الثلاثة أقانيم وهو يدحض الإتهام بتعدد الآلهة الذي حاولوا لصقه بالمسيحية ، وأيضاً فيما كان يشير إلى المعمودية والافخارستيا^(٧٨) . أشار إلى الثالث أيضاً ثاوفيلوس الأنطاكي^(٧٩) . وليس ثمة تناقض في الإيمان المسيحي بين القول بالوحدانية ، والقول بالثالث القدوس . فالله واحد في جوهره ، ولكن يوجد في هذا الجوهر الواحد ثلاثة أقانيم ... والأقنوم هو خاصية ، أو صفة ذاتية في الله ... أى صفة أو خاصية تقوم بها الذات الإلهية ؛ وبدونها تنعدم الذات الإلهية . وعلى ذلك ففي الجوهر الإلهي ثلاث خواص أو صفات ذاتية : الخاصية الأولى وهي خاصية الوجود ، وهي ما نسميها بالآب^(٨٠) . والخاصية الثانية ، هي خاصية العقل والحكمة ، وهي ما نسميها بالابن . والخاصية الذاتية الثالثة هي خاصة الحياة وهي ما نسميها بالروح القدس^(٨١) .

٧ - عقيدة الخلاص بالإيمان والأعمال^(٨٢) :

كلمة عامة :

إن لزوم الأعمال الصالحة لخلاص الإنسان الأبدى ، عقيدة أساسية في كنيسة الرسل . وهي واضحة كل الوضوح في كتابات العهد الجديد والآباء الرسولين ...

(76) Eph., 21; Trall., 13; Phil., 11; Smyrn., 13; Polyc., 8.

(77) The Martyrdom of Polycarp; Ch. 22.

(78) 1 Apol. chs. 6, 63 - 65.

(79) Theophilus to Autolycus, B. 2, ch. 15.

(٨٠) الآب كلمة سريانية معناها الأصل أو الوجود أو الكيان الإلهي .

(٨١) أنبا غريغوريوس : الواحد في الثالث (مذكرات لطلبة الكلية الإكليريكية) .

(٨٢) انظر كتاب « الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي » لنيافة الأنبا شنوده .

والتعليم الذى ينادى به www.santamariaegypt.org الخلاص بالإيمان وحده دون الأعمال — تعليم غريب عن المسيحية . ومنشأوه الفهم الخاطيء البعض آيات في رسائل القديس بولس تهاجم الأعمال . لكن هذه الأعمال التى هاجمها بولس أو أظهر عدم نفعها ، كانت إما أعمال الناموس اليهودى التى كان بعض المغالين من اليهود المتصرين ينادون بوجوب التمسك بها ... وإما أعمال البشر عامة — وثنيين ويهود — السابقة للفداء ... وهكذا يتضح أن مهاجمة بولس لم تكن لمبدأ الأعمال الصالحة ولزومها . والدليل على ذلك الآيات الكثيرة التى سنورها لهذا الرسول وغيره .

وقبل أن نورد هذه الأدلة نود الإشارة إلى نقطة هامة ... لا صحة مطلقاً لما يدعيه البروتستانت من أن العصر الرسولى ، لم يصل دفعة واحدة للوعى الكامل لكنوز الحق المستودعة إياه ، وأن السنوات الأولى من حياة الكنيسة كانت أشبه بطور الطفولة الساذجة من جهة المعرفة الدينية (٨٣) ... ولا صحة مطلقاً للنظرة الخاطئة للآباء الرسل . وتقسيمهم إلى متحرر كبولس ، وملتزم كيعقوب ، ووسط بين الاثنين كبطرس . وأن رسالة يعقوب تمثل المسيحية فى مستوى منخفض وفى بدائيتها ، بينما رسائل بولس تمثلها فى إكتمالها (٨٤) ... لقد علم كل من هؤلاء الرسل الحق كاملاً ، وقاوموا كل تعليم غريب ، وحذروا منه ...

إن الكتاب المقدس هو إعلان الله للبشر . وهو إعلان كامل ، موحى به بالروح القدس (٢بط ١ : ٢٠ ، ٢١) . الروح القدس هو كاتب الكتاب المقدس كله من أوله إلى آخره . ولا يوجد فيه سفر أفضل من سفر أو كلام أقدس وأسمى من كلام . على نحو ما تطاول مارتن لوثر — زعيم البروتستانت — ودعا رسالة يعقوب [رسالة من القش] (٨٥) ، لأنها تشدد على وجوب التمسك بالأعمال الصالحة مع الإيمان كشرط للخلاص ، الأمر الذى أراد أن يتحلل منه ، لأنه يتنافى مع حركته

(83) De Pressensé, Vol. 1. p. 223.

(84) Schaff; Vol. 1; pp. 517 - 525.

Schaff, Vol. 1, p. 521.

(٨٥) فى مقدمته للعهد الجديد طبعة سنة ١٥٢٤ انظر :

ودعوته ... إن أسفار الكتاب المقدس كلها مجتمعة ، تقدم لنا الحق الإلهي الذي نحتاجه لخلاصنا ، كاملاً متكاملًا ، خالياً من خطأ أو زلل أو نقص .

إن الإيمان بشخص الرب يسوع المسيح ، وبعمله الفدائي الكفاري الخلاصي ، هو حجر الزاوية في التعليم المسيحي . وتجاهله أو إسقاطه أو الإقلال من أهميته القصوى ، هو هدم للمسيحية في صميم جوهرها ... كذلك فإن إسقاط مبدأ وجوب الأعمال الصالحة فيه هدم للمسيحية كلها ، بما تمتاز به من روحانية وفضيلة ... ولا أعتقد أننا نعدو الحقيقة إن قلنا أن ما نادت به البروتستانتية منذ أوائل القرن السادس عشر ، بعدم إلزام المسيحيين بالأعمال الصالحة كشرط لخلاصهم إلى جانب الإيمان هو من الأسباب التي لا يمكن تجاهلها ، التي أوصلت العالم الغربي — وفيه كثرة من البروتستانت — إلى ما وصل إليه من انحلال خلقى وفساد أدبي .

والاعتقاد بلزوم الأعمال الصالحة لخلاص الإنسان إلى جانب الإيمان ، إعتقاد واضح كل الوضوح من كلمات رب المجد نفسه ، ومن كتابات كل الآباء الرسل وتلاميذهم .

أولاً - تعليم السيد المسيح :

قال رب المجد يسوع « فإنه تأتي ساعة يسمع جميع الذين في القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يوه : ٢٨ ، ٢٩) ... « كل كلمة بطلاة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين . لأنك بكلامك تبرر وبكلامك تدان » (مت ١٢ : ٣٦ ، ٣٧) ... « إن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله » (مت ١٦ : ٢٧) ...

« كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيداً تقطع وتلقى في النار (٨٦) . فإذا من ثمارهم

(٨٦) نلاحظ أن هذه هي نفس كلمات يوحنا المعمدان (مت ٣ : ١٠) ... ومعنى هذا ، أنه لا خلاف في هذه العقيدة بالذات بل هي لازمة في كل زمان ، وتحت ظل أية شريعة دينية .

« وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصَّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تَلْمِيزٍ ، فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرُهُ » (مت ١٠ : ٤٢ ؛ مر ٩ : ٤١) ...

ودينونة اليوم الأخير ، ومصير الإنسان الأبدى ستقرره أعماله « ومتى جاء ابن الإنسان في مجده ... يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا إلَيَّ يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . لأنني جعت فأطعمتموني . عطشت فسقيتموني . كنت غريباً فأويتموني . عرياناً فكسوتوني . مريضاً فزرعوني . محبوساً فأتيتم إليَّ ... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار إذهبوا يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة للإبليس وملائكته . لأنني جعت فلم تطعموني عطشت فلم تسقوني . كنت غريباً فلم تأووني . عرياناً فلم تكسوني . مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني .. » (مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦) .

ثانياً - تعليم الآباء الرسل :

١ - القديس بولس :

● أمام الملك أغريباس شرح بولس قصة إهتدائه للمسيحية ، ولخص أسلوبه الكرازي بقوله : « أخبرت أولاً الذين في دمشق وفي وأورشليم حتى جميع كورة اليهودية ثم الأمم ، أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله ، عاملين أعمالاً تليق بالتوبة » (أع ٢٦ : ٢٠) ونلاحظ أن هذا التعليم الواحد — الخاص بالأعمال الصالحة وجوبها — كان لليهود والأمم ... ولم يكن هناك تعليم خاص باليهود وآخر يناسب الأمم .

● وقال للرومان : « الذي (الله) سيجازي كل واحد حسب أعماله . أما الذين بصبر^(٨٧) في العمل الصالح ، يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة (٨٧) في الأصل اليوناني hupomoné ومعناها الثبات والثابرة . ولذا فقد وردت في الترجمة الإنجليزية by patient continuance والمعنى الثبات والثابرة في العمل الصالح .

● ويقول لتلميذه الأسقف تيطس : « أريد أن تقرر ^(٨٨) هذه الأمور ، لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة . فإن هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس » (تى ٣ : ٨) ... ونلاحظ أنه قبل هذه الآية مباشرة التي يحض فيها على التمسك بالأعمال الحسنة ، يقول « لا بأعمال في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلّصنا ... حتى إذا تبررنا بنعمته .. » (تى ٣ : ٥ ، ٧) ... وواضح من ذلك أن الرسول يشير في (تى ٣ : ٥) إلى الأعمال السابقة لفداء المسيح العظيم ، بينما في (تى ٣ : ٨) يشير إلى الأعمال التي يجب أن يعملها المؤمنون ...

● وفي رسالته إلى كنيسة أفسس يقول : « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان ، وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد . لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك ^(٨٩) فيها » (أف ٢ : ٨-١٠) مرة ثانية — وفي عبارتين متجاورتين متصلتين — يفصل الرسول بين الأعمال السابقة للصليب ، والأعمال في ظل الإيمان ... موضحاً عدم جدوى الأولى وقيمتها ، وأهمية الثانية والحاجة إليها .

● ويقول أيضاً لتيطس : « وليتعلم مَنْ لنا أيضاً أن يمارسوا أعمالاً حسنة ... حتى لا يكونوا بلا ثمر » (تى ٣ : ١٤) .

● ويتكلم الرسول في اصحاح بأكمله عن المحبة الأخوية (١ كو ١٣) ... ويتعرض للإيمان فيقول : « إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة ، فلست شيئاً » ... ومعنى هذا الكلام أن المحبة تفوق الإيمان ولا قيمة له بدون المحبة . وقد أوضح في نفس الاصحاح أن المحبة أعظم من الإيمان والرجاء .

(٨٨) في الأصل اليوناني diabainō ، ومعناها « يؤكد بقوة » .

(٨٩) يعلق القديس يوحنا الذهبي فمه على كلمة « نسلك » فيقول [لا يجب علينا مجرد البدء فقط ، بل يجب علينا أن « نسلك فيها » . فنحن في حاجة إلى فضيلة دائمة ، تستمر إلى يوم وفاتنا]
on the Ephesians, Hom. 4.

والمحبة التى يتحدث عنها الرسول هنا هى المحبة الاخوية العملية وليست اللفظية ... تلك التى قال عنها الرسول يوحنا أنها تظهر بالعمل «يا أولادى ، لا نحب بالكلام ، ولا باللسان ، بل بالعمل والحق» (١ يوحنا : ٣ : ١٨) .

● ويقول بولس — رسول الإيمان كما يسمونه — أيضاً عن هذه المحبة العاملة :
« لا تكونوا مدينين لأحد بشيء إلاً بأن يحب بعضكم بعضاً . لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس . لأن لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته ، وإن كانت وصية أخرى ، هى مجموعة فى هذه الكلمة ، أن تحب قريبك كنفسك . المحبة لا تصنع شراً للقريب . فالمحبة هى تكميل الناموس » (روم : ٨ : ١٠-١٣)
... وماذا نسمى « لا تزن لا تقتل لا تسرق ... » أليست هذه هى الأعمال الصالحة ؟!

● وفى (غل : ٥ : ٦) يوضح أن المسيحى يلزمه « الإيمان العامل بالمحبة »
... وهنا — وفى عبارة واضحة من ثلاثة كلمات ، يقرن الرسول الإيمان بالأعمال .

● وماذا يقول معلمنا بولس — رسول الإيمان أيضاً ؟ يقول لأهل غلاطية :
« فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً . لأن من يزرع للجسد فمن الجسد يحصد فساداً ، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية . فلا نفشل فى عمل الخير ، لأننا سنحصد فى وقته إن كنا لا نكل » (غل : ٦ : ٧-٩) ... وما أجل هذا التشبيه الذى إستخدمه الرسول لإظهار أهمية أعمال الإنسان الصالحة ... إنها كالزراع فى حياة الإنسان الجسدية ، والحصاد فى حياته الأبدية ... والجزاء من نوع العمل .

● « متذكّرين بلا إنقطاع عمل إيمانكم ، وتعب محبتكم وصبر رجائكم ... »
(١ تس : ٥ : ٣) ... هنا يقرن الرسول العمل بالإيمان .

● ويقول لتلميذه تيطس « يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال ينكرونه . إذ هم رجسون غير طائعين . ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون »
(تى : ١ : ١٦) .

• وأخيراً ، يقول الرسول لأهل فيلبى «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة»
(فى ٢ : ١٢) ... ومعنى هذا أن الخلاص الذى أتمه السيد المسيح على الصليب ،
لكى نظفر به ، يحتاج أن نتممه من جانبنا بخوف ورعدة .

٢ - يعقوب وبطرس ويوحنا :

ماذا قال هؤلاء الرسل المعتبرون أعمدة فى الكنيسة الأولى ، بشهادة بولس
نفسه (غل ٢ : ٩) ؟

يؤكد القديس يعقوب أهمية جانب الأعمال ... والأمر واضح كل الوضوح
فى رسالته :

« ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد أن له إيماناً ولكن ليس له أعمال . هل
يقدر الإيمان أن يخلصه ... هكذا الإيمان أيضاً ، إن لم يكن له أعمال ميت فى
ذاته . لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال . أرنى إيمانك بدون أعمالك ،
وأنا أريك بأعمالى إيمانى . أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل ، والشياطين
يؤمنون ويقشعرون . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون
أعمال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق ابنه على المذبح .
فنرى أن الإيمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الإيمان . وثم الكتاب القائل
فأمن إبراهيم بالله فحسب له براً . ودعى خليل الله . ترون إذن أنه بالأعمال يتبرر
الإنسان لا بالإيمان وحده ... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا
الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ١٤-٢٦) .

وفى موضع آخر من رسالته ، يعتبر القديس يعقوب أن الأعمال هى الديانة
الطاهرة « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : افتقاد اليتامى والأرامل
فى ضيقهم ، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم » (يع ١ : ٢٧) .

ويقول أيضاً « مَنْ يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له »
(يع ٤ : ١٦) .

● **والقديس بطرس - في رسالته - يخلص على الفضيلة ويهاجم الشر**
والرذيلة بصفة عامة ... يقول « الذى (الله) يحكم بغير محابة حسب عمل كل واحد فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) ... « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال الصالحة » (١٠) . لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً » (٢ بط ١ : ١٠) (١١) ... ويقول « إن كان البار بالجهد يخلص فالخاطئ والفاجر أين يظهران » (١ بط ٤ : ١٨) .

● **والقديس يوحنا الرسول حبيب الرب ، في رسائله الثلاث يتكلم عن**
المحبة القلبية العملية « يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق » (١ يو ٣ : ١٨) .

ويقول « إن علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر (١٢) مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٩) ويتكلم في رؤياه عن الأمور العتيدة أن تكون فيقول :
« ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم » (رؤ ٢٠ : ١٢ ، ١٣) .

« ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله »
(رؤ ٢٢ : ١٢) .

ثالثاً - تعليم الآباء الرسولين :

سنرى ونحن نستعرض ما جاء بتعاليم الرسل Didachê ، وأقوال الآباء الرسولين تلاميذ الرسل ، أن عقيدة لزوم الأعمال الصالحة لخلاص الإنسان الأبدى ، واضحة كل الوضوح ... لكن العلماء البروتستانت ، ومن إليهم عوض عن أن يقتنعوا ويقرأوا بصحة هذه العقيدة ، يقولون عن هذه الكتابات وهؤلاء الآباء ،

(٩٠) هكذا في الترجمة اللاتينية الشائعة للقديس إيرونيموس . وكذلك في الترجمة القبطية .

(٩١) انظر : ١ بط ١ : ١٣ - ١٦ ؛ ٢ : ١١ ، ١٢ ؛ ٣ : ٢ ، ١٢ .

(٩٢) الفعل اليونانى Poieō ، ويقصد به الأعمال والممارسات المتعددة .

١ - تعاليم الرسل الإثني عشر Didachê : مليئة بالتحذيرات من الخطايا التي يسميها طريق الموت ، وبالحث على الأعمال الصالحة التي يسميها طريق الحياة ... تقول : [على المؤمن أن يجاهد ضد الخطايا وأن يتحرر منها ...] (٩٤) .

وتقول أيضاً : [إسهرُوا حياتكم . لا تدعوا مصابيحكم تنطفئ ، ولا أحقاءكم غير ممنطقة . بل كونوا مستعدين لأنكم لا تعلمون متى يأتي ربنا ، اجتمعوا دائماً وفتشوا عن الأمور النافعة لأرواحكم ، فزمان إيمانكم كله لا ينفعكم إلا إن وجد كاملاً في الوقت الأخير] (٩٥) .

٢ - أكليمنطس الروماني : رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس ، مليئة بتأكيد وجوب التمسك بالأعمال الصالحة . ونجد رسالته كلها في الفصل ٦٢ منها ، يقول :

[لقد كتبنا إليكم أيها الإخوة بما يكفي . وتعرضنا للأمور التي تمس عبادتنا ، وكلها نافعة لحياة الفضيلة . لأولئك الذين يريدون أن يقودوا خطواتهم في التقوى والبر . لقد أشرنا إلى كل نواحي الإيمان والتوبة والمحبة الحقيقية وضبط النفس والعفة والصبر وذكرناكم أنكم ملزمون بإرضاء الله الكلي القدرة بالقداسة في البر والحق والاحتمال . وأن تعيشوا في وفاق ، بلا شر في المحبة والسلام بلطف قلبي] (٩٦) .

(93) Torrance; The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; p. 55.

(94) Didachê; 5. 2.

(٩٥) Didachê, 16. 2. — يعلق أحد علماء اللاهوت البروتستانت على هذه العبارة بقوله : « لم تقبل الكنيسة الأولى بوجه عام الاعتقاد بعدم وجود مغفرة بعد العماد . لكن يبدو أنها أتت بسرعة إلى الاعتقاد أنه لا يوجد غفران مجاني بعد العماد . لقد ارتدت إلى الإنسان الطبيعي الذي يؤمن أنه يخلص بالأعمال الصالحة . وفي نفس الوقت عرف على وجه الخصوص أن الجهود البشرية تحتاج إلى معونة إلهية وأن التوبة والغفران لا غنى عنهما » (Moody; The childhood of the Church; p. 76).

(96) Clement; 1 Corinthians, ch. 62.

ويقولها اكليمينضس بصراحة ووضع [نحن نتبرر بالأعمال ، وليس بالكلام] (٩٧) .

ويقول أيضاً : [فلنلاحظ أن جميع الأبرار تحلوا بالأعمال الصالحة وابتهجوا بها . وإذ لنا هذا المثال ، لنتبع إرادة الله بلا توان . ولنعمل أعمال البر بكل قوتنا] (٩٨) .

ويقول عن دم المسيح أنه [أتى بنعمة التوبة لكل العالم] (٩٩) . والمعنى المقصود هنا [المقدرة على التوبة] .

والأستاذ الدكتور تورانس Torrance بعد أن درس مفهوم النعمة في رسالة اكليمينضس إلى كورنثوس يقول : [إن المعنى العام لكلمة نعمة Xàpic في هذه الرسالة يفهم على أنها القوة المعينة التي تُمنح للمستحقين (المجاهدين) وهذا هو الاستعمال الشائع للكلمة في كتابات تلك الفترة المبكرة] (١٠٠) .

٣ - أغناطيوس الناوفوروس الأنطاكي الشهيد :

والتبرير عند أغناطيوس هو بالإيمان والمحبة أى بالإيمان والأعمال (١٠١) ... يقول : [لا يخطيء مَنْ يعترف بالإيمان ، ولا يبغض مَنْ إقتنى المحبة . فالشجرة تُعرف من ثمارها . هكذا مَنْ يعترفون أنهم للمسيح يظهرُونَ بأعمالهم فالعمل ليس بالاعتراف المذكور . لكنه يظهر بقوة الإيمان . إن واصل الإنسان حتى النهاية] (١٠٢) .

وأغناطيوس يخشى أن يفقد خلاصه ... يقول في رسالته إلى الترالليين [مازلت في

(97) Clement; 1 Corinthians, 30. 3. Cf. 33.8; 32.3; 58.2; 59.1, 35.3.

(98) Clement; 1 Corinthians, 33. 7.

(99) Clement; 1 Corinthians, 7.4.

(100) The Doctrine of grace; p. 54.

(101) The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers, pp. 67-70.

(102) Eph. 14. 2.

خطر لكن الآب أمين في يسوع المسيح ، وبحقق صلواتكم وصلواتي [(١٠٣)] .. وفي رسالته إلى أهل أفسس يقول : [وعلى الرغم من أنني أسير لأجل الاسم (مسيحي) فلست بعد كاملاً في يسوع المسيح . فأبدأ الآن أن أكون تلميذاً وأكلبكم كشركائي في التعلم . فإني أحتاج أن أستعد في الإيمان] (١٠٤) .. ويقول أيضاً للأفسسيين : [إنها الأزمنة الأخيرة ، فلنكن إذن متواضعين ، ونخشى احتمال الله الطويل لثلا يديننا . لذا فلنخشى الغضب الآتي أو نحب النعمة الإكاثنة . فلنكن على أى حال في المسيح يسوع في حياة سليمة] (١٠٥) ... ومعنى ذلك أن نعمة الله هي التي حالت دون غضبه في هذا الدهر ، وقدمت فرصة للتوبة ، حتى ما نستفيد بحنوه .

ويقول لكنيسة سميرنا : [لاحظوا أولئك الذين لهم آراء غريبة فيما يختص بنعمة يسوع المسيح التي وافتنا . وانظروا كيف أن هذه الآراء مضادة لشريعة الله . إنهم لا يابھون للمحبة ولا للأرملة ولا لليتيم ولا للحزين ولا للمكوب ولا للمسجون ولا للمفرج عنه ، ولا للجائع أو العطشان] (١٠٦) .

٤ - بوليكاربوس الشهيد أسقف سميرنا :

في عقيدة بوليكاربوس أن الجهاد في أعمال البر ، جزء لا غنى عنه للخلاص المسيحي (١٠٧) . يقول في رسالته إلى أهل فيلبى : [ساهرين في الصلوات ، مثابرين على الأصوام ، مقدمين إبتهالات إلى الله الذي يرى كل شيء ، حتى لا ندخلنا في تجربة] (١٠٨) ... ويقول أيضاً : [إن صنعنا مشيئته وسلطنا في وصاياه ، وأحببنا ما يحبه ، وابتعدنا عن كل إثم وحسد ومحبة مال وكلام شرير وشهادة زور ...] (١٠٩) ... [فلنجاهد إذن بلا إنقطاع في رجائنا والاشتياق إلى برنا ، الذي

(103) Trall., 13. 3.

(١٠٤) Eph., 3. 1. — لنلاحظ إتضاع هذا العملاق الروحاني . أن كلامه في هذه العبارة ، وسابقتها ، تجسيد لكلمات القديس بولس : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٢ : ١٢) ... أين هذا الكلام من اعتداد من يقول في كبرياء « أنا خلصت » !!

(105) Eph., 11. 1.

(106) Smyrn., 6.2.

(107) Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; p. 93.

(108) Phil., 7.2.

(109) Phil., 2. 2.

٨ - عقيدة قيامة الأحساد والدينونة العامة :

وهى من العقائد الأساسية التى علمت بها الكنيسة الأولى ، إمتداداً لما علّم به العهد القديم . وقد أوضح الآباء الرسل مدى أهمية هذا المعتقد ... فالقيامة الأخيرة للبشر ، ترتبط بقيامة المسيح من بين الأموات . حتى إنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيماننا ... إذن فالموضوع حيوى وجوهري ، ويرتبط بإيماننا كله ، وبحياتنا هنا فى الجسد ، وبأبديتنا ...

وفى أصحاب بأكمله — هو الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى كنيسة كورنثوس — يوضح القديس بولس عقيدة القيامة ، مدلاً عليها بأدلة قوية ، محذراً من الهراطقة الذين ينكرون القيامة ، محبباً على التساؤلات التى ثارت بشأنها (١١) .

« لكن إن كان المسيح يُكرز به أنه قام من الأموات ، فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات . فإن لم تكن قيامة أموات ، فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا ، وباطل أيضاً إيمانكم ... لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم . أنتم بعد فى خطاياكم ... إن كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح ، فإننا أشقى جميع الناس . ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات ، وصار باكورة الراقيدين » (١ كو ١٥ : ١٢ - ٢٠) .

ويوضح معلمنا بولس فى هذا الفصل أن قيامة الأموات هى الدافع لكل القديسين الذين يقابلون الأهوال من أجل الرب « إن كان الأموات لا يقومون ...

(110) Phil., 8. 1.

(١١١) انظر : سمعان سليدس ؛ الصلاة عن المتقلين ص ٤ — ٣١ .

لماذا نخاطر نحن كل ساعة . إني ... أموت كل يوم » (١ كو ١٥ : ٢٩-٣١) .
وهي الدافع على الجهاد وحياة الفضيلة ... « إن كان الأموات لا يقومون فلنأكل
ونشرب لأننا غداً نموت » (١ كو ١٥ : ٣٢) ... وفي الرسالة إلى فيلبى يعبر بولس
أن قيامة الأموات هي أمله ، فيقول : « لعل أبلغ إلى قيامة الأموات »
(في ٣ : ١١) .

وفي رسالته الثانية إلى كورنثوس عاد بولس يؤكد حقيقة القيامة ... « عالمين
أن الذى أقام يسوع ، سيقمنا نحن أيضاً بيسوع ، ومحضرنا معه » (٢ كو ٤ : ١٤)
... « لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح ، لينال كل واحد ما كان
بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كو ٥ : ١٠) ... ويقول
لتيموثاوس : « صادقة هي الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه . إن
كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » (٢ تي ٢ : ١١ ، ١٢) (١١٢) .

وقد أعلن بولس حقيقة الدينونة العامة وقيامة الأجساد في الآريوس باغوس أمام
الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين ، وأمام مجلس اليهود الأعلى (السنهدرين) ، وشهد
بذلك أمام الوالى فيلكس والملك أغريباس (١١٣) .

● وقد وضع الآباء الرسل قانون إيمان يحفظه طالب العماد ويتلوه إعلاناً
لإيمانه وقت عماده . وهو في نفس الوقت بمثابة تعهد بحفظ هذا الإيمان ... والدينونة
العامة وقيامة الأجساد تؤلفان نقطتين جوهريتين في هذا القانون .

وبعض نقاط هذا القانون أشار إليه معلمنا بولس في (عب ٦ : ١ ، ٢) حينما
قال : « لذلك ونحن تاركون كلام بداعة المسيح ، لنقدم إلى الكمال . غير واضعين
أساس التوبة من الأعمال الميتة ، والإيمان بالله ، تعليم المعموديات ، ووضع

(١١٢) انظر : ٢ تي ١ : ١٠ ، ١٢ ، ٤ : ١ ، ٨ ، أع ١٠ : ٤٢ ، ١ : ٤ ، ١٤ ، ١٦ .

(١١٣) انظر : أع ١٧ : ٣١ ، ٢٣ : ٦ ، ٢٤ : ١٥ ، ٢٥ : ٢٦ ، ٢٢ : ٢٣ .

الأيدى . قيامة الأموات والدينونة الأبدية » (١١٤) .

وجاء في قوانين الرسل عن القيامة والدينونة العامة ... [الله الكلى القدرة
نفسه سيقمنا بربنا يسوع المسيح حسب وعده الصادق — يقيمنا مع جميع الذين
رقدوا منذ بدء العالم . وسنكون كما نحن الآن في صورتنا الحالية ، دون عطب أو
فساد . وسنقوم بغير فساد ، سواء متنا في البحر ، أو بعثرت أشلائنا في الأرض ، أو
قطعت الحيوانات أو الطيور المفترسة أوصالنا . سيقمنا الله بقوته ، فيده تضبط العالم
كله] (١١٥) ...

الآباء الرسوليون :

وعقيدة قيامة الراقدين واضحة في كتابات الآباء الرسولين :
فالقديس أكليمنضس الرومانى يقول : [ليتنا نضع في إعتبارنا يا أحبائى
كيف أن الرب يثبت لنا دائماً أنه ستكون قيامة في المستقبل ، تلك التى كان
الرب يسوع المسيح باكورتها] (١١٦) ...

والقديس بوليكاربوس فى رسالته إلى كنيسة فيلبى يقول : [مَنْ لا يعترف
بشهادة الصليب هو من إبليس . وكل مَنْ يعوّج أقوال الرب من أجل شهواته ،
ويقول إنه ليس قيامة ولا دينونة ، فهو بكر الشيطان] (١١٧) .

وقد كتب الفيلسوف يوستينوس الشهيد كتاباً عن قيامة الموتى ، ضاع معظمه ،
ولم يتبق منه سوى شذرات تحوى عشر فصول قصيرة (١١٨) .

(١١٤) يشير معلمنا بولس إلى قانون الإيمان هذا فى (روم ١٧ : ٦ ؛ غل ١٦ : ١) .

Rufinus; Acommentary on the Apostles' Creed (N.P.N.F., series 2) Vol. 3, pp. 541-563.

Rawson Lumby; The History of the Creeds, pp. 1-11.

انظر أيضاً :

Documents of the Christion Church, pp. 33, 34.

(115) Apost. Const. B. 5, ch. 7.

(116) Clement, 1 Corinthians, ch. 24.

(117) Phil., 7. 1.

(118) Fragments of the Lost work of Justin Martyr on the Resurrection A.N.F.) Vol. 1, pp. 294-299.

٩- التقليد في كنيسة الرسل

يتحتم علينا ونحن نعالج موضوع العقائد المسيحية في كنيسة الرسل ، أن نشير إلى التقليد ... ولا نقصد التقليد بمفهومه اللغوي (المحاكاة والتمثيل) لكن قصدنا المصطلح الكنسي ، ويعنى بصفة عامة التعليم والنظم الدينية المسلّمة إلينا شفهيّاً من السلف (١١٩) .

فإيماننا المسيحى إنتقل شفويّاً ، وكذا كثيراً من التعاليم وأنظمة العبادة : ليس من الضرورى أن كل تعليم أو ممارسة عبادية نجد لها آية أو آيات تنص عليها فى الإنجيل ... فالإنجيل لا يحوى كل التعاليم وأنظمة العبادة ، لكنه — على حد تعبير القديس يوحنا الرسول — للإيمان أن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولنوال الحياة باسمه بالإيمان (يو ٢٠: ٣١) .

من أجل هذا ، تعتبر الكنيسة التقليد المصدر الثانى للتعليم المسيحى بعد الكتاب المقدس . ثابت تاريخياً أن التعليم المسيحى فى الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، إنتقل شفويّاً قبل أن يكتب أى إنجيل أو رسالة (١٢٠) .

● فالسيد المسيح سار فى تعليمه على الطريقة السائدة فى زمانه ، وهى طريقة التعليم الشفوى ، التى كان يتبعها معلمو اليهود ومدارسهم ... لقد تلمذ السيد المسيح تلاميذاً ، استودعهم الحق ولم يسلمهم كتاباً مكتوباً ... وكانت آخر وصاياهم : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم

(١١٩) فى اللغات الأخرى — غير العربية — لكل من هذين المعنيين لفظ خاظ فالتقليد بمعنى المحاكاة فى الإنجليزية والفرنسية imitation والتقليد بالمعنى الكنسى tradition . وفى اليونانية Paradocis وهى نفسها فى القبطية .

(120) Carrington; Vol. 1, pp. 51, 210, 273; Schaff, Vol. 1, p. 571.

وهذه الوصية تعنى أن ينقل تلاميذه الحق الذى قبلوه منه إلى غيرهم بنفس الأسلوب ، أسلوب التلمذة ... هكذا نفهم كلمات الرسول يوحنا الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به ، لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا ... وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ونخبركم به ... » (١ يوا : ٣ ، ٥) .

● والرسل أسسوا الكنائس ونشروا الإنجيل شفاهاً بدون كتب مكتوبة ... وما لبثوا أن أقاموا نواباً عنهم ، ليقم هؤلاء مَنْ يخلفهم ، وهكذا على التوالى ... وهؤلاء جميعاً كانوا يسلمون الإيمان شفهيّاً ... « وما سمعته منى بشهود كثيرين ، أودعه أناساً أمناء ، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » (٢ : ٢) .

والكلمات الثلاث الواردة فى هذه الآية « سمعته ، أودعه ، يعلموا » ، تعبر عن التعليم الشفوى .. لم يهتم الرسل بأن يكتبوا تعليمهم ، بل أن كثيرين منهم لم يكتبوا شيئاً ، بينما خلص كثيرون بسبب كرازتهم ... والذين كتبوا ، إنما فعلوا ذلك لا ليؤسسوا كنائس بكتابتهم ، وإنما كتبوا للكنائس التى كانوا قد أسسوها ليثبتوها فى الإيمان ، أو ليدحضوا هرطقات ظهرت فيها ويحذروا منها ، أو ليجيبوا على أسئلة وجهت إليهم من مؤمنىها ، أو كملاحظات لهم على سلوك هؤلاء (١٢١) .

يؤكد هذه الحقيقة يوسابيوس المؤرخ الكنسى ... يقول : [إن أولئك الرجال العظماء اللاهوتيين حقاً ... أقصد رسل المسيح ... أذاعوا معرفة ملكوت السموات فى كل العالم ، غير مفكرين كثيراً فى تأليف الكتب] (١٢٢) ... ونحن لا نقرأ عن يهود أو أمم إنضموا إلى الإيمان — فى تلك الفترة المبكرة — بعد أن قرأوا كتباً مقدسة ، بل قبلوا الإيمان بالتبشير والتعليم ، كما نقرأ عن قصة إيمان وزير كنداكة الحبشى ، وكزنيلىوس قائد المائة هو وكل بيت ، الذى أرسل إلى بطرس لسمع منه (أع ٨ : ١٠) ... ونود الإشارة هنا إلى أن كلمة (إنجيل) فى كتاب العهد

(١٢١) انظر ١ كو ٥ : ١ : ٧ : ١ : ٨ : ١ : ١١ : ١٨ : ١٥ : ١٢ : ١٦ : ١ : ١ : ٦ : ٧ ... إلخ .

(١٢٢) H.E. 3, 24, 3; De Pressensé; Vol. 1, pp. 217, 218.

الجديد ، لا يقصد بها الكتاب المقدس antamaraegypt.org المقصود فحوى التبشير ، وبشرى الخلاص المفرحة ، كما يدل على ذلك الأصل اللغوي اليوناني للكلمة (١٢٣) ...

أما أدلة التقليد الكنسي من كتابات الآباء الرسل ، فهي كثيرة ، نورد أمثلة منها :

● لقد ختم يوحنا الرسول إنجيله بقوله : « وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب ، وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله . ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يو ٢٠ : ٣٠ ، ٣١) ... وواضح من هذه العبارة ، أن الأناجيل لا تحوى كل تعاليم الرب يسوع ... وفي رسالتيه الثانية والثالثة يقول : « إذ كان لي كثير لأكتب إليكم ، لم أرد أن يكون بورق وحبر ، لأنى أرجو أن آتى إليكم وأتكلم فمأ لفم ، لكي يكون فرحنا كاملاً » (٢يو ٢١ : ٣يو ١٣ ، ١٤) .

● والقديس لوقا الإنجيلي روى أن الرب يسوع بعد قيامته ، استمر يظهر لتلاميذه مدة أربعين يوماً يكلمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١ : ٣) ... لكن أحداً من البشيرين لم يدون لنا هذه الأحاديث ، أو أشار إليها . وكانت هذه الأحاديث دون أدنى شك على جانب كبير من الأهمية ، خاصة بعد موت المسيح وقيامته ...

● والقرار الذى أصدره مجمع أورشليم فى معالجة مشكلة التهود فى الكنيسة ، كان مقتضياً جداً ... أما السر فى ذلك ، فلأن اعتمادهم الأكبر كان على التبليغ والشرح الشفوى ، الذى كلفوا به برنابا وبولس ويهوذا وسيلا ... « رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس ... يهوذا وسيلا ، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً » (أع ١٥ : ٢٥-٢٧) .

(١٢٣) انظر مر ١ : ١٥ : ١٣ : ١٠ : ١٤ : ٩ : ١٦ : ١٥ : ٢٠ : ١٦ : ١٦ : ٢٥ : غل ٢ : ٢ : ١ : كو ١ :

٢٣ : ١ : ٢ : ٩ . — انظر أيضاً : Hastings; Dictionary of the Bible, p. 304.

يقول لكنيسة كورنثوس عن الافخارستيا « لأننى تسلمت من الرب ما سلمتمكم أيضاً ، أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر ... إلخ . » (١ كو ١١ : ٢٣) ... وواضح أنه سلمهم التعليم المختص بالافخارستيا شفهيّاً ، لأن هذه هى رسالته الأولى إليهم ، وهو يكلمهم بصيغة الماضى « سلمتمكم » ...

وقال للكورنثيين عن بعض الملاحظات الأخرى « أما الأمور الباقية ، فعندما أجيء أرتبها » (١ كو ١١ : ٣٤) .

وأقام تيطس أسقفاً على كريت ، وتركه فيها ليكمل ترتيب الأمور الناقصة ويقيم قسوساً فى كل مدينة حسبما أوصاه (تى ١ : ٥) .

ويوصى أهل فيلبى قائلاً : « وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىّ فهذا إفعلوا » (فى ٤ : ٩) ... ويوصى تلميذه الأسقف تيموثاوس أن يتمسك بصورة التعليم الصحيح الذى سمعه منه (٢ تى ١ : ١٣) ...

ويوصى أهل تسالونيكى بقوله : « اثبتوا إذأ أيها الاخوة ، وتمسكوا بالتقاليد (١٢٤) التى تعلمتموها سواء بالكلام أم برسالتنا » (٢ تس ٢ : ١٥) .

ونلاحظ هنا أنه يضع التعليم الشفوى على قدم المساواة فى الأهمية مع التعليم المكتوب (= سواء بالكلام أم برسالتنا) ... ويوصيهم أن يتجنبوا كل أخ لا يسلك بحسب التقليد (١٢٤) الذى أخذه منه (٢ تس ٣ : ٦) ... وقد مدح أهل كورنثوس لأنهم يحفظون التقاليد (١٢٤) كما سلمها إليهم (١ كو ١١ : ٢) .

• وثمة ملاحظة هامة ... فقد قال بولس الرسول لقسوس أفسس « متذكرون

(١٢٤) لفظ « تقليد وتقاليد » فى هذه الآيات ، ورد فى الترجمة العربية البيروتية البروتستانتية المتداولة « تعليم وتعاليم » وهى ترجمة خاطئة للكلمة ، وقد وردت تقليد وتقاليد فى اليونانية واللاتينية والقبطية واللغات الحديثة ... والعجيب أن مترجمى الترجمة العربية ، ترجموا نفس الكلمة اليونانية الواردة فى (مت ١٥ : ٦) بكلمة « تقليد » . وذلك فى الموقف الذى يذم فيه السيد المسيح تقليد الكتبة والفريسيين !

كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو الغطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠ : ٣٥) ... هذه الكلمات المنسوبة للسيد المسيح لم ترد في البشائر الأربع ، أو أى سفر من أسفار العهد الجديد ... إذن من أين أتى بها بولس ؟ ثم أن كلمة «متذكرين» الواردة في العبارة السابقة ، تدل على أن هذا القول كان شائعاً ومعروفاً ، وهو يذكرهم به ... هذا وقد لاحظ العلماء أن كلمات السيد المسيح المستشهد بها في كتاب تعاليم الرسل Didachê ، ورسالة برنابا ، وإن كانت قريبة جداً مما ورد في أسفار العهد الجديد المعروفة ، لكن هناك بعض اختلافات ظاهرة ... كل هذا حمل العلماء ، ويحملنا على الاعتقاد بوجود تقليد شفوي غير الأناجيل الحالية ، كان منتشرًا ومعروفًا لدى الناس في العصر الرسولي ، وكان يلقي لطلابي العماد (١٢٥) .

الآباء الرسوليون :

● يقول يوسابيوس المؤرخ عن أغناطيوس النافوروس الشهيد : [وفي أثناء رحلته وسط آسيا — وكان تحت حراسة مسلحة شديدة — كان يشدد الكنائس في المدن المختلفة أينما يحط رحاله ، وذلك بعظات ونصائح شفوية . وكان فوق كل شيء يحثهم ليحترسوا أشد الاحتراس من الهرطقات ، التي كانت قد بدأت تنتشر وقتئذ ، وينصحهم بالتمسك بتقاليد الرسل] (١٢٦) .

● وبابياس — أحد الذين تتلمذوا على يوحنا الحبيب — في مقدمة كتابه «تفسير أقوال الرب» يقول : [ولكنني لا أتردد أيضاً عن أن أضع أمامكم مع تفسيري كل ما تعلمته بتدقيق من الشيوخ ، وحفظتها بحرص في ذاكرتي ، مؤكداً لكم في الوقت نفسه صحته . لأنني — لست كالكثيرين — أجد لذة فيمن يتكلمون كثيراً ، بل بمن يعلمون الحق ... وكلما كان يأتي أحد ممن كانوا يتبعون الشيوخ ، كنت أسأله بتدقيق عن أقوالهم : عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو

(125) Daniélou, Vol. 1, pp. 68, 69.

(126) H.E. 3, 36,4.

متى أو أى واحد من تلاميذ الرب بماذا قال أرسطيون ويوحنا الشيخ ، تلميذاً الرب . فإننى أعتقد أن ما يحصل عليه الإنسان من الكتب لا يفيدنى بمقدار ما يصلنى من الصوت الحى الدائم [(١٢٧)] .

What was to be got from books, was not so profitable to me as what came from the living and abiding voice (١٢٧) .

لننظر بعمق ، كيف يدعو بابياس التقليد [الصوت الحى الدائم] !! وكيف أنه يستفيد منه أكثر مما يستفيد من الكتب .. لم تكن هذه نظرة بابياس وحده ، لكنها كانت نظرة الكنيسة كلها للتقليد أو التعليم الشفوى ، أو التسليمات الشفوية عموماً ...

ويعلق De Pressensé على عبارة بابياس السابقة بقوله :
[لفترة طويلة فضلت الكنيسة الكلمة الحية عن الكلمة المكتوبة ... كان من الطبيعى جداً فى العصر الأول حينما كان الجيل الأول من المسيحيين ما يزال على قيد الحياة ، أن تفضل كلماتهم على كتاباتهم . والرسل أنفسهم إهتموا بكرازتهم الشفوية ، أكثر من إهتمامهم برسائلهم المكتوبة . وكانوا يعتقدون أن سلطانهم على الكنيسة سيكون أقوى بحضورهم عن رسائلهم المكتوبة ... ومن أمثلة ذلك ما قاله يوحنا الحبيب من أنه لا يريد أن تكون كتابته بورق وجبر ، بل يريد أن يتكلم معهم فماً لقم [(١٢٨)] .

● وبوليكاربوس الشهيد أسقف أزمير يقول لأهل فيلبى محذراً من الهراطقة [لنرجع إلى الكلمة التى تسلمت إلينا منذ البداية] (١٢٩) .

(127) Fragments of Papias, ch. 1 (A.N.F., Vol. 1, p. 153); Eusebius H.E. 3, 39.

(128) De Pressensé, Vol. 1; pp. 218, 219.

(129) Phil., 7.

ثانياً - الأسرار الكنسية

السّر في المصطلح الكنسي يعنى عملاً مقدساً ، به ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة أو علامات منظورة ... والسيد المسيح هو مؤسس أسرار الكنيسة السبعة المعروفة ، ووضعتها ، من أجل نفع المؤمنين وخيرهم الروحي .

والأسرار الكنسية بهذا المفهوم ، ليست طقوساً خارجية ، أو مباشرات رمزية تميز المسيحيين عن غيرهم . وليست هى وسائل ملموسة لتنمية الإيمان لكن المؤمنين ينالون بها نعماً حقيقية وإن كانت غير منظورة . الأسرار — والحال هذه — هى الوسائط التى وضعها ربنا يسوع المسيح ، لتنقل للبشر بركات الخلاص الذى تفجر بالصليب ... وهى بمثابة القنوات الموصلة بين بحر الخلاص وبين الإنسان طالب الخلاص ...

والروح القدس هو الفاعل فى الأسرار ... هو يأخذ مما للمسيح ويعطينا (يو ١٦ : ١٤، ١٥) ... وقد آمنت الكنيسة منذ تأسيسها بهذه الأسرار السبعة وبأشهرها . يقول القديس بولس : « فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء أسرار الله » (١ كو ٤ : ١) ... يقول أغناطيوس الشهيد فى رسالته إلى الترابليين بعد أن تكلم عن الأسقف والقسوس ... [وعلى الشماسة المقامين لخدمة أسرار يسوع المسيح أن يحسنوا لدى الجميع فى كل شىء . فهم ليسوا فقط موزعى طعام وشراب ، بل هم خدام كنيسة الله ، وعليهم أن يتجنبوا — تجنب النار — كل ما يلامون عليه] (١٣٠) .

وتقتضينا الدراسة أن ننبه إلى ملاحظة هامة ... لقد تميزت المباشرات المتعلقة

(130) Trall., 2. 3.

بالعبادة ، التى مارستها الكنيسة الأولى ، بالبساطة . وهى فى ذلك تتمشى بطبيعة الحال مع وضع الكنيسة والمؤمنين وقتئذ ، كجماعة مضطهدة مطاردة ، تتعبد خفية فى البيوت أو الكهوف أو السرايب ، وتقيم إجتماعاتها مستترة بظلام الليل ، تتوقع مهاجمتها فى أية لحظة ... فلا نعجب إذن إن راعت الكنيسة الأولى البساطة وعدم التطويل فى ممارسات العبادة فى ذلك العصر ... لكن ما أن تمتعت الكنيسة المسيحية بالحرية الدينية ، حتى بدأت تمارس عباداتها براحة أكثر ... ولا مانع فى هذه الحالة من الإسهاب. تعويضاً عن أزمنة الضيق والخفية (١٣١) ...

لكن ذلك — وهذا هو ما يهمنى الإشارة إليه — لم يمس الجوهر فى شيء ... فمثلاً المعمودية التى مارستها كنيسة الرسل هى عينها وفى جوهرها المعمودية التى تمارسها الكنيسة اليوم . وسر الافخارستيا الذى به يتناول المؤمنون جسد المسيح ودمه الأقدسين اليوم ، هو بعينه سر الافخارستيا الذى مارسته كنيسة الرسل ... ليس معنى الإطالة فى بعض الصلوات ، عما كان متبعاً فى كنيسة الرسل ، أن هذا السر أو تلك العقيدة مستحدثة ... فالعقيدة واحدة والأسرار بجوهرها لم تتبدل ولم تتغير فى جوهرها ، وكذا النعمة المصاحبة لها فى فعاليتها ونفعها للمؤمنين ... وما قلناه هنا خاصاً بالأسرار ينطبق على العبادة بوجه عام ...

١ - سر المعمودية :

المعمودية سر مقدس به يتم البشر الحكم الصادر عليهم من الله بالموت نتيجة المعصية الأولى (تك ٢ : ١٧) . بالمعمودية يموتون مع المسيح ويدفنون معه — لكن فى الماء بدلاً من القبر — ويقومون أيضاً معه (رو ٦ : ٣ - ٧ ؛ كو ٢ : ١٢) .

(١٣١) ومن الأمثلة التى سارت الكنيسة على نهجها أنه فى شريعة خروف الفصح أمر الرب شعبه أن يأكلوه بعجلة وأحفاؤهم مشدودة وأحذيتهم فى أرجلهم وعصيتهم فى أيديهم (خر ١٢ : ١١) . لكن اليهود بعد حصولهم على الراحة بدخولهم أرض الميعاد غيروا أسلوبهم فى أكل خروف الفصح تدليلاً على وصولهم إلى الراحة . فكانوا يأكلونه وهم متكئين . وهكذا مارسه السيد المسيح (مت ٢٦ : ٢٠ ؛ مر ١٤ : ١٨ ؛ لو ٢٢ : ١٤) ... هكذا نرى أن هذا الإجراء من جانب الكنيسة هو أمر مشروع .

المعمودية هي السبيل الذى رُسِمَ الربُّ لئلا المؤمن الخلاص ، فلا خلاص بدون المعمودية ، والإيمان وحده لا يخلص . قال السيد المسيح : « مَنْ آمَنَ واعتمد يخلص » (١٣٢) وَمَنْ لم يؤمن يدان » (مر ١٦ : ١٦) .. ليس الإيمان هو كل شيء (١٣٣) . وليست المعمودية مباشرة طقسية كما مارسها اليهود . ولا هي معمودية توبة كمعمودية يوحنا ...

المعمودية هي ميلاد ثان روحانى ، من الماء والروح (١٣٤) ، بها نأخذ طبيعة جديدة بالروح القدس ، بسر فائق لعقولنا . وبها ننال مغفرة جميع الخطايا الأصلية والفعلية السابقة للمعمودية (١٣٥) ... هي عملية ختان روحية (٢ : ١١-١٤) ، وتجديد روحى (فى ٣ : ٥) ؛ واستنارة روحية (١٣٦) (عب ٦ : ٤-٦) ... المعمودية هي الشرط الأول لعضوية الكنيسة والتمتع بكل بركات العهد الجديد .

ما قبل المعمودية :

كان طالب العماد — قبل عماده — يلحق بعض مبادئ الديانة المسيحية خاصة النواحي الأدبية ، وبعض العقائد الإيمانية الأساسية ، كالتى تضمنها قانون إيمان الرسل ... والتعليم السابق للعماد واضح فى كتاب تعاليم الرسل Didachê — وهى أقدم ما وصل إلينا عن نظام المعمودية وطقسها وكذا فيما كتبه يوستينوس الشهيد (١٣٧) ... أما القول بأن العماد كان يتم بمجرد إعلان الشخص لإيمانه كما فى حالة يوم الخمسين والخصى الحبشى وشاول الطرسوسى وكرنيليوس وسجان فيلبى ...

(١٣٢) هذه هى الترجمة الدقيقة للآية — يخلص وليس خلص كما فى الترجمة البيروتية البروتستانتية ، هكذا فى الأصل اليونانى والترجمة القبطية وفى الترجمة اللاتينية القديمة وكل الترجمات .

(١٣٣) انظر هذا الموضوع فى الفصل الخاص بعقيدة الخلاص بالإيمان والأعمال .

(١٣٤) انظر : يو ٣ : ٣ ، ٧ ، ١٧ : ١٨ ، ١٩ بط ١ : ٣ ، ٤ ، ٢٣ .

(١٣٥) أع ٢ : ٣٨ ، ٢٢ : ١٦ ، ١١ : ١٦ ، أف ٥ : ٢٦ ، ٣ : ٥ ، عب ١٠ : ٢٢ ، ١٩ بط ٣ : ٢١ .

(136) Justin Martyr; 1 Apol.; 61.

(137) Didachê, 7; Justin, 1 Apol.; 65.

فبالإضافة إلى أنه وضع استثنائي، فقد تم بموجب إعلان إلهي لكل من فيلبس وحنانيا وبطرس (١٣٨).

وقد أخذت الكنيسة المسيحية بمبدأ تعليم طالب العماد مبادئ الدين قبل عماده، عن المجمع اليهودي. فقد كان يتحتم على المهتدين ضرورة تعلم أصول الدين بطريقة السؤال والجواب Catechism ... وقد التزمت الكنيسة المسيحية بهذا المبدأ، وعمقته أكثر، لتحصن نفسها من صور الوثنية، لتكون كنيسة الله المقدسة (١٣٩)

* كان على المعمد أن يصوم يوماً أو يومين قبل العماد، ويصوم معه الكاهن الذي سيعمده، ومن استطاع أن يصوم معه (١٤٠).

طقس المعمودية :

* في الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة، كان الأسقف وحده هو الذي يقوم بالعماد. وأقدم ما وصلنا عن ذلك ما ذكره أغناطيوس الشهيد (١٤١)، لكن ما لبث — بعد أن تكاثر عدد المقبلين إلى الإيمان — أن أعطى هذا الحق للقسوس (١٤٢).

* كان العماد يتم في « ماء جار » كما تشير إلى ذلك تعاليم الرسل ... والتعبير اليوناني هو hudor zon ومعناه الحرفي (الماء المعطى للحياة) ... هكذا نفهم التشابه الجميل بين المعمودية والماء الجاري (١٤٣). وإن لم يتوفر الماء الجاري كانوا يعمدون في ماء آخر، وإنت تعذر العماد في ماء بارد، كانوا يعمدون في ماء دافئ. وفي الأحوال الاستثنائية التي لا يتوفر فيها ماء، أو بسبب المرض مثلاً، كان يصب ماء ثلاثاً على رأس المعمد على اسم الآب والابن والروح القدس (١٤٤)

(١٣٨) انظر : أع ٨ : ٢٦ ؛ ٩ : ١٠ ، ١١ ؛ ١٠ : ١٩ ، ٢٠ .

(139) Harnack; The Mission ..., p. 391.

(140) Didachê; 7.

(141) Smyrn., 8.

(142) Apos. Const., 8. 11.

(143) Danielou; Vol. 1, p. 69.

(144) Didachê, 7.

... كما كان يرسم بالزيت على جبهة المعمد بعلامة الصليب .

* كان يسبق طقس العماد مباشرة ، جحد الشيطان apotaxis ، وإعلان التمسك بالمسيح Suntaxis (١٤٣) . كان المعمد — قبل مباشرة سر العماد — يجهر بإيمانه (١٤٥) ... كان يردد صيغة معينة تتضمن العقائد الإيمانية الأساسية — تلك التي عرفت فيما بعد باسم قانون إيمان الرسل (١٤٦) وقد وردت عن ذلك إشارات متعددة في العهد الجديد (١٤٧) ... ويقول المؤرخ De Pressensé [من المحتمل جداً أن طالب العماد قبيل عماده مباشرة ، كان يقدم إقراراً قصير بإيمانه ، وهو ما أشار إليه بطرس الرسول بعبارة « سؤال ضمير صالح نحو الله » (١٤٥) ... والجهير بالإيمان شرط أساسى كما يقول القديس بولس في (روم ١٠ : ٩) .

* بعد ذلك كان طالب العماد يغطس ثلاث مرات في الماء على اسم الثالوث القدوس ، الآب والابن والروح القدس ... وإتمام العماد بالغطس ، أمر ثابت تاريخياً دون أدنى جدال (١٤٨) .

* كان يصاحب العماد التراتيل ، وهى موضوعة بصورة تعبر عن التعاليم المناسبة للعماد والحياة الجديدة فى المسيح . ويذكر كثير من العلماء أن رسالة معلمنا بولس إلى أهل أفسس تتضمن جزء من ترنيمة العماد « لذلك يقول ، إستيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضى لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) ... نلاحظ مطلع الآية « لذلك يقول » (١٤٩) ... كما كانوا يرتدون الثياب البيضاء إشارة إلى البراءة

(145) De pressensé Vol. 1, p. 374; L'Eglise primitive, p. 367.

(146) R. Lumby; The History of the Creeds; pp. 1-111; Documents of the christian church, pp. 33, 34.

(147) Gore; The Incarnation of the Son of God; pp. 93, 94.

(١٤٨) أع ٨ : ٣٨ ؛ ٢ كو ١٢ : ١٢ ؛ روم ٦ : ٤ ؛ ١ كو ١٠ : ١ ، ٢ . — انظر أيضاً :

Didachê, 7; Epistle of Barnabas. 11: Hermas, Similitude, 9, 16; Dictionary of christian, Antiquitus, Vol. 1, p. 161; De Pressensé, Vol 1, p. 374; Hill, pp. 351 - 355.

Schaff; Vol. 1, pp. 468, 469.

(149) Les Premiers Chrétiens, p. 82. C.F. Liddon; The Divinity of our Lord p. 332.

أوقات العماد وأماكنه :

* لا نعتقد أنه في الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، كانت قد تحددت مناسبات معينة للعماد ، كما حدث فيما بعد ، حينما كانوا يعمدون في أعياد القيامة والخمسين والظهور الإلهي (الغطاس) ... لكن العماد كان يتم في أي وقت .

* وبالنسبة للمكان أيضاً ، لم يشترط مكان معين ، حيث أنه لم تكن قد شيدت كنائس ثابتة . كانوا يعمدون في البيوت والسراديب والكهوف ، وفي أي مكان ... وهكذا إعتد الخصى الحبشي على جانب الطريق (أع ٨ : ٣٦ - ٣٨) ، وغالباً تمت المعمودية شاول (بولس الرسول وكرنيليوس وأهل بيته في المنازل التي كانوا فيها) ... ويشهد يوستينوس الشهيد بذلك (١٥١) .

عماد الأطفال :

عماد الأطفال في كنيسة الرسل شيء مؤكد يشهد به التاريخ (١٥٢) ... ولدينا شهادة قيمة عن ذلك مما ذكره إيريناوس تلميذ بوليكرابوس تلميذ يوحنا الرسول الذي ولد حوالي سنة ١٣٠ م (١٥٣) . وترتليانوس في القرن الثاني الذي يشهد أن عماد الأطفال ... كانت تمارسه الكنيسة في زمانه . والعلامة أوريجينوس (١٥٤)

(150) Dictionary of christian Biography, Vol. 1, p. 163.

(151) Justin, 1 Apol. 79.

(152) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, pp. 169-170; Fisher, pp. 565,566; Daniélou, p. 161; Schaff, Vol. 1, pp. 469-471.

(153) Against Heresies, 2. 39.

(154) Origen; Hom., 8 on Leviticus, Hom. 19 on St. Luke; Comment. Romans, 5. 16.

— وشهادته لها قيمتها — يذكر أن الألفاظ التي تقلىد رسولى ... وكذلك أيضاً من المشابهة بين الختان الذى كان رمزاً للمعمودية ، وكان يتم فى اليوم الثامن لميلاد الطفل حتى لو وقع فى يوم سبت ... وهذا واضح من (كو ٢ : ٢) ، ومن كتابات الآباء الأولين ، وفى مقدمتهم يوستينوس الشهيد فى حوارهِ مع تريفو اليهودى .

٢ - سر التثبيت

وهو السر الثانى الذى يناله المؤمن بعد عماده ، وبه يحل الروح القدس على المعمد للإمتلاء به ، على نحو ما حدث للسيد المسيح بعد عماده فى الأردن ، إذ شوهده الروح القدس نازلاً ومستقراً عليه (١٥٥) .

وهو سر منفصل عن المعمودية ، وقد مارسه الكنيسة الأولى بوضع أيدي الرسل (١٥٦) ، وبعد ذلك صار يتم بمسحة الميرون المقدسة (١٥٧) ... « ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس . لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . حينئذ وضعوا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس » (أع ٨ : ١٤-١٧) .

وفى أفسس وجد بولس مؤمنين معتمدين بمعمودية يوحنا فقط . ولما أفهمهم أن معمودية يوحنا كانت للتوبة فقط « اعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم » (أع ١٩ : ١-٦) .

وقد أشار القديس بولس إلى سر التثبيت بقوله : « ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح ، وقد مسحنا هو الله . الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا »

(١٥٥) مت ٣ : ١٦ ؛ مر ١ : ١٠ ؛ لو ٣ : ٢٢ ؛ يو ١ : ٣٢ .

(156) Schaff, Vol. 1, p. 471.

(١٥٧) ميرون كلمة يونانية قطبية معناها دهن أو طيب — انظر :

Daniélou; The Bible and the Liturgy, pp. 114, 115.

ويقول القديس يوحنا في رسالته « أما أنتم فلكم مسحة من القدس ، وتعلمون كل شيء ... وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ، ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء » (١ يو : ٢٠ ، ٢٧) ... ولا شك أن المسحة التي تعلم كل شيء هي مسحة الروح القدس بالميرون ... فالروح القدس كما قال السيد المسيح « يعلمكم كل شيء » (يو : ١٤ : ٢٦) .

من الأقوال السابقة ، نلاحظ أن الرسل يشيرون إلى هذا السر ويسمونه وضع الأيادي وتثبيتاً وختماً ، ومسحة ... وواضح من أسفار العهد الجديد أن حلول الروح القدس والإمتلاء منه ، كان يؤلف سرّاً منفصلاً عن المعمودية ... ويقول ثاوفيلس الأنطاكي (١١٥ - ١٦٨ / ١٨١) [على هذا الأساس نحن ندعى مسيحيين ، لأننا ممسوحين بزيت الله] (١٥٨) .

٣ - سر الإفخارستيا :

ولعله أكثر أسرار الكنيسة السبعة وضوحاً وتلألاً ... به يتناول المؤمن جسد المسيح ودمه الحقيقيين الأقدسين ، تحت أعراض الخبز والخمر ، بعد إستحالتهم بفعل الروح القدس الذي يستدعيه الكاهن في صلوات التقديس ...

والرب يسوع المسيح نفسه هو مؤسس هذا السر ، وقد مارسه كنيسة الرسل ، ودعته « كسر الخبز » (١٥٩) ، والإفخارستيا (١٦٠) (الشكر) ، وذلك لأن الرب يسوع في إتمامه لهذا السر ، شكر وكسر ، كما أننا نشكر الرب على كل إحساناته ،

(158) Theophilus to Autolycus, B. 1, Ch. 12.

(١٥٩) أع ٢ : ٤٢ ، ٤٦ ؛ ٢٠ : ٧ - ١١ .

(160) Didachê; 9: 10, 14.

وفي مقدمتها ذبيحة جسده ودمه غير الدموية ، التي هي إمتداد لذبيحة الصليب ،
والتي بها ننال غفران خطايانا ، وثباتاً في شخصه بل واتحاداً معه ... ثم في النهاية
حياة أبدية .

نظرة كنيسة الرسل للافخارستيا :

١ - تمسكت كنيسة الرسل بما تسلمته من الرب (١ كو ١١ : ٢٣) ،
من أن الخبز والخمر البسيطين — في سر الافخارستيا — يتحولان بفعل الروح
القدس ، إلى جسد حقيقى ودم حقيقى لعمانوئيل إلهنا ... وقد أكد القديس
بولس هذه العقيدة في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس (ص ١٠ ، ١١)
وحذر المتهاونين من الكورنثيين وكشف لهم حقيقة هذا السر ... « إذا ، أى من
أكل هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون إستحقاق ، يكون مجرمًا في جسد الرب
ودمه . لكن ليمتحن الإنسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس .
لأن الذى يأكل ويشرب بدون إستحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد
الرب » ... ثم هو يكشف لهم بعض نتائج إستخفافهم وتهاونهم بهذا السر فيقول :
« من أجل هذا ، فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون »
(١ كو ١١ : ٢٧ - ٣٠) .

وكلام الرسول في غاية الوضوح ، ولا يحتاج إلى تعليق أو إيضاح ...

وفي نهاية صلوات التقديس ، في كتاب تعاليم الرسل — وهو أقدم لما وصل
إلينا عن صلوات الافخارستيا ، يقول : « مَنْ كان طاهراً فليقدم ، وَمَنْ ليس
كذلك فليتب » (١٦١) .

ويقول أغناطيوس الشهيد [ليس لى مسرة بالطعام البائد أو بملذات هذه

(١٦١) Didachê, 10. 6 — في موضوع الافخارستيا ، طبقت تعاليم الرسل قول الرب : « لا تعطوا
القدس للكلاب » (مت ٧ : ٦) على غير المؤمنين ، وأنهم يجب ألا يتناولوا من الافخارستيا
(Didachê, 9.5) — وهنا نلاحظ كيف تدعى الافخارستيا قدساً .

الحياة، أشتهى خبز الله الذى هو جسد يسوع المسيح الذى كان من نسل داود، وأود أن أشرب دمه [(١٦٢)].

وقد حذرت الكنيسة المؤمنين من الهراطقة الذين ينكرون وجود جسد يسوع المسيح فى الافخارستيا ... قال أغناطيوس الشهيد: [يتمتعون من الافخارستيا والصلاة، لأنهم ينكرون وجود جسد يسوع المسيح مخلصنا فى الافخارستيا، ذاك الجسد الذى تألم لأجل خطايانا، والذى أقامه الآب بصلاحه. وهكذا، فإن الذين ينكرون عطية الله، يلقون الموت من جراء إنكارهم واعترافاتهم ... تجنبوهم] (١٦٣).

٢ - وآمنت كنيسة الرسل أن الافخارستيا ذبيحة غير دموية، وأنها فى طبيعتها وجوهرها إمتداد لذبيحة الصليب:

تقول تعاليم الرسل (١٦٤): [فى كل يوم أحد اجتمعوا معاً، واكسروا الخبز، وقدموا الشكر بعد أن تكونوا قد اعترفتم بآثامكم، حتى ما تصبح ذبيحتكم طاهرة. ولا يشترك معكم مَنْ كان على خلاف مع رفيقه، حتى يتصالحا (١٦٥)، لئلا تتدنس ذبيحتكم. فهذا ما قاله الرب: فى كل مكان وزمان يقرب لى ذبيحة طاهرة، لأنى ملك عظيم، يقول الرب، واسمى عجيب بين الأمم] (١٦٦).

واضح أن الافخارستيا فى تعاليم الرسل — تلك الوثيقة المبكرة — تدعى ذبيحة بكلمات صريحة وبصورة قاطعة ... وليس ذلك فقط، بل أن العلماء الذين فحصوا كتاب تعاليم الرسل هذا Didachê، اعتبروا ما ذكر فيها عن الافخارستيا، شاهداً على وجود الله الحقيقى فى هذا السر، وأنه ليس رمزاً (١٦٧).

(162) Rom., 7. 3.

(163) Smyrn., 7.

(164) Didachê, 14.

(١٦٥) هذه الكلمات صدى لكلمات السيد المسيح الواردة فى العظة على الجبل (مت ٥: ٢٤، ٢٣).

(١٦٦) ملاخى ١: ١١، ١٤.

(167) The Riddle of the Didache, pp. 4, 5.

ويوستينوس الشهيد في حوار مع تريفو اليهودي ، يدعو الإفخارستيا ذبيحة مقبولة (١٦٨) .

٣ - وأنها شركة جسد المسيح ودمه ، واتحاد به ، ومع بعضنا البعض ... قال القديس بولس : « كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح . فإننا نحن الكثيرين خبز واحد ، جسد واحد ، لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد » (١ كو ١٠ : ١٦ ، ١٧) .

يقول أغناطيوس الشهيد : [من ثم احرصوا ألا يكون لكم سوى إفخارستيا واحدة . لأنه يوجد جسد واحد وربنا يسوع المسيح ، وكأس واحدة ، للاتحاد بدمه ، ومذبح واحد] (١٦٩) .

وفى تعليم الرسل تشبيه لطيف لاتحاد المؤمنين فى هذا الجسد ... فكما أن حبات كثيرة من القمح المزروع فى جهات متفرقة وعلى التلال ، إشتكت فى الخبز الواحد ، الذى تقُدس ، هكذا تطلب الكنيسة من الله أن يجمعها من أقاصى الأرض (١٧٠) .

يقول الأستاذ ليتزمان Lietzmann [جميع آكلى هذا الخبز — الذى هو جسد المسيح — يصيرون متحدين فى جسد واحد معاً] (١٧١) .

٤ - وإنها ذكرى عينية لموت المسيح وقيامته :

قلنا إن ذبيحة الإفخارستيا هى عينها ذبيحة الصليب ، وأنها إمتداد لها فى طبيعتها وجوهرها ... ومن ثم تصبح الإفخارستيا ذكرى عينية لذبيحة الجلجثة ... هذا ما عناه الرب حينما قال : « اصنعوا هذا لذكرى » (لو ٢٢ : ١٩ ؛ ١ كو ١١ : ٢٤) .

(168) Dial., 117.

(169) Phil., 4.

(170) Didachê, 9. 4; Les Premiers Chrétiens, p. 85.

(171) Lietzmann, pp. 150, 151.

(٢٥) ... أى أننا كلما قدمنا هذه sacramentalia للرب وموته وقيامته « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء » (١ كو ١١: ٢٦) ... وعبرة « إلى أن يجيء » تفيد استمرار تقديم هذه الذبيحة بهذا المفهوم حتى يجيء الرب. (١٧٢) ...

٥ - وان تناول من جسد الرب ودمه ذو بركات روحية جمه :
فهو يمنحنا غفراناً للخطايا ، وثباتاً في المسيح ، وحياة أبدية (١٧٣) ... وهو غذاء دائم لأرواحنا وأنفسنا وأجسادنا .

يقول يوستينوس الشهيد : [نحن لا نتناول (الافخارستيا كخبز عادى أو شراب عادى ... هكذا تعلمنا أن الغذاء الذى يتقدس بالصلاة التى نطق بها هو (يسوع المسيح) ، وبه يتغذى لحمنا ودمنا ، بواسطة الاستحالة هو لحم ودم يسوع ذاك الذى تجسد] (١٧٤) .

أمنت كنيسة الرسل بمفاعيل هذا السر العجيبة الفائقة ، فاستفادت منه إلى أقصى حد ، وعلمت المؤمنين أن يواظبوا على شركة الجسد والدم الأقدسين ... تلك الشركة التى تعطى حياة وثباتاً واستنارة ...

ما أجمل العبارة التى ذكرها الدكتور تورانس Torrance بعد أن فحص كتابات الآباء الرسولين ... قال : [كانت الحياة المسيحية تطعم في المؤمن بواسطة الافخارستيا بنوع خاص] (١٧٥) .

(١٧٢) هذا ما تردده الكنيسة في صلوات القداس الإلهي ، سواء ما يقوله الكاهن أو الشعب « ... تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى وتذكرونى إلى أن أجيء » ...

(١٧٣) مت ٢٦ : ٢٨ ؛ يو ٦ : ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ .
وهذا ما تعبر عنه الكنيسة في القداس الإلهي ... « إجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » .

(174) 1 Apol., 66.

(175) The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; p. 64.

أليس هذا هو نفس المعنى الذى رمى إليه القديس بولس بتشبيهه المؤمن بغصن زيتونة برية ، طعم في الزيتون الجيدة ربنا يسوع المسيح ، وهكذا يصير شريكاً في أصل الزيتون ودمها (رو ١١: ٢٤، ١٧) .

ويوسطينوس الشهيد في دفاعه الأول يصف خدمة الإفخارستيا في زمانه ، ونخبرنا أن جميع المؤمنين الذين يحضرون الخدمة كانوا يتناولون من الجسد والدم كل يوم أحد ... أما الغائبون ، الذين كانت ظروفهم لا تسمح لهم بالحضور ، فكان الخدام يحملون إليهم جزء من الجسد (١٧٦) .

هذه الشهادة المبكرة ترسم لنا صورة حياة للمؤمنين القديسين ، وتفصح لنا عن سر قداسهم وثباتهم في الرب ...

إن تناول من جسد المسيح ودمه هو شركة حياة مع المسيح إلهنا ، يجب ألا تتوقف ... إنه غذاء روحى ، لا غنى للإنسان عنه ... إنه كالم الذى كان بنو إسرائيل يقتاتون به في غربتهم في البرية ... هكذا نحن أيضاً يجب أن نغتذى بهذا المن الروحي السماوى طيلة مدة غربتنا في هذا العالم حتى نصل إلى أورشليم السماوية ...

لذا أقولها في حسرة وأسى : كم يخطئ المسيحي إلى ذاته حينما يتهاون في تناول جسد الرب ودمه ... بل يمضى على البعض سنوات طويلة دون تناول ... والبعض لا يتناول إلا في المناسبات ...

يقول أغناطيوس الشهيد : [لا يضلن أحد . مَنْ يبتعد عن المذبح يحرم نفسه من خبز الله] (١٧٧) ... لنذكر كلمات رب المجد دائماً : « إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو: ٦: ٥٣) .

٤ - سر الاعتراف :

ويسمى أيضاً سر التوبة ، وهو السر المختص بفعالية الروح القدس في الخطيئة التائب ، الذى يقدم ندامة كاملة عن خطاياها التى إرتكبها ، ويعترف بها أمام كاهن الله ، فينال الغفران بفعل الروح القدس الذى يستدعيه الكاهن في صلاة التحليل ... وقد مارست كنيسة الرسل هذا السر ...

(177) Eph., 5.

(176) 1 Apol. 65, 67.

نقرأ في سفر الأعمال أن «كثيرين من الذين آمنوا كانوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم» (أع ١٩: ١٨).

والقديس يعقوب في رسالته يقول: «أمرض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ... وإن كان قد فعل خطية تغفر له. اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات» (يع ٥: ١٤-١٦) ... ولا حاجة بنا إلى إيضاح المغالطة التي يحاول البروتستانت أن يغالطوا بها ... فهم يقولون إن الرسول قال: «اعترفوا بعضكم لبعض»، ولم يقل اعترفوا للقسوس ... لكن القرينة الموجودة في الجملة «فليدع قسوس الكنيسة» توضح أن الاعتراف هو لهؤلاء القسوس ...

ووردت في عدة نصوص خاصة بالاعتراف في كتاب تعاليم الرسل Didachê [عليك أن تعترف بخطاياك في الكنيسة، ولا تقرب الصلاة بضمير شرير فهذا هو طريق الحياة] (١٧٨) ... [في يوم الرب اجتمعوا معاً، واكسروا الخبز وقدموا الشكر، بعد أن تكونوا قد اعترفتم بخطاياكم حتى ما تصبح ذبيحتكم طاهرة] (١٧٩).

وأظن أنه لا يجرؤ أحد أن ينكر هذه العبارات الناطقة ... وربما يقول واحد — من قبيل المكابرة — لم تذكر تعاليم الرسل صراحة الاعتراف على الكهنة وإنما قالت: [تعترف بخطاياك في الكنيسة] ... ونحن نقول ما معنى الاعتراف بالخطايا في الكنيسة؟ إذاً كان الإعراف على الله مباشرة، فإن ذلك يجوز في أى موضع، لأن الله موجود في كل الأماكن والمواضع لكن عبارة «في الكنيسة» تعنى الآباء الكهنة (١٨٠) ..

وفي النص الثانى يقول: [وفي يوم الرب اجتمعوا معاً، واكسروا الخبز (الافخارستيا)]، والكلام هنا عن اجتماع الكنيسة، لأن كسر الخبز

(178) Didachê, 4. 14.

(179) Didachê; 14. 1.

(١٨٠) يقول السيد المسيح: «إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك ... وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة» (مت ١٨: ١٧) — والمقصود بالكنيسة هنا كهنة الكنيسة.

(الافخارستيا) لا يكون إلا في الكنيسة — أينما كانت حتى لو كانت في بيوت خاصة — وحيث الكنيسة هناك الكهنة (١٨١) .

ويقول القديس اكليمينضس الروماني في رسالته إلى أهل كورنثوس :
[لتتضرع طالبين الغفران عن كل تلك الخطايا . لأنه خير للإنسان أن يعترف بخطاياهم ، ولا يقسى قلبه ، كما تقست قلوب أولئك الذين قاوموا موسى عبد الله] (١٨١) .

ويقول أغناطيوس الشهيد : [الله يغفر لكل من يتوب ، إن كانت توبته تؤدي إلى الاتحاد بالله والاشتراك مع الأسقف] (١٨٢) ... ويقول الأستاذ تورانس Torrance معلقاً على ذلك : [يجب أن نتذكر أن أغناطيوس لم يذكر الغفران إلا مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالكنيسة] (١٨٣) .

٥ - سر مسحة المرضى

وهو السر الذي به ينال المريض الشفاء من أمراضه الروحية والجسدية ، بعد أن يمسحه الكاهن بزيت ، مستمداً له — بصلاة الإيمان — النعمة الإلهية لشفائه ...

وقد مارست كنيسة الرسل هذا السر (١٨٤) ... يقول يعقوب الرسول :
أمريض أحد بينكم ، فليدع قسوس الكنيسة ، فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له « (يع ٥ : ١٤ ، ١٥) .

وكلام الرسول يعقوب ، يستدل منه أن ممارسة مسحة الزيت للمرضى ، كانت

(181) 1 Corinthians, 51. 3.

(182) Phil; 8. 1.

(183) Torrance; The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; pp. 77, 78.

(184) Cictionary of christian Antiquities, Vol. II, p. 2004.

عادة متبعة ... والرسول يذكر لهم هذا الأمر لمجرد التذكير، وليس كتعليم جديد ...
يؤيد ذلك شهادة التاريخ ... يقول المؤرخ البروتستانتي موسهيم في الباب الخاص
بطقوس العبادة في القرن الأول المسيحي ... [أن المسيحيين الأولين كلما مرضوا
مرضاً خطيراً ، كانوا يدعون قسوس (شيوخ) الكنيسة حسب قول (يع ٥ : ١٤) .
وبعد أن يعترف المريض لله بخطاياهم يستودعه القسوس لله بالتضرعات الحشوية
ويدهنونه بزيت ، وأشياء كثيرة بخصوص هذا الطقس ... ومع أنه لا يرتاب بأنه
كان درجاً كثيراً فيما بين المسيحيين الأولين ، لكنه قلما يذكر في كتب
الأولين] (١٨٥) .

٦ - سر الزواج

الزواج ناموس مقدس أسسه الله منذ البدء (١٨٦) ، وثبته الرب يسوع ورفعته إلى
مرتبة السر المقدس ... به يتحد الرجل والمرأة اتحاداً مقدساً بالروح القدس ..

وقد دعا القديس بولس الزواج سراً عظيماً وشبه اتحاد الرجل والمرأة في
الزواج ، باتحاد المسيح بالكنيسة ... قال « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب
المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها ... من أجل هذا يترك
الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . هذا السر عظيم ،
ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » (أف ٥ : ٢٢ - ٣٢) .

ويقول معلمنا بولس أيضاً لكنيسة كورنثوس : « المرأة مرتبطة بالناموس مادام
رجلها حياً . ولكن إن مات رجلها فهي حرة ، لكي تتزوج بمن تريد ، في الرب
فقط » (١ كو ٧ : ٣٩) ... وواضح من هذا الكلام أن الزيجة منذ عصر الرسل
كانت تعقد باسم الرب ... أي أنها كانت عملاً دينياً مقدساً في الكنيسة .

(١٨٥) موسهيم : كتاب ١ قرن ١ قسم ٢ فصل ٤ . .

(١٨٦) تك ١ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٩ : ١ .

يؤكد هذا المعنى أغناطيوس الشهيد بقوله : [يجب على المتزوجين رجالاً ونساء ، ألا يعقدوا زواجهم ، إلا بموافقة الأسقف ، حتى ما يكون زواجهم بحسب الرب ، وليس من أجل شهواتهم . لتكن كل الأشياء من أجل مجد الله] (١٨٧) .

٧ - سر الكهنوت

وهو السر الذى يحول بعض الخدام ، السلطان لمباشرة الخدم الكنسية الروحية ، من أسرار وغيرها . ويتم بوضع اليد على رأس المختار لهذه الدرجة ... ويسمى فى اليونانية شرطونية *χειρτονία* ومعناها وضع اليد .

• وقد مارس الآباء الرسل الخدمات الموكولة إليهم بهذا السلطان الكهنوتى المعطى لهم بالروح القدس (١٨٨) ، وتمموا الأسرار ، وأقاموا أساقفة وقسوساً وشمامسة ...

• لقد دعى القديس بولس ذاته كاهناً (يباشر الخدمة الكهنوتية) « ولكنى بأكثر جسارة كتبت إليكم قليلاً أيها الإخوة ، كمن يذكركم بسبب النعمة التى وهبت لى من الله ، لأكون خادماً للمسيح يسوع فى الأمم ، مباشراً خدمة إنجيل الله الكهنوتية ، حتى يكون قربان الأمم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس » (روم : ١٥ ، ١٦) (١٨٩) ... ويقول عن هذه الوظيفة الكهنوتية : « لا

(187) Polyc., 5.

(١٨٨) قال الرب يسوع لتلاميذه قبيل صعوده « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تغفر له . ومن أمسكن خطاياهم أمسكت » (يوح : ٢٠ : ٢١ ، ٢٢) ... هذه النفخة اقتبل بها الرسل الروح القدس — لا للإمتلاء — بل كسلطان كهنوتى لهم . أما حلول الروح القدس عليهم وامتلأؤهم منه ، فقد تم يوم الخمسين .

(١٨٩) هكذا فى النصين اليونانى واللاتينى . والكلمة المترجمة « خادماً » ليست diakonos بل leitourgos — وتعنى الخادم الذى يخدم خدمة الليتورجية أى خدمة الذبيحة والقداس . والكلمة المترجمة « خدمة إنجيل الله » هى leitourgeo وهى خدمة الكهنوت . انظر : (Wuest; Romans in the greek N.T., p. 249)

يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه ، بل المدعو من الله كما هرون أيضاً » (عب ٥ : ٤) ... وقوله : « يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه » ، إشارة إلى مَنْ يتجرأ لياشر خدمة الكهنوت من تلقاء ذاته .

وقد تكلمت تعاليم الرسل عن الباكورات ، ووجوب تقديمها إلى رئيس الكهنة ... وهذا دليل قاطع على وجود الكهنوت المسيحي (١٩٠) .

● وقد أقام الرسل باكورة شمامسة العهد الجديد وعددهم سبعة الذين منهم استفانوس ، بوضع أيديهم (أع ٦ : ٦) .

● وأقام بولس وبرنابا قسوساً في الكنائس التي أسسوها ، بالصلاة ووضع الأيادي ... « وانتخبا (١٩١) لهم قسوساً في كل كنيسة . ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب ، الذي كانوا قد آمنوا به » (أع ١٤ : ٢٣) .

والكلمة اليونانية المترجمة « إنتخبا » هي χειροτονισαντες ومعناها الحرفي وضع الأيدي (١٩٢) — ويقصد بها الرسامة الكهنوتية — وكلمة χειροτονια مستخدمة في المصطلح الكنسي كما هي شرطونية ... واللفظ أكثر وضوحاً في القبطية فقد جاءت العبارة كالآتي :

αρχα και δε εἰρηνη εχεν ἡνῆρεσαντες

وترجمتها الحرفية « وضعاً أياديهما على قسوس » ، وهو وضع اليد الخاص بالرسامة الكهنوتية . ووردت في الترجمة اللاتينية الشائعة للقديس جيروم They had ordained to them priests .

وهكذا تصبح الترجمة الحرفية الدقيقة لهذه الآية « رسماً لهم قسوساً في كل كنيسة بوضع أياديهما »

وقال القديس بولس لتلميذه الأسقف تيطس : « من أجل هذا تركتك في

انظر هامش ص ٣٨١ من مجموعة (A.N.F., Vol. 7) — (190) Didaché, 13

(١٩١) الأصح أن تترجم « رسماً لهم » أو « شرطنا لهم » ...

(192) Liddell and scott's greek — English Lexicon.

كريت لكى تكمل الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة قسوساً كما أوصيتك»
(تى ١ : ٥) والكلمة اليونانية المترجمة «تقيم» هي Kathistemi ومعناها يرسم
الرسم الكهنوتية . ووردت في القبطية هكذا :

οτοϋ ἡ τεκκεωνι ἡ ζαν πρεσβυτερος
+ وجاء في كتاب تعاليم الرسل في الفصل الخاص بالأساقفة والشماسة
[لذلك سيموا لكم أساقفة وشماسة لاثقين بالرب] (١٩٤) ... ولفظة سيموا وردت
في اليونانية χειροτονέω ومعناها وضع اليد كما سبق أن ذكرنا .

+ وفيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة ، بشر في السامرة (أع ٨ : ٥) ، وعمد
مَنْ آمن منهم ... وعلى الرغم من أن آيات كثيرة كانت تجرى على يديه (أع ٨ :
٦) ، إلا أنه لم يستطع أن يمنحهم الروح القدس لأنه من أعمال الكهنوت ، ولم
يكن فيلبس كاهناً ... لذا نجد أن الرسل في أورشليم يرسلون بطرس ويوحنا إلى
السامرة « اللذين لما نزلوا صلياً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ... حينئذ وضعوا
الأيدي عليهم فقبلوا الروح القدس » (أع ٨ : ١٤ - ١٧) ... ولقد أدهش هذا
الأمر سيمون الساحر حتى أنه قدم ذراهم لبطرس ويوحنا قائلاً : « أعطيانى هذا
السلطان » . فكان رد بطرس عليه : « لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن
تقتنى موهبة الله بذهابهم » (أع ٨ : ١٨ - ٢٠) ... نعم في سر الكهنوت هذين
الأميرين : « السلطان ، والموهبة الخاصة » ... هذه الموهبة التى قال عنها القديس
بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس : « أذكرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التى فيك
بوضع يدي » (٢تى ١ : ٦) .

+ لقد أعطى السيد المسيح الكهنوت لرسله ، وهؤلاء — بوضع أيديهم
على أساقفة — نقلوا إليهم حقوق الرسامات الكهنوتية . وهذا ما يُعرف باسم
الخلافة الرسولية ...

وفكرة الخلافة الرسولية مفهومة ضمناً في سفر أعمال الرسل ، ومذكورة

انظر هامش ص ٣٨١ من مجموعة (A.N.F., Vol. 7) — Didaché, 15 (194)

صراحة في الرسالة المعاصرة لـ www.saniamariaevangel.org إلى أهل كورنثوس (١٩٥)
يقول : [لقد عرف الرسل أيضاً من ربنا يسوع المسيح ، أنه سيكون هناك جهاد
بسبب وظيفة الأسقفية . ولهذا السبب — وإذ اقتنوا سبق معرفة كاملة — أقاموا
أولئك الخدام الذين ذكرناهم لتونا ، وأعطوا فيما بعد تعليمات أنه حينما يتنيحوا
يجب أن يخلفهم في خدمتهم أناس آخرون لهم تزكية] (١٩٦) .

وقال أيضاً : [لقد بشرنا الرسل بالإنجيل كأمر ربنا يسوع المسيح ... ذهب
الرسل وأعلنوا قرب ملكوت الله . وفيما يكرزون في الأقاليم والمدن أقاموا باكورات
خدمتهم — بعد أن أختبروهم بالروح — ليكونوا أساقفة وشمامسة] (١٩٧) .

وقد سبق لنا أن تكلمنا عن رتب الكهنوت الثلاث : الأسقفية والقسيسية
والشمامسة .



(195) The History of christianity in the light of Modern knowledge pp. 456, 457.

(196) 1 Corinthians, 44

(197) 1 Corinthians, 42.

ثالثاً - العبادة الكنسية

في هذا الفصل ، نعرض لبعض جوانب العبادة في كنيسة الرسل ... وقبل أن نتكلم عن هذه الجوانب ، نقف وقفة قصيرة لنعرف شيئاً عن الكنيسة من حيث أهميتها ...

الكنيسة المسيحية :

الكنيسة في المفهوم الرسولي هي بيت الله ، عمود الحق وقاعدته (١ تي ٣ : ١٥) ... كل مَنْ لا يسمع منها فهو كوثني وعشار (مت ١٨ : ١٧) ... هي عروس المسيح (١٩٨) ، التي خرجت من جنبه الذي طعن بالحربة على الصليب ، على نحو ما تكونت حواء من أحد أضلاع آدم وهو نائم .. هي مستودع النعم والأسرار والحياة ، التي بها يحيا كل مَنْ يؤمن باسم الرب يسوع ، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق ...

هذه النعم التي نناها بممارسة الأسرار الكنسية ، لن ننالها إلا في الكنيسة وعن طريقها ... وبعبارة أخرى نقول انه لا خلاص خارجاً عن الكنيسة ... هذا هو تعليم رب المجد نفسه ، وما آمنت وعلمت به الكنيسة في كل تاريخها ..

+ في قصتي إيمان شاول الطرسوسي (بولس الرسول) ، وكرنيليوس قائد المائة ، نجد هذا الأمر واضحاً كل الوضوح ... فالرب يسوع نفسه بعد أن ظهر لبولس قرب دمشق ، لم يخلصه بكلمة من فيه ، بل أحاله إلى الكنيسة — إلى

(١٩٨) ٢ كو ١١ : ٢ ؛ رؤ ٢١ : ٢ ؛ ٩ ؛ ٢٢ : ١٧ .

حنانيا الرسول الذى عمدته (أع ٩) ... وكرنيليوس الذى أرسل له الله ملاكاً فى رؤيا ظاهرة أمره — لكى يخلص — أن يرسل ويستدعى معلمنا بطرس من يافا .. وهذا أتى ، وبعد أن بشره عمدته هو وأهل بيته (أع ١٠) ... أما كان يمكن أن يخلص هذان بدون الكنيسة ؟ لكن هكذا رسم الله ... وفى هاتين الحادثتين ، نلاحظ أن كلا من حنانيا وبطرس يمثل الكنيسة ، وكل منهما بأمر سر المعمودية .

+ إن الكنيسة المقدسة هى باب السماء ... هذا هو ما شهد به يعقوب أب الآباء بعد حلمه الشهير الذى رأى فيه سلماً يصل الأرض بالسماء .. فقد قال : « ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلا بيت الله ، وهذا باب السماء » (تك ٢٨ : ١٠-١٧) ... إنه تعبير جميل دقيق ... الكنيسة هى باب السماء ... أيستطيع أن يدخل إنسان إلى موضع إلا عن طريق بابه ؟ .. وماذا يحدث لو حاول أن يطلع من موضع آخر .. مثل هذا يقول عنه رب المجد يسوع : « أما الذى لا يدخل من الباب ... بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص » (يو ١٠ : ١) ...

+ لقد شبه معلمنا بطرس الكنيسة بفلك نوح ، الذى خلص من كانوا فيه ، وهلك من كانوا خارجه (١ بط ٣ : ٢٠) ...

هكذا فهم المؤمنون هذه الحقيقة منذ البداية ... أنه لا خلاص خارجاً عن الكنيسة ... ومن هنا قال القديس كبريانوس الشهيد عبارته المشهورة : [ما من أحد ، يقدر أن يجعل الله أباً له ، ما لم تكن الكنيسة أمه] .
والآن نعرض لبعض جوانب العبادة فى كنيسة الرسل ...

١ - يوم الرب

هو تنظيم مسيحي خالص ، يستند أساساً إلى حقيقة قيامة المسيح من بين الأموات فى يوم الأحد ... وظهرت عادة الاجتماع فى هذا اليوم فى الأسبوع التالى للقيامة ، حيث كان الرسل مجتمعين فى العلية (يو ٢٠ : ٢٦) ... وقد وردت عنه ثلاث إشارات فى أسفار العهد الجديد ... ورد باسم « أول الأسبوع » فى موضعين

(أع ٢٠: ٧؛ ١ كو ١٦: ٢)، وذكر باسم يوم الرب (١٩٩) في (رؤ ١٠: ١).

وفي كتاب تعاليم الرسل (٢٠٠) Didaché، ذكر صراحة باسم [يوم الأحد] Kyriake لأن المسيح رب Kyrios كل الأيام ... وفي رسالة برنابا (٢٠١) يذكر باسم [اليوم الثامن]، أى اليوم التالى للسبت وهو اليوم السابع، ويذكر سبب تقديسه، أن الرب قام فيه ... ويوستينوس الشهيد يذكره باسم [اليوم الأول من الأسبوع]، ويربطه بخلق العالم (٢٠٢)، على اعتبار أن الله في أول أيام الأسبوع خلق باكورة الخليقة، وفيه أيضاً أعطى العالم باكورة ثمار القيامة المقدسة ... وهو اليوم الثامن، لأن أيام الأسبوع السبعة ترمز إلى زمان هذا العالم بكل مشقاته، واليوم الثامن — يوم الراحة المقدس — يرمز للراحة الأبدية (٢٠٣). وقبل موت المسيح وقيامته لم يكن يوم الأحد يسمى يوم الرب، بل اليوم الأول من الأسبوع.

وقد قدست كنيسة الرسل ذلك اليوم لأن الرب قام فيه من بين الأموات، وبدأت كنيسة الرسل حياتها الجديدة فيه. كما كانوا يتوقعون مجيء الرب الثانى في مجده في يوم أحد ... ومن هنا فقد كانت الكنيسة تحتفل بعشاء الرب فيه، بما يتضمن من إنتظار للرب [ماران أثا] (٢٠٤) .. ومنذ البداية كان يوم الأحد هو يوم الأسبوع المقدس لجميع المسيحيين (٢٠٥).

(١٩٩) المقصود هنا يوم الأحد المعروف، وليس يوم الدينونة الأخير، كما يحاول البعض تفسيره — يقول الأستاذ وست "Wuest" كان عبارة — يوم الرب — تعبيراً اصطلاحياً في القرن الأول له معنى خاص، ولا يمكن تفسيره بمعنى آخر — انظر: Wuest, golden Nuggets from the greek N.T., pp. 78, 79.

(200) Didaché, 14. 1.

(201) The Epistle of Barnabas; 15. 9.

(٢٠٢) 1 Apol., 67، وكلام يوستينوس في غاية الوضوح، فهو يسميه يوم الشمس The day of the sun (sunday)

(203) Daniélou, The Bible and the Liturgy, pp. 242, 243, 262.

(٢٠٤) كلمة آرامية معناها « تعال يا ربنا » .

(205) Leitzmann, A History of the Early church, pp. 68, 69.

وأغناطيوس الشهيد يشير صراحة إلى بطلان السبت القديم وحلول الأحد محله (٢٠٦)، فيقول: [ليحفظ كل حبيب للمسيح يوم الرب كعيد (يوم القيامة) رأس كل أيام الأسبوع].

وبليني الأصغر في خطابه إلى الامبراطور تراجان سنة ١١٢ م ، يشير إلى إجتماع المسيحيين في يوم معين من الأسبوع قبيل الفجر، ليرغموا ترنيمة للمسيح .

وأوفى ما وصل إلينا عن إجتماع الأحد — في تلك الفترة المبكرة — كتبه يوستينوس الشهيد في دفاعه الأول حوالى سنة ١٤٠ م . يقول: [وفي اليوم المسمى الأحد ، يجتمع كل مَنْ في المدن والقرى معاً في مكان واحد ... والأحد هو اليوم الذى نعقد فيه إجتماعنا المعتاد ، لأنه هو اليوم الأول الذى أجرى الله فيه تغييراً في الظلمة والمادة وخلق العالم . وفي نفس اليوم قام يسوع المسيح مخلصنا من بين الأموات (٢٠٧) .

يقول المؤرخ فيليب كارنجتون Carrington [جميع المسيحيين يحفظون الأحد ... كل مسيحي يحفظ الأحد . كل واحد يعرف ما هو ، وليس ما يدعو لشرحه (في الأسفار المقدسة) . ولم يحدث أن صار (الأحد) موضوعاً لنقاش .. إنه عادة « جامعة » بدأت في العصر الرسولى — وكان جزءاً من التقليد الإنجيلي] (٢٠٨) .

٢ - إجتماعات العبادة :

+ أماكنها :

منذ البداية اجتمع المسيحيون في بيوت خاصة للعبادة ، وأقامة عشاء الرب وولائم الأغابى . وقد تأسست الكنيسة في يوم الخميس في عليّة في منزل مريم أم

(206) Magn., 9. 1.

(207) 1 Apol., 67.

(208) Carrington, Vol. 1, p. 466.

يوحنا الملقب مرقس ... وكان أعضاء الكنيسة الموسرين — من أمثال مريم هذه في أورشليم، وكرنيليوس في قيصرية، وليديا في فيلبى، وياسون في تسالونيكى، ويستس في كورنثوس، وبريسكيلا في أفسس، وفليمون في كولوسى — قد فتحوا بيوتهم بفرح لاجتماعات العبادة ... وفي المدن الكبرى كروما قسم المؤمنون أنفسهم إلى عدة مجموعات تجتمع في بيوت خاصة ... لكن الرسول بولس يخاطبها في رسائله كوحدة واحدة (٢٠٩).

لم يحدث في العصر الرسولى أن المسيحيين شيّدوا كنائس خاصة للعبادة، على الأقل بسبب الاضطهاد الذى كان يحل بهم ويتعقبهم (٢١٠). كان الرسل — على نحو ما ذكرنا — يكرزون في الشوارع والأسواق وعلى الجبال وفي السفن والكهوف والبرارى والبيوت الخاصة ... لكن ما أن نالت المسيحية الحرية الدينية حتى بنيت آلاف الكنائس الضخمة، في كل أنحاء العالم، تكريماً للفادى المصلوب، الذى في أيام جسده لم يكن له أين يسند رأسه.

+ نظامها :

أقدم ما وصل إلينا عن نظام إجتماع يوم الأحد، دونه لنا يوستينوس الشهيد (٢١١)، وكتاب تعاليم الرسل (٢١٢)، الذى قدم لنا صورة مبسطة لصلوات الافخارستيا ... كان الاجتماع يبدأ بقراءة فصول من البشائر، وأحياناً أجزاء من كتابات الأنبياء حسب تعبير يوستينوس. قد يكون المقصود بالأنبياء، أنبياء العهد القديم، وقد يكون المقصود بها أيضاً كتابات ورسائل الرسل (٢١٣)، وبعض كتابات معاصرة مثل كتابات كليمنضس الرومانى، وكتب هرماس، وقد كانت

(٢٠٩) انظر: روم ١٦ : ٥ ؛ ١ كور ١٦ : ١٩ .

(210) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, p. 366; Schaff, Vol. 1, p. 475.

(211) 1 Apol., 67.

(212) Didaché, chs. 8-10.

(٢١٣) انظر Didaché, 11 حيث يذكر الرسل باسم أنبياء .

منتشرة وذائعة الصيت (٢١٤). ومن المؤكد أن رسائل بولس كانت تقرأ (٢١٥) .. يعقب ذلك عظة ، كان يلقيها مَنْ يرأس الاجتماع ، وغالباً ما كانت مرتبة على القراءات التي قرئت ... ثم ينهض الجميع ويصلون ويرفعون التضرعات من أجل أهم ما يعنى الكنيسة (٢١٦) ... بعد ذلك يقبل الحاضرون بعضهم بعضاً قبله السلام ... وتبدأ بعدها صلوات الافخارستيا (تقديس الخبز والخمر) ، والشعب يجابوب آمين ... ويتناول المؤمنون من الجسد والدم الأقدسين ... وتجمع الصدقات ... وهكذا ينتهى إجتماع العبادة الأسبوعى فى يوم الأحد .

٣ - الأسفار المقدسة :

+ العهد القديم :

استمر ليكون كتاب المسيحيين المقدس ، كما كان بالنسبة لليهود .. كان هذا الاتجاه واضحاً . وكما أشرنا سابقاً ، فقد كانت تقرأ منه أجزاء — خاصة الأسفار النبوية — فى إجتماعات العبادة الأسبوعية . كان كتاب العهد القديم معونة جبارة للدعاية المسيحية . وعبثاً حاول اليهود الإحتجاج على ذلك بأنه ليس كتاب المسيحيين . كان بالنسبة لكثير من الناس ، يشكل القنطرة الحقيقية التى عبروا بها إلى المسيحية ... ومن هؤلاء يوستينوس الفيلسوف الشهيد (٢١٧) ... وقد أدى كتاب العهد القديم خدمات جليلة للمسيحية . يكفى أن المسيحية قامت مرتكزة على هذا الكتاب الذى امتلأ بالنبوات عن المسيح ومجيئه وخلاصه . كما إستمدت منه المسيحية كثيراً من عقائدها وأنظمتها ... وأفاد المسيحيون من كل الإخلاقيات والفضائل وقصص معاملات الله مع البشر التى حوّاها هذا الكتاب .. هذا فضلاً عن سفر المزامير الذى استخدمته الكنيسة المسيحية منذ البداية فى صلواتها وعبادتها ...

(214) Daniélou, Vol. 1, p. 74.

(٢١٥) انظر : ١ تس ٥ : ٢٧ ؛ كو ٤ : ١٦ .

(216) See: Justin Martyr, 1 Apol., 65.

(217) Dial., 7.

بدأ المسيحيون في عهد الرسل يقرأون العهد القديم ويفسرونه تفسيراً رمزياً ... والسيد المسيح نفسه هو الذى قادهم إلى ذلك ، حين إلتقى بتلميذى عمواس عشية قيامته « وابتدأ من موسى وجميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب » (لوقا : ٢٤ : ٢٧) . ومرة أخرى ظهر لتلاميذه ولفتح نظرهم إلى ما هو مكتوب عنه فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير ، « حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب » (لوقا : ٢٤ : ٤٤ ، ٤٥) .

ونجد فى الرسالة التى تحمل اسم برنابا ، إشارة إلى الاعتماد على العهد القديم (٢١٨) ...

+ العهد الجديد :

وكانت الأناجيل ورسائل الرسل تتلى فى إجتماعات العبادة (٢١٩) . وسنتكلم عن أسفار العهد الجديد فى الباب القادم ... لكن ما نود أن نشير إليه هنا ، هو أنه بعد موت الرسل ، إزدادت أهمية كتاباتهم ورسائلهم كشئ بديل لتعليمهم الشفوى وحثهم المؤمنين ، وصارت تستعمل أكثر من كتابات العهد القديم (٢٢٠) .

٤ - ولائم الأغابى :

من الأمور التى عرفتها كنيسة الرسل ، ولائم المحبة التى عرفت باسم « الأغابى » Agape (٢٢١) .. وكانت وجبة طعام عادية يشترك فيها كل الاخوة المؤمنين ... وكانت الأغابى تعبيراً عن روح الاخوة المسيحية الحقيقية .. فقد كان

(218) Epist. Barnabas, 1.7; See, Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 175 f.

(219) انظر : ١ تس ٥ : ٢٧ ؛ كو ٤ : ١٦ .

(220) Schaff, Vol. 1, p. 462.

(221) Harnack, Missions, p. 156; De Pressensé, pp. 523, 524; Fisher, pp. 546-549.

الجميع يجلسون إلى مائدة واحدة، ويأكلون طعاماً واحداً، بصرف النظر عن المركز الاجتماعي والجاه والثروة والثقافة ... لقد أحس الجميع أنهم فعلاً أعضاء في جماعة واحدة، بل في جسد واحد، هو جسد المسيح .

ويبدو أن الأغابي كانت مقترنة في بادئ الأمر بالافخارستيا . لكنها سرعان ما انفصلت عنها ، وأصبح لكل وقت معين منفصل عن الآخر ... فبسبب نمو الكنيسة في العدد ودخول عناصر كثيرة إليها ، لم يكن من السهل المحافظة على تلك الصورة الطفولية البريئة ...

يبدو أن الفصل بين الأغابي والافخارستيا حدث في الجزء الأخير من القرن الأول ، إما لحكمة ارتأتها الكنيسة في زيادة توقيف سر الافخارستيا بعد أن سلك البعض إزاءه باستهتار ، الأمر الذي اضطّر معلمنا بولس إلى توبيخهم وتخويفهم كما نرى ذلك في كورنثوس (١ كور ١١ : ١٧ - ٣٤) ... وإما بسبب الأوضاع السياسية وموقف المسيحيين من الدولة التي بدأت تضطهدهم وتنظر إليهم كجماعة سرية .. ونرى ذلك واضحاً كل الوضوح في خطاب بلينى الأصغر حاكم بيثينية إلى الامبراطور تراجان سنة ١١٢ ... نعلم من ذلك الخطاب أن الافخارستيا كانت تقام فجر الأحد ، ووليمة الأغابي في وقت آخر (٢٢٢) ... فقد وجد المسيحيون لزماً عليهم أن يحتفلوا بالافخارستيا خفية خشية مهاجمة السلطات أو الدهماء لهم أثناء إقامتها ... إحتفلوا بها في فجر الأحد ، في نفس الساعة تقريباً التي قام فيها الرب ناقضاً أوجاع الموت ... بينما أقاموا الأغابي في وقت آخر ...

كانت الأغابي وليمة طعام عادى كما قلنا ، لكنها كانت تبدأ بالصلاة ، وتختتم أيضاً بالصلاة ، ويتخلل ذلك بعض الترانيم والتسابيح الروحية (٢٢٣) .

وقد أشار العهد الجديد إلى ولائم الأغابي ... قال يهوذا الرسول : « هؤلاء صخور في ولائكم المحبية (أغابي) صانعين ولائم معاً » (يه ١٢) . ولا شك أن

(222) Documents of the christian church, pp. 4, 5.

(223) Hastings, Dictionary of the Bible, p. 556.

هذا هو عين ما ذكره القديس بطرس «santamatiagegypt.org صائعين ولائم معكم » (٢ بط ٢ : ١٣) .

ونلمس اهتمام الكنيسة الأولى بولاائم الأغابى ، مما ذكره أغناطيوس الشهيد فى رسالته إلى أهل سميرنا .. [غير مصرح بالعماد أو إقامة الأغابى بدون الأسقف] (٢٢٤) ...

نحن لا نعلم على وجه الدقة متى إختفت ولائم الأغابى . لكنها على أية الحالات كانت قائمة حتى القرن الرابع الميلادى (٢٢٥) .

٥ - الصلاة :

الصلاة وإن كانت معروفة ومستخدمة فى اليهودية والديانات الوثنية الأخرى لكنها أخذت فى المسيحية صورة أخرى ، وروحاً آخر ، إذ صارت تقدم فى دالة البنين بثقة إلى عرش النعمة ، فى اسم واستحقاقات الرب يسوع المسيح ، إلى آب سماوى ، قد صولحت البشرية معه بموت ابنه ... كان المسيحيون الأوائل يقرنون كل أعمالهم الخاصة بالصلوات . وقد حث القديس بولس المؤمنين أن يصلوا بلا انقطاع ... ويهمننا أن نبرز هنا بعض جوانب فى الصلاة :

+ بالإضافة إلى الصلاة الفردية والمثابرة فيها ، أكد المعلمون المسيحيون من الرسل فصاعداً ، ضرورة الصلاة الجماعية وأهميتها ... يقول القديس أغناطيوس الشهيد : [إذا كانت صلاة شخصين متحدتين (٢٢٦) ، لها مفعول كبير ، فأى شئ لا تقدر عليه صلاة الأسقف متحدة بصلاة الكنيسة كلها] (٢٢٧) ...

ويقول أيضاً : [إحرصوا على أن تقيموا إجتماعاتكم بتواتر ... لأنه بكثرة

(224) Smyrn., 8.2.

(225) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 1, pp. 171, 172.

(٢٢٦) يشير إلى قول السيد المسيح الوارد فى (مت ١٨ : ١٩ ، ٢٠) .

(227) Eph., 5.

اجتماعتكم تلاشون قوى الشيطان. وقدرته المفسدة تتبدد أمام إتفاق إيمانكم [(٢٢٨)].

+ كانت العادة أن يصلى الناس ، إما وقوفاً والأيدى مرفوعة قليلاً نحو السماء ، وإما ركوعاً على الركبتين ، وإما سجوداً والوجه إلى الأرض (٢٢٩) .

+ كانوا يتجهون إلى الشرق فى الصلاة ... وقد بدأت هذه العادة مع قيام المسيحية ... وقد ذكر هذا الأمر وأشير إليه صراحة فى قوانين الرسل ، وكتابات الآباء والمعلمين الأوائل مثل كليمنضس الاسكندرى وترتليانوس وغيرهما على أنه تقليد رسولى . كما يتضح من النقوش القديمة فى السرايب والقبور (٢٣٠) .

+ كان الجنسان (الرجال والنساء) يصليان فى مكان واحد معاً ، لكن منفصلين عن بعضهما ... وكان الرجال يصلون حاسرى الرؤوس ، بينما النساء يغطين رؤوسهن (٢٣١) (١ كو ١١) .

استخدمت الصلاة الربية فى الصلوات (٢٣٢) .. ويقول المؤرخ شاف Schaff أنها استخدمت إحتراماً للنموذج الذى أعطاه ربنا يسوع المسيح نفسه (مت ٦ : ٩-١٣) كما أنها أعطت إحساساً بالاخوة بين المسيحيين الأوائل ، وهم يصلون جميعاً إلى آب سماوى واحد «آبانا الذى فى السموات ...» (٢٣٢) . وقد أوجبت تعاليم الرسل إستخدام الصلاة الربية على المؤمنين ثلاث مرات فى اليوم (٢٣٣) .

(228) Eph., 13.

(٢٢٩) انظر ١ : ٢ ؛ ٨ : ٢٢ ؛ ٤١ : ٢٦ ؛ مت ٢٦ : ٣٩ .

(230) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, p. 518; Vol. 2, p. 1684.

(٢٣١) كان الرجال فى اليهودية والوثنية على السواء ، يصلون ورؤوسهم مغطاة كعلامة للتحرر . لكن كشف الرأس بالنسبة للرجال فى المسيحية إشارة إلى أن المسيح قد اعتقهم . انظر :

Dictionary of chritstian Antiquities, Vol. 2, p. 1684.

(232) Schaff, Vol. 1, p. 463; Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 332-334; Fisher, p. 567;

Leitzmann, A History of the Early church, p. 65.

(233) Didachê, 8.

واستخدمت الصلوات المكتوبة إلى جانب الصلوات الارتجالية ... ويقدم المؤرخ فيشر Fisher دليلاً على استخدام الصلوات المكتوبة في كنيسة الرسل ، يقول : [وفي آخر رسالة كليمنضس الروماني الأولى إلى كنيسة كورنثوس (حوالى سنة ٩٦) ، نجد سلسلة من التوسلات المترابطة مقدمة لله . ويبدو أنها مقتسبة من ليتورجية موضوعة . ومن المحتمل جداً أنها أجزاء من الصيغة الثابتة لليتورجية التى إستخدمها كليمنضس فى كنيسته] (٢٣٤) .

وقد استخدمت كنيسة الرسل المزامير فى الصلوات (٢٣٥) ... ولا شك أن الكنيسة المسيحية قد نقلت هذا النظام عن المجمع اليهودى .. والرسول بولس فى كلامه إلى مؤمنى كورنثوس ، يؤيد استخدام المزامير ... « أيتها الإخوة ، متى إجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور ... » (١ كو ١٤ : ٢٦) ... ويقول لأهل أفسس « مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح .. » (أف ٥ : ١٩) .

٦ - التسابيح والتراتيم :

وهى صورة من صور الصلاة فى قالب شعرى ... غالباً ما استخدمت فيها مزامير العهد القديم ، ذلك الكنز الذى لا ينضب للتهذيب والتعزية والخبرة الروحية ... وقد نقلتها الكنيسة المسيحية عن اليهودية ... والرب نفسه استخدم التسبيح فى العهد الجديد حينما أسس سر الافخارستيا (مت ٢٦ : ٣٠ ؛ مر ١٤ : ٢٦) ... والقديس بولس شجع المؤمنين على ذلك « مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية ، مترفين ومترلين فى قلوبكم للرب » (أف ٥ : ١٩) ... « لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى . وانتم بكل حكمة معلمون ومنزرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمته ، ومترفين فى قلوبكم للرب » (كو ٣ : ١٦) .

لكن بالإضافة إلى مزامير العهد القديم ، أضافت الكنيسة تسابيح وترانيم

(234) Fisher; pp. 566-568.

(235) Schaff; Vol. 1, p. 463; Leitzmann; pp. 148, 149.

وتماجيد وتبريكات ، أمدت الأجيال التالية بمادة خصبة للشعر الدينى والموسيقى الكنسية ، ومن أمثلتها تسبحة الملائكة عند ميلاد المخلص gloria (لو ٢ : ١٤) ، وطلبة سمعان الشيخ (لو ٢ : ٢٩) ، وتسبحة العذراء مريم (لو ١ : ٤٦ - ٥٥) ، وتسبحة زكريا الكاهن (لو ١ : ٦٨ - ٧٩) ... يضاف إلى ذلك مقتطفات من الترانيم مبعثرة فى الرسائل (٢٣٦) ، وماورد فى سفر الرؤيا من تماجيد وصلوات وتساييح (٢٣٧) .

٧ - علامة الصليب :

كان صليب ربنا يسوع المسيح موضع فخر وتقديس وتكريم وتعبد المسيحيين منذ نشأة الكنيسة . تكلمت عنه أسفار العهد الجديد والآباء الرسوليون من أمثال أغناطيوس وبوليكرابوس ، وكاتب رسالة برنابا . وتكلم عنه كثيراً وعن رموزه فى العهد القديم يوستينوس الشهيد فى حوارهِ مع اليهودى تريفو ، كما سبق أن ذكرنا ونحن نتكلم عن عقيدة الفداء والصليب ...

لا عجب إذن إن رأينا المسيحيين منذ فجر المسيحية يرسمون بعلامة الصليب على جباههم وصدورهم . جاء فى قاموس الآثار المسيحية ، أن رسم علامة الصليب منذ تاريخ المسيحية المبكر يرتبط بما ورد فى (حزقيال ٩ : ٤ ؛ رؤى ٧ : ٣ ؛ ٩ : ٤ ؛ ١٤ : ١) — ويشهد يوستينوس الشهيد باستعمال إشارة الصليب ورسمها على الإنسان المؤمن كقوة له ... كان يستخدمها المسيحيون فى كل حركة من حركاتهم منذ إستيقاظهم من نومهم حتى يأوون إلى فراشهم ...

واستخدام إشارة الصليب واضح فى الليتورجيات القديمة التى ترجع إلى الرسل

(٢٣٦) من أمثلتها الواضحة جداً والمتفق عليها بين العلماء ما جاء فى (أف ٥ : ١٤ ؛ ١ : ٣ : ١٦) وهذا نتيجة دراسة قام بها بعض العلماء لهذه النصوص فى اليونانية انظر ...

Hill, p. 371; Schaff, Vol. 1, p. 464.

(237) Schaff, Vol. 1, pp. 463, 464; Leitzmann, pp. 148, 149.

أنفسهم ... بل كان هو علامة العبادة المسيحية (٢٣٨) ... ويقول القديس باسيليوس الكبير أن علامة الصليب تسلمها المسيحيون ضمن التقاليد غير المدونة التي إنحدرت إليهم من رسل المسيح : [الذين علمونا أن نرسم بعلامة الصليب أولئك الذين وثقوا في اسم الرب يسوع المسيح] (٢٣٩) .

٨ - الصوم

مبدأ الصوم ووجوبه ونفعه الروحي للمؤمنين ، واضح في أسفار العهد الجديد ... لكن ما نود الإشارة إليه هنا هو الأصوام المحددة التي رتبها الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ... من هذا الأصوام :

(أ) صوم يومى الأربعاء والجمعة أسبوعياً (٢٤٠) ... يوم الأربعاء لأن فيه تشاور يهوذا على حياة السيد المسيح وتسليمه ، ويوم الجمعة لأن الرب تألم وصلب فيه . كان هذان اليومان يقابلان صوم يومى الاثنين والخميس عند اليهود (٢٤١) ... صام المسيحيون هذين اليومين بحزن وتذلل وتوبة ... وبلغ من تقديسهم ليوم الجمعة ، أنهم كانوا لا يبدأون فيه مشاريع جديدة بل يكتفون بتكميل ما بأيديهم ، لأنهم اعتقدوا أن أى عمل جديد لا ينال بركة الرب (٢٤٢) ... وقد أوجبت تعاليم الرسل Didaché على المؤمنين صوم هذين اليومين بتذلل (٢٤٣) .

(ب) صوم الأربعين المقدسة : وهو الصوم السابق لعيد القيامة (الفصح)

(238) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 2, pp. 1895 - 1897.

(239) Daniélou, Bible and Liturgy, p. 54.

(٢٤٠) ما عدا أيام الفرج كالأعياد السيديّة والخمسين .

(٢٤١) في تقليد اليهود أن موسى صعد إلى الجبل ليتسلم الشريعة يوم الاثنين وهبط من الجبل يوم الخميس . هكذا صلى الفريسي في الهيكل «أصوم مرتين في الأسبوع» (لوقا ١٨ : ١٢) .

(٢٤٢) مازال هذا الاحساس موجوداً حتى اليوم . فالتناس تشاءم من القيام بالأعمال الهامة والخطيرة يوم الجمعة .

(243) Didachê, 8. 1; Schaff, Vol. 1, pp. 479, 480; Hill, pp. 368-369; Leitzmann, pp. 66, 69.

وقد مارسته الكنيسة منذ فجر تاريخها المبكر، وصامه المسيحيون في العالم كله (٢٤٤) لا خلاف في أنه كان هناك صوم سابق لعيد القيامة .

وقد ظن البعض أنه أثر جدل حول مدة هذا الصوم في تاريخ الكنيسة المبكر وذلك بسبب فهم خاطيء لعبارة وردت ضمن رسالة كتبها إيريناوس أسقف ليون (المولود حوالي سنة ١٣٠ م) ، إلى فيكتور أسقف روما ، بخصوص موعد تعييد الفصح (عيد القيامة) ، الذي كان مثار جدل وقتذاك ...

قال إيريناوس في رسالته المذكورة [لأن النزاع غير قاصر على اليوم فقط بل على طريقة الصوم نفسها . فالبعض يظنون أنهم يجب أن يصوموا يوماً واحداً ، وغيرهم يومين ، وآخرون أكثر . والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهاراً وليلاً] (٢٤٥) .

وبسبب شولة Semicolon في النص اليوناني لايريناوس ، أثار بعض العلماء جدلاً كبيراً حول هذه العبارة ، وترجموها هكذا : [فالبعض يظنون أنهم يجب أن يصوموا يوماً واحداً ، وغيرهم يومين ، وآخرون أكثر ، والبعض أربعين . وهم يحسبون ساعات النهار والليل معاً كيومهم] (٢٤٦) .

هكذا ظن البعض — نتيجة عبارة إيريناوس — أن ثمة خلاف في الرأي كان موجوداً في ذلك الوقت المبكر، فيما يختص بمدة الصوم الأربعيني ... لكن كلام إيريناوس لا ينصب على الصوم الأربعيني ومدته ، بل على فترة الصوم الإنقطاعي السابقة لعيد الفصح ... فقد رأى البعض أن يصوموا يوماً واحداً (يوم جمعة الصليبوت) ، ورأى البعض أن يصوموا يومين (جمعة الصليبوت وسبت الفرح) ، ورأى البعض أن يصوموا أربعين ساعة ، وتحتسب من الساعة السادسة (١٢ ظهراً) من يوم الجمعة وهي الساعة التي صلب فيها المسيح ، إلى

(244) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 2, p. 972.

(245) Eusebius, H.E., 5. 24. 12.

(246) See, footnote, p. 243 (N.P.N.F., series 2, Vol. 1.).

على أن عادة حفظ هذا الصوم — وكان يسبق عيد القيامة — لا ترجع إلى عصر إيريناوس ، بل قبله ، إلى العصر الرسولي ... يقول إيريناوس في رسالته السابق الإشارة إليها ، التي أرسلها إلى فيكتور أسقف رومية : [وهذا الاختلاف ، في حفظ الصوم لم ينشأ في أيامنا ، بل في أيام آبائنا قبل ذلك بوقت طويل] ... وواضح من هذه العبارة . أن الصوم السابق لعيد القيامة ، وجد منذ القرن الأول المسيحي ...

والصوم الأربعيني المقدس مارسه الكنيسة في كل أنحاء العالم . ومازال اسمه يدل على أنه كان لمدة أربعين يوماً ... فيعرف في اللغة اللاتينية باسم Quadragesima ، ومنها الكلمة الفرنسية Carême ، والإيطالية Quaresima وقد أشار إليه هيبوليتس Hippolytus في القانون العشرين من قوانينه ، كما ذكره روفينوس المؤرخ ناسباً ذكره إلى أوريجينوس في تفسيره لسفر اللاويين ، كما أشار إليه القانون الخامس من قوانين مجمع نيقية كشيء ثابت ومقرر في الكنيسة المسيحية في العالم كله (٢٤٧) ... وذكرته قوانين الرسل ، وقالت إنه اتباعاً لما فعله السيد المسيح (٢٤٨) .

(ج) أسبوع البصخة :

وممارسة الكنيسة للصوم في هذا الأسبوع بتقشف زائد ، أمر واضح ومتفق عليه من الجميع ... ولعل فيما ذكره إيريناوس في رسالته إلى فيكتور أسقف رومية ، مايكفي لاثبات أن صوم أسبوع البصخة تقليد رسول ... يقول المؤرخ كارنيجتون Carrington في تاريخه للقرن الأول المسيحي [كانت هناك عادة سنوية لحفظ

(247) Dictionary of christian Antiquities. Vol. 1, p. 972; Ency. of Religion and Ethics, Vol. 5, p. 766.

(248) Apostolical Constitutions, 5. 13.

البصخة في صورتها المسيحية ... وهناك أدلة غير مباشرة على ذلك في العهد الجديد .
والإشارات الواردة في الرسالة الأولى إلى كورنثوس عن الفصح ، ومصادر أخرى
كثيرة ، تحملنا على الاعتقاد أنه كان هناك إهتمام كبير بها . والأناجيل ورسالة
بطرس الأولى ، ورسالة اكليمينضس الروماني — بصور مختلفة — تؤيد هذا
الاعتقاد [(٢٤٩)] .

٩ - الأعياد المسيحية :

يصعب تحديد الأعياد المسيحية التي إحتفلت بها الكنيسة في العصر الرسولي .
لكن يبدو أن معظم الأعياد المسيحية كانت تحويلاً لأعياد يهودية . لكن الشيء
المؤكد أن الكنيسة إحتفلت بعيدى القيامة والخمسين ... الأول لقيامة رب المجد
يسوع ، والثاني لحلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة ... ولا غرابة في ذلك ،
فالمسيح المصلوب والقائم من بين الأموات والحى في الكنيسة ، كان هو الفكر الذى
استغرق فيه المسيحيون الأوائل ، وكان موضوع تأملهم ... وعلى نحو ما استبدلوا
السبت بالأحد ، هكذا استبدلوا عيدى العهد القديم الكبيرين — الفصح
والحصاد — ليصبحا عيدى القيامة والعنصرة (الخمسين) (٢٥٠) ... وقد وردت
إشارات كثيرة عنهما في سفر الأعمال والرسائل (٢٥١) .

١٠ - الصلاة على المزمعين :

من المؤكد أن الكنيسة في عصر الرسل مارست طقساً خاصاً بالصلاة على

(249) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 5, p. 766; Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, p. 779; Schaff, Vol. 1, p. 480; Carrington, Vol. 1, pp. 466, 467.

(250) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, pp. 669, 670; Schaff, Vol. 1, p. 480; Daniélou, Vol. 1, pp. 75, 76.

(٢٥١) انظر : أع ١٨ : ٢١ ؛ ٢٠ : ٦ ، ١٦ ؛ ١ : ٥ ؛ ٧ ، ٨ ؛ ١٦ : ٨ .

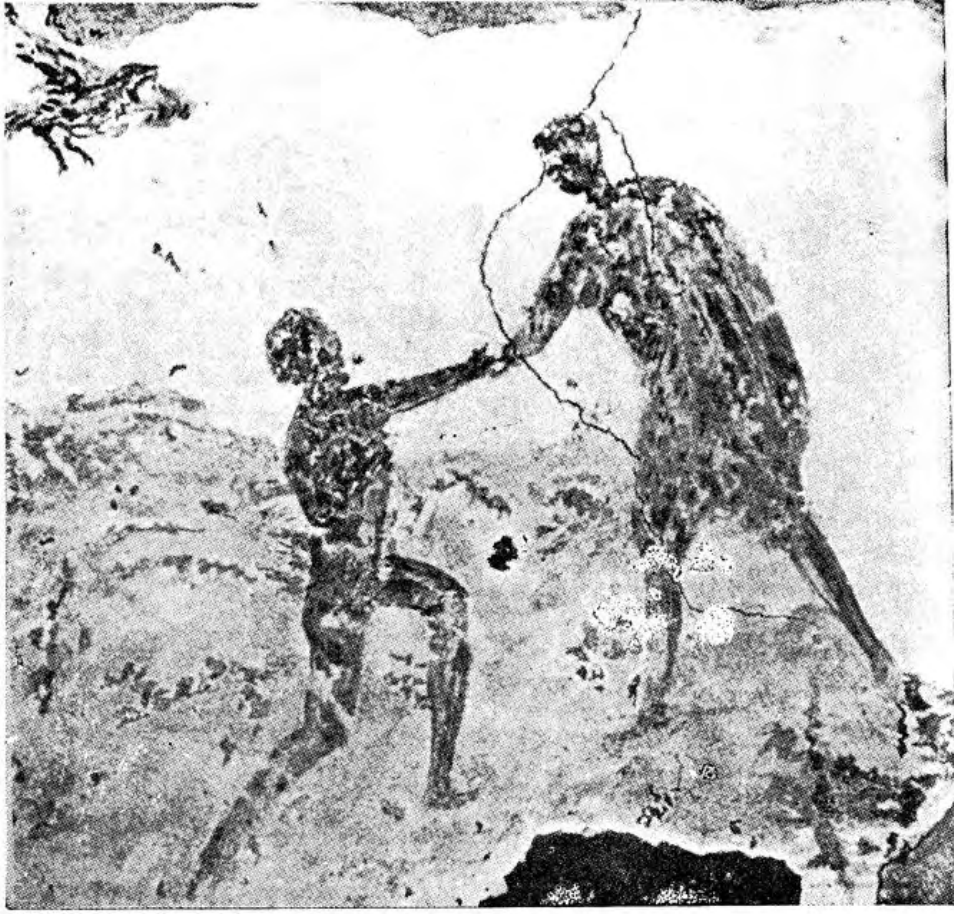
الراقدين (٢٥٢). وبدأ المؤمنون على البيئات الوثنية — كبلاد اليونان وآسيا الصغرى — يدفنون موتاهم ، بعد أن كانوا يحرقون أجسادهم ... ومما شجع على الاهتمام بأجساد القديسين والصلاة عنها ، العقيدة المسيحية الخاصة بقيامة الراقدين والحياة الأخرى . بعد موت إستفانوس رئيس الشمامسة ، حمل رجال أتقياء جسده ، وعملوا عليه منحة عظيمة (أع ٨ : ٢) ... وقد صار هذا تقليداً متبعاً في كل الكنيسة منذ ذلك الوقت . ويرجع أن الطقس الجنائزى كان يتألف من صلوات عن نفس المنتقل وعظات (٢٥٢). على أن هذه الصلوات الجنائزية لم تكن مجرد طقوس إحتفالية ، بل مارستها الكنيسة إيماناً منها بنفعها من أجل راحة أنفس المنتقلين ، الذين عاشوا حياة مقدسة ، لكن « لحقهم توان أو تفريط كبشر » ... فالكنيسة تصلى من أجل الهفوات والشهوات ، أو بتعبير يوحنا الرسول ، تصلى من أجل مَنْ لم يخطئوا خطايا مميّة « موجبة للموت » (١ يوحنا : ١٦) . وهذا النص الذى أورده يوحنا هنا خاص بأنفس المنتقلين ، ولا يمكن أن يكون خاصاً بمن لا يزالون أحياء (٢٥٣) ... فالكنيسة — بلسان القديس بولس تأمر بنيتها بالصلاة لأجل جميع الناس (انظر ١ تي ٢ : ١ - ٣) .

وهكذا أيضاً طلب القديس بولس الرحمة لنفس انيسيفورس « ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم » (٢ تي ١ : ١٨) . وكل الأدلة تدل على أن انيسيفورس كان قد مات فى ذلك الوقت ... وكون القديس بولس يطلب له رحمة من الرب فى ذلك اليوم ، معناه أن الصلاة تفيد الراقدين الذين قضوا حياتهم فى عيشة مقدسة مع الرب (٢٥٤) .

(252) De Pressensé, Vol. 1, p. 381.

(٢٥٣) انظر : سمعان سليدس ، الصلاة على المنتقلين ص ١٤٠ — ١٤٨ .

(٢٥٤) انظر : ٢ تي ١ : ١٦ : ٤ : ١٩ . — Wuest, The Pastoral Epistles, p. 126 .



صورة للعماد

رسم على إحدى المقابر بسراذيب روما — ويلاحظ إتمام السر بالتغطيس



رسم نوح يخرج من القلک فی إحدى المقابر لسراڊیب روما . وكان رمزاً
للمعمودية (١بط ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

الباب السادس



البدع والهراطقات

تمهيد

عرضنا فيما سبق — ونحن نتكلم عن مولد الكنيسة — للحالة الفكرية في العالم الوثني ... وقلنا فيما قلنا ان المسيحية كديانة ناشئة أخذت مكانها على مسرح الحياة في العالم القديم وسط كثرة من الديانات المتنوعة ، والتيارات الفكرية المتباينة ، والفلسفات المختلفة ، التي كان يمج بها حوض البحر المتوسط ، حيث مهد المسيحية وأشرنا إلى بعض المدارس الفلسفية (١) .

وإن كانت هذه الفلسفات المختلفة بفلاسفتها ومعتنقيها ، قد مهدت للمسيحية في بعض النواحي (١) ، لكنها شكلت صعوبة بالغة أمام الكنيسة المسيحية في نواحي جوهرية خاصة في فترة طفولتها ... حاول بعض المتنصرين من معتنقي هذه الفلسفات أن يجدوا تفسيراً للمسيحية على ضوء دياناتهم وفلسفاتهم القديمة أو قل ، إنهم حاولوا أن يوفقوا بين هذه وتلك ... فكانت أعراض الانحرافات اللاهوتية والعقيدية ، ومعها ظهرت الهراطقات بمفهومها الكامل ، التي أحدثت بلبلة فكرية كبيرة أقلق الكنيسة واتعبتها ... ولذا نجد القديس بولس يحذر المؤمنين في كولوסי قائلاً : « فكما قبلتم المسيح يسوع الرب ، اسلكوا فيه ، متأصلين ومبنيين فيه ، وموطنين في الإيمان كما علمتم متفاضلين فيه بالشكر . انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس ، حسب أركان العالم ، وليس حسب المسيح » (كور : ٢ : ٦-٨) .

(١) عن هذا الموضوع انظر : Smith, Dictionary of The Bible, Vol. 2, pp. 849 - 858.

كان الشيطان — عدو الكنيسة — دائماً وراء هذه البدع ، يستتر فيها ويحرض المنادين بها ... وكانت الكبرياء والاعتداد بالرأى تسير جنباً إلى جنب مع الهرطقات ... والهرطقة وإن كانت شراً ما في ذلك شك ، لكن الله أخرج منها خيراً للكنيسة . فقد دفعت هذه الانحرافات الإيمانية إلى البحث ، وحضت على الدفاع عن الإيمان المسلم مرة واحدة للقديسين (٢) .

خلاصة الهرطقات

هرطقات العصر الرسولي هي صور ممسوخة مشوهة (كاريكاتير) للمعتقدات السليمة ... ويمكن حصرها في ثلاث صور أساسية ، أخذت تتجدد ، وتعاود الظهور على مر العصور في تاريخ الكنيسة ، مع بعض تحويرات وتعديلات ... وهذه الصور الثلاث هي :

١ - التهود :

ويهدف أصحاب هذا الاتجاه إلى ربط أنفسهم بالناموس اليهودي القديم ، وإدماج المسيحية باليهودية ، بحيث يصبح الإنجيل هو الناموس القديم محسناً أو مكملًا . إنهم يعتبرون المسيح مجرد نبي ، أو موسى الثاني . وهم ينكرون أو يغفلون طبيعته الإلهية ووظائفه ككاهن وملك (٣) ...

كان هؤلاء المسيحيون المتهودون ، في حقيقتهم يهوداً ، وفي ظاهريهم مسيحيين بالاسم ... وقد مارسوا واثقوا ناموس موسى الأدبي والطقسى ، واعتبروه ملزماً لهم ، وأنه لازم للخلاص . ولم يفهموا المسيحية على أنها ديانة عامة مسكونية جديدة ، متحررة من الناموس القديم (٤) ...

(٢) انظر : مت ١٨ : ٧ ؛ أع ٢٠ : ٣٠ ؛ كو ١١ : ١٩ ؛ ١٤ : ١ ؛ ١ : ٢ ؛ بط ٢ : ١ - ٣ .

(٣) Schaff, Vol. 1, pp. 565, 566.

(٤) عن موضوع التهود بالتفصيل انظر الفصل الخاص به في هذا الكتاب ، وأيضاً :

Wuest, Galatians in the Greek N.T., pp. 11 - 23.

٢ - ومن الناحية المقابلة ، قام بعض الأئمن المتصرين ، وحاولوا الانفصال عن الماضي كلية ، وقطع أنفسهم عنه ، على عكس المسيحيين المتهودين . ومن هنا يمكن تسمية هذا النوع من الهرطقة [الهرطقة المتأمة] Paganizing Heresy أو [الغنوسية] Gnostic Heresy . واللفظ اليوناني غنوسيس Gnosis معناه (معرفة) ... والغنوسية هي محاولة فلسفية دينية ، رأت أن تطلق على ذاتها هذه التسمية ، لتعبر عن أنها لا تؤمن بالإيمان الأعمى ، بل تعتمد على العقل والمعرفة . لقد وضع الغنوسيون العقل فوق الإيمان ، والفلسفة فوق الدين ، وجعلوا الفكر الخالص رقيباً على الوحي ، يستطيع أن يرفض منه ما لا يقبله العقل ... وإن كانت الغنوسية لم تظهر كهرطقة في الكنيسة تحمل هذا الاسم إلا في القرن الثاني ، لكن جذورها ومبادئها وتعاليمها وجدت في العصر الرسولي . وهناك إشارات واضحة في رسائل الرسل إليها ، خاصة رسائل كولوسي وتيموثاوس الأولى وتيطس وبطرس الثانية ، ويوحنا الأولى والثانية وسفر الرؤيا في الرسائل الموجهة إلى أساقفة السبع كنائس (٥) .

وتتلخص الغنوسية (٦) في أنها محاولة فلسفية لتفسير الشر والخلاص منه ، مع رفض كتاب العهد القديم ... وهي تمجد العلم أكثر من اللازم ، وتقلل من شأن الإيمان ، وهكذا حولوا الإيمان إلى معرفة عقلية لله ... وحاولوا تفسير وجود الشر بالقول بالاثينية ، أي وجود أصليين للكائنات ، الروح الأعلى والمادة ، أو الخير والشر ... أما خلاص روح الإنسان المحبوسة في المادة (الجسد) فيكون — حسب تعاليمهم — إما بالتزام النسكيات الصارمة والابتعاد عن كل ما هو مادي بقدر الإمكان ، وإما بالإنغماس في كل ما هو شهواني ، زاعمين الانتصار على الحس بالإنغماس فيه ... أما عقيدتهم في المسيح ، فهي أنه خيال ، منكرين

(5) Schaff, Vol. 1, p. 566.

(٦) عن الغنوسية ومبادئها بالتفصيل ، انظر : Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 223 - 264.

ناسوته (٧) . وإلى هذه النقطة بالذات — إنكار ناسوته (٨) — أشار يوحنا الرسول في رسالتيه الأولى والثانية « كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد ، فليس من الله » (١ يوحنا : ٢ ، ٣) .

٣ - كما وجدت محاولات معاصرة لنشأة الكنيسة المسيحية ، لإدماج الديانة اليهودية في الفلسفة الوثنية ، بخاصة فلسفتي فيثاغورس وأفلاطون وقد قام بهذه المحاولات الفيلسوف اليهودي الاسكندري فيلو Philo في القرن الأول الميلادي ، وبعض جماعات المتعبدين من الثيرابوت Therapeutae والاسينيين وغيرهم . وأخذ هذا الخليط العجيب يظهر في المسيحية بالاسم المسيحي ، مكوناً إما يهودية مختلطة بالوثنية ، أو وثنية متهودة (٩) .

ومهما يكن الاختلاف بين هذه الأنواع الثلاثة من الهرطقات ، فإنها تكاد تصل في النهاية إلى إنكار واضح للحق الجوهرى في الإنجيل ، وهو تجسد ابن الله من أجل خلاص العالم . إنها تجعل من المسيح إما مجرد إنسان ، أو شخصية خيالية فائقة للطبيعة . وهى لا تعترف على أية الحالات بأى اتحاد حقيقى دائم بين اللاهوت والناسوت في شخص المسيح . وهذه هى العلامة التى وضعها يوحنا الرسول لضد المسيح (١ يوحنا : ٢٣ ؛ ٤ : ١-٣) . إنها تقوض أساس المسيحية بلا منازع . لأنه إذا لم يكن المسيح هو الله المتأنس والوسيط بين الله والناس ، فإن المسيحية تختفى غارقة في الوثنية أو اليهودية (١٠) .

(٧) فكرة إنكار الناسوت (الجسد) عند الفنوسيين ، مصدرها الاعتقاد القديم أن الجسد هو العنصر المادى الذى فسد بالشر . فكيف للمسيح القدوس الذى غلب الشر أن يأتى في جسد ؟!

(٨) سمى هؤلاء المنكرين لناسوت المسيح Docetics من الفعل اليونانى dokei أى لاح وبدا . أى أن المسيح لم يولد من لحم ودم ، ولم يكن له جسد ولم يتألم ، لكن (شبه لهم) — انظر :

Carrington, Vol. 1, pp. 308, 309

(9) Schaff, Vol. 1, pp. 566. 567.

(10) Schaff, Vol. 1, p. 567.

سيمون الساحر

أول ما نلتقى به في سفر الأعمال ، حيث نقرأ أنه كان « يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً إنه شيء عظيم . وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة . وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زماناً طويلاً بسحره » ... ثم لما أتى الرسولان بطرس ويوحنا إلى السامرة ليمنحا الروح القدس للمعمدين ، ورأى سيمون العجائب التي كانت تجرى على أيديهما ، قدم لهما دراهم قائلاً : « اعطيناني أنا أيضاً هذا السلطان ، حتى أى من وضعت عليه يدى يقبل الروح القدس » (١١) فانتهره بطرس قائلاً له : « لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم . ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر . لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله ... » (أع ٨ : ٩-٢١) .

هذا كل ما جاء عن سيمون في الإنجيل ... لكن التاريخ الكنسي والمعلمين الأوائل يذكرون سيمون على أنه رأس الهرطقة أو [منشئ كل بدعة] بحسب تعبير يوسابيوس المؤرخ (١٢) . وهكذا ذكره يوستينوس الشهيد في دفاعه الأول وذكره هيجيسبوس وإيريناوس وغيرهم .

أول من أمدنا بمعلومات عن هرطقة سيمون هو يوستينوس ، الذي كان هو الآخر سامرياً . لذا فإن روايته عنه لها وزن كبير ... يقول يوستينوس (١٣) أن معظم السامريين والبعض من البلاد الأخرى ، عبدوا سيمون كالإله الأول . وربط به امرأة تدعى هيلانة التي أدعى سيمون أن فكره الأول ennoia تجسد منها وكانت هيلانة هذه امرأة عاهرة تتجول معه .

(١١) السيمونية في الاصطلاح الكنسي — ويقصد بها الحصول على درجات الكهنوت مقابل المال — هي نسبة لسيمون الساحر .

(12) H.E., 2. 13. 6.

(13) 1 Apol., 26.

وَمَا قَالَه إِيرِينَاوُس (١٤) ، Sublimissima Virtus ذكر أعلى
وبفكر ennoia منبثق من هذا الإله الأعلى ، أنثى موازية له . وهذه خلقت الملائكة
الذين خلقوا العالم . وحبس هؤلاء الملائكة ennoia في جسم امرأة ، وأوقعوا بها
حسداً أنواعاً من الإهانات . وأن ennoia هذه هي هيلانة التي صارت زانية عاهرة
في مدينة صور ، وهي ما عبر عنها بالحروف الضال ، وأنه فداها وحررها .

وَمَا قَالَه سيمون أيضاً بحسب رواية القديس إِيرِينَاوُس ، أن الإله الأعلى أظهر
نفسه بصفة الابن يسوع بين اليهود ، وبصفة الآب بين السامريين في شخص
سيمون ، وفي بلاد أخرى بصفة الروح القدس .

الابيونية

الابيونية بدعة نادى بها فريق من المسيحيين المتهودين ... وإن كان هذا الاسم
الذي عرفوا به لم يظهر إلّا في القرن الثاني الميلادي ، لكنهم كانوا موجودين
مبادئهم منذ عصر الرسل . فلا شك أنهم خلفاء أولئك « الإخوة الكذبة » الذين
أشار إليهم بولس في (٢ كور ١١ : ٢٦ ؛ غل ٢ : ٤) ، والذين اقلقوا سلام الكنيسة
وخاصة في أنطاكية وغلاطية ، وقاوموا قانونية رسوليتهم ، وتعقبوه من مدينة إلى
أخرى ... ويذكر ابيفانيوس أنهم ظهروا بعد خراب أورشليم سنة ٧٠ م ، بين جماعة
اليهود المتنصرين الذين لجأوا إلى بلا Pella قبيل خراب أورشليم ، وانتشرت
أفكارهم في فلسطين والأقطار المجاورة ، ومراكز الشتات ، بل وبلغت روما (١٥) .

أقدم ما وصلنا عنهم ذكره يوستينوس الشهيد في حوارهم مع تريفو اليهودي حوالي
منتصف القرن الثاني (١٦) ... وإن كان يوستينوس ذكر مميزاتهم دون اسمهم

(14) Against Heresies, 1. 23.

(15) Daniélou, Vol. 1, pp. 56, 57.

(16) Dial., 48

(ابيونيين) لكن إيريناوس (١٧) وأوريجينوس (١٨) ويوسابيوس (١٩) المؤرخ يؤكدون أن تلك المميزات التي ذكرها يوستينوس ليست سوى مميزات الابيونيين ..

والاسم [ابيونيون] من العبرانية أبيونيم وتعنى فقراء أو مساكين . وهذه التسمية إما أطلقوها هم على أنفسهم لينالوا الطوبى التى أعطاها السيد المسيح للمساكين بالروح ، وإما أطلقها المسيحيون عليهم لأنهم فقراء ومساكين فى أفكارهم (٢٠) .

أما عن أفكارهم ومبادئهم ، فهم فريقان بين متزمت ومعتدل : فالفريق المتزمت يحفظون ناموس موسى حفظاً حرفياً ، ويقصدون السبت ، ويعتبرون الختان لازماً للخلاص (٢١) . وأوجبوا على المسيحيين حفظ الناموس القديم كشرط لخلاصهم . ومن جهة إيمانهم فى المسيح ، فقد أنكروا لاهوته وأزليته ، ورفضوا إعتباره اللوغوس أو كلمة الله وحكمته ، وأنكروا ميلاده المعجزى من العذراء مريم ، واعتبروه إنساناً عادياً كسائر البشر ولد حسب الطبيعة من يوسف ومريم ، وأنه هو النبى الذى تنبأ عنه موسى . ورفضوا الاعتقاد أن المسيح خضع للموت . كما اعتقدوا فى مجيئه الثانى فى مجد ملكى . وأنه يعد لنفسه ولا تباعه — ولا سيما من أتقياء اليهود — مُلكاً ألفياً (٢٢) ...

والفريق المعتدل يحفظون ناموس العهد القديم ، لكنهم لا يلزمون به الجميع ، ولا يتعصبون ضد مَنْ يرفضون حفظه . وكانوا يحتفلون بيوم الأحد ، ولا يعترضون على آلام المسيح وموته ، ولا ينكرون ولادة المسيح من العذراء بغير زواج ، وإن كانوا يشتركون مع المتزمتين فى إنكار لاهوت المسيح وأزليته (٢٣) .

(17) Against Heresies 1. 26. 2.

(18) Contr. Cels., 2. 17.

(19) H.E., 2. 27. 1 - 2.

(٢٠) أنبا أغريغوريوس ، مذكرة عن الأبيونية لطلبة الكلية الإكليريكية .

(٢١) انظر أع ١٥ : ١ .

(٢٢) أنبا غريغوريوس ، مذكرة عن الأبيونية لطلبة الكلية الإكليريكية .

وثمة فريق ثالث من الاربونيين ، كان للاسينيين والغنوسيين تأثيرات واضحة على أفكارهم واتجاهاتهم ... وفيما كتبه القديس بولس (كو ٢ : ٨-٢٣) إشارة إلى الميول الغنوسية التي تتمثل في التأملات التصوفية والنسكيات الصارمة ... وإلى هذا الفريق تنسب بعض المؤلفات المزورة كالإكليمنضيات التي نسبها للقديس كليمنضس الروماني ، وهي مليئة بعبارات التمجيد للرسولين بطرس ويعقوب أخى الرب (٢٢) .

النيقولاويون

أشار إليهم سفر الرؤيا مرتين ... فى الأولى مدح الرب أسقف كنيسة أفسس لأنه يبغض « أعمال النيقولاويين » (رؤ ٢ : ٦) ، وفى الثانية تحذير ووعد لأسقف كنيسة برغامس لأن من بين رعيته مَنْ هو متمسك بتعاليمهم (رؤ ٢ : ١٥ ، ١٦) .

ويؤكد المؤرخون واللاهوتيون القدماء أن هؤلاء النيقولاويين هم أتباع نيقولاوس الدخيل الأنطاكي أحد الشمامسة السبعة (٢٣) (أع ٦ : ٥) ... ولقد ذهب البعض إلى أن النيقولاويين هم عينهم أتباع بلعام ، إستناداً إلى أن نيقولاوس باليونانية وبلعام بالعبرية هما بمعنى واحد (٢٤) ... لكن واضح من سفر الرؤيا أن السيد المسيح يكلم أسقف برغامس عن هرطقتين متميزتين .

ومعلوماتنا عن النيقولاويين ضئيلة للغاية . فقد قيل إنهم أباحوا أكل ما يذبح للأوثان ، وشجعوا العبادة الوثنية . كما اتهموا بإنكارهم أن الله هو الذى خلق العالم ، وبنسبتهم عمل الخلق إلى قوى أخرى . كما نسب إليهم أنهم نادوا بمبدأ الإختلاط بالنساء فى غير إرتباط بالزوجية ، وأنهم كانوا يعيشون حياة خليعة مستترة (٢٥) .

(23) Iranaeus; against Heresies, 1. 26. 23; Eusebius, H.E., 3. 29. 1.

(24) Daniélou, Vol. 1, p. 59.

(٢٥) أنبا غريغوريوس ، مذكرة فى اللاهوت المقارن لطلبة الإكليريكية .

وثمة رواية شائعة عن نيقولاوس رواها إبيفانيوس ، وهى أن نيقولاوس كان متزوجاً بامرأة ذات جمال بارع ، كان يهيم بحبها . فلما أصبح مسيحياً ، أراد أن يسلك حياة العزوبة لأفضليتها ، فانفصل عن زوجته بعد أن اتفق معها . لكنهما ما لبثا أن عادا وعدلا عن حياة الفرقة ، واستأنفا حياتهما الزوجية ... فلما رأى نيقولاوس سلوكه منتقداً ، أراد أن يبرر نفسه ، فأخذ ينادى بتعاليم منافية للحق وللطهارة ، وأسلم ذاته لحياة الشر والخلاعة ، واقتدى به غيره . وهكذا تكونت منهم طائفة ... وقد صادق على هذه الرواية بعض آباء الكنيسة وعلمائها الأوائل من أمثال إيريناوس وترتليانوس وإيلارى أسقف بواتييه وإيرينيوس وغريغوريوس أسقف نيقية .

Cerinthus



كان يهودياً متنعراً ، تحكم بحكمة المصريين ، قدم أورشليم فى زمان الرسل ، وأقام فيها بعض الوقت ، ثم إنتقل إلى قيصرية فلسطين فأنطاكية ، وعلم فيها ، وحط رحاله أخيراً فى أفسس التى كانت حقل خدمة يوحنا الرسول .

يخبرنا عنه إيريناوس أنه كان معاصراً للقديس يوحنا الرسول (٢٦) .. ويخبرنا إبيفانيوس أنه يهودى متنعصر تمسك بالختان والسبت ، وأنه — بعد قيامة المخلص — انتظر مملكة المسيا الأرضية بصورة مادية خالصة (٢٧) .

وقد علم كيرينثوس أن العالم لم يخلقه الله ، بل قوة خارجة عن الإله الأعلى ، وأن إلهاً آخر الذى هو إله اليهود ، أعطى الشرائع والناموس . وأن الرب يسوع ولد من يوسف ومريم — ولم يكن سوى إنساناً بارزاً — وحل عليه المسيح فى صورة حمامة عند عماده ، آتياً من الإله الأعلى ، حتى ما يعلن عن الآب غير المعروف ، وأكد ذلك بالمعجزات التى صنعها . أخيراً فارق المسيح الإنسان يسوع قبيل الآلام والصلب ، وبعد ذلك تألم يسوع وقام ثانية ... والمسيح — والحال هذه — لم يكن

(26) Against Heresies, 3. 3. 4.

(27) Eusebius; H.E., 3. 28.

في نظر كيرينثوس سوى نبي عظيم حلت عليه قوة الله (٢٨) ... ويربط ابيفانيوس بين كيرينثوس والابيونيين .

ويقول يوسابيوس المؤرخ - نقلاً عن ديونيسيوس البابا الاسكندري - أن كيرينثوس كان [منغمساً] في الملذات الجسدية ، وشهوانياً جداً بطبيعته . وتوهم أن الملكوت سوف ينحصر في تلك الأمور التي أحبها - أى في شهوة البطن والشهوة الجنسية (٢٩) ... وينسب له إيريناوس أوصافاً أشد قبحاً من ذلك . ويكفي لإظهار ذلك ، ما رواه إيريناوس عن يوحنا الرسول ، من أنه (يوحنا) دخل ذات مرة حماماً ليستحم . وإذ علم بوجود كيرينثوس فيه ، قفز فازعاً وخرج مسرعاً لأنه لم يطق البقاء معه تحت سقف واحد . ونصح مرافقيه أن يقتدوا به قائلاً لهم : [لنهرب لئلا يسقط الحمام ، لأن كيرينثوس عدو الحق موجود داخله] .

Menander



يذكر هيجسبوس الميناندرين ضمن الهرطقة (٣٠) ... ويذكر يوستينوس (٣١) أن ميناندر كان سامرياً وتلميذاً لسيمون الساحر ، وأنه أتى إلى أنطاكية وخدع كثيرين بسحره ... وفيما ذكره يوستينوس ، أن ميناندر مارس السحر في بادئ الأمر ، وهي ظاهرة مميزة للغنوسيين السامريين . فالغنوسية لم تكن لاهوتاً خالصاً ، لكنها كانت أيضاً نوعاً من الشعوذة . ويشير يوسابيوس إلى أن ممارسات السحر هذه ساعدت الأوساط الوثنية على أن تفقد ثقتها في المسيحيين ... وكان لهذا الأمر أسوأ الأثر ، حتى أن لوسيان وكلسوس عدوى المسيحية اللدودين في القرن الثاني ، يدعون أن المسيح نفسه كان ساحراً .

وبناء على ما أورده يوستينوس ، فقد علم ميناندر أن مَنْ يتبعه لن يموت ...

(28) Iranacus; Against Heresies., 1. 26.

(29) H.E., 3. 28.

(30) Eusebius; H.E., 4. 22. 5.

(31) Apol., 26.

وإيريناوس يذكر أن ميناندر ادعى أن المخلص المرسل من فوق من عالم الأيونات
Aeons غير المرئية، حتى ما يخلص البشر^(٣٢). فبواسطة المعمودية التي يمنحها هو،
يصير الإنسان أعلى من الملائكة المخلوقين.

ويمكن القول ان ميناندر هو الذى أعطى مبادئ وتعاليم سيمون صفة
الغنوسية، وقد مارس نشاطه واتسع نفوذه فى أنطاكية بين سنتى ٧٠، ١٠٠ م.
وبواسطته إنتشرت الغنوسية فى غربى سوريا، التى أصبحت فيما بعد إحدى
مراكزها الرئيسية^(٣٣)...



(32) Ado, Haer., 1. 23.

(33) Daniélou, Vol. 1, pp. 61, 67.

كتاب العهد الجديد

ما أن قال رب المجد يسوع لتلاميذه قبيل صعوده : « إذهبوا إلى العالم أجمع ، وكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) ، حتى انطلقوا للكراسة إتماماً لهذه الوصية ، بعد أن نالوا وعد الروح القدس ، قوة من الأعالي ... وبدأوا يذيعون إنجيل الخلاص ... وهكذا تأسست الكنيسة بالتعليم الشفوى والوعظ الشخصى ، بكراسة وشهادة وتقليد الرسل وتلاميذهم ...

وإذ إتسع حقل الرسل الكرازي ، تطلب الأمر إتصال الرسل بالكنائس التى أسسوها بواسطة الرسائل ... وتطلب الأمر — لحاجة الأجيال القادمة — سجلاً إيمانياً عن حياة السيد المسيح وتعليمه ، من شهود أمناء موثوق بهم . فالتقليد الشفوى بين البشر العاديين ، غير المعصومين من الخطأ ، عرضة لتغيرات على مدى السنين والأجيال ، تفقده صحته وصدقه ، كلما ابتعد عن مصدره الأصلي ... وفى النهاية يصبح من العسير معرفة الأخطاء والإضافات التى تتراكم فوقه ... كما كان هناك احتمال خطر كبير فى التحريف والتشويه العمدى للتاريخ والعقيدة المسيحية ، بواسطة الهراطقة لا سيما المتهودين ومن لهم ميول وثنية ، بل ومن أعداء المسيحية ... إذن فقد أصبحت كتابة سجل يحوى كلمات وتعاليم وأعمال الرب يسوع وتلاميذه فى غاية الأهمية والضرورة ، ليس لتأسيس الكنيسة ، بل لحفظها من أى انحراف ...

ومن هنا كتب رسل المسيح سبعة وعشرين سफراً بإرشاد الروح القدس . كُتِبَ معظمها بين عامى ٥٠ ، ٧٠ ، باستثناء إنجيل يوحنا ورؤياه ورسائله فقد كُتِبَ بعد ذلك ... وهذه الأسفار تقدم لنا صورة موثوقاً بها لتاريخ وإيمان وممارسات الكنيسة الأولى ... « للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب ، الذى فى البر » (٢تى ٣ : ١٦) .

كانت مهمة الكنيسة الأولى هي جمع هذه الكتابات في قانون ، لتصبح متميزة عن الكتابات الابوكريفا أو الكتابات المنسوبة زوراً للرسول ، وحتى عن الكتابات الأرثوذكسية لكنها نتاج بشرى خالص وليس بالهام الروح القدس ...

وهي في قيامها بهذه المهمة كانت مسوقة ومرشدة بروح الله وإحساس بالحق ... وقد بدأ هذا العمل منذ القرن الأول المسيحي . وهذا واضح مما ذكره بطرس الرسول في رسالته الثانية مشيراً إلى رسائل القديس بولس « كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً ... كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور » (٢ بط ٣ : ١٥ ، ١٦) ... وكانت هذه الكتب المقدسة معروفة ومتداولة في الكنيسة كلها وعلى المستوى العام منذ النصف الأول من القرن الثاني الميلادي ...

والكتابات الرسولية على ثلاثة أنواع : تاريخية ، وتعليمية ، ونبوية ... والبشائر (الأناجيل الأربعة) ، وسفر أعمال الرسل ، تتبع النوع الأول والرسائل تتبع النوع الثاني ، وسفر الرؤيا يتبع النوع الثالث ... في الأناجيل نرى يسوع المسيح في صورته الجسدية يسير على الأرض ويكمل عمل الفداء ، وفي الأعمال والرسائل نراه يؤسس الكنيسة ويملاها ويقودها بروحه . وفي رؤيا يوحنا ، يظهر في مجده مع عروسه — كنيسة القديسين — يملك إلى الأبد في الأرض الجديدة ، في مدينة الله ...

والآن نتقدم لنعرض في عجالة لأسفار العهد الجديد (٣٤) ... على أنه لا يدخل في نطاق بحثنا في هذا الكتاب ، كتابة مقدمات للأسفار ، أو إثبات صحتها من الداخل ، لكننا فقط نلقى بعض الضوء عليها ونعرض للشهادة التاريخية لها ، وأنها رسولية .

(٣٤) انظر المقالات الخاصة بكتاب العهد الجديد وعن كس سفر من أسفاره في :

Smith, Dictionary of the Bible (4 volumes).



المسيحية ديانة البهجة ، ومعها يأتى الفرح والسلام من السماء إلى الأرض ... يفتح كتاب العهد الجديد بالأناجيل ... وإنجيل من الكلمة اليونانية وتعنى البشارة المفرحة بالمسيح وخلاصه . والأناجيل الأربعة ليست سوى تنوعات لنفس الموضوع ، ووصف رباعى لنفس الشيء ، هكذا يصفها ويتكلم عنها إيريناوس (٣٥) ... هى ليست سيرة كاملة لحياة السيد المسيح (٣٦) بل مجرد مذكرات أو مختارات لملامح هامة فى حياة السيد المسيح وعمله ، كما تأثر بها كل إنجيلي ، وناسبت غرضه الذى لأجله كتب ، ومن وجه إليهم الإنجيل . وهكذا فإن يوستينوس الشهيد فى دفاعيه المكتوبين حوالى منتصف القرن الثانى يدعو الأناجيل مذكرات عن المسيح أو الرسل . فكل واحد من الإنجيليين وصف السيد المسيح من وجهة نظره ، ومن زاويته الخاصة ، وكتب حسب حاجة من كتب إليهم . لكن الإنجيليين الأربعة يقدمون قصة المسيح كاملة ...

والأناجيل أربعة فقط ... هكذا اعترفت الكنيسة وعلمت منذ تاريخها المبكر . وطبقت رؤيا حزقيال فى العهد القديم التى رأى فيها الأربعة حيوانات ، وكذا رؤيا يوحنا فى العهد الجديد عن الأربعة حيوانات غير المتجسدين (٣٧) أيضاً وقالوا إن الإنسان والأسد والثور والنسر تشير إلى الإنجيليين متى ومرقس ولوقا

(35) Against Heresies, 3. 11. 8.

(٣٦) يو ٢٠ : ٣٠ بالمقارنة مع ٢١ : ٢٥ .

(٣٧) حزقيال ١ : ١٥ ؛ ١٠ : ١ ؛ ١١ : ٢٢ ؛ رؤى ٤ : ٦ - ٩ ؛ ٥ : ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ ؛ ٦ : ١ ؛ ٣ : ١١ ؛ ١٤ : ٣ ؛ ١٥ : ٧ ؛ ١٩ : ٤ .

[illegible]

صفحة من الكتاب المقدس - النسخة الاسكندرانية (عن الإنجيل المحفوظ بالمتحف البريطاني).

ويوحنا على التوالى وقد كتب إيريناوس (٣٨) بإسهاب عن هذا الموضوع ، وقال أوريجينوس : [إن الأناجيل الأربعة هى الوحيدة التى لانزاع بشأنها فى كنيسة الله تحت السماء] (٣٩) .

كتب متى إنجيله لليهود ، ومرقس للرومان ، ولوقا لليونانيين ، ويوحنا للمسيحيين المتقدمين .

إنجيل متى يقدم يسوع الناصرى كالمسيا ، معطى ناموس الملكوت السماوى ، الذى يطلب طاعتنا . وإنجيل مرقس يقدمه كالغازى القوى صانع العجائب الذى يثير دهشتنا . وإنجيل لوقا يقدمه كصديق ومخلص للبشر الذى يطالبنا بثقتنا . أما يوحنا فيقدمه كابن الله الأبدى ، الذى صار جسداً لأجل خلاصنا ، ويطالبنا بالسجود والعبادة ، حتى إذا آمنا به ننال حياة أبدية ... هكذا حرك روح الله هؤلاء الإنجيليين ، وكتبوا دون إتفاق سابق أو توافق من أجل إحتياجات البشر .

بالنسبة لتاريخ كتابة الأناجيل ، فمن العسير إن لم يكن من المستحيل ، تحديد سنة كتابة كل إنجيل على وجه التحديد . لكن الشهادات الخارجية والأدلة الداخلية والنظريات العلمية الحديثة تحدد الستينات من القرن الأول للأناجيل الثلاثة الأولى ، قبل خراب أورشليم ، والتسعينات لإنجيل يوحنا ... فالأناجيل الثلاثة الأولى تتكلم عن خراب أورشليم كشيء لم يحدث لكنه وشيك الوقوع . ولو كان الإنجيليون كتبوا بعده ، لأشاروا حتماً إلى ذلك . فخراب أورشليم وهيكلها حدث ضخم لا يمكن تجاهله أو نسيانه .

هناك إجماع عام الآن بين العلماء على أن بشارة مرقس هى أقدم البشائر الأربعة . وتليها بشارة متى ثم بشارة لوقا . وهناك إحتمال — بناء على رواية بابياس (٤٠) وغيره من آباء الكنيسة وعلمائها — أن يكون متى كتب إنجيله أولاً باللغة الآرامية وفقد هذا الأصل الآرامى وذاعت الترجمة اليونانية ، لكننا لا نعرف

(38) Against Heresies; 3. 11. 8.

(39) Eusebius, H.E., 6. 25. 4.

(40) Eus., H.E., 3. 39. 16.

مَنْ نقل بشارة متى إلى اليونانية ، أو متى تم ذلك . أما لوقا فلا بد وأن يكون قد كتب قبل سنة ٦٥ ، إذ أنه يشير في فاتحة سفر أعمال الرسل إلى هذا الإنجيل بقوله : « الكلام الأول » (أع ١ : ١) ... وإذا كان سفر أعمال الرسل الذى ينتهى عند أسر بولس الأول فى رومية (٦١ - ٦٣) ، قد كُتِبَ قبل إستشهاد بولس ، فلا بد وأن يكون الإنجيل قد كُتِبَ قبل ذلك ... أما إنجيل يوحنا ، فقد كُتِبَ آخرأ بعد مخراب أورشليم ، وذلك بشهادة التقليد العام ، والبشارة نفسها . ويرجح أنه كُتِبَ أواخر القرن الأول .

والأنجيل الأربعة تقدم لكل قارئ غير متحيز ، الدليل على صدقها الخالص . فهى تروى القصة بدون أى زخرف بيانى ، أو فصاحة لغوية ، بدون أى تعجب أو غرابة أو إعجاب ، بدون أية ملاحظة أو تعليق ... إنها تسجل بأمانة وصراحة ضعفات التلاميذ وسقطاتهم ، بما فى ذلك أنفسهم ... وتوبيخات السيد التى وجهها إليهم لثقل فهمهم الجسدى ، وحاجتهم إلى الإيمان ، جنبهم وانفضاضهم من حوله فى ساعة التجربة والشدة ، يأسهم بعد الصلب ، إنكار بطرس وخيانة يهوذا ...

والأنجيل لم تخف شيئاً ، ولم تعتذر عن شيء ، ولم تبالغ فى شيء ... وكاتبوها لم يهتموا بسمعتهم الخاصة ، بل أمسكوا عن ذكر أسمائهم ... كانت مهمتهم الوحيدة هى أن يرووا قصة الرب يسوع التى تحمل فى ذاتها قوة لا تقاوم ، وبهجة وإعجاب لكل قلب قارئ محب للحق .

BIBLOS ENECECEITAI TAUTAYIA
 ABRAHAM SPAAM - PERHINCEN TO
 JOALY - PERHINCEN TAKE
 ADET - INCEN TO TO AAN
 HAPHOAYTOYIOYD - EET
 HONTOYHARCKINTONARECKTHCOA
 APOAREDEEENHINCEN TOYCOA
 HARECE - HAREENHINCEN TOYCOA
 AT - HINCEN TOYCOA - HARE
 A - HAREENHINCEN TOYCOA
 HA - HAREENHINCEN TOYCOA
 HAREENHINCEN TOYCOA
 THORATASBAYDE - HAREENHINCEN TOYCOA
 WBHAREKTAH - HAREENHINCEN TOYCOA
 CENTON - HAREENHINCEN TOYCOA
 TOYCOA - HAREENHINCEN TOYCOA
 HAREENHINCEN TOYCOA
 LOYHAREENHINCEN TOYCOA
 HAREENHINCEN TOYCOA
 EIT - HAREENHINCEN TOYCOA
 HAREENHINCEN TOYCOA
 HAREENHINCEN TOYCOA
 HAREENHINCEN TOYCOA

جزء من بردية تحوى إنجيل متى ، ترجع إلى القرن الثالث ، عُثر عليها في البهنا (محافظة بنى سويف) محفوظة في متحف جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .



واضح أن إنجيل متى كتب لليهود ، ولليهود المتنصرين ... وهدفه إثبات أن يسوع الناصري هو المسيا الموعود به ، رئيس الكهنة وملك إسرائيل ...

لذا ، فهو يذكر المواضع والعادات اليهودية دون تفسيرها كما نرى في البشائر الأخرى ... ويتكلم عن مدينة أورشليم ، والكهنوت اليهودي والذبائح والممارسات الطقسية اليهودية (٤١) ... وهو الإنجيل الوحيد الذى سجل كلمات المسيح أنه ما جاء لينقض الناموس والأنبياء ، وأنه لم يرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (٤٢) ...

ويعتبر هذا الإنجيل حلقة الوصل بين العهد القديم والجديد ... أنه بمثابة إنذار « يهوه » النهائى لشعبه القديم : آمنوا أو استعدوا للهلاك !! تعرفوا على المسيا فى شخص يسوع ، أو انتظروه قاضياً لكم !! ومن هنا فإن متى كثيراً ما يشير إلى إكمال النبوات عن المسيا بعبارته المألوفة « لكى يتم ما قيل بالنبي القائل » أو « حينئذ تم » (٤٣) .

وتحقيقاً لهذا الهدف بدأ متى إنجيله بذكر نسب المسيح الجسدى ، مثبتاً أنه ابن ووارث داود الملك ، وإبراهيم الأب ، وأنه من جنس اليهود ، الذى عنه أعطيت

(٤١) انظر مت ٥ : ٣٥ ، ٢٣ : ١ ، ١٦ : ٢٤ ، ١٥ : ١٥ .

(٤٢) مت ٥ : ١٧ ، ١٥ : ٢٤ .

(٤٣) وردت العبارة الأولى عشر مرات فى إنجيل متى ١ : ٢٢ ، ٢ : ١٥ ، ٢٣ : ٤ ، ١٤ : ٨ ، ١٧ : ١٢ ، ١٧ : ١٣ ، ٢١ : ٢١ ، ٢٤ : ٢٦ ، ٢٧ : ٣٥ — ووردت العبارة الثانية مرتين فى (٢ : ١٧ ، ٢٧ : ٩) ولم تردان فى مرقس ولوقا ، ووردت ٦ مرات فقط فى يوحنا .

المواعيد ، وأن الهروب إلى مصر والعودة منها كملجأ هي إكمال لتاريخ إسرائيل التقليدي ... والعظة على الجبل تقابل تشريع سيناء . وأساسها ، بل ومحور كل البشارة ، أن المسيح جاء ليكمل الناموس والأنبياء ، وأن المسيحية أسمى من اليهودية ... ويتكلم متى عن ملكوت السموات الذي جاء المسيح ليؤسسه في العالم ... ويذكر هذا التعبير « ملكوت السموات » حوالي ٣٢ مرة ، بينما يتكلم باقي الإنجيليين عن « ملكوت الله » .

الشهادات التاريخية عنه (٤٤) :

• كان إنجيل متى معروفاً لكاتب كتاب « تعليم الرسل الاثني عشر » المعروف باسم Didaché الذي كتب بين سنتي ٨٠ ، ١٠٠ م ، واقتبس منه كثيراً ، خصوصاً العظة على الجبل .

• كاتب رسالة برنابا ، التي كتبت بين سنتي ٧٠ ، ١٢٠ م ، اقتبس من إنجيل متى إقتباسات واضحة (٤٥) .

• بابياس أسقف هيرابوليس (٧٠ — ١٥٥ م) بمقاطعة فيريجيا بآسيا الصغرى ، صديق بوليكرابوس ، وأحد الذين استمعوا إلى يوحنا الرسول يشهد بوجود إنجيل متى ، فيقول في كتابه « تفسير أقوال الرب » [وهكذا كتب متى الأقوال الإلهية باللغة العبرانية (يقصد الآرامية) وفسرها كل واحد على قدر استطاعته] (٤٦) .

• وموضوع وجود إنجيل لمتى الرسول بالآرامية لا يستند فقط إلى رواية بابياس ، بل تأيد بشهادة آباء وعلماء لهم مكانتهم مثل إيريناوس (٤٧) ،

(44) Salmon; A Historical Introduction to the Study of the Books of the New Testament, pp. 152 - 174; Schaff, Vol. 1, pp. 621 - 627.

(٤٥) قارن فصل ٤ ، • من رسالة برنابا مع مت ٢٢ : ١٤ ، ١٣ : ١٣ .

(46) Eusebius, H.E., 3. 39. 16.

(47) Against Heresies, 3. 1. 1.

وبنتينوس (٤٨)، وأوريجينوس (٤٩)، ويوسابيوس (٥٠) وكيرلس الأورشليمي
واييفانيوس وأيرونيموس (جيروم).

discipline scriptas sunt periret in ad
laude ceteris alia ad alexandrinus paulino
in ne pincte adhesionem marcionis et alia plu
ra quae in catholica ecclesia non recipi non
potest. Felicitas enim cum in cellis misceri non con
cruit epistolas avelude et super inscriptione
lohanis duas in catholica habentur et super
entia ab amicis salomonis in uxore ipsius
scripta apocalypse etiam lohanis et po
tritantum recipimus quam quidam ex
tuis legi in ecclesia nolunt pastorem
nuperum et temporibus nostris in uide
roma herma conscripsit sedente cathe
dra urbis romae ecclesiae praeeps frater
eius et id est legimus quidam. Oportet se pu
blicare uero in ecclesia populo. Neque in ter
profectas completum numero. Neque in ter
apostolos in fine temporum potest.
Arisi nos autem sequelemini uel in teria
nihil innotum recipimus. Qui etiam noui
psalmodum librum marcionis conscripse
runt. Unum cum basilide assianum cataph
cum continetorem
ABRHAM NUMERAVIT SEU UOLUS SUOS UER
NACULUS ET CUM AB ECEPHUS DECEPERIT
UERIS ADEPTUS VICTORIAM LUERAT. QUAE
PUEUATUR DIUISIONIS ADEPTUS. QUAE
CUM AB ECEPHUS DECEPERIT. UTRUMQUE NEUCLUS DECE
PERIT. QUAE PERICULUM. QUAE EST. QUAE DECEPERIT. QUAE
EST. LEGIT. QUAE EST. QUAE NON SOLUS DECEPERIT
QUAE EST. QUAE DECEPERIT. QUAE EST. QUAE DECEPERIT.

وثيقة موراتوري مثبت فيها الأسفار المقبولة كأسفار قانونية ويرجع تاريخها على الأقل
إلى سنة ١٧٠ م

(48) Eusebius, H.E., 5. 10.

(49) Eusebius H.E., 6. 25.

(50) H.E., 3 - 24.



بإجماع الكنيسة الأولى ، مؤيداً بالأدلة الداخلية من الإنجيل ، كتب مرقس إنجيله في روما ، ولقراء من الرومان وإن كان البعض — ومنهم يوحنا ذهبي الفم — قالوا إنه كتبه بمصر^(٥١) . إن كان إنجيل متى هو إنجيل أقوال الله المقدسة ، فإن إنجيل مرقس هو إنجيل أعماله الفائقة الباهرة . ونلاحظ على مرقس أنه يروى أقوالاً قليلة ، ويسجل معجزات كثيرة . هو يسط حياة الرب العامة في صور حياة قصيرة في تتابع سريع ، ويركز على المظهر الخارجى ... على الشخصية صانعة العجائب التى تثير إهتمام جماهير الرومان ... وبينما يكتب متى لقرائه من اليهود مثبتاً أن المسيح هو من نسل داود الملك ويجذب إنتباههم إلى إتمام النبوات ، نجد مرقس يكتب للأمم ، ويبدأ إنجيله هكذا « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » ... ويندر أن يقتبس من نبوات العهد القديم ، ويترجم لقرائه من الرومان الكلمات الآرامية والعوائد والأفكار اليهودية^(٥٢) ...

إن الهدف الخاص لهذا الإنجيل هو إظهار المسيح فى قوته الإلهية ، منبذاً أعمال إبليس ، قاهراً الخطية والموت ... وهذا الإنجيل — أكثر من أى إنجيل آخر — يبرز أمامنا عمل المسيح لأجل المقبوض عليهم من إبليس ، والمقيدين بقيوده ، ويعانون من نتائج الخطية ... نحن نرى فيه الأسد الخارج من سبط يهوذا ظافراً ، ويظفر دائماً . ومرقس هو الوحيد بين الإنجيليين الذى يتكلم عن ملكوت الله على أنه آت دائماً .

(٥١) يذكر يوحنا ذهبي الفم أنه كتبه فى مصر (تفسير لإنجيل متى مقاله ١ : ٧) لكن يبدو أن هذا الرأى ليس له من يؤيده كثيراً ..

(٥٢) انظر : مر ٣ : ١٧ ؛ ٥ : ٤١ ؛ ٧ : ١ - ٤ ، ١١ ، ٣٤ ؛ ١٢ : ١٨ ؛ ١٥ : ٦ ، ٣٤ .

بقوة (٩ : ١) ... ومن هنا فإن هذه البشارة دلالة خاصة للكنيسة في كل عصورها . إنها تعطيها تأكيداً مباركاً أن مستقبلها في يد ذاك الظافر المنتصر ، القادر أن يخلص إلى التمام كل من يؤمن به .

الشهادات التاريخية عنه :

إن قانونية إنجيل مرقس تاريخياً لا يرقى إليها أدنى شك ... ذكره بابياس^(٥٣) ، واقتبس منه بعض الآباء الرسولين ، ويوستينوس الشهيد ، كما شهد له الثلاثة العلماء الكبار في أواخر القرن الثاني ، وهم إيريناوس^(٥٤) وإكليمنضس الاسكندري^(٥٥) ، وترتليانوس ، وأوريجينوس^(٥٦) ، كما إقتبس منه آخرون على أنه كلام الله ، دون أن يذكروا اسمه ... وبالجمل ، فلا يوجد أى ظل من الشك بخصوص هذا الإنجيل في الكنيسة الأولى^(٥٧) .

هل إنجيل مرقس هو مذكرات بطرس وعظاته ؟

تعتقد كنيسة القبطية أن القديس مرقس الإنجيلي هو أحد السبعين رسولاً الذين عينهم الرب (لو ١٠ : ١) ومن ثم تدعوه « ناظر الإله الإنجيلي مرقس الرسول » ... لكن هناك محاولة لتجريد مرقس من الرسولية ، وجعله مجرد تابع لبطرس الرسول آمن على يديه ، لأن بطرس في رسالته الأولى يدعوه ابنه (١ بط ٥ : ١٣) ... وقالوا عن إنجيله إنه ليس إلا ملخصاً لعظات بطرس الرسول في روما ...

(53) Eusebius H.E., 3. 39. 15.

(54) Against Heresies, 3. 1.

(55) Eusebius, H.E., 2. 15.2.

(56) Eusebius, H.E., 6. 25. 5.

(57) Berkhof; N.T. Introduction; p. 88.

ومصدر كل هذه القصة ، رواية رواها بابياس أسقف هيرابوليس في مقاطعة فريجييا في كتابه «تفسير أقوال الرب» ، الذى فقد ، لكن إحتفظ لنا يوسابيوس في تاريخه ببعض فقرات منه ... ونظراً لأن بابياس كتب متقدماً (في النصف الأول من القرن الثانى) ، فقد أخذ عنه مَنْ جاءوا بعده من الآباء والعلماء ... ورواية بابياس كما سجلها يوسابيوس هي :

هذا ما يقوله (يوحنا) أيضاً : [أن مرقس إذ كان يترجم لبطرس كتب بدقة ، ولو من غير ترتيب ، كل ما تذكره عما قاله المسيح أو فعله . لأنه لا سمع الرب ولا تبعه ، ولكنه فيما بعد — كما قلت — تبع بطرس الذى جعل تعاليمه وفق إحتياجات سامعيه . ولم يقصد (بطرس) أن يروى سيرة متصلة لكل أحاديث الرب . ولهذا فإن مرقس لم يرتكب أى خطأ ، لأنه دون ما تذكره . لأنه كان حريصاً على أمر واحد : ألا يغفل شيئاً مما سمع ، وأن لا يقرر أى شيء خطأ] . هذه هي رواية بابياس (٥٨) ...

ويوسابيوس المؤرخ الذى دون لنا رواية بابياس السابقة في موضع آخر من تاريخه — يقول — بعد أن أشار إلى كرازة بطرس في روما وأنه خلب بها عقول أهلها ... [توسلوا بكل أنواع التوسلات إلى مرقس — أحد تابعى بطرس — والذى لايزال إنجيله بين أيدينا ، لكى يكتب لهم أثراً مكتوباً عن التعاليم التى سبق أن وصلتهم شفويّاً . ولم يكفوا حتى تغلبوا على الرجل . وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذى يحمل اسم مرقس . ويقولون أن بطرس عندما علم بوحي من الروح بما حدث ، سرته غير هؤلاء الناس ، وأن السفر نال موافقته لاستعماله في الكنائس . وقد أيد هذه الرواية إكليمنضس في الكتاب الثامن من مؤلفه « وصف المناظر » ، واتفق معه أيضاً أسقف هيرابوليس المسمى بابياس] (٥٩) .

ويعود يوسابيوس ويروى لنا رواية مختلفة بعض الشيء ، نقلاً عن

(58) Eus., H.E., 3. 39. 15.

(59) Eus., H.E., 2 - 15.

إكليمنضس الاسكندري ، فيقول : [لما كرز بطرس بالكلمة جهاراً في روما . وأعلن الإنجيل بالروح ، طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله لأنه لازمه وقتاً طويلاً ، وكان يتذكرها . وبعد أن كتب الإنجيل سلمه لمن طلبوه . ولما علم بطرس بهذا لم يمنعه من الكتابة ولا شجعه عليها] (٦٠) .

ورداً على ما أورده بابياس — من أن القديس مرقس [لا سمع الرب ولا تبعه] وأنه كان يترجم لبطرس ، نقول :

١ - تعتقد كنيستنا — استناداً للتقليد الكنسي — أن القديس مرقس هو أحد السبعين رسولاً (٦١) . وهذا واضح من كتابات علمائها ، وكتبها الطقسية القديمة ... ذكر هذه الحقيقة كل من العلامة أوريجينوس ، والقديس ابيفانيوس أسقف قبرص ... كما ورد مار مرقس في تقاويم الكنائس القديمة باسم « الإنجيل والرسول » (٦٢) ... يضاف إلى هذا ، إجماع آباء الكنيسة شرقاً وغرباً ، وعلماء الكتاب المقدس — ومنهم الكاثوليك — أن مار مرقس هو عينه الشاب الذي تبع المسيح ليلة القبض عليه ، وكان لابساً أزاراً على عريه ، فلما أمسكه الشبان ترك الأزار وهرب منهم عرياناً (مر ١٤ : ٥١ ، ٥٢) . فكيف يتفق هذا مع قول بابياس عنه أنه [لا سمع الرب ولا تبعه] !!؟

٢ - بإجماع الأراء شرقاً وغرباً — الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت — فإن بيت مار مرقس هو الذي أكل فيه الرب يسوع الفصح الأخير مع تلاميذه ، وغسل أرجلهم ، وأعطاهم عهده جسده ودمه الأقدسين . وهو العلية التي كان يحتفى فيها التلاميذ ، وفيه حل الروح القدس على التلاميذ ومن معهم

(60) H.E.; 6. 14.

(٦١) الكاثوليك أنفسهم — الذين يحاولون أن يجعلوا من مرقس تلميذاً لبطرس وتابعاً له — يعترفون أن هذا رأى شائع وقديم وإن لم يأخذوا به (انظر: العهد الجديد طبعة اليسوعيين — القاهرة سنة ١٩٥١ ص ٤٩٢ ، الدبس الماروني تحفة الجليل في تفسير الأناجيل ص ٣٧٣) .

(62) See: Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 1089; Smith Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 235; سنكسار الروم الكاثوليك تحت يوم ٢٥ نيسان

من المؤمنين ، في يوم الخميس — يوم تأسست الكنيسة ... أضف إلى هذا أن مريم أم هذا القديس كانت إحدى النسوة اللاتي تبعن الرب وخدمته (٦٣) ... فكيف يقال بعد هذا أن مار مرقس الذي عاش في هذا البيت التاريخي [لا سمع الرب ولا تبعه] !!؟

٣ - نأتى للنقطة الثانية وهي أن مار مرقس كان ترجمان لبطرس ، وأن إنجيله ليس سوى تدوين لما كان يكرز به بطرس في روما ... لقد أثبتنا سابقاً ، ونحن نتكلم عن أشهر الكنائس الرسولية ، أن القديس بولس الرسول هو الذي أسس كنيسة روما ، واشترك معه مار مرقس في الكرازة هناك ...

ففى رسالة بولس إلى فليمون التي كتبها من روما بين سنتي ٦١ ، ٦٣ في مدة أسره الأول ، يذكر مرقس في مقدمة « العاملين معه » (فل ٢٤) ... وكذا في رسالته إلى كولويسي التي كتبها في نفس الفترة ، يحمل بولس إلى الكولوسيين سلام مرقس (كو ٤ : ١٠ ، ١١) ... وفي الأسر الثاني في روما ، عندما كان بولس يُسكب سكيناً ووقت إنحلاله قد حضر ، ولم يكن إلى جواره من الخدام غير لوقا ، أرسل يطلب حضور مار مرقس ليكون إلى جواره ليعاونه في الخدمة ... يقول تيموثاوس : « لوقا وحده معي خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لي للخدمة » (٢ تي ٤ : ١١) .

أما من جهة كرازة بطرس في روما ، فإن بعض العلماء المحدثين يقطعون بعدم ذهاب بطرس إلى روما نهائياً ، ويرون أنه لم يستشهد بها ، بل في مكان آخر ... والبعض الآخر ، يرون أن بطرس — إن كان قد ذهب إلى روما — فيكون ذلك في آخر حياته ، ولم يذهب للكرازة ... وإذا كان بطرس لم يكرز في روما ، فقد سقطت الدعوى بأن مرقس كان ترجمانه فيها ...

٤ - تقول الشهادات القديمة أن مرقس كان ترجمان بطرس ... قال البعض — وقد أوردنا ذلك آنفاً — إن مرقس سَجَل ما تذكره من كرازة بطرس ... وقال

(٦٣) مت ٢٧ : ٥٥ ؛ مر ١٥ : ٤١ ؛ لو ٨ : ٣ .

البعض الآخر — ومنهم ترتليانوس وأوريجينوس — إن الإنجيل كان من إملاء بطرس .

وسواء هذا أو ذاك ، فقد فهم البعض — ومنهم إيرنييموس — أن كلمة ترجمان تفيد أن بطرس كان يلى وأن مرقس كان يكتب (Ep. ad Hedib, C. 2) (٦٤) ... ومن جهة الإدعاء أن إنجيل مرقس من إملاء بطرس ، فإن اسم الإنجيل يكذبه . لأنه لو أن بطرس أملى الإنجيل ، لكان قد حمل اسمه وصار «إنجيل بطرس» ، على نحو ما أن رسائل بولس التي أملاها منسوبة إليه وتحمل اسمه ، وعلى نحو ما أن رسالة بطرس الأولى التي كتبت بيد سلوانس (١ بط ٥ : ١٢) تحمل اسم بطرس (٦٥) ... إذن لا يمكن أن يكون الإنجيل نتاج إملاء بطرس .

٥ - يتبقى الإدعاء القائل أن إنجيل مرقس هو خلاصة عظات بطرس بحسب رواية بابياس ، وأن [السفر نال موافقة بطرس لاستعماله في الكنائس] بحسب رواية إكليمنضس ويوسابيوس ... هذا الكلام صعب جداً ، لأنه هدم للاعتقاد بأن إنجيل مرقس سفر مقدس وموحى به من الروح القدس ... فإذا كان مرقس قد كتب إنجيله مسوقاً بالروح القدس شأن باقى كتبة العهد الجديد ، فهل كان يحتاج إلى موافقة بطرس لاستعماله في الكنائس؟! يقول الآباء اليسوعيون في طبعاتهم للكتاب المقدس: [وكان بطرس مؤازراً له (لمركس) في تدوينه (الإنجيل) حتى أتمه ، فثبته بطرس وأمر بتلاوته في الكنيسة] (٦٦) . ماذا يقصد بهذه الأقوال ؟ هل يقصد بها أن الوحي كان عن طريق بطرس ، أو المقصود وضع هالة كبيرة حول شخصية بطرس ، ولو على حساب عقيدة الكنيسة في فكرة الوحي و قدسية الأسفار المقدسة؟!!

٦ - أما القول بأن الدليل على أن مرقس جمع مادة إنجيله من بطرس أو أنه خلاصة لعظاته ، هو تسجيله لضعفات بطرس واغفاله لما يمجده ، وأن بطرس فعل

(64) The Imperial Bible Dictionary, Vol. 2, p. 161.

(65) Berkhof, New Testament Introduction, p. 81.

(٦٦) انظر العهد الجديد طبعة اليسوعيين — القاهرة ١٩٥١ ص ٤٩٢ .

ذلك على سبيل الاتضاع ، فادعاء مردود من واقع الدراسة التحليلية لإنجيل مرقس بالمقارنة مع باقى الأنجيل (٦٧) .

٧ - لقد كان مار مرقس شاهد عيان لما أتاه المسيح ... يضاف إلى ذلك أنه قد اتاحت له فرص رائعة لم تتح للوقا مثلاً الذى أخذ عن مصادر كثيرة موثوق بها ، ومن ضمنها «الذين كانوا منذ البدء معانيين وخداماً للكلمة» (لو ١ : ٢ ، ١) ... فبيت مار مرقس كان أول كنيسة فى العالم ، وكان الرسل يجتمعون فيه مع المؤمنين ، وكان يقال فى هذا البيت كل ما يختص بالسيد المسيح وأعماله وأقواله . فمن جهة المادة ، فإنها كانت متوفرة ، بالإضافة إلى شهادة العيان . فلماذا تحصر المعلومات فى بطرس !!؟

٨ - وفضلاً عن هذا فهناك تناقض واضح فى الروايات التى أوردتها يوسابيوس المؤرخ منسوبة لمن سبقوه ...

فرواية بابيلاس تقول إن [بطرس عندما علم بوحى من الروح بما حدث سرته غيرة هؤلاء الناس . وأن السفر نال موافقته لاستعماله فى الكنائس] (٦٨) .

ورواية إيريناوس تقول [وبعد ارتحاهما (أى إستشهاد بطرس وبولس) نقل إلينا أيضاً مرقس — تلميذ بطرس ولسان حاله — كتابة تلك الأمور التى كرز بها بطرس] (٦٩) .

ورواية اكليمينضس الاسكندرى تقول إنه [لما كرز بطرس بالكلمة جهاراً فى روما وأعلن الإنجيل بالروح ، طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله لأنه لازمه وقتاً طويلاً ، وكان لايزال يتذكرها . وبعد أن كتب الإنجيل سلمه لمن طلبوه . ولما علم بطرس بهذا لم يمنعه من الكتابة ولا شجعه

(٦٧) عن هذه النقطة ، انظر التحليل الدقيق الذى قدمه الأنبا شنوده فى كتاب « مرقس الرسول » ص ١٠٩ — ١١٤ .

(68) Eusebius, H.E., 2. 15.

(69) Eusebius, H.E., 5. 8. 3.

والتناقض واضح في هذه الروايات الثلاثة :

فرواية بابياس تذكر أن بطرس وافق على الإنجيل قبل نشره بين الناس ورواية اكليمينس يفهم منها أن مرقس كتب إنجيله وسلمه لمن طلبوه قبل أن يعلم بطرس بذلك ، ورواية إيريناوس تذكر صراحة أن مرقس كتب إنجيله بعد استشهاد بطرس ...

هذا التناقض في الروايات يحملنا على الاعتقاد بعدم سلامتها ، وبأن هناك يداً متهودة لها مصلحة في تفخيم بطرس رسول الختان ... وقد عرضنا لهذا الأمر سابقاً بالتفصيل .

٩ - واضح مما سبق أن ما كتبه بابياس ، كان هو السبب في هذا الخلط العجيب ، وعنه أخذ كل من أتوا بعده ... فمن يكون بابياس هذا ، وهل هو عمدة وحجة فيما كتب ؟ إننا نسجل هنا ما قاله عنه يوسابيوس المؤرخ الذى حفظ لنا أقواله ... يقول :

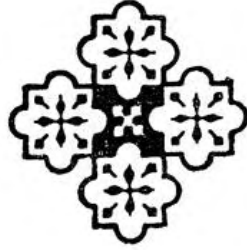
[ويدون نفس الكاتب (بابياس) روايات أخرى يقول إنها وصلت من التقليد غير المكتوب ، وأمثالاً وتعاليم غريبة للمخلص ، وأمور أخرى خرافية ... وأظن أنه وصل إلى هذه الآراء بسبب إساءة فهمه للكتابات الرسولية ، غير مدرك أن أقوالهم كانت مجازية . إذ يبدو أنه (بابياس) كان محدود الإدراك جداً كما يتبين من أبحاثه . وإليه يرجع السبب في أن الكثيرين من آباء الكنيسة من بعده ، اعتنقوا نفس الآراء مستندين في ذلك على أقدمية الزمن الذى عاش فيه ، كإيريناوس مثلاً وغيره ممن نادوا بآراء مماثلة] (٧١) .

وشهادة يوسابيوس هذه عن بابياس — الذى خلق لنا هذا الاشكال — غنية

(70) Eusebius, H.E.; 6. 14.

(71) Eus.; H.E., 3. 39. 11-13.

١٠ - أخيراً ، نسجل ما جاء بدائرة المعارف الفرنسية (وناشروها من الكاثوليك) عن موضوع بحثنا هذا [إن دعوى تتلمذ مرقس لبطرس لم تكن سوى خرافة بنيت على سقطات بعض الكتاب] (٧٣) .



(٧٢) إن قداسة بعض آباء الكنيسة وعلو كمعهم في العلوم الدينية ، لا ينفى عنهم الزلل ولا يعصمهم من الخطأ ، خاصة في المواضيع التاريخية ... وعلى سبيل المثال : (انظر ما قاله يوسابيوس في تاريخه ١ : ١٢ : ٢ نقلاً عن إكليمنضس الاسكندري) .

(٧٣) عن كتاب مرقس الرسول للأبنا شنوده ص ٢٥ ، ٢٦ .



القديس لوقا - باعترافه - لم يعاين الرب يسوع بالجسد ... دون إنجيله وقدمه إلى شخص يدعى ثاوفيلس (= محب الله) ... ويبدو أن ثاوفيلس هذا كان ذا مركز إجتماعي ملحوظ ، بل ويحتمل أنه كان في خدمة الدولة ، كما يظهر من لقب « عزيز »^(٧٤) ، الذي يخاطبه به لوقا ... وقيل عن ثاوفيلس إنه كان أنطاكياً ، لكن الأرجح أنه كان اسكندرياً^(٧٥) ... والثابت أن ثاوفيلس هذا كان متنعراً أو موعوظاً يستعد للعماد ، وذلك من قول القديس لوقا له : « لتعرف صحة الكلام الذي وعظت به » (١ : ٤) ...

كتب لوقا إنجيله للأمميين وعلى الأخص اليونانيين ، لذا فهو يشرح بإيجاز للقراء الأمميين موقع المدن الفلسطينية والمسافات بينها وبين أورشليم^(٧٦) . وهو لا يرجع إلى النبوات ويشير إلى إتمامها في يسوع الناصري كما فعل متى ، لكنه يلقي نظرة عامة على المسيح كمخلص لجميع البشر^(٧٧) ، و متمم إشتياقات كل قلب ... ومن هنا فإن سلسلة نسب المسيح يرجعها ليس فقط إلى إبراهيم كما فعل متى ، بل إلى آدم ابن الله وأب جميع البشر (٣ : ٣٨) ، وهو يهتم اهتماماً خاصاً بإبراز

(٧٤) استخدم بولس الرسول هذا اللقب في خطابه أمام فيلكس وفستوس الواليين الرومانيين (أع ٢٣ : ٢٦ ، ٢٤ : ٢٦ ، ٢٤ : ٢٦ ، ٢٥ : ٢٦) .

(75) Smith; Dictionary of the Bible, Vol. 3, pp. 1476, 1477;

الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة ج ١ : ص ١٠١ .

(٧٦) انظر : لو ١ : ٢٦ ، ٤ : ٣١ ، ٢٣ : ٥١ ، ٢٤ : ١٣ .

(٧٧) فكرة الخلاص واضحة جداً في كتابات لوقا ، سواء إنجيله أو سفر الأعمال : (انظر لوقا ١ : ٤٧ ، ٦٩ ، ٧٧ : ٢ ، ١١ ، ٣٠ ، ٣١ : ٩٦ ، ١٩ : ٩) .

أن المسيح غُلّص للأمم أيضاً (٧٨) ^{antimata dogxpi.o(g)} لوقا يظهر المسيح الإنسان في ملء بشريته ، وأنه مثلنا في كل شيء ما خلا الخطيئة .. ويصوره في كل البشارة على أنه صديق الخطاة الرحيم ، شافي المرضى ، معزى منكسرى القلوب ، راعى الخروف الضال ...

وهناك دلالات قوية على أن لوقا كتب إنجيله بين سنتي ٥٨ ، ٦٣ ... أما مكان كتابته فغير معروف ، والآراء مقسمة بين بلاد اليونان والاسكندرية وأفسس وقيصرية وروما . ويحتمل أن يكون العمل قد تم على مراحل في هذه الأماكن كلها ، بينما كان يجمع لوقا مادة إنجيله (٧٩) من « الذين كانوا منذ البدء معانيين وخداماً للكلمة » (لو : ١ : ٢) .

الشهادات التاريخية عنه :

اقتبس يوستينوس الشهيد عدة إقتباسات من إنجيل لوقا ، وإيريناوس ذكره بصراحة [إنجيل لوقا رفيق بولس] ... وذكرته الوثيقة التاريخية المعروفة باسم [وثيقة موراتورى] (٨٠) Muratorian Fragment التى ترجع إلى نحو منتصف القرن الثانى ، باسم إنجيل [لوقا الطبيب] ... والإنجيل موجود ضمن كل المخطوطات القديمة والترجمات ... هذا فضلاً عن شهادة بعض العلماء المبرزين الأوائل من أمثال أوريجينوس (٨١) .

(٧٨) انظر : لوقا ٢ : ٣٢ ؛ ٣ : ٦ ؛ ٤ : ٢٦ ، ٢٧ ؛ ١٧ : ١٢ - ١٨ ، وهو الوحيد الذى ذكر إرسالية السبعين رسولاً الذين يمثلون الأمم الوثنية مقابل الرسل الإثني عشر الذين يمثلون أسباط إسرائيل (لو : ١٠ : ١) .

(79) Schaff, Vol. 1, pp. 670 - 675.

(٨٠) هى وثيقة هامة مثبت فيها الأسفار المقبولة كأسفار قانونية . سميت كذلك لأن أول من نشرها سنة ١٧٤٠ هو العالم الإيطالى Muratori من مخطوطة كانت فى مكتبة أمبروسيوست بميلان ، لكنها كانت أصلاً فى الدير الأيرلندى الكبير فى بوبيو Bobbio — ويرجع تاريخها على الأقل إلى سنة ١٧٠ م إن لم يكن قبل ذلك (Salmon, pp. 42, 43) .

(81) Schaff, Vol. 1, p. 668.

✠ إنجيل يوحنا

الإنجيل الرابع — إنجيل يوحنا — هو إنجيل الأناجيل ، قدس أقدس كتاب العهد الجديد ... يشبهه إكليمنضس الاسكندري بالروح بينما الأناجيل الثلاثة الأخرى هي الجسد ... ويدعوه أوريجينوس [تاج الأناجيل كما أن الأناجيل هي تاج جميع الكتابات المقدسة] ...

التلميذ المحبوب ، الذى كان يتكىء على صدر المسيح ، الذى أوكل إليه العناية بأمه ، الذى عمر أكثر من جميع الرسل ، هيأته النعمة أن يقدم للكنيسة أعماق رب المجد ... لقد إمتص في شبابه المبكر أعماق كلمات سيده ، وحفظها في قلبه الأمين ككنز ثمين ... وفي شيخوخته المتقدمة ، إستعادها بإلهام الروح القدس الحال فيه ، وأرشده إلى كل الحق ...

حين ننتقل من بشارة إلى أخرى في نطاق البشائر الثلاث الأولى ، لا نشعر بتغير جوهرى . لكن ما أن ننتقل من إليها إلى إنجيل يوحنا ، حتى نستشق عبيق جو آخر مختلف ... إن إنجيل يوحنا هو الذى رفع الحجاب عن قدس الأقداس ، وكشف مجد الابن الوحيد المملوء نعمة وحقاً ... وصدق القديس أغسطينوس^(٨٢) في تصويره حينما قال : [لقد سار الإنجيليون الثلاثة الآخرون مع الرب على الأرض كما مع إنسان ، ولم يذكروا إلا القليل عن لاهوته . أما يوحنا ، فكما لو كان يأبى السير على الأرض ، يدوى في فاتحة إنجيله ويخلق — ليس فوق الأرض وكل دائرة الهواء والسماء فحسب — بل حتى فوق كل جيش الملائكة ، وكل

(82) St. Augustin, Troctates 36 on the Gospel of St. John (N.P.N.F. Vol. 7, p. 208).

رتب القوات غير المرئية ، ويصل إلى ذلك الذى به كان كل شيء [...]

ليس إنجيل آخر بين الأناجيل أكثر وضوحاً وعمقاً ... كلامه مفهوم وإن كان مفعماً بالأسرار. وهو بسيط كطفل سامياً كالسارافيم ... وديعاً كحمل جريئاً كنسر، عميقاً كبحر عالياً كالسموات ... لقد كتب آخر القرن الأول ، وكأنه شمس الغروب الذهبية لعصر الإلهام الرسولى ، وقد مدت خيوطها إلى كل أجيال الكنيسة ...

كتب يوحنا إنجيله فى أفسس أواخر القرن الأول الميلادى ... وهو لا يهدف إلى سرد تاريخ كامل لحياة السيد المسيح ، وإلاّ كان تكراراً لما سجله الإنجيليون الثلاثة الذين سبقوه إلى الكتابة ... ويوحنا نفسه يذكر ذلك صراحة « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب » (يو ٢٠ : ٣٠ بالمقارنة مع ٢١ : ٢٥) .

أما السبب الذى حمله على الكتابة فهو « لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله . ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يو ٢٠ : ٣١) ... لقد صاغ يوحنا إنجيله تبعاً لحالة الكنيسة واحتياجاتها أواخر القرن الأول ، مفنداً البدع التى ظهرت وقتذاك ...

يذكر إيريناوس أن يوحنا الذى إتكا على صدر الرب كتب إنجيله فى أفسس بآسيا (٨٣) ... وفى موضع آخر يجعل إيريناوس قيام الهرطقة الغنوسية الحافز على كتابة هذا الإنجيل (٨٤) ، ويؤيد ذلك جيروم وفيكتورنيوس (٨٥) (+ ٣٠٤) .

وهناك تقليد قديم يقول إن يوحنا كتب إنجيله بناء على طلب أساقفة آسيا شركائه فى الخدمة (٨٦) ...

وإنجيل يوحنا هو إنجيل التجسد « الكلمة صار جسداً » ... ويبدأ يوحنا

(83) Against Heresies, 3. 1.

(84) Ibid, 3. 11. 1.

(85) Schaff, Vol. 1, pp. 678, 679.

(86) Ibid, pp. 678, 679.

إنجيله بالكلام عن أزلية الكلمة (اللوغوس) ... وهو إنجيل الحب ، وفيه وحده تقرأ الآية الذهبية « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (١٦ : ٣) ... ونقرأ عن الوصية الجديدة « حبوا بعضكم بعضاً » (١٣ : ٣٤) .

الشهادات التاريخية عنه (٨٧) :

قبلت الكنيسة منذ البداية ، إنجيل يوحنا كسفر قانوني ، لا يلحقه أى ظل من الشك ، وأنه من كتابة يوحنا الرسول . والأدلة على ذلك قديمة جداً ، وترجع إلى بداية القرن الثانى ، بعد كتابته بفترة وجيزة جداً ... وهذه الأدلة تشمل شهادات أرثوذكسية وهرطقية ، وكتابات بعض الوثنيين من أعداء المسيحية ... ولا يشذ عن هذا الإجماع سوى صوت واحد مخالف لا يكاد يُسمع ، وهو الخاص بشيعة الألوجيين The Alogi (٨٨) الذين أنكروا هذا الإنجيل لأنهم كانوا يعارضون عقيدة اللوغوس ، التى انفرد بها يوحنا فى إنجيله ، ومن ثم نسبوا إنجيله وسفر الرؤيا إلى عدوه كيرينثوس الهرطوقى ... والآن نعرض لأهم هذه الشهادات :

(أ) الشهادات الأرثوذكسية :

ونبدأ بشهادات القرن الرابع ونتدرج حتى نصل إلى عصر يوحنا نفسه ... جميع مخطوطات العهد الجديد القديمة اليونانية — بما فى ذلك النسخة السينائية والفاتيكانية التى ترجع إلى أوائل القرن الرابع — والتى هى منسوخة عن مخطوطات أقدم منها ترجع إلى القرن الثانى ، وجميع النصوص القديمة بما فى ذلك السريانية واللاتينية القديمة من القرنين الثانى والثالث ... جميع هذه — بلا إستثناء — تحوى إنجيل يوحنا . ولا شك أن هذه المخطوطات والنصوص تمثل إجماع الكنائس العام فى أنحاء العالم .

(87) Schaff, Vol. 1, pp. 701 - 714.

(٨٨) تسمية هذه الشيعة Alogi تتضمن معنى مزدوجاً : غير معقول ، وضد اللوغوس .

بعد ذلك لدينا شهادات جميع آباء الكنيسة حتى منتصف القرن الثاني بدون أى صوت مخالف ، أو ظل من الشك . ومن هؤلاء إيرونيموس (جيروم) (+ ٤١٤) ويوسابيوس (+ ٤٣٠) وأوريجينوس (+ ٢٥٤) وهو عالم عصره الكبير ومفسر إنجيل يوحنا ، وترتليانوس وإكليمنضس الاسكندري (+ حوالى ١٩٠) . وهو الفيلسوف المسيحى الذى تنقل وزار بلاد اليونان وإيطاليا وسوريا وفلسطين معلماً ، وإيريناوس أسقف ليون منذ سنة ١٧٨ ، وهو مواطن من آسيا الصغرى وتلميذ بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول ، الذى بنى دفاعه الأساسى ضد هرطقة الغنوسيين على إنجيل يوحنا ، ويشهد أن الأناجيل القانونية أربعة لا أكثر ولا أقل ، كما قبلتها جميع كنائس العالم المسيحى فى زمانه باجماع عام ، وثاوفليس الأنطاكي (+ ١٨٠) الذى إقتبس من إنجيل يوحنا وأشار إلى ذلك ، وثيقة موراتورى Muratorian Fragment التى تروى ظروف كتابة إنجيل يوحنا . وتتيان السورى (١٥٥ — ١٧٠) فى «خطابه إلى اليونانيين» يقتبس كثيراً من إنجيل يوحنا ، وبدأ كتابه «الدياتيسرون» Diatessaron ، الذى إنتشر إنتشاراً واسعاً فى الكنيسة الأولى ، بافتاحية إنجيل يوحنا ، ويوستينوس الشهيد معلم تاتيان فى دفاعه الأول والثانى وحواره مع تريفو اليهودى — قبيل منتصف القرن الثانى — اقتبس من إنجيل يوحنا ، وكذلك الآباء الرسولين . فقد اقتبس منه أغناطيوس^(٨٩) ، وكذلك بوليكاربوس^(٩٠) تلميذ يوحنا نفسه إقتبس من رسالة يوحنا الأولى وهى شهادة بطريق غير مباشر للإنجيل لأنه إما أن نقبل هذين الكتابين أو نرفضهما معاً . ثم بابياس الذى اقتبس من إنجيله واستشهد برسائله الأولى .

(ب) شهادات الهراطقة :

فى الاكليمنضيات المزورة عدة إشارات واقتباسات من إنجيل يوحنا . وقد استخدم الغنوسيون فى القرن الثانى ، إنجيل يوحنا بكثرة واستشهدوا به . وقد كتب هيراكليون Heracleon تلميذ فالنتينوس Valentinus المبتدع تفسيراً لإنجيل يوحنا .

(90) Phil. 7.

(89) Rom., 7; Phil., 9.

وقد حاول فالنتينوس نفسه santabarbariaegypt.org وترتليانوس — أن يفسره . وباسيليدس Basilides الذى إشتهر حوالى سنة ١٢٥ إقتبس من هذا الإنجيل . وشهادات الهرطقة فى حد ذاتها قاطعة . كان ممكن أن يرفض الغنوسيون الإنجيل الرابع كله . كما فعل مرقيون Marcion لتعارضه مع عقيدته . لكن الغنوسيين اعترفوا به فى ذلك الوقت المبكر — أول القرن الثانى — لأنهم كانوا لا يملكون إنكاره .

(ج) شهادة الوثنيين :

والفيلسوف الوثنى كلسوس — عدو المسيحية اللدود — فى كتابه ضدها حوالى سنة ١٧٨ ، إستمد المادة التى هاجم بها المسيحية من الأناجيل الأربعة . ويذكر تفاصيل دقيقة لم ترد إلا فى إنجيل يوحنا .

+ + +

والآن بعد أن عرضنا للشهادات التاريخية المختلفة لإنجيل يوحنا ، نختتم بعبارة لطيفة دونها العالم والمؤرخ شاف Schaff ، يقول : [لا يمكن لكاتب من القرن الثانى أن يخرج مثل هذا الكتاب الرائع (إنجيل يوحنا) ، الذى يسمو على كتابات يوستينوس الشهيد وإيريناوس وترتليانوس واكليمنضس وأوريجينوس ، أو أى أب آخر أو عالم أو مصلح . وما كان ممكناً لأى كاتب من القرن الأول أن يكتبه إلا رسول ، ولا رسول آخر سوى يوحنا . ويوحنا نفسه ما كان يمكنه أن يكتبه دون وحى إلهى] (١١) .

(91) Schaff, Vol. 1, p. 714.



بإجماع الكنيسة الأولى ، فإن سفر أعمال الرسل (٩٢) هو تكملة للإنجيل الثالث ، وأن كاتبهما هو القديس لوقا ، وجههما إلى شخص يدعى ثاوفيلس ... والقديس لوقا في إنجيله يسجل حياة المسيح وأعماله ، وفي سفر الأعمال يسجل عمل الروح القدس ، الذى نلمسه ظاهراً ملموساً في كل خطوة . فكلمة « روح » و « الروح القدس » تتكرر مراراً عديدة في سفر الأعمال أكثر من أى سفر آخر في العهد الجديد .

وسفر أعمال الرسل كتاب مفرح كالإنجيل الثالث ... فهو مملوء من الغيرة الرسولية والرجاء ، ويسجل التوفيق والنجاح ، وحتى الاضطهاد والاستشهاد يحولهما إلى مناسبة للفرح والشكر ... إنه أول تاريخ للكنيسة الأولى .

أما عن وقت كتابته ، فلا شك أنه إحتاج إلى سنوات عديدة لتجميع المعلومات التى كان لوقا شاهد عيان لها حينما كان رفيقاً لبولس في الخدمة والأسفار ... ويبدو أن القديس لوقا إنتهى من كتابته عقب الأسر الأول للقديس بولس في روما مباشرة ، وقبيل الاضطهاد المروع الذى أثاره نيرون في صيف عام ٦٤ ، لأنه لا يذكر عنه شيئاً ، ولو كان قد كتبه بعده ، لما أمكن تجاهله (٩٣) .

(٩٢) هكذا وردت هذه التسمية في كتابات إكليمنضس الاسكندري وترتليانوس في وثيقة موراتورى وورد في مخطوطه النسخة السينائية للكتاب المقدس باسم « الأعمال » ، وهكذا ذكره أوريجينوس ، وإن كان تسميته قد ذكرت بالكامل في آخر السفر بالنسخة السينائية (Salmon, p. 294) .

(93) Schaff, Vol. 1, p. 728.

الشهادات التاريخية عنه (٩٤) :

لقد قبلت الكنيسة الأولى بالإجماع سفر أعمال الرسل ككتاب إلهي منذ فجر تاريخها ، ولدنا شهادات مباشرة كثيرة عن ذلك . لقد ذكره بالاسم كل من إيريناوس (٩٥) وإكليمنضس (٩٦) الاسكندري وترتليانوس (٩٧) . وتضعه وثيقة موراتوري في الترتيب عقب الأناجيل الأربعة مباشرة . وهناك إشارة قاطعة لهذا السفر في خطاب كنائس فينا وليون (٩٨) سنة ١٧٧ ... أما الإقتباسات فكثيرة ... إقتبس منه إكليمنضس الروماني (٩٩) قبل نهاية القرن الأول الميلادي ، وأغناطيوس الأنطاكي (١٠٠) ، وهرماس (١٠١) ، وبوليكرابوس (١٠٢) . ويذكر ديونيسيوس الكورنثي (١٠٣) في القرن الثاني معلومات خاصة بديونيسيوس الأريوباغي تؤيد ما جاء عنه في سفر أعمال الرسل . كما يستمد بابياس بعض معلوماته من سفر أعمال الرسل (١٠٤) . كما يمكن التعرف على آثاره في كتابات يوستينوس الشهيد وتلميذه تاتيان (١٠٥) .



(٩٤) انظر المقالة الرائعة عن هذه النقطة في Smith; Dictionary of the Bible, Vol. I, pp. 25-43.

(95) Against Heresies, 3. 14, 15.

(96) Strom, 5. 12.

(97) Against Marcion, 5. 1, 2.

(98) Eusebius, H.E., 5. 1, 2.

(99) Corinthians, chs. 2, 18.

(100) Smyrn., 3.; Phil., 2.

(101) Vis., 4. 2.

(102) Phil., 1.

(103) Eusebius, H.E., 4. 23. 3.

(104) See: Salmon, pp. 294 - 297.

(105) Berkhof, pp. 127, 128.

رسائل بولس الرسول

يعتبر القديس بولس بحق ، أكثر مَنْ تعب من الرسل (١ كو ١٥ : ١٠) ، ليس فقط في أعمال الكرازة ، بل وفيما خلفه للكنيسة من ثروة عظيمة قوامها الأربع عشرة رسالة التي تحمل اسمه ... وقد وجه بولس بعض رسائله إلى الكنائس التي أسسها ، والبعض الآخر إلى أشخاص ... كتب بعضا في جولاته الكرازية ، والبعض الآخر كتبه وهو أسير ، ومع ذلك يفوح منها عبق الإيمان والرجاء والفرح ... وآخر رسائله — التي كتبها في الأسر أيضاً — (تيموثاوس الثانية) ، يختتمها بصيحة الانتصار ، حينما كان يُسكب سكباً ووقت إنحلاله يقترب (٢ تي ٤ : ٦) .

كتب بولس رسائله في فترة تتراوح بين ١٢ ، ١٤ سنة — بين سنتي ٥٢ أو ٥٣ ، ٦٤ أو ٦٧ . وقد قبلت الكنيسة الأولى هذه الرسائل التي مازالت بين أيدينا ، منذ تاريخها المبكر ، كأسفار مقدسة موحى بها من الله .

والآن نعرض للشهادات التاريخية القديمة عن قانونية هذه الرسائل :

١ - الرسالة إلى رومية :

لم يلحق قانونيتها ظل من الشك في كل العصور ... شهد بقانونيتها الآباء الرسوليون ، وفي مقدمتهم إكليمنضس الروماني وأغناطيوس وبوليكر بوس ثم يوستينوس الشهيد وإيريناوس وثاوفيلس الأنطاكي وإكليمنضس الاسكندري وترتليانوس وأوريجينوس وغيرهم . كما وردت في وثيقة موراتوري ، واعترف بها مرقيون الهرطوقي في النصف الأول من القرن الثاني في قانونه (١٠٦) Apostolicon of Marcion .

(106) Berkhof, p. 155; Angus, p. 634.

٢ - الرسالة الأولى إلى كورنثوس :

ذكرها إكليمنضس الرومانى بالاسم فى رسالته إلى نفس الكنيسة قبيل نهاية القرن الأول ... وهناك إقتباسات كثيرة من هذه الرسالة فى رسالة برنابا وكتابات هرماس وأغناطيوس وبوليكاربوس وإيريناوس ... وقد شهد لها الهراطقة الغنوسيون ومريون ، كما وجدت فى وثيقة موراتورى (١٠٧) .

٣ - الرسالة الثانية إلى كورنثوس :

قبلت بالإجماع فى الكنيسة الأولى ... إقتبس منها بوليكاربوس . وشهد لها إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس ووردت فى وثيقة موراتورى ، واعترف بها مريون الهرطوقى (١٠٨) .

٤ - الرسالة إلى غلاطية :

قبلت كسفر قانونى بإجماع الكنيسة الأولى منذ عصرها المبكر ... هناك إشارات إليها فى كتابات إكليمنضس الرومانى وأغناطيوس وبوليكاربوس ، ويوستينوس الشهيد وميليتو وأثيناغوراس . كما شهد لها آباء القرن الثانى مراراً . وهى مثبتة كسفر قانونى فى وثيقة موراتورى ، وأعترف بها مريون الهرطوقى (١٠٩) .

٥ - الرسالة إلى أفسس :

استخدمها إكليمنضس الرومانى (c. 46) ، وأغناطيوس فى رسالته إلى كنيسة أفسس (c. 12) ، وفى رسالته إلى بوليكاربوس (c. 5) ، وكذلك بوليكاربوس فى رسالته إلى أهل فيلبى (c. 12) ، وكذا إقتبس منها هرماس عدة إقتباسات

(107) Berkhof, pp. 165, 166.

(108) Ibid p. 174.

(109) Berkhof, p. 187.

(Mandat 10.1,2). وأدرجت في وثيقة موراتوري واعترف بها مرقيون وشهد لقانونيتها إيريناوس وإكليمنضس الاسكندري وترتليانوس (١١٠).

٦ - الرسالة إلى فيلبى :

هناك إشارات عنها في رسالة إكليمنضس الرومانى ، ورسائل أغناطيوس ، وأشار إليها صراحة وأكثر من مرة بوليكرابوس في رسالته إلى كنيسة فيلبى . وهناك إشارات إليها في الرسالة إلى ديوجنيتس وكتابات يوستينوس الشهيد وثاوفيلس الأنطاكي . وهناك إقتباس منها في رسالة كنائس فينا وليون . واقتبس منها إيريناوس وإكليمنضس الاسكندري وترتليانوس وغيرهم . وقد وردت مندرجة في وثيقة موراتوري ، واعترف بقانونيتها مرقيون في قانونه (١١١) .

٧ - الرسالة إلى كولوسى :

هناك إشارات لها في كتابات إكليمنضس الرومانى وبرنابا وأغناطيوس واقتبس منها يوستينوس الشهيد عدة مرات في حوار مع تريفو اليهودى (١١٢) وكذلك ثاوفيلس الأنطاكي (c. 22) — كما شهد لها واقتبس منها بدون أدنى شك إيريناوس وإكليمنضس الاسكندري وترتليانوس — وهى مندرجة في وثيقة موراتوري . واعترف بقانونيتها مرقيون الهرطوقى ضمن قانونه (١١٣) .

٨ ، ٩ الرسالتان إلى تسالونيكى :

هناك إشارات إليهما فيما كتبه إكليمنضس الرومانى (c. 38) ، وكذا في

(110) Salmon, pp. 388, 389; Berkhof, pp. 197, 198.

(111) Berkhof, p. 207.

(112) Dial., 84, 85, 100, 138.

(113) Salmon, p. 282; Berkhof, p. 217.

رسائل أغناطيوس^(١١٤) ، وفي رسالة بوليكاربوس إلى أهل فيلبى^(١١٥) ، وفي حوار يوستينوس الشهيد مع تريفو^(١١٦) والرسالة الثانية أشار إليها تعليم الرسل الاثنى عشر Didaché ، كما تكرر إستخدامها كسفرين قانونيين دون أدنى شك بواسطة إيريناوس وإكليمنضس الاسكندري وترتليانوس . وهما مندرجان بين الأسفار القانونية في وثيقة موراتورى ، واعترف بقانونيتهما مرقيون الهرطوقى في قانونه^(١١٧) .

١٠ - الرسالة الأولى إلى تيموثاوس :

وردت إشارات إليها في كتابات إكليمنضس الرومانى وبوليكاربوس وهيجسبوس وأثيناغوراس وثاوفيلس الأنطاكى وهى مندرجة في وثيقة موراتورى^(١١٨) . وأشار إليها بالاسم إيريناوس وإكليمنضس الاسكندري وترتليانوس .

١١ - الرسالة الثانية إلى تيموثاوس :

أشار إليها إكليمنضس الرومانى وأغناطيوس وبوليكاربوس ، ويوستينوس الشهيد ، وثاوفيلس الأنطاكى في كتابتهم ، كما وردت في وثيقة موراتورى كسفر قانونى مقدس^(١١٩) .

١٢ - الرسالة إلى تيطس :

وردت إشارات إليها في كتابات إكليمنضس الرومانى وأغناطيوس وبرنابا ويوستينوس الشهيد وثاوفيلس الأنطاكى . وهى مدرجة في وثيقة موراتورى . واقتبس منها بالاسم إيريناوس وإكليمنضس الاسكندري وترتليانوس^(١٢٠) .

(114) Eph., 10; Polyc. 1.

(115) Phil. cc. 2, 4, 11.

(116) Dial., 110.

(117) Salmon, p. 368.

(118) Salmon, p. 398; Berkhof, pp. 250, 251.

(119) Salmon, p. 398; Berkhof, p. 255.

(120) Salmon, p. 398; Berkhof, p. 260.

١٣ - الرسالة إلى فيلمون :

هناك إجماع عام من الكنيسة الأولى بقانونيتها وصحتها ، ووجدت ضمن أقدم النسخ الخطية للكتاب المقدس . ووجدت مدرجة في وثيقة موراتوري كسفر قانوني . إقتبس منها ترتليانوس . ولم يقتبس الآباء الآخرون منها لأنها رسالة شخصية وقصيرة (١٢١) .

١٤ - الرسالة إلى العبرانيين :

هي الرسالة الوحيدة التي أغفل فيها القديس بولس ذكر اسمه ... وقد فعل ذلك عن عمد ، حتى ما يجد كلامه قبولاً لدى اليهود الذين وجه إليهم الرسالة ، والذين كانوا يناصبونه العداء . هكذا علل اكليمنضس الاسكندري هذا الإغفال (١٢٢) . وقد شهدت الكنيسة منذ فجر تاريخها بقانونية هذه الرسالة وأنها للقديس بولس . وقد إقتبس منها الآباء الأوائل أكثر من أى سفر آخر من أسفار العهد الجديد ... فالقديس اكليمنضس الرومانى اقتبس كثيراً من هذه الرسالة في رسالته إلى كنيسة كورنثوس (١٢٣) . وهو لم يقتبس آيات متناثرة بل أجزاء بأكملها (١٢٤) ... كما اقتبس منها بوليكرابوس في رسالته إلى الفيلبيين (c. 12) ، وفي صلاته الأخيرة قبيل استشهاده (١٢٥) . وكذلك يوستينوس الشهيد (١٢٦) ... ويشهد بقانونيتها وبأن كاتبها هو بولس . أيضاً اكليمنضس الاسكندري ، وكذلك سلفه بنتينوس (١٢٧) ... واقتبس العلامة أوريجينوس كثيراً من هذه الرسالة على أنها كلام للقديس بولس . ويشير البابا ديونيسيوس الاسكندري على أن رسالة العبرانيين هي للقديس بولس دون أدنى شك (١٢٨) .

(121) Berkhof, p. 264.

(122) Eusebius, H.E., 6. 14. 3.

(123) Eusebius, H.E., 3. 38. 1.

(١٢٤) انظر فصل ٣٦ من الرسالة المذكورة .

(125) Eusebius, H.E., 4. 15.

(126) I Apol., 63.

(127) Strom., 6. 8; Eusebius, H.E., 6. 14.

(128) Salmon, 415. 416.



وهي عبارة عن السبعة رسائل المنسوبة ليعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا ... وتسميتها «رسائل الكاثوليكون» تسمية قديمة ترجع إلى القرن الثاني ، ومعناها الرسائل الجامعة أو العامة تمييزاً لها عن رسائل القديس بولس التي كتبها لكنائس معينة أو لأشخاص بأسمائهم .

١ - رسالة يعقوب :

قبلت الكنيسة هذه الرسالة كسفر قانوني مقدس منذ فجر تاريخها . فهناك توافق كثير بين رسالة إكليمنضس الروماني وبين هذه الرسالة ، الأمر الذي يدل على أنه اعتمد عليها . ونفس التوافق نجده بكثرة في كتاب الراعي لهرماس . ولا يمكن أن يكون ذلك بمحض الصدفة . واقتبس إيريناوس نصوصاً كثيرة من هذه الرسالة . كما شهد بقانونيتها إكليمنضس الاسكندري ، بل قيل إنه وضع تفسيراً لهذا السفر (١٢٩) .

٢ ، ٣ - رسالتا بطرس :

قبلت الكنيسة بالإجماع الرسالة الأولى . وهناك توافق كثير بين ما جاء برسالة إكليمنضس الروماني إلى كنيسة كورنثوس وما كتبه هرماس في كتابه الراعي وبين هذه الرسالة . وقد إقتبس بوليكاربوس كثيراً منها في رسالته إلى أهل فيلبى ، كما إقتبس منها بابياس (١٣٠) ... وأشار إليها في رسالة كنائس فينا وليون واقتبس منها

(129) Salmon, pp. 448 - 452.

(130) Ibid, p. 83.

أما الرسالة الثانية فقد إقتبس منها كاتب رسالة برنابا ، ويوستينوس الشهيد في حواره مع تريفو، وكذا إيريناوس ... وقد شهد لقانونيتها كليمينضس الاسكندري ، بل وضع تفسيراً لها . وممن إقتبس منها أيضاً العلامة أوريجينوس . ووضع ديديموس الضرير تفسيراً لرسائل الكاثوليكون ، ومن بينها هذه الرسالة (١٣٢) ... وفضلاً عن هذه الشهادات الخارجية ، فهناك أدلة داخلية تثبت صحتها وأن كاتبها هو القديس بطرس كاتب الرسالة الأولى (١٣٣) .

٤ ، ٥ ، ٦ - رسائل يوحنا الثالث :

هناك إجماع بقانونية الرسالة الأولى ... إقتبس منها بوليكاربوس تلميذ يوحنا في رسالته إلى أهل فيلبى (c.7) وكذلك بابياس أحد الذين استمعوا إلى يوحنا ، واقتبس منها أيضاً إيريناوس واكليمنضس الاسكندري وترتيانوس . وهى مثبتة فى وثيقة موراتورى عقب إنجيل يوحنا مباشرة . ويشهد لقانونيتها العلامة أوريجينوس (١٣٤) ، أما الرسالتان الثانية والثالثة ، فقد قبلتهما الكنيسة الأولى كسفرين قانونيين وأن كاتبهما هو القديس يوحنا الرسول . ونظراً لقصرهما ، لم يقتبس منهما كثيرون من الآباء الأوائل . ومع ذلك فقد إقتبس إيريناوس من الرسالة الثانية . وشهد لقانونية الاثنى آباء وعلماء كنيسة الاسكندرية ومنهم إكليمنضس وأوريجينوس والبابا ديونيسيوس . كما إقتبس القديس مار إفرام السريانى من الرسالتين (١٣٥) .

(131) Salmon, pp. 434, 435.

(132) Ibid, pp. 484 - 487.

(١٣٣) هذه الرسالة تحمل اسم بطرس كاتبها ، ويذكر فيها أنه شاهد عيان لحادث التجلى ، وأن الرب يسوع أعلن له قرب إنتقاله (٢بط ١ : ١٤-١٨) وأخوته لبوس (٢بط ٣ : ١٥) ، وأنه هو كاتب الرسالة الأولى (٢بط ٣ : ١) .

(134) Salmon, p. 193.

(135) Berkhof, p. 331.

على الرغم من قصر هذه الرسالة فقد إقتبس منها اكليمينضس الاسكندري في أكثر من موضع من كتاباته ، وكذلك ترتليانوس ، وأويجينوس ... وهي مثبتة في وثيقة موراتورى ... فضلاً عن ذلك فهناك إشارات إليها في رسالة بطرس الثانية وكتابات بوليكاربوس واثنناغوراس وثاوفيلس الأنطاكي (١٣٦) .

خامساً - رؤيا يوحنا

قبلت الكنيسة هذا السفر ضمن أسفار العهد الجديد القانونية منذ عصرها الأول . شهد له يوستينوس الشهيد وبابياس . وهناك توافق بينه وبين ما أورده هرماس في كتابه الراعى ... كما شهد له ديوناسيوس الكورنثي ، وإقتبس منه ثاوفيلس الأنطاكي وإكليمينضس الاسكندري وإيريناوس وترتليانوس وأويجينوس ... كما ورد مثبتاً في وثيقة موراتورى (١٣٧) .



(136) Berkhof, p. 338.

(137) Salmon, pp. 204, 205; Berkhof, p. 352.



وطالما نحن قد عرضنا لأسفار العهد الجديد المقدسة القانونية ، ترى إتماماً للفائدة أن نشير إلى الأسفار الأبوكريفية أى المزورة .

نستنتج مما جاء فى (لوقا ١ : ١ - ٤) ، أنه كان هناك عدد من القصص تروى حياة الرب يسوع وتعاليمه ومعجزاته منتشرة بين المسيحيين فى القرن الأول ... والواقع أن هذه الإشارة ليست قاصرة على الأسفار المقدسة التى قبلتها الكنيسة كأسفار موحى بها ، بل على أسفار أخرى غير موحى بها ، ونسبها كاتبوها لبعض رسل المسيح ، بقصد رواجها وتداولها بين أيدي المؤمنين ... وقد رفضت الكنيسة هذه الأسفار ودعتها « أبوكريفية » أى مزورة ، تمييزاً لها عن الأسفار القانونية التى كُتبت بوحى الروح القدس (٢تى ٣ : ١٦ ؛ ٢بط ١ : ٢٠ ، ٢١) ... وثمة نوع آخر كتبه بعض الشيع الهراطقية لخدمة آرائها المنحرفة ومبادئها الهدامة ، وهذه تنسب إلى كاتبها ... والأسفار الأبوكريفية كثيرة ، نأتى فيما بعد على أشهرها .

١ - الأناجيل (١٣٨) :

(أ) إنجيل يعقوب : ويعرف باسم Protevangelium أى أول الأناجيل وهو من إنتاج القرن الثانى . ويروى الحوادث السابقة لميلاد المسيح ، خاصة قصة ميلاد العذراء مريم وحياتها المبكرة فى الهيكل ، وتركها له فى سن الثانية عشر ، وخطوبتها ليوسف ، وقصة البشارة ، وزيارة مريم لاليصابات ، وأحداث الميلاد . ويختتم الكتاب بقصة إستشهاد زكريا وموت هيرودس . وقد إعتمد عليه ابيفانيوس

(138) Salmon, pp. 175-190; Hastings, Dictionary of the Bible, pp. 308-311.

في القرن الرابع في رده على الهرطقة: كما يسير إليه جيروم أيضاً. ففي كلامه عن
الرأى الخاطيء القائل بأن المذكورين باسم «إخوة الرب» هم أولاد يوسف
خطيب مريم العذراء من زوجة سابقة، أشار إلى أن هذا الرأى مستقى من إنجيل
يعقوب وإنجيل بطرس المزورين.

(ب) إنجيل بطرس : لم يصلنا منه شيء ، لأنه لم ينتشر إنتشاراً واسعاً .
ويرجع إلى منتصف القرن الثاني . أشار إليه يوسابيوس (١٣٩) في تاريخه كسفر رفضه
سرايون أسقف أنطاكية في أواخر القرن الثاني بعد أن إكتشف ما فيه من آراء
هرطقية . وهو يساير بدعة المشبهين Docetic heresy وأشار إليه أوريجينوس في تفسيره
لإنجيل متى ، ويخصيه يوسابيوس ضمن كتب الهرطقة . وهكذا فعل جيروم .

(ج) إنجيل العبرانيين : لا يعرف كاتبه . ترجع كتابته إلى وقت مبكر .
إنتشر تداوله في الشرق فقط في النصف الأخير من القرن الثاني . أشار إليه
إكليمنطس الاسكندري وأوريجينوس ويوسابيوس (١٤٠) . وحصل جيروم على نسخة
منه باللغة الآرامية . كان منتشرأً بين شيعتى الناصريين والأبيونيين . ومادة هذا
الكتاب تشبه في مجموعها ما ورد في الأناجيل القانونية ، باستثناء بعض الأقوال
المنسوبة للرب يسوع لم ترد في الأناجيل المعترف بها .

(د) إنجيل توما : إنتشر نحو منتصف القرن الثاني بين جماعات الغنوسيين ،
لا سيما إحدى شيعهم التى تسمى Naassenes والتي لا يعرف عنها شيء . كما
كان له منزلة عظيمة لدى أتباع مانى المبتدع . ويتناول هذا الكتاب قصة طفولة
المسيح وقوته ومعرفته ومعجزاته خلال سنى حياته المبكرة ، وقصة ذهابه إلى المدرسة ،
وكيف كان يخلق عصافير من الطين !! وكان هذا الكتاب معروفاً لدى إيريناوس
وهيبوليتس وأوريجينوس ويوسابيوس .

(هـ) إنجيل المصريين : وهو من أناجيل الغنوسيين وانتاجهم . يذكر

(139) H.E., 3. 25; 6. 12.

(140) H.E., 3. 25.

[illegible][illegible]

أجزاء بقايا إنجيل بطرس الأبو كرفا عن عليها في أقيم

أجزاء بقايا إنجيل بطرس الأبركيفا عثر عليها في أثيم

هيبوليتس أنه كان منتشرأ بين ^{santamariaegypt.org} شيعتهم التي تسمى Naassenes . يحتمل أنه كان منتشرأ بين المسيحيين المصريين الذين من أصل وثنى . أشار إليه كل من إكليمنضس الاسكندري وأوريجينوس على أساس أن له قيمة تاريخية فقط . والآراء الغنوسية النسكية واضحة فيه .

(و) إنجيل نيقوديموس : ويضم جزئين مختلفى التأليف والتاريخ . الجزء الأول وهو ما عُرف باسم [أعمال بيلاطس] ويتكلم عن محاكمة الرب يسوع والتقرير الرسمى الذى قيل إن بيلاطس أرسله إلى الإمبراطور تيبيريوس عن يسوع . وهذا الجزء قديم ويرجع إلى القرن الثانى . أما جزء الكتاب الآخر فيتضمن قصة نزول المسيح إلى الجحيم وقيامته وصعوده . وهو من النوع الوعظى الشبيه بميامر سير الشهداء . ويرجع هذا الجزء إلى زمان متقدم أيضاً .

(ز) إنجيل فيلبس : وقد إنتشر بين الغنوسيين فى مصر ابتداء من القرن الثالث .

(ح) إنجيل الرسل الاثنى عشر : وما نعرفه عنه هو بعض مقتطفات منه وصلتنا فى كتابات أبيفانيوس . وقد يرجع تاريخه إلى أوائل القرن الثالث .

(ط) وإلى جانب هذه الأناجيل المنسوبة إلى بعض رسل المسيح ، وجدت أناجيل أخرى كتبها بعض الهراطقة وتحمل أسماءهم ، وأهمها :

• إنجيل باسيليدس الغنوسى من القرن الثانى ، وأشار إليه أوريجينوس وامبروسيوس وجيروم .

• إنجيل إندراوس وهو أيضاً ذو ميول غنوسية ، وأشار إليه أوغسطينوس .

• إنجيل كيرينثوس الهرطوقى الذى عاصر يوحنا الرسول .

• إنجيل فالنتينوس الغنوسى الشهير ، وأشار إليه ترتليانوس فى أواخر القرن الثانى .

• إنجيل مرقىون الهرطقوى ، وقد قد . وغالباً ما اعتمد مرقىون فى مادة إنجيله على إنجيل لوقا بعد أن حذف منه الجزء الخاص بطفولة الرب يسوع ، وبعض أمور أخرى تتمشى مع المفاهيم المسيحية المتهودة ، التى كان يعارضها بشدة .

٢ - أعمال الرسل (١٤١) :

بحسب معتقد واضعيها ، يوجد منها الأيونية والغنوسية والأرثوذكسية [لكنها غير قانونية] ، وما هو منقح عن الأصل الابيونى أو الغنوسى ... أما عن تواريخ تصنيفها ، فالغنوسى منها يرجع إلى النصف الثانى من القرن الثالث ، بينما الأنواع الباقية فترجع إلى القرن الثانى . ومن أمثلتها : سفر أعمال بطرس ، وسفر أعمال بولس ، ويرجعان إلى أواخر القرن الثانى ، وينسبان إلى لينوس Linus أسقف روما وتلميذ الرسل ثم هناك سفر أعمال يوحنا وسفر أعمال إندراوس ، وسفر أعمال متى واستشهاده ، وسفر أعمال توما ، وسفر أعمال فيلبس ، وسفر أعمال برثولماوس ، وسفر أعمال بولس وتكلا ، وسفر أعمال برنابا .



(141) Salmon, pp. 325-355; Dictionary of christian Biography, Vol. I, pp. 17-32.

(١٤٢)

كتابات الآباء الرسولين

وهذه كتابات كتبها تلاميذ الرسل وهم المعروفون باسم [الآباء الرسولين] ، وكانت لها مكانتها وشهرتها الكبيرة في الكنيسة الأولى . بعض هذه الكتابات ينسب للرسل أو يحمل اسم أحدهم ، لكن الرسل ليسوا هم كاتبوها . ومع ذلك تظل هذه الكتابات لها أهميتها من نواحي متعددة خاصة الناحية التاريخية نظراً لقدمها . وأهم هذه الكتابات :

١ - تعليم الرسل الاثنى عشر : ويعرف في الأوساط العلمية باسم Didaché وهي كلمة يونانية تعنى (التعليم) . واسم الكتاب بالكامل [تعليم الرب للأمم بواسطة الرسل الاثنى عشر] . وإن كان من المقطوع به أن الرسل لم يكتبوه ، لكنه من ناحية أخرى هو تجميع لتعليمهم . ونحن نجهل كاتب الكتاب ومكان وزمان كتابته . لكن العلماء يرجحون أنه يهودى متنصر من فلسطين أو سوريا . ومن جهة تاريخ كتابته يرون أنه يرجع إلى أواخر القرن الأول بناء على دراسة محتوياته (١٤٣) ... والكتاب صغير ويتميز بالبساطة ويقع في ستة عشر فصلاً (١٤٤) . ويتضمن :

- (أ) ملخصاً للتعاليم الأدبية مؤسسة على الوصايا العشر ، ومحبة الله والإنسان مصورة بصورة رمزية في طريقين أحدهما للحياة والآخر للموت .
- (ب) إرشادات بخصوص ممارسة المعمودية والإفخارستيا والأغابي .

(142) Schaff, Vol. 2, pp. 631-691; Salmon, pp. 509-566.

(١٤٣) عثر على هذا الكتاب الهام العالم برينيوس Bryennios سنة ١٨٨٣ ، لكن توجد عنه إشارات كثيرة في كتابات القرون الأولى ، وقد عرفه آباء الكنيسة الأوائل .

(١٤٤) مادته مندمجة ضمن الكتاب السابع لقوانين الرسل Constitutions of the Holy Apostles .

(ج) إرشادات بخصوص الخدام المختلفين (الأنبياء والمعلمين والأساقفة والشمامسة) وأسفارهم وإقاماتهم .
(د) حث على السهر إستعداداً لمجيء الرب وقيامه القديسين .

٢ - رسالة إكليمنضس الرومانى : هى بإجماع عام من كتابة القديس إكليمنضس اسقف رومية (٩٢ - ١٠١) وتلميذ الرسل وإن كانت لا تحمل اسمه ، وهى أقدم مخلفات الآباء الرسولين وأثبتها صلة بعصرهم . وقد كتبها إكليمنضس تدفعه إلى ذلك المحبة ، إزاء الإنقسام الذى كان حادثاً فى كنيسة كورنثوس ، وليس فى ذلك ما يدل على سلطة عليا لأسقف روما على كنيسة كورنثوس . فالرسالة لا تحمل اسم إكليمنضس على الإطلاق ، لكنها رسالة محبة روحية مرسله من كنيسة الله فى رومية إلى كنيسة الله فى كورنثوس ... وقد حازت هذه الرسالة شهرة كبيرة جداً فى الكنيسة الأولى ، وكانت توضع — من حيث أهميتها — تالية لأسفار العهد الجديد وتعاليم الرسل ... وهناك كتابات أخرى منسوبة إلى إكليمنضس الرومانى لكن جميعها مزورة ، ولم يصلنا من كتاباته الأصلية سوى هذه الرسالة — كتبها إكليمنضس باليونانية . وقد أشار إليها آباء الكنيسة الأوائل ووجدت ضمن — النسخة الاسكندرانية — للكتاب المقدس المحفوظة الآن بالمتحف البريطانى .

٣ - رسائل أغناطيوس الأنطاكى : وهى سبع رسائل كتبها القديس أغناطيوس الشهيد — تلميذ الرسل وأسقف أنطاكية — سنة ١٠٧ وهو فى طريقه إلى روما ليلقى للوحوش . وهى إلى كنائس رومية وأفسس ومغيسيا وترالس Tralles وفيلادلفيا وسميرنا (أزمير) ثم لصديقه بوليكاربوس أسقف أزمير وقد ضمن أغناطيوس رسائله أفكاره ودحض آراء الهرطقة ... وقد أشار إلى هذه الرسائل كل من إيريناوس وأوريجينوس . بل إن بوليكاربوس نفسه قد أشار فى رسالته لأهل فيلبى (١٤٥) إلى هذه الرسائل . كما أيد ذلك يوسابيوس المؤرخ (١٤٦) . وقد نالت هذه الكتابات تقديراً كبيراً بين المؤمنين فى الكنيسة الأولى .

٤ - رسالة بوليكاربوس إلى أهل فيلبى : كان القديس بوليكاربوس الشهيد أسقف سميرنا (أزمير) تلميذاً ليوحنا الرسول . وكان أقوى شخصية في زمانه في إقليم آسيا الصغرى . كتب عدة رسائل إلى بعض كنائس آسيا الصغرى ومؤمنيه ولكنها فقدت ولم يصلنا سوى رسالته إلى الفيلبيين . وقد فند فيها آراء هراطقة عصره ، خاصة الغنوسيين منكري التجسد وقد استخدم نفس عبارة القديس يوحنا الواردة في (١ يوحنا : ٣) .

٥ - رسالة برنابا : هى رسالة جامعة (عامة) لا يذكر كاتبها اسمه فيها ولا إلى من كُتبت ولا المكان أو الزمان ... والرسالة في مجموعها عقيدية (ف ١ - ١٧) ، مع الحث على السير في طريق النور وتجنب طريق الظلمة (ف ١٨ - ٢١) . وهى تكاد تعالج نفس موضوع الرسالة إلى العبرانيين ، وإن كانت أقل منها عمقاً وأصاله . تثبت الرسالة خطأ فكرة التهود والإلتزام بالناموس اليهودى القديم . ويعلن الكاتب الفصل الكامل بين المسيحية واليهودية ومن هنا فالرسالة لها قيمة تاريخية وعقيدية كبيرة ... وشدد كاتب الرسالة على وجوب تقديس يوم الأحد ويدعوه [اليوم الثامن] .. كان لهذه الرسالة منزلة قوية في الكنيسة الأولى ، حتى أنها وجدت ضمن النسخة السينائية للكتاب المقدس ، وتليها في وضعها لسفر الرؤيا ، كما لو كانت جزءاً من أسفار العهد الجديد . ويبدو أنها كانت تقرأ في الكنيسة ككتاب كنسى ثانوى ، كما كان الحال بالنسبة لرسالتى إكليمنضس الرومانى وبوليكاربوس وكتاب الراعى لهرماس ... أشار إليها إكليمنضس الاسكندرى وأوريجينوس على أنها من كتابة برنابا رفيق القديس بولس الرسول في الخدمة ويبدو أن أوريجينوس اعتبرها ضمن الأسفار المقدسة ... وينسبها جيوم ويوسابيوس أيضاً إلى برنابا ، لكنهما لا يعتبرانها من أسفار العهد الجديد ... أم عن تاريخ كتابتها ، فهناك إجماع من العلماء على أنها كتبت قبل نهاية القرن الأول على أن بعض العلماء الذين يعترفون بقدّم هذه الرسالة يشكون في صحة نسبتها لبرنابا رفيق بولس بناء على الدراسة الداخلية للرسالة ، ويرجحون أن كاتبها يهودى متنصر من الإسكندرية ، وربما كان يحمل اسم برنابا .

٦ - كتاب الراعى هرماس : وهو من الكتب الدينية التى راجت رواجاً كبيراً فى صدر المسيحية وقرونها الأولى ، ووضعته الكنيسة فى مصاف سفرى الحكمة وابن سيراخ . وثابت من الكتاب أن الكاتب اسمه «هرماس» ، وأنه استقى مادة الكتاب من ملاك التوبة الذى تراءى له فى زى راعى — ومن هنا جاءت تسمية الكتاب ... وكتاب الراعى هو أقدم كتاب كنسى يتضمن إستعارات ورؤى ، وإن كان لا يمكن الجزم عما إذا كانت هذه الرؤى حقيقية ، أم من خيال الكاتب ... ومهما يكن من أمر ، فالكتاب يقدم المبادئ الروحية فى ثوب قصصى مجازى إستعارى بقصد دعوة الناس للتوبة ، لأن يوم الدينونة قريب ... ويضم كتاب الراعى ثلاثة كتب :

(أ) الرؤى ، وهو عبارة عن أربع رؤى .

(ب) الوصايا Mandats ويشمل إثنا عشرة وصية قدمها الملاك .

(ج) الأمثال Similitudes وعددها عشرة .

أما عن هرماس واضع هذا الكتاب ، فقد راج رأى فى الكنيسة الأولى أنه هو عينه صديق القديس بولس الرسول الذى أرسل له تحياته فى الرسالة إلى رومية (رومية ١٦ : ١٤) . هذا هو رأى إيريناوس وإكليمنضس الاسكندري وأوريجينوس وجيروم ويوسابيوس المؤرخ ... وهناك رأى آخر ، أن هرماس كان معاصراً للقديس إكليمنضس أسقف رومية (٩٢ — ١٠١) ومهما يكن من أمر ، فالكتاب من الرجال الرسولين .

المدارس اللاهوتية

كانت رسالة رسل المسيح الأولى هي الكرازة والتعليم ... وإهتمام الكنيسة الأولى الكبير بالتعليم ، نراه واضحاً في نشاط الرسل ورسائلهم المليئة بالحرص على التزود بالعلم الإيجابي ، والتحذير من البدع وأربابها . وإن كانت مصادرنا الأولى لا تمدنا بمادة تذكر عن التعليم وطرقه ، والمدارس التي أقيمت لخدمة هذا الغرض ، لكننا نعتقد أن هذا الأمر كان طبيعياً ... فالمسيحية التي إنبثقت من اليهودية وأخذت عنها الكثير من أنظمتها ، أخذت عنها أيضاً فكرة المدارس التي كانت ملحقة بالمجامع اليهودية ، وكان أبناء اليهود والدخلاء يتلقون فيها العلم الدينى ...

ويذكر المؤرخ موسهيم في تاريخه عن القرن الأول ، أن الرسل أقاموا مدارس عليا في المدن الكبيرة لتأهيل الخدام الذين كرسوا أنفسهم لخدمة التعليم المقدسة . ويضرب مثلاً على ذلك ، القديس يوحنا في أفسس (١٤٧) . ولا يبعد أن يكون في قول مار بولس لتيموثاوس : « وما سمعته منى بشهود كثيرين اودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » (٢ : ٢ : ٢) ، ما يشير إلى أمثال هذه المدارس ...

ولدينا إشارة عن ذلك أوردتها القديس لوقا في سفر الأعمال . فقد ذكر أن القديس بولس في مدينة أفسس كان يعلم يومياً في مدرسة إنسان اسمه تيرانس ، واستمر على ذلك مدة سنتين ... ليس ما يمنع أن يكون القديس بولس قد جعل من هذه المدرسة مركزاً للتعليم إلى جانب التبشير والوعظ ... ونفهم مما ذكره القديس لوقا ، أن تعليم معلمنا بولس في هذه المدرسة لم يكن قاصراً على مدينة أفسس وحدها ،

(١٤٧) ك ١ قسم ٢ ف ٣ ص ٣٨ .

بل لقد «سمع كلمة الرب يسوع بجميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين»
(أع ١٩ : ٩، ١٠).

وإن كنا لا نعرف شيئاً على وجه التحديد عن المدارس التي أقامها الرسل في المدن الكبرى، لكن الشيء الثابت بإجماع عام أن القديس مارمرقس الذي كرز بالإيمان في القطر المصري أنشأ مدرسة لاهوتية مسيحية في الاسكندرية عهد بإدارتها العلامة يسطس الذي ظل مديراً لها في عهد الأساقفة الأربعة الذين خلفوه. وقد قدر أن تصبح لهذه المدرسة شهرة عالمية، بل غدت المدرسة اللاهوتية المسيحية الأولى، في العالم كله دون منازع لعدة قرون، وأسهمت بنصيب كبير في دعم الإيمان المسيحي والذود عنه ضد هجمات الوثنيين والهراطقة على السواء. وكان التعليم في هذه المدرسة بالطريقة التقليدية آنذاك — طريقة السؤال والجواب Catechism ... وإن كانت تعوزنا المصادر عن جهود هذه المدرسة أواخر القرن الأول، لكن شهرتها التي طبقت الآفاق إبتداء من القرن الثاني، وعلماءها الأفذاذ يشهد بدورها الإيجابي في تلك الفترة المبكرة في دعم الإيمان المسيحي ونشره.



الباب السابع



✠ الرسائل الإصحاحية عشر

موضوع حياة الرسل وكرازتهم وأعمالهم ، أمر يكتنفه كثير من الغموض ... وما أكثر القصص التي كُتِبَ عنهم وعن جهودهم الكرازية وأعمالهم المعجزية ... في بعض هذه القصص نلمس بوضوح شطحات بعض الكتاب والنساخ في الخيال ، الأمر الذي يصطدم بالحقيقة والواقع ... ومن هنا كانت مهمة المؤرخ شاقة ، إذ عليه أن يستخلص الحقائق خالصة بعد تنقيتها مما علق بها من الشوائب الدخيلة التي إستحدثتها يد الزمان وبعض المعجبين برواد المسيحية الأوائل ... وفيما نعرض له الآن ، نقدم في إيجاز ودقة ما نظمنا إلى صحته وأصالته بعد الدراسات المقارنة . ولكن إن وجدت المادة في النهاية ضئيلة ، فمرجع ذلك إلى ندرة المصادر الآمنة التي نظمنا إليها ، التي حفظت لنا . تراجم رسل المسيح .

وثمة أمر آخر ينبغي أن نشير إليه ، وهو ضآلة تاريخ الرسل جميعاً ، إذا ما قورن بتاريخ بولس الرسول ... لكن ليس معنى ذلك أن الرسل لم يتعبوا ولم يجاهدوا .. حقيقة أنه تعب أكثر منهم جميعاً^(١) ، لكن جميعهم تعبوا ، وجميعهم — باستثناء يوحنا — قضوا شهداء ، وقدموا حياتهم ثمناً لحبهم لمسيحهم ، وبرهاناً على إيمانهم برسالتهم ... أما السبب في ذلك فيرجع إلى ضآلة ما حفظه لنا التاريخ عنهم ، على عكس بولس الذي لدينا سجل — يكاد يكون وافياً عنه — فيما كتبه عنه رفيقه في الأسفار القديس لوقا في سفر الأعمال ، وما كتبه هو نفسه في رسائل لكنائس وأشخاص ...

(١) انظر ١ : ١٥ : ١٠ : ٢ : ٢٨ - ٢٣ .

القديس بطرس

هو سمعان بن يونا ، ولد في قرية بيت صيدا الواقعة على بحر طبرية ، قبل ميلاد السيد المسيح بعدة سنوات ، قد تصل إلى العشرة أو تزيد قليلاً ، وكان يشتغل بصيد السمك شأنه في ذلك شأن الكثيرين من سكان قريته ... يحتمل أنه كان — مع أخيه إندراوس — تلميذاً ليوحنا المعمدان (٢) ... كان لقاؤه الأول بالرب يسوع ، بعد أن أخبره إندراوس أخوه — بناء على توجيه يوحنا — « قد وجدنا المسيا » ، واصطحبه إلى حيث المسيح ... وفي ذلك اللقاء قال له الرب : « أنت سمعان بن يونا ، أنت تدعى صفا » (يوا : ٣٥ - ٤٢) ... أما دعوته للتلمذة فكانت عقب معجزة صيد السمك الكثير ، حينما طمأنه الرب بقوله : « لا تخف . من الآن تكون تصطاد الناس » . وحالما وصل بالسفينة إلى البر ترك كل شيء وتبعه ، هو وأخوه وابنا زبدي (لو : ١ - ١١) ... وما لبث أن شرفه الرب بدرجة الرسولية ودعاه « بطرس » .

كان بطرس أحد التلميذين اللذين ذهبا ليعدا الفصح الأخير ، وأحد الثلاثة الذين عاينوا إقامة ابنة يايروس بعد موتها ، وتحلى المسيح على جبل طابور ، وصلاته في جنسيماني ، وأحد الأربعة الذين سمعوا نبوته عن خراب أورشليم والهيكل .

كان بطرس ذا حب جم لسيدته وغيرة ملتهبة ، لكنه كان متسرعاً ومنذفعاً تحذوه إلى ذلك دوافع جسدية ... فهو الأول الذي اعترف بلاهوت المسيح ، والأول الذي بشر بالمسيح في اليوم الخمسين . لكنه في إندفاعه حاول أن يمنع المسيح أن يموت (مر : ٣١ - ٣٣) . ولما قال له المسيح أنه سينكره ثلاثة مرات قبل أن يصبح الديك مرتين ، أجاب في تحيد « ولو اضطرت أن أموت معك لا أنكرك » ... وفي لحظة القبض على المسيح استل سيفه ليدافع عن ذاك الذي مملكته ليست من هذا العالم !!

(2) Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 798; De Pressensé, Vol. I. p. 33.

كان بطرس والحال هذه بحاجة إلى تجربة مرة تهزه وتعرفه ضعفه ... فكان أن أنكر سيده ومعلمه بتجديف ولعن وقسم أمام جارية!! لكنه سرعان ما رجع إلى نفسه واثاب إلى رشده وندم ندماً شديداً وبكى بكاءً مرّاً ، وقصد قبر معلمه باكراً جداً فجر يوم قيامته ... وقد قبل الرب توبته ، وأظهر له ذاته على بحر طبرية بعد قيامته ، وعاتبه في رفق مخاطباً إياه باسمه القديم قائلاً له « يا سمعان بن يونا أتجنبنى » ... وقد وجه إليه هذه الكلمات ثلاث مرات مقابل إنكاره المثلث ، وردّه إلى رتبته الرسولية ثانية بقوله « إرع غنمى » ...

وعقب تأسيس الكنيسة يوم الخمسين بدأ خدمته بين اليهود من بنى جنسه في اليهودية والجليل والسامرة ... وكان الرب يتمجد على يديه ببعض الآيات كشفاء المقد عند باب الهيكل الجميل (أع ٣) ، وشفاء إينياس في مدينة اللد وإقامة طابيثا بعد موتها في يافا (أع ٩) ...

وقد فتح الرب باب الإيمان للأمم على يديه في شخص كيرنيليوس قائد المائة عقب رؤيا أعلنت له بخصوصه (أع ١٠) ... فلما خاصمه يهود أورشليم المتنصرين من أجل قبول الأمم ، شرح لهم الأمر وقال : « بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه ، بل في كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده » (أع ١٠ : ٣٤ ، ٣٥) . ومع ذلك فقد ظل ميدان العمل الأساسى لهذا الرسول هو تبشير اليهود (غل ٢ : ٧-٩) .

ليس من ينكر الدور الرئيسى الذى قام به بطرس في الطور الأول لتأسيس الكنيسة ، فالرسول بولس يذكره مع الرسولين يعقوب ويوحنا على أنهم معتبرون أعمدة في كنيسة الله ... جال كارزاً بإنجيل الخلاص في جهات متفرقة من العالم القديم ... كرز في أنطاكية — لكنه ليس مؤسس كنيستها — وطاف بلاد بنطس وغلاطية وكبادوكية وبشينية ، وبعض مقاطعات آسيا الصغرى ، وهى الأقاليم التى وجه إليها رسالته الأولى ... أما الروايات التى تنسب لبطرس الكرازة في بلاد اليونان ومصر وروما وكل جزء هام في العالم ، فليست إلا من صنع المسيحيين المتهودين ليجعلوا من بطرس رسول الختان ، كارزاً للعالم

ويكاد يكون ثابتاً أن القديس بطرس ختم حياته في روما ، حين حكم عليه بالموت صلباً في عهد نيرون الطاغية ، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة تاريخ إستشهاده لكنه على أية الحالات بعد يوليو سنة ٦٤ ...

على أن ذهاب القديس بطرس إلى روما لم يكن إلاً قبيل إستشهاده مباشرة . وهذا يؤكد أقوال آباء الكنيسة ومعلميها الأوائل ، وجداول الازمنة ، والأسفار التي قطعها في رحلاته التبشيرية ... ولا صحة مطلقاً لما يدعيه الكاثوليك من أنه أسس كنيسة روما وأنه أسقفها الأول ، وأنه أمضى بها خمساً وعشرين سنة !! وقد يكون ذهابه إليها بقصد الاستشهاد بعد أن قبض عليه في مكان ما في حدود الامبراطورية ، وسيق إلى روما ليلقى حتفه على نحو ما سيق إليها القديس أغناطيوس الأنطاكي سنة ١٠٧ ليلقى للوحوش . فقد كانت هذه هي عادة الحكام الرومان أن يرسلوا إلى روما بعض البارزين لعرضهم على الشعب هناك ، كنوع من التحقير . إن كل الأدلة تجمع على أنه لم يذهب إلى روما إلاً أواخر حياته . وقد يكون ذهابه إليها بقصد اللحاق بسيمون الساحر الذي كان قد إلتقى به في السامرة والتصدى له على نحو ما تروى بعض الروايات خاصة كتب الأبوكريفا .

تعليق على اسم بطرس :

وقبل أن ننتقل من سيرة هذا الرسول إلى غيره من الرسل ، نسجل تعليقاً بسيطاً على اسم بطرس ، الذي جعل الكاثوليك منه مؤيداً لنظريتهم في رئاسة بطرس على سائر التلاميذ والرسل ، وبالتالي رئاسة خليفته في نظرهم (بابا روما) على العالم المسيحي ، دون أن نناقش هذه النظرية ...

فيما كان السيد المسيح يسأل تلاميذه عن عقيدة الناس فيه ، إعترف بطرس بلاهوته «أنت هو المسيح ابن الله الحي» ، فطوبه السيد ، وقال له «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنسيتي» (مت ١٦ : ١٣ - ١٨) ... لكن الكاثوليك

يترجمون هذه الآية هكذا « أنت الصخرة على هذه الصفاة سأبنى كنيسة » ... وهم يقصدون بذلك أن المسيح بنى الكنيسة على بطرس كأساس لها ... هل هذا الخلط حدث من تجاوز كلمتي « بطرس » و « صخرة » !!؟ إن بطرس هو اللفظ اليوناني ، يقابله في الآرامية « كيفا » وفي العربية « صفا » ... فهذه الأسماء الثلاثة واحدة ولكن بلغات مختلفة ... وبطرس باليونانية لا يعنى « صخرة » ، فصخرة اسم مؤنث وهو « بترا » ، أما بطرس فاسم مذكر معناه حجر مقطوع من صخرة ... وهذه التفرقة بين بطرس واضحة في كل اللغات القديمة اليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية (٣) ..

هذا ، والمسيح لم يؤسس كنيسة على بطرس (٤) ... ولكنه أسسها على هذا الإيمان « المسيح ابن الله الحى » . وكل من يريد أن يصير مسيحياً يجب أن يعترف أولاً وبنى إيمانه على الصخرة التى هى « أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله الحى » ... أما وضع بطرس فى الكنيسة فهو كحجارة فى أساسها ، شأنه فى ذلك شأن باقى الرسل ... هكذا صرح يوحنا فى رؤياه « وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً ، وعلى أسماء رسل الخروف الاثنى عشر » (رؤ ٢١ : ١٤) ... ويقول القديس بولس « مبنين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » (أف ٢ : ٢٠) ... يجب ألا ننسى دائماً أن المسيح هو حجر الزاوية ، وهو نفسه الصخرة (١ كو ١٠ : ٤) وهو أساس الكنيسة ... هكذا يقول معلمنا بولس : « فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع ، الذى هو يسوع المسيح » (١ كو ٣ : ١١) ... هذا هو إيماننا كل آباء الكنيسة ، وكمثال نذكر القديس أوغسطينوس فى العظة العاشرة على تفسير رسالة يوحنا الأولى (٥) .

(٣) انظر الترجمات اليونانية واللاتينية والقبطية للعهد الجديد — وبخصوص الترجمة السريانية ، انظر : تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ١ ص ٥٣ لمار سويريوس يعقوب توما — وانظر أيضاً : Young's; Analytical Concordance to the Bible; Liddell and Scott's Greek — English Lexicon.

(٤) عن هذا الموضوع انظر : دكتور أسد رستم ، نحن ورومه والفاتيكان .

(٥) N.P.N.F., 1st. series, Vol. 7, p. 520.

القديس اندراوس

هو شقيق بطرس الرسول (يو ١ : ٤٠) كان في بادىء أمره تلميذاً ليوحنا المعمدان . ومنه سمع عن الرب يسوع ، فقصده ومكث معه يوماً كاملاً ليعاين أعماله وأقواله ، فأيقن أنه المسيا المنتظر ... بعدها بشر أخاه بطرس بأنه وجد المسيا ... وبعد معجزة صيد السمك الكثير دعاه الرب مع أخيه بطرس ليكون صياداً للناس ، فترك السفينة والشباك وتبع المسيح ولم يفارقه منذ ذلك الحين ...

يذكره الإنجيل في ثلاثة مواضع : في معجزة إشباع الآلاف من خمس خبزات (يو ٦ : ٨ ، ٩) ، وعند مجيء اليونانيين الذين أتوا لكي يروا يسوع ، تقدم إليه وسأله في ذلك (يو ١٢ : ٢٢) ... وعندما تقدم ليسأل الرب مع ثلاثة من التلاميذ عن خراب أورشليم ودمار الهيكل وانقضاء الدهر (مر ١٣ : ٣) .

بدأ عمله الكرازي بعد يوم الخمسين ... وإن كنا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة خط سيره الكرازي ، لكن يبدو أنه ركز نشاطه التبشيري في مناطق شبه جزيرة البلقان ، وبعض مقاطعات آسيا الصغرى ... وبناءً عن رواية أوريجينوس التي سجلها يوسابيوس (٦) فإنه بشر في سكيثيا وهي المنطقة الواقعة شمالى بحر قزوين والبحر الأسود ... إنتهى به المطاف في مقاطعة أختائية في بلاد اليونان ، يشهد بذلك جيروم وثيودوريت ... ونال إكليل الشهادة مصلوباً في مدينة بتراس إحدى مدن هذه المقاطعة ... وصلب هذا الرسول في بتراس يؤيده إجماع عام من جميع التقاليد القديمة (٧) . وقد قيل أن الصليب الذى صُلبَ عليه كان على شكل (x) وهو المعروف باسم Crux decussata ، وفي رواية أخرى أنه لم يثبت في الصليب بالمسامير ، بل ربط إليه حتى تستطيل مدة تعذيبه . وإن دراوس الرسول هو شفيح كل من الكنيستين الروسية واليونانية . الأولى لأنه كاروزها ، والثانية لأنه صُلب في إحدى المدن التابعة لها ... ويذكر أن ذخائره نقلت إلى القسطنطينية سنة ٣٥٧ . وفي زمن الحملات الصليبية نقلت إلى مدينة Amalpae بإيطاليا حيث مازالت

(6) H.E., 3. 1.

(7) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, p. 129.

القديس يعقوب الكبير

هو ابن زبدى وشقيق يوحنا الحبيب ... ويدعى أيضاً يعقوب الكبير تمييزاً له عن يعقوب الصغير (ابن حلفى). كان من بيت صيدا من مدينة بطرس واندراوس. دعاه السيد المسيح للتلمذة مع أخيه يوحنا في نفس المرة التي دعا فيها بطرس واندراوس، فتركا السفينة وأباهما وتبعاه (مت ٤ : ٢١ ، ٢٢) ... ويبدو أن يعقوب كان حاضراً معجزة الرب يسوع الأولى في قانا الجليل حيث حوّل الماء خمرًا (يو ٢ : ٢).

إختاره الرب يسوع مع بطرس ويوحنا ليكونا شاهداً لبعض الأحداث الهامة. فكان معه حينما أقام ابنة يايروس من الموت، وفي حادث التجلى، وفي بستان جثسيماني ليلة آلامه ... وقد أحبه المخلص مع أخيه يوحنا محبة خاصة، فميزهما بلقب خاص، إذ دعاهما بوانرجس أى إبنى الرعد (مر ٣ : ١٧)، تعبيراً عن حماستهما وغيرتهما.

أما عن جهوده الكرازية، فمعلوماتنا عنها ضئيلة، لكن التقاليد تجمع على أن ميدانه في التبشير كان اليهودية والسامرة. أما القول بأنه كرز بالإنجيل في أسبانيا فقول ليس له أسانيد تاريخية ... وقد كانت غيرته الرسولية سبباً في إثارة عداوة اليهود، فثاروا ضده، وأحدثوا شغباً في أورشليم، فقبض الجنود الرومان عليه وأحضروه أمام الملك هيرودس أغريباس^(٨)، فأمر بقطع رأسه بحد السيف (أع ١٢ : ١)، وكان ذلك سنة ٤٤ ... ويعتبر هذا الرسول أول من إستشهد من الرسل، وهو الوحيد بين الرسل الذى سجل لنا كتاب العهد الجديد موته وكيفيته ...

(٨) حفيد هيرودس الكبير قاتل أطفال بيت لحم، وابن أخى هيرودس الثانى الذى قطع رأس يوحنا المعمدان.

ويذكر لنا يوسابيوس المؤرخ نقلاً عن إكليمنضس الاسكندري إن الجندي الذي قاد هذا الرسول إلى المحاكمة تأثر عندما رأى شجاعته وصلابته ، وحركت النعمة قلبه ، فاعترف هو الآخر بالإيمان المسيحي ، فكان جزاؤه قطع رأسه مع الرسول في وقت واحد^(٩) . ويبدو أن الذي حرك الجندي إلى إعتناق الإيمان ، معجزة أجراها الرب على يدي الرسول وهو مسوقاً بواسطة ذلك الجندي ، فقد أبرأ مخلعاً كسيحاً ... وقد حفظ لنا التقليد — وشهد بذلك أبيفانيوس — أن هذا الرسول حافظ على البتولية طوال حياته^(١٠) . وقيل أن جسده نقل إلى بلدة تدعى كومبوستيلا Compostella في أسبانيا .

القديس يوحنا الحبيب

هو ابن زبدى ، وشقيق الرسول يعقوب الكبير ... هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه (يو ١٩ : ٢٦) ، وهو الذي أتكا على صدره في العشاء الأخير . هو الرسول الذي جمع في شخصه بين حب البتولية ، والعظمة الحقيقية ، والبساطة القلبية ، مع المحبة الفائقة العجيبة هو الذي انفرد من بين التلاميذ في سيره بدون خوف وراء المخلص ، في الوقت العصيب الذي تركه الجميع وانفضوا من حوله ... كان هو واسطة إدخال بطرس حيث حوكم الرب يسوع نظراً لأنه كان معروفاً عند رئيس الكهنة (يو ١٨ : ١٥ ، ١٦) . وهو الوحيد الذي رافق الرب إلى الصليب فسلمه أمه العذراء مريم . ومن تلك الساعة عاشت معه (يو ١٩ : ٢٥ - ٢٧) ... كان أبوه زبدى يحترف مهنة الصيد ، ويبدو أنه كان في سعة من العيش ، ويغلب على الظن أن أسرة يوحنا كانت تقيم في بيت صيدا .

يبدو أنه تتلمذ بعض الوقت ليوحنا المعمدان ، وكان يتردد عليه (يو ١ : ٣٥ - ٤٢) ... دعاه السيد المسيح للتلمذة مع أخيه يعقوب فتبعه — وقيل — بناء على رواية القديس جيروم — أن يوحنا في ذلك الوقت كان في الخامسة والعشرين .

(9) Eusebius, H.E., 2. 9.

(10) Smith; Dictionary of the Bible, Vol. 1, Part. 2, p. 1511.

كانت أمه واحدة من النسوة القديسات اللواتي تبعن يسوع وكن يخدمنه (مت ٢٧ : ٥٥ ؛ مر ١٠ : ٤٠ ، ٤١) .

كان يوحنا واحداً من التلاميذ المقربين إلى الرب يسوع مع يعقوب أخيه وبطرس . كان هو (مع إندراوس) أول مَنْ تبعه في بشارته (يو : ٤٠) ، وآخر مَنْ تركه عشية آلامه من بعد موته ... هو الذى سجل لنا خطاب الرب يسوع الرائع عن الإفخارستيا (يو ٦) . وهو الذى انفرد بين الإنجليين بذكر لقاء الرب مع السامرية (يو ٤) وموقفه من المرأة الزانية التى أمسكت في ذات الفعل (يو ٨) ، وشفاء المولود أعمى (يو ٩) ، وإقامة لعازر من الموت (يو ١١) ، وصلاته الوداعية (يو ١٧) ... ويوحنا هو واحد من التلاميذ الثلاثة الذى صحبه في إقامة ابنة يايروس من الموت ، وفي حادث التجلى وفي جثسيماني ليلة آلامه . وبكر مع بطرس وذهب إلى قبر المخلص فجر أحد القيامة . وكان حماسه وحبّه ظاهرين . حتى أنه سبق بطرس ووصل أولاً إلى القبر ... وهو الوحيد بين التلاميذ الذى استطاع أن يتعرف على الرب يسوع حينما أظهر ذاته على بحر طبرية عقب قيامته ، وقال لبطرس « هو الرب » (يو ٢١ : ٧) .

والقديس يوحنا لم يكن — كما يتصوره البعض شاباً رقيقاً خجولاً — بل كان له وضع بارز في الكنيسة الأولى . نقرأ عنه في الاصحاحات الأولى من سفر الأعمال ونراه جنباً إلى جنب مع بطرس أكبر الرسل سناً . نراهما متلازمين في معجزة شفاء المقعد عند باب الهيكل (أع ٣) ، وأمام محكمة اليهود العليا (السندرين) يشهدان للمسيح (أع ٤) . وفي السامرة يضعان أيديهما على أهلها ليقبلوا الروح القدس (أع ٨) .

يبدو أن خدمته الكرازية في الفترة الأولى من تأسيس الكنيسة كانت في اورشليم والمناطق القريبة منها . فالتقاليد القديمة كلها تجمع على بقاءه في اورشليم حتى نياحة العذراء مريم التى تسلمها من الرب كأم له ليرعاها (١١)

(١١) تضاربت الآراء بخصوص تاريخ نياحة السيدة العذراء مريم ... منها ما يذكر أنها عاشت خمس سنوات فقط بعد صعود المخلص ، ومنها ما يجعل مدة هذه السنوات عشرة . ورأى يجعل نياحتها سنة

ومهما يكن من أمر فإن يوحنا الرسول — بعد نياحة العذراء مريم — إنطلق إلى آسيا الصغرى ومدنها الشهيرة، وجعل إقامته في مدينة أفسس العظيمة متابعاً ومكماً عمل بولس وأبولس الكرازي في آسيا الصغرى (أع ١٨ : ٢٤ - ٢٨ ؛ ١٩ : ١-١٢) ... وأخذ يشرف من تلك العاصمة الشهيرة على بلاد آسيا الصغرى ومدنها المعروفة وقتذاك من أمثال ساردس وفيلادلفيا واللاذقية وأزمير وبرغامس وثياتيرا وغيرها، وهى البلاد التى وردت إشارات عنها في سفر الرؤيا .

وبسبب نشاطه الكرازي قبض عليه في حكم الامبراطور دومتيان (٨١ - ٩٦) ، وأرسل مقيداً إلى روما ، وهناك ألقى في خلقين (مرجل) زيت مغلى . فلم يؤثر عليه بل خرج منه أكثر نضرة ، مما أثار ثائرة الإمبراطور ، فأمر بنفيه إلى جزيرة بطمس (١٢) ، ومكث بها حوالى سنة ونصف كتب أثناءها رؤياه حوالى سنة ٩٥ . ثم أفرج عنه بعد موت دومتيان وعاد إلى أفسس ليمارس نشاطه التبشيري ... وكل التقاليد القديمة تؤيد بالإجماع نفى يوحنا إلى جزيرة بطمس في ذلك التاريخ وكتابته رؤياه هناك ... ومن الآباء الذين شهدوا بذلك إيريناوس وإكليمنضس الاسكندري وأوريجينوس وترتليانوس . ويوسابيوس وجيروم وغيرهم (١٣) .

٦٢ ، وآخر يذكر أنها تنيحت في شيخوخة في سن الثانية والسبعين . وهناك تقليد قديم يقرر أن نياحتها كانت حوالى سنة ٤٨ ... على أننا من مراجعتنا للأصحاب الثانى من الرسالة إلى غلاطية التى يشير فيها بولس إلى مجمع أورشليم نفهم أن يوحنا كان حاضراً هذا المجمع الذى إنعقد حوالى سنة ٥٠ . فالرسول بولس يقرر أن يوحنا مع يعقوب وبطرس أعطوه وبرنابا يمين الشركة ليكونا للأمم ... لكن يبدو أن يوحنا لم يكن موجوداً بأورشليم سنة ٥٨ وهى السنة التى زار فيها بولس أورشليم زيارة أخيرة . ففى هذه المرة لم يقابل من الرسل سوى يعقوب (أع ٢١ : ١٨) ، مما يستنتج معه أن يوحنا لم يكن موجوداً بها وقتذاك ، وربما كان في مكان ما بفلسطين يكرز ويبشر [انظر : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية ج ١ ص ٣٩ ، ٤٠ ؛ الخزينة النفيسة ج ١ ص ٤٦ ، مروج الأخيار ص ٣٦٢ ، Schaff, Vol. I, p. 424, الطرفة النقية ج ١ ص ١٣] .

(١٢) تعرف الآن باسم Patome أو بالموسا Palmosa من جزر بحر إيجه جنوب غربى أفسس . ومازالت في الجزيرة حتى الآن معالم أثرية عن استقرار يوحنا فيها .

(13) Schaff, Vol. I, p. 426.

ومن الألقاب اللاصقة بيوحنا . لقب « الحبيب » ، فقد ذكر هو عن نفسه أنه كان التلميذ الذى يحبه يسوع (١٤) ... وقد ظل يوحنا رسول المحبة فى كرازته ووعظه ورسائله وإنجيله ... وكتابته كلها مفعمة بهذه الروح ... روى عنه أنه لما شاخ ولم يعد قادراً على الوعظ ، كان يحمل إلى الكنيسة ويقف بين المؤمنين مردداً العبارة : « يا أولادى حبوا بعضكم بعضاً » . فلما سأموا تكرار نفس هذه العبارة ، تساءلوا لماذا يعيد هذه الكلمات ويكررها . فكان جوابه لأنها هى وصية الرب وهى وحدها كافية لخلاصنا لو أتمناها ...

ومن القصص التى تروى عن حبه الشديد لخلاص الخطاة ، تلك القصة التى تروى أنه قاد إلى الإيمان أحد الشبان وسلمه إلى أسقف المكان كوديعة وأوصاه به كثيراً . لكن ذلك الشاب ما لبث أن عاد إلى سيرته الأولى وصار رئيساً لعصابة قطاع طرق ... عاد يوحنا بعد مدة إلى الأسقف وسأله ، عن الوديعة ، واستخبره عن ذلك الشاب ... تنهد الأسقف وقال [لقد مات] ... ولما إستفسر منه عن كيفية موته ، روى له خبر إرتداده ... حزن يوحنا واستحضر ذابة ركبتها على الرغم من كبر سنه ، وأخذ يجوب الجبل الذى قيل أن هذا الشاب كان يكمن فيه ... أمسكه للصوص وقادوه إلى زعيمهم ، الذى لم يكن سوى ذلك الشاب ... تعرف عليه الشاب ، وللحال فر من وجهه ، وأسرع يوحنا خلفه وهو يناشده أن يقف ويسمع له رحمة بشيخوته ... فوقف الشاب وجاء وسجد بين يديه ، فأقامه ووعظه فتاب عن إثمه ورجع إلى الله ... لكن على الرغم من محبته الشديدة للخطاة ، فقد كان يمتق الهراطقة جداً . ويظهر هذا الأمر واضحاً فى كتاباته المليئة بالتحذير من الهراطقة ...

يذكر معلمنا بولس هذا الرسول على أنه أحد أعمدة الكنيسة الأولى ، وأنه من رسل الختان (غل ٢ : ٩) ... ويذكر بوليكراتس Polycrates أسقف أفسس أواخر القرن الثانى أن يوحنا كان يضع على جبهته صفيحة من الذهب كالتى كان يحملها رئيس أحبار اليهود (١٥) ، ليدل بذلك على أن الكهنوت قد إنتقل من

(١٤) انظر : يوحنا ١٣ : ٢٣ ؛ ١٩ : ٢٦ ؛ ٢٠ : ٢ ؛ ٢١ : ٧ ، ٢٠ .

(١٥) انظر خروج ٢٨ : ٣٦ ، ٣٧ ؛ ٣٩ : ٣٠ ، ٣١ .

الهيكل القديم إلى الكنيسة ... لكن مع ذلك، تستدل من مواقفه وكتابات أنه كان معتدلاً غير متطرف ...

وبعد أن دَوّن لنا هذا الرسول إنجيلاً ورؤيا وثلاث رسائل تحمل اسمه ، رقد في الرب في شيخوخة وقورة حوالى سنة ١٠٠ م .



يوحنا الحبيب

القدّيس يعقوب البار

هو يعقوب بن حلفى أحد الاثنى عشر رسولاً ، وهو أحد الأعمدة الثلاثة لكنيسة الختان حسبما دعاه معلمنا بولس (غل ٢ : ٧ - ٩) . عُرفَ باسم يعقوب أخى الرب لأنه ابن خالته بالجد من مريم زوجة كلوبا . فكلمة حلفى آرامية ويقابلها « كلوبا » (١٦) فى اليونانية . وعُرفَ باسم يعقوب الصغير (مر ١٥ : ٤٠) تمييزاً له عن يعقوب الكبير ابن زبدى . وعُرفَ أيضاً باسم يعقوب البار نظراً لقداسة سيرته وشدة نسكه . كما عُرفَ باسم يعقوب أسقف أورشليم لأنه أول أسقف لها .

(16) Carrington, Vol. 1, pp. 31, 40.

وقد أثير جدل حول شخصيته ، وحول القلب الذي عُرف به «أخ الرب» .

وهناك ثلاثة آراء بخصوص اخوة الرب :

١ - رأى يقول إنه ابن ليوسف ومريم بعد ميلاد رب المجد يسوع ... قال بهذا الرأي ترتليانوس (١٧) . وتبنى هذا الرأي بعده شخص يدعى هلفيديوس Helvidius المهرطوقى من روما سنة ٣٨٠ م ، مما دعا القديس ايرونيμος أن يرد عليه برسالة قوية سنة ٣٨٣ فند فيها كل هذه الادعاءات الباطلة (١٨) ، ودعا كلا من ترتليانوس وهلفيديوس منشقان على الكنيسة الجامعة ... وهذا الرأي هو رأى البروتستانت . وهو يتناقض مع روح الكتاب المقدس ونصوصه وعقيدة الكنيسة الجامعة منذ عصرها الرسولى . ونحن نرفض هذا الرأي ونشجبه لأن العذراء مريم ظلت عذراء أيضاً بعد ولادة المسيح ، فهى «العذراء كل حين» وهى لم تعرف يوسف خطيبها معرفة الزواج قبل وبعد ميلاد المخلص .

٢ - رأى ثان يقول إن المذكورين فى الإنجيل إخوة الرب ، هم فى الحقيقية أبناء ليوسف النجار من زوجة سابقة توفيت قبل خطبته لمريم العذراء ... وقد ظهرت هذه النظرية إلى عالم الوجود فى كتابات الأ بوكريفا المنسوبة للقديس يعقوب أخى الرب ومنها إنجيل يعقوب المعروف باسم Protevangelium (ف ٩) . وقد أخذ بهذا الرأي بعض الآباء الشرقيين — وهذا هو رأى الكنيستين اليونانية والسريانية (١٩) . وهذا رأى — على ما فيه من أخطاء وثغرات لا محل للرد عليها

(١٧) عالم وقس من قرطاجنة بشمال أفريقيا . ولد حوالى منتصف القرن الثانى وتوفى بين سنتى ٢٢٠ ، ٢٤٠ . انضم آخر القرن الثانى أو أوائل الثالث إلى هرطقة المونتانيين Montanists . له عدة إنحرافات إيمانية عقيدية .

(18) N.P.N.F., Series 2, Vol. 6, pp. 334 - 346.

ترجم جزء من الرسالة دير السريان ، ونشرها كيمير للميلاد فى يناير سنة ١٩٦٢ باسم «ميرم الابن الوحيد» .

(١٩) انظر : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية ج ١ ص ٨٩ .

هنا — فإنه لو كان هؤلاء المدعوين santahagadp.org أولاداً ليوسف من زوجة سابقة ،
لكانوا أكبر من الرب يسوع سناً وفي هذه الحالة لا يعتبر يسوع وارثاً لعرش
داود (٢٠) ، وفي هذا هدم لنصوص الكتاب ونبوات العهد القديم .

٣ - الرأي الثالث — وهو رأى كنيسة القبطية الأرثوذكسية
والكنيسة (٢١) اللاتينية أيضاً . بأن يعقوب هذا هو عينه ابن حلفى (كلوبا)
وابن خاله السيد المسيح بالجسد من مريم أخرى شقيقة العذراء مريم ، وذلك
إستناداً لما جاء فى الإنجيل (٢٢) المقدس — وقد دافع عن هذا الرأى بحماس كبير
كل من جيروم وأغسطينوس . والغريب أن هذا الرأى الثالث يدافع عنه حالياً
كثير من العلماء البروتستانت (٢٣) ... فضلاً عن ذلك ، فليس أدل على صحة
هذا الرأى من أن التقليد الكنسى القديم فى العالم كله ، يجعل منهما — يعقوب
بن حلفى ويعقوب أخا الرب — شخصاً واحداً (٢٤) .

هذا وقد أثير جدل أيضاً حول وضع هذا الرسول فى الكنيسة الأولى من
جهة رسوليته — هل كان رسولاً من الاثنى عشر أم لا ... فريق يؤكد رسوليته
على إعتبار أنه ابن حلفى المذكور فى قوائم الرسل ، وفريق يدعى أنه شخص آخر ،
وبالتالى ليس من الاثنى عشر ... بل ذهبوا إلى أبعد من هذا ، فقالوا بل إنه لم
يؤمن بالسيد المسيح إلا بعد قيامته ، وظهره له ظهوراً خصوصياً على نحو ما حدث
لشاول الطرسوسى (بولس الرسول) قرب دمشق ويستند أصحاب هذا الرأى الأخير
إلى ما جاء فى (يو : ٥ : ٥) «لأن أخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به» ، بالمقارنة مع
ما قاله معلمنا بولس فى (١ كو : ١٥ : ٧) عن ظهور الرب يسوع ليعقوب بعد قيامته
المجيدة ...

(٢٠) انظر مت ١ : ١٧ ؛ لو ١ : ٢٧ ؛ رو ١ : ٣ ؛ ٢ : ٢ ؛ ٨ : ٣ ؛ رؤ ٢٢ : ١٦ — وأيضاً :

Schaff, Vol. 1, p. 274.

(٢١) انظر : ترجمة هذا الرسول فى سنكسار الروم الكاثوليك تحت يوم ٩ تشرين الأول .

(٢٢) انظر : يو ١٩ : ٢٥ بالمقارنة مع لو ٢٤ : ١٠ ؛ مر ١٥ : ٤٠ .

(٢٣) انظر التعليق على يوسابيوس ك ١ ف ١٢ فى مجموعة : (N.P.N.F., series 2, Vol. 1, p. 99)

(24) Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, p. 22.

لكن ليس في هذا ما يثبت هذا الزعم . فقول يوحنا أن إخوة الرب يسوع لم يكونوا يؤمنون به ، لا يعنى عدم الإيمان كلية . لكن العبارة تحمل معنى عدم الإيمان الكامل بلاهوته ... ولهذا الأمر نظير فيما يختص بالرسول أنفسهم ، الذى قيلت عنهم أقوال مشابهة (٢٥) ... أما عن الآية التى أوردها القديس بولس الخاصة بظهور الرب له (١ كو ١٥ : ٣-٧) ... فنقول أن ظهور الرب ليعقوب بعد قيامته ليس فيه أى دليل على أنه لم يكن مؤمناً ، ثم آمن بواسطة هذا الظهور كما فى حالة بولس الرسول . لأنه يوجد كثيرون أظهر الرب لهم ذاته بعد قيامته ، فلماذا يكون يعقوب هو الوحيد بين هؤلاء جميعاً الذى كان غير مؤمن ثم آمن بسبب هذا الظهور؟! أما عن هذا الظهور الذى خص به يعقوب ، فهناك رأى قديم بخصوصه أورده كاتب إنجيل العبرانيين الأبوكريفا — وهو من أقدم الأناجيل الأبوكريفا وأقلها مجانة للصواب — ويتلخص فى أن يعقوب لما علم بموت المخلص على الصليب تعاهد ألاّ يذوق طعاماً إلى أن يقوم الرب من بين الأموات . وحدث فى صبيحة يوم القيامة أن الرب يسوع تراءى له وقدم له خبزاً وقال له : [قم يا أخى ، تناول خبزك لأن ابن البشر قام من بين الراقدين] (٢٦) ... وجدير بالذكر أن كاتب إنجيل العبرانيين يجعل من يعقوب ابن حلفى ويعقوب أخ الرب شخصاً واحداً (٢٧) .

ويؤكد رسولية هذا القديس وأنه من الاثنى عشر ، نص صريح ذكره القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل غلاطية . يذكر بولس زيارته الأولى لأورشليم بعد إيمانه فيقول : « ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف ببطرس ، فمكثت عنده خمسة عشر يوماً . ولكننى لم أرى غيره من الرسل إلاّ يعقوب أخا الرب » (غل ١ : ١٨ ، ١٩) ... وواضح من هذه الآية أن يعقوب أخا

(٢٥) انظر : مت ١٧ : ١٧ ؛ مر ٤ : ٤٠ ؛ ٩ : ١٩ ؛ ١٦ : ١٤ ؛ لو ٨ : ٢٥ ؛ ٩ : ٤١ ؛

١٧ : ٥ ؛ ٢٤ : ٢٥ ؛ يو ٦ : ٦٤ وانظر تلميذى عمواس ورأيهما المدون فى لوقا ٢٤ : ١٣-٢٧ .

(٢٦) ترجم هذا الاقتباس القديس جيروم من العبرية إلى اللاتينية واليونانية وأورده فى الفصل الثانى

من كتابه مشاهير الرجال انظر : N.P.N.F. series 2 Vol. 3, p. 362.

(27) Schaff, Vol. 1, p. 266 (footnote).

رأس كنيسة أورشليم ، وصار أسقفاً عليها ، واستمر بها إلى وقت إستشهاده . ولا يعرف بالضبط متى صار أسقفاً على أورشليم . لكن هناك رأى يقول إن ذلك كان سنة ٣٤ م . وهذا التاريخ يتفق تقريباً مع شهادة جيروم التى ذكر فيها أنه ظل راعياً لكنيسة أورشليم نحو ثلاثين سنة (٢٨) . وعمله كأسقف على أورشليم يوضح لنا حكمة الكنيسة الأولى وسياستها فى وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ... فقد كان هذا الرسول يتمتع بشخصية قوية بحكم صلة القرابة الجسدية بالرب ، فضلاً عن تقواه الشديدة ونسكياته الصارمة . ومن هنا فقد تمتع بسلطان كبير بين اليهود المتصرين ، بل تمتع بمكانة كبيرة بين اليهود أنفسهم ، ولذا وضع فى أورشليم معقل اليهودية فى العالم كله ، وإليها يفد الآلاف منهم ، ليكون كارزاً لهم ... وبناء على تقليد قديم دونه لنا أبيفانيوس ، كان يعقوب يحمل على جبهته صفيحة من الذهب منقوش عليها عبارة « قدس للرب » على مثال رئيس أحبار اليهود (٢٩) .

تمتع هذا الرسول بمكانة كبيرة فى كنيسة الرسل ... فقد رأس أول مجمع كنسى سنة ٥٠ وهو مجمع أورشليم ، الذى عرض لموضوع تهود الأمم الراغبين فى الدخول إلى الإيمان (أع ١٥) ، وكان رأيه فيه فصل الخطاب بالنسبة لموضوع ، كان يعتبر موضوع الساعة وقتذاك . بل يبدو أنه هو الذى كتب بنفسه قرار المجمع ، فقد لاحظ العلماء ، تشابهاً بين أسلوب ذلك القرار وأسلوب الرسالة التى تحمل اسمه (رسالة يعقوب) ، مما يدل على أن كاتبهما شخص واحد .

والرسول بولس يذكره كأحد أعمدة كنيسة الختان الثلاثة ، الذين أعطوه مع برنابا يمين الشركة ليكرز الأمم ، بل ويورد اسم يعقوب سابقاً لاسمى بطرس ويوحنا مما يدل على مكانته (غل ٢ : ٩) ... ويؤيد هذه المكانة أيضاً ، الخوف

(٢٨) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٥ .

(٢٩) خر ٢٨ : ١٦ .

والارتباك اللذان لحقا بطرس الرسول في أنطاكية ، الأمر الذي جعله يسلك مسلكاً ريثياً وبخه عليه بولس علانية لمجرد وصول إخوة من عند يعقوب !! (انظر غل ٤ : ١١-١٤) .

أما عن نسكه فقد أفاض هيجيسبوس (٣٠) Hegesippus في وصفه ، وقال إنه كان مقدساً من بطن أمه لم يعل رأسه موسى ، لم يشرب خمرأ ولا مسكراً وعاش نباتياً لم يأكل لحماً ... وكان لباسه دائماً من الكتان . وكان كثير السجود حتى تكاثف جلد ركبته وصارتا كركبتى الجمل .

وبسبب حياته ونسكه ومعرفته الواسعة بالكتب المقدسة وأقوال الأنبياء نال تقديراً كبيراً من اليهود ، وآمن على يديه كثيرون منهم في مدة أسقفيته .. بل أن يوسفوس المؤرخ اليهودى الذى عاصر خراب أورشليم ، لم يتردد عن الاعتراف بأن ما حل باليهود من نكبات ودمار أثناء حصار أورشليم ، لم يكن سوى إنتقام إلهى لدماء يعقوب البار...

لكن إنعطاف اليهود نحو القديس يعقوب أثار حنق رؤساء الكهنة والكهنة والفريسيين عليه فقرروا التخلص منه .

وذكر هيجيسبوس — وأيده في ذلك إكليمنضس الاسكندرى — أن اليهود أوقفوه فوق جناح الهيكل ليشهد أمام الشعب ضد المسيح ... فلما خيب ظنهم وشهد عن يسوع أنه المسيا وهتف الشعب أوصنا لابن داود . صعدوا وطرحوه إلى أسفل ، أما هو فجثا على ركبتيه يصلى عنهم ، بينما أخذوا يرحمونه ، وكان يطلب لهم المغفرة . وفيما يصلى تقدم قصار ملابس وضربه بعصا على رأسه فأجهز عليه ، ومات لوقتته (٣١) .

(٣٠) هو أحد علماء القرن الثانى المسيحيين ، كان يهودياً وآمن ، ويرجح أنه كان من فلسطين متأثراً بالعوائد اليهودية . كان كثير الأسفار في سوريا واليونان وإيطاليا . كتب تاريخاً للكنيسة لكنه فقد ، وقد حفظ لنا يوسابيوس بعض فقرات منه . H.E., 2 - 23.

(31) Eusebius, H.E., 2 - 23.

وكان ذلك في سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ بحسب رواية يوسفوس وجيروم وفي سنة ٦٩ بحسب روايه هيجيسبوس . والرأى الأول هو المرجح .

وقد خلف لنا هذا الرسول ، الرسالة الجامعة التي تحمل اسمه والتي أبرز فيها أهمية أعمال الإنسان الصالحة ولزومها لخلاصه إلى جانب الإيمان . أما عن تاريخ كتابتها ، فهناك رأى يقول إنه كتبها في الأربعينات قبل مجمع أورشليم ، ورأى آخر يقول إنه كتبها قبيل إستشهاده بوقت قصير ... كما خلف لنا يعقوب الرسول الليتورجيا (صلاة القداس) التي تحمل اسمه ، والتي انتشرت في سائر الكنائس (٣٢) . أما عن صحة نسبتها إليه ، فالتقليد الكنسى لجميع الكنائس الشرقية يجمع على ذلك (٣٣) .

القدّيس فيلبس

ولد في بيت صيدا (يو ١ : ٤٤) ... ويبدو أنه عكف منذ صباه على دراسة الكتب المقدسة ، فنحن نجده سريعاً لتلبية دعوة الرب حالما قال له اتبعنى ، ونجد في حديثه إلى « نثنائيل » « قد وجدنا الذى كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء ، يسوع ... » (يو ١ : ٤٥) ، ما يدل على الإنتظار والتوقع ...

لم يرد ذكره كثيراً في الأناجيل ... ذكر اسمه في معجزة إشباع الآلاف من خمس خبزات وسمكتين ، حينما سأله الرب سؤال إمتحان « من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء » . فكان جواب فيلبس « لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً » (يو ٦ : ٥ - ٧) ... وجاء ذكره في يوم الاثنين التالى لأحد الشعانين . حينم تقدم إليه بعض اليونانيين الدخلاء ، وسألوه أن يروا يسوع (يو ١٢ : ٢٠ - ٢٢) ... وجاء ذكره أيضاً في العشاء الأخير ، وفي الحديث الذى سجله لنا القديس يوحنا ، حينما قال للرب يسوع : « أرنا الآب وكفانا » فكان

(٣٢) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٥ ، ٦ .

(٣٣) عن ليتورجية القديس يعقوب انظر : A.N.F., Vol. 7, pp. 529-550

جواب الرب عليه « أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس . الذى رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أننا الآب . ألسنت تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ » (يو ١٤ : ٨-١٠) .

حمل بشرى الخلاص إلى بلاد فارس وآسيا الصغرى خاصة إقليم فرجيا ، وانتهى به المطاف فى مدينة هيرابولس (*) حيث إستشهد مصلوباً ، بعد أن ثار عليه الوثنيون . ونلاحظ الخلط بينه وبين فيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة ، فى بعض الروايات .

القدّيس برثولماوس

يكاد يكون هناك إجماع بين العلماء أن برثولماوس هو عينه نثنائيل الذى ذكره يوحنا فى إنجيله ، أن فيلبس أحضره للمسيح (يو ١ : ٤٥) ... والدليل على ذلك أن يوحنا يذكره فى أول بشارته وآخرها (٣٤) ، بينما البشائر الثلاث الأخر تذكر فيلبس وبرثولماوس بين أسماء الرسل (٣٥) استنتجوا من ذلك أن برثولماوس هو نثنائيل ويرجح أن نثنائيل هو اسم الرسول ، وبرثولماوس (معناها ابن تلماي Talmai) (٣٦) تفيد اللقب ... ومهما يكن من أمر هذا الرسول ، فقد لازم الرب يسوع حياته على الأرض ، وكان له شرف التمتع برؤيته بعد القيامة على بحر طبرية مع بعض التلاميذ (يو ٢١ : ٢) ...

بشر فى بلاد اليمن وترك لهم نسخة من إنجيل متى باللغة العبرية ، وجدها العلامة بنتينوس عميد المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية ، عندما ذهب إلى هناك حوالى

(*) مدينة هيرابولس Hierapolis مجاورة لكولوسى واللاذقية بآسيا الصغرى — اندثرت وتدعى الآن بامبوك كليسى Pambuk Kalesi .

(٣٤) يو ١ : ٤٥ - ٥١ ؛ ٢١ : ٢ .

(٣٥) مت ١٠ : ٣ ؛ مر ٣ : ١٨ ؛ لو ٦ : ١٤ .

(36) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, Part 1, p. 358; Vol. 2, p. 467.

سنة ١٨٠ . وقد روى يوسابيوس (٣٧) www.egyptology.net الرواية لكن ذكر الهند بدلاً من بلاد اليمن ... والأرجح أنها اليمن وليست الهند . ففي اليمن كانت توجد جالية يهودية كبيرة ، وبطبيعة الحال ، لا نفع للهنود من كتاب مكتوب بالعبرية (٣٨) !! ومن المقطوع به أنه بشر أيضاً في أرمينيا . والكنيسة الأرمنية هناك مازالت تعتبره شفيعها ، بعد أن استشهد بها .

وقد اختلفت الروايات عن طريقة إستشهاده ، فمنها ما ذكر أنه صلب ، ومنها ما قال إنه سلخ جلده وقطعت رأسه .

القديس توما

كان من الجليل ، ومعنى اسمه التوأم كما ذكر يوحنا الإنجيلي (١١ : ١٦ ؛ ٢١ : ٢) ... دعاه الرب يسوع إلى شرف التلمذة ، فلبى الدعوة وتبعه ، ورافقه مع بقية التلاميذ ، ورأى آياته ، واستمع إلى تعاليمه الإلهية ... والمرات التي ذكر فيها اسمه في الأناجيل ، تظهر لنا حبه وغيرة لسيده ...

لما عزم الرب يسوع على الذهاب إلى بيت عنيا ليقيم لعازر ، اعترضه الرسل بقولهم « يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجوك وتذهب أيضاً إلى هناك . أما توما فالتفت إليهم وقال بلهجة المحب الوفي لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه » (يوحنا : ١٦ ، ٨) ...

ومرة ثانية ، فيما كان الرب يسوع يتكلم في ليلة العشاء الأخير عن إرتحاله عنهم ، قال له توما « يا سيد ، لسنا نعلم أين تذهب ، فكيف نقدر أن نعرف الطريق . أجابه الرب أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي » (يوحنا : ١٤ : ٦-١) .

(37) H.E., 5. 10.

(38) Smith, Dictionary of the Bible. Vol. 1, Part 1, p. 358.

واشتهر توما بمواقفه من قيامة الرب من بين الأموات . فلما أظهر الرب يسوع ذاته لتلاميذه مساء أحد القيامة ، لم يكن توما معهم . ولما أخبره بقية التلاميذ بهذا الظهور ، قال لهم « إن لم أبصر في يديه أثر المسامير ، وأضع يدي في جنبه لا أؤمن » ... وفي الأحد التالي أظهر الرب ذاته لتلاميذه في العلبة ومعهم توما . وعاتبه الرب عتاباً لطيفاً ، وألزمه أن يضع أصبعه في أثر المسامير ، ويضع يده في جنبه . فذاب توما خجلاً . ومن فرط اليقين صرخ « ربى وإلهى » ، فقال له يسوع « لأنك رأيتنى يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٦ - ٢٩) . وحينما أظهر الرب ذاته لبعض تلاميذه على شاطئ بحر طبرية بعد قيامته ، كان توما معهم (يو ٢١ : ٢) ..

بشر أولاً في اليهودية ... وقيل أنه جال مبشراً في بلاد ما بين النهرين (العراق) ، وقيل إنه عرج على بلاد العرب واجتاز البحر إلى بلاد الحبشة ، وكثر في بلاد الهند والصين ... وقد قضى الشطر الأكبر من حياته الكرازية في الهند ... ومازال توما الرسول حتى الآن هو شفيع المسيحيين الهنود .

أنهى توما حياته بسفك دمه لأجل الرب يسوع . فقد هجم عليه بعض كهنة الأوثان في ملابار Malabar وسلخوا جلده وهو حى ، ثم أخذوا يطعنونه بالرماح حتى مات .

القديس متى

كان من الجليل ، ويدعى لاوى ... كان عشاراً ، وكان العشارون جبة رسميين يعملون لحساب الرومان المستعمرين . لذلك كانوا ممقوتين لدى الشعب ، ومعتبرين خطاة في نظر عامة الناس ... دعاه الرب أن يتبعه — وكان جالساً عند مكان الجبابة — فترك كل شيء وقام وتبعه (مت ٩ : ٩-٢٤) ... ولا شك أن هذا يدل على قلب عملت فيه نعمة الرب فليس للإنسان أن يعمل أكثر من ذلك : أن يترك كل شيء ، وليس في استطاعته أن يفعل أفضل من اتباع يسوع ...

لازم الرب يسوع وسمع تعاليمه ، وعان قيامته المجيدة ، وامتلاً
من الروح القدس يوم الخمسين . قيل إنه كرز بالإنجيل في بلاد اليهودية وأثيوبيا
وقيل إنه بشر في بلاد الفرس والبارثيين (٣٩) .



متى الرسول

القديس يهوذا

ويدعى أيضاً تداوس ولباوس ويهوذا أخا يعقوب تمييزاً له عن يهوذا
الاسخريوطى الذى أسلم الرب (٤٠) ... والتقليد القديم يؤكد أنه أخو يعقوب
كما ذكر القديس لوقا في إنجيله وفي سفر الأعمال — وليس ابن يعقوب كما في
الترجمة السريانية (٤١) ... وهو أحد الأربعة المذكورين في كتاب العهد الجديد إخوة
الرب ... لا يذكر الإنجيل متى دعى هذا الرسول للرسولية ، لكن الأناجيل وسفر
الأعمال تذكره ضمن جداول الرسل الإثني عشر ... لا يذكره الإنجيل إلا في

(39) Smith, Dictionary of the Bible. Vol. 2, p. 274.

(٤٠) انظر : مت ١٠ : ٣ ، مر ٣ : ١٨ بالمقابلة مع لو ٦ : ١٦ ؛ أع ١ : ١٣ .

(٤١) انظر : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية ج ١ ص ٦٨ .

موضع واحد . فحينما كان الرب يكلمكم غلب العشاء الأخير وقال « الذى عنده وصاى ويحفظها فهو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » قال يهوذا للرب « يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزعم أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم » (يوحنا : ١٤ ، ٢١ ، ٢٢) .

أما عن كرازته ، فتذكر التقاليد أنه بشر في بلاد ما بين النهرين وبلاد العرب وبلاد فارس . ويبدو أنه أنهى حياته شهيداً في إحدى مدن بلاد فارس .

والى هذا الرسول تنسب الرسالة التى تحمل اسمه بين الرسائل الجامعة ، وهى رسالة قصيرة . ويذكر في مقدمتها أنه « عبد يسوع المسيح وأخو يعقوب » . ولم يتفق العلماء على تاريخ هذه الرسالة ، ولا مكان كتابتها ، ولا من أرسلت إليهم ... وجل غرضها التحذير من المعلمين والمضلين والإخوة الكذبة .

القدّيس سمعان القانونى

ذكره كل من متى ومرقس باسم القانونى (مت ١٠ : ٤ ؛ مر ٣ : ١٨) ، وذكره لوقا في إنجيله وسفر الأعمال باسم الغيور (لوقا ١٥ : ٦ ؛ أع ١٣ : ١) ويقال إن هذه التسمية « الغيور » هى المرادف اليونانى ، للكلمة العبرية « القانونى » (٤٢) ... وهذه التسمية تدل على أنه من ضمن جماعة الغيورين الثائرين الذين عرفوا بتمسكهم الشديد بالطقوس الموسوية .

يخلط البعض بينه وبين سمعان أحد المدعويين إخوة الرب ، وأخى يعقوب البار ويهوذا الرسول ، الذى صار أسقفاً لأورشليم حتى سنة ١٠٦ خلفاً ليعقوب البار ، لكن هذا خطأ ... فسمعان الذى نحن بصددده هو أحد الرسل الاثنى عشر .

ونكاد لا نعرف شيئاً محققاً عن جهود هذا الرسول الكرازية والأماكن التى

(42) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3, p. 1320.

بشر فيها . قيل إن بشر في سوريا وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس . وختم حياته شهيداً .

القديس متياس

كان ضمن السبعين رسولاً الذين عينهم الرب ، ولازمه منذ البداية وسمع تعاليمه وشاهد آياته . فلما سقط يهوذا الإسخريوطى من رتبته بعد خيانة سيده وانتحاره ، كان لابد أن يقام آخر عوضاً عنه إتماماً لنبوّة المزمور عن يهوذا « لتصر داره خراباً ... وليأخذ وظيفته آخر » ، فاجتمع التلاميذ ليختاروا آخر بدلاً عنه . فتكلم بطرس وناشدهم أن يختاروا واحداً ممن اجتمعوا معهم كل الزمان الذى فيه دخل إليهم الرب يسوع وخرج منذ المعمودية يوحنا إلى وقت صعوده ، ليشهد معهم بقيامته ... فأقام التلاميذ اثنين من السبعين يوسف المدعو برسابا الملقب بسطس ومتياس ، وصلوا إلى الرب طالبين إظهار إرادته فى أى الاثنين يختاره . ثم ألقوا قرعة فوقع القرعة على متياس ، فحسب مع الأحد عشر رسولاً (أع ١ : ١٥ - ٢٦) .

إمتلأ من الروح القدس يوم الخمسين نظير سائر الرسل . ولا نعرف على وجه التحقيق حقول كرازته . قيل إنه بشر فى اليهودية والسامرة وبعض مقاطعات آسيا الصغرى . وختم حياته شهيداً .



بولس وبرنابا الرسولان ومرقس ولوقا الانجيليان

القديس بولس (٤٣)



بولس الرسول

إننا نعرف عن هذا الرسول وعن نشاطه الكرازي، أكثر مما نعرف عن أى رسول آخر، وذلك بفضل ما دونه عنه القديس لوقا في سفر الأعمال، وبفضل رسائله التى كتبها ... ولد في طرسوس^(٤٤) عاصمة ولاية كيليكية Cilicia جنوبى آسيا الصغرى، ومن أبوين يهوديين من سبط بنيامين كانت ولادته عقب مولد المسيح بسنوات قليلة، فقد ولد حوالى سنة ٥ أو سنة ٦ ... سمي بالاسم العبراني شاول على اسم أول ملوك

إسرائيل الذى كان أيضاً من سبط بنيامين. كما دعى أيضاً بولس وهو اسم روماني، فقد كانت أسرته تتمتع بحقوق المواطنة الرومانية — وإن كنا لا نعرف

(43) Schaff, Vol. 1, pp. 286-333; De Pressensé Vol, 1, pp. 95-124; 143-204; Weiss, Earliest Christianity Vol. 1, pp. 180-185; Lietzmann, A History of the Early Church, pp. 104; Harnack, The Mission and Expansion of Christianity p.p. 73 -- ; Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, pp. 731-763.

(٤٤) بناء عن رواية جيروم التى يحتمل أن يكون أخذها عن أوريجينوس أن والدى شاول نزحاً من جيشالا Gischala وهى مقاطعة يهودية شمالى الجليل إلى طرسوس. ولعل في ارسال شاول ليتعلم في اورشليم، ووجود أخت له متزوجة فيها (أع ٢٣: ١٦ - ٢٢) ما يؤيد هذا الرأى.

كيف ولماذا ... ذكرت عدة أجيال لـ بولس ، لكننا نستبعد أن هذا الاسم أطلق عليه بعد إيمان الوالى سرجيوس بولس في قبرص ...

كانت هناك عادة منتشرة أن يحمل الشخص اسمين ، أحدهما عبراني والآخر يوناني أو روماني ، والأمثلة على ذلك كثيرة في العهد الجديد ... كان أبوه فريسيًا ، فنشأ هو أيضاً فريسيًا متحمساً لشريعة آبائه ... تلقى تعليمه الدينى في أورشليم في مدرسة غملائيل (الأول) وهو أعظم معلمى اليهود في زمانه . ويبدو أن بولس أتى إلى أورشليم حدثاً . وهكذا نستنتج من قوله « ربيت مؤدباً عند رجل غملائيل » (أع ٢٢ : ٣) ... كان لبولس إلمام كبير بالثقافة اليونانية واللغة اليونانية ، بفضل البيئة الهيلينية التى نشأ وترعرع فيها في طرسوس (*). وكان يجيد اليونانية إجادة تامة ، ويظهر ذلك من أسلوبه في حديثه ورسائله ، ووقوفه على بعض آداب الديانة الوثنية وأقوال فلاسفتها وشعرائها وإستشهاده بها . كما كان يجيد العبرية الفصحى بالإضافة إلى الآرامية (٤٥) وهى العبرية الدارجة ، حتى أنه أثار دهشة سامعيه في الهيكل (أع ٢٢ : ٢) وهكذا جمع بولس في شخصه اليهودية والهيلينية والرومانية ، بما أهله أن يصبح رسولاً للعالم أجمع ... وإلى جانب هذه الثقافة تعلم صناعة الخيام — حسب تقليد معلمى اليهود — حتى ما تكون عوناً له في مواجهة الحياة ومصاعبها ، إذا تطلب الأمر .

نلتقى ببولس . أول ما نلتقى في كتاب العهد الجديد — في حادث رجم إستفانوس ، إذ كان يحرس ثياب الراجين ، وبعد هذا الحادث ، يبرز بولس كأكثر مضطهدى الكنيسة حركة ونشاطاً . فما أن إنتهى من أعماله التخريبية الانتقامية في أورشليم ، حتى قصد دمشق مزوداً بسلطان من رؤساء الكهنة ، لكى ينزل الاضطهاد بالمؤمنين هناك .

(*) يشهد الجغرافى سترابو Strabo بأن مدارس مقاطعة كيليكية كانت تنافس مدارس أثينا والاسكندرية .

(٤٥) يتضح هذا من إستخدامه بعض الكلمات الآرامية في رسائله مثل « ماران أثا » (١ كور ١٦ : ٢٢) ، وأبأ (غل ٤ : ٦ ؛ رو ٨ : ١٥) .

أما إهداؤه للمسيحية فكان عند مشارف دمشق ، حينما أعلن له الرب يسوع ذاته وأرشده إلى ما ينبغي أن يفعله . بعد هذه الرؤيا ، كان وهو مفتوح العينين لا يبصر . فاقناده إلى داخل دمشق ، وظل صائماً ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ... وفي نفس الوقت أعلن الرب إلى حنانيا أسقف دمشق في رؤيا خبر شاول ، وأمره أن يذهب إليه وعين له مكانه ... ذهب حنانيا ووضع عليه يديه فامتلاً من الروح القدس ووقع من عينيه شيء كأنه قشور ، فأبصر في الحال وقام واعتمد (٤٦) ... كان هذا على أرجح الآراء سنة ٣٦ أو سنة ٣٧ م ... ما أن اعتمد وامتلاً من الروح القدس حتى تحول من مضطهد إلى مجاهد ، ومن يهودى متعصب لبنى جنسه إلى رسول عملاق ، يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون « ولوقت جعل يكرز في الجامع بالمسيح ، أن هذا هو ابن الله » (أع ٩ : ٢٠) .

بعد ذلك أمضى بولس ثلاث سنوات في العربية (٤٧) ، وهى الصحراء المقابلة لدمشق شرقاً (غل ١ : ١٧ ، ١٨) انطلق إلى العربية — ليس في مهمة تبشيرية كما يعتقد يوحنا ذهبى الفم — بل كان غرضه الأساسى من هذه الخطوة هو التأمل والصلاة ودراسة أسفار العهد القديم بروح جديدة ، على ضوء بركات العهد الجديد . ولا شك أن هذه السنوات الثلاثة هى مقابل السنوات الثلاث التى أمضاها التلاميذ في الإعداد والتلمذة للرب يسوع ... هناك في هذه الخطوة أمكنه أن يدرس التناقض العجيب بين الحرف الذى يقتل والروح الذى يحيى ... بين خدمة الموت وخدمة الروح (٢ كو ٣ : ٦-٩) وقد قبل الكثير من هذه الحقائق بواسطة الإعلانات الإلهية ... « وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى

(٤٦) أع ٩ : ١ - ١٨ : ٢٢ ؛ ٦ - ١٦ ؛ ٢٦ : ١٢ - ١٨ .

(٤٧) المقصود بها مملكة النبطيين التى كانت تمتد من دمشق شمالاً إلى بترا Petra العاصمة جنوباً — وقد ورد ذكر النبطيين في سفر المكابيين الأول (٥ : ٢٥) — وكان يُطلق على سكانها اسم العرب انظر : Hastings, Dictionary of the Bible, p. 46.

بشرت به ليس بحسب إنسان ، لأننى لم أقبله من عند إنسان ، ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح » (غل ١ : ١١ ، ١٢) .

بعد ثلاث سنوات من إيمانه — أى من سنة ٤٠ تقريباً إلى وقت إستشهاده فى سنة ٦٧ أو ٦٨ — قام بولس بثلاث رحلات تبشيرية كبيرة ، إلى جانب بعض رحلات صغيرة أخرى ، وزار أورشليم خلالها خمس مرات ، وأمضى أكثر من أربع سنوات أسيراً فى قيصرية وروما ... ونلاحظ أن القديس بولس اتخذ أنطاكية عاصمة سوريا آنذاك قاعدة لرحلاته التبشيرية ، وأصبحت كنيسة الكنييسة الأم لكنائس الأمم ، ينطلق منها للتبشير ويعود إليها . وفى نفس الوقت إحتفظ بصلاته بكنيسة أورشليم التى كانت بمثابة الكنييسة الأم لكنائس الختان ...

ويمكن دراسة هذه الفترة على النحو التالى :

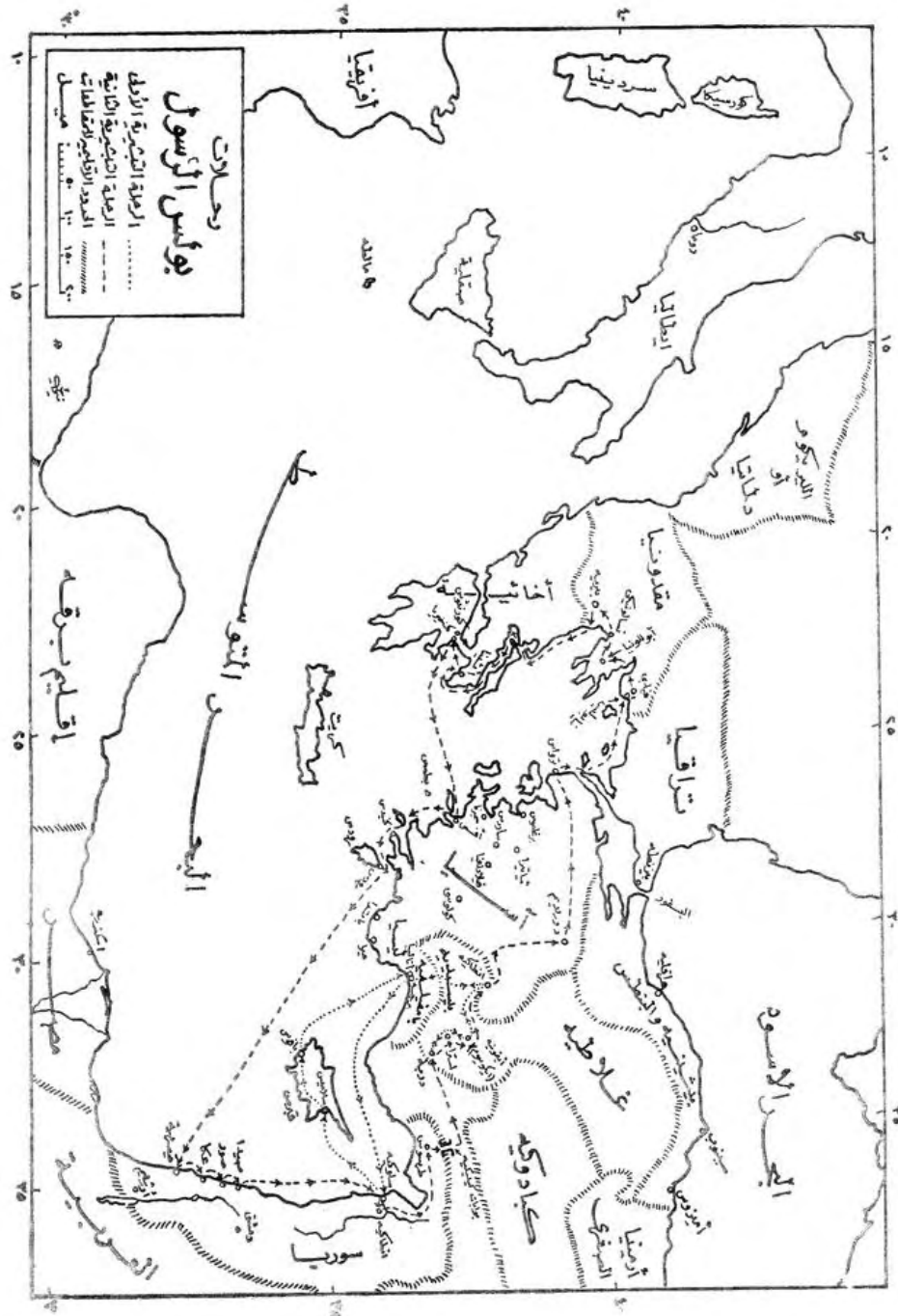
١ - الفترة من سنة ٤٠ إلى سنة ٤٤ م :

بعد أن عاد بولس من خلوته فى العربية ، بدأ خدمته العامة ... بدأها بغيرة زائدة فى دمشق ، مبشراً بالرب يسوع ، فى نفس المكان الذى اقتبل فيه الإيمان ودعى للعمل ... أثار نشاطه وخدمته حفيظة اليهود ، حتى أنهم استعدوا عليه وإلى دمشق العربى الحارث الذى شدد فى حراسة أبواب المدينة بقصد القبض عليه . لكن الإخوة المؤمنين دبروا أمر هربه بأن دلوه من طاقة فى سل بواسطة الحبال (أع ٩ : ٢٣ - ٢٥ ؛ ٢ كوا ١١ : ٣٢ ، ٣٣) .

بعد ثلاث سنوات صعد إلى أورشليم ليتعرف ببطرس (٤٨) ومكث معه

(٤٨) لم يصعد بولس إلى بطرس ليتلقى منه تعليمات ، أو ليستمد منه سلطاناً أو تعليمياً . فالرسول بولس يقول إلى أهل غلاطية : « وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان . لأننى لم أتسلمه أو أتعلمه من إنسان بل بإعلان يسوع المسيح » ويقول بعدها — مشيراً إلى حادث إيمانه — « ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى » (غل ١ : ١١ ، ١٢ ، ١٧) . لكن ليس معنى هذا أن بولس إستقى كل معلوماته عن المسيحية من الله رأساً ، لكنه بالتأكيد إستلم بعضها من الكنييسة ، بالإضافة إلى بعض الأسرار العميقة التى أعلنت له من الله والتى ميزت شخصيته وتعليمه بين الأمم انظر :

De Pressensé Vol. 1, p. 115.



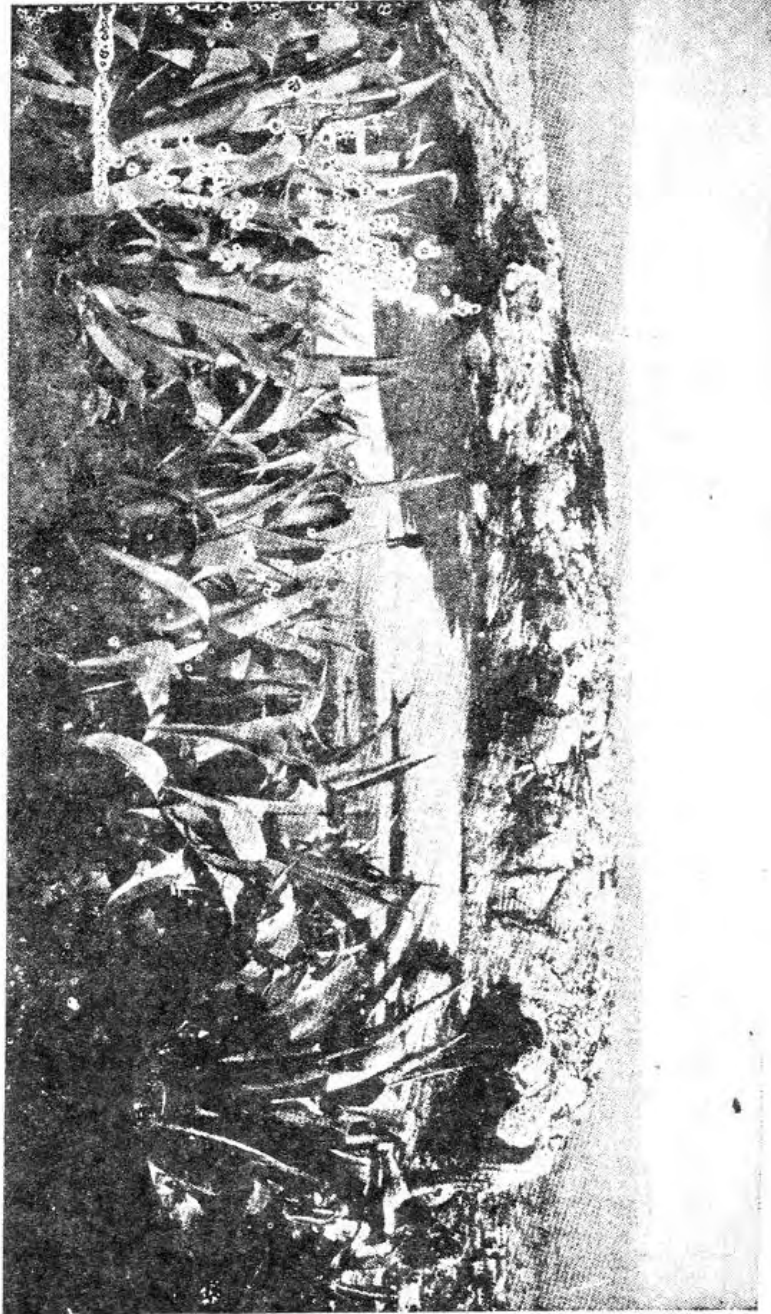
خمسة عشر يوماً. وقد التقى في هذه المرة بـ يعقوب أخى الرب (غل ١ : ١٩) ... وقدمه برنابا إلى التلاميذ الذين كانوا في بادئ الأمر خائفين منه . لكن لما سمعوا بالطريقة التى آمن بها ، كانوا يمجدون الله ، لأن الذى كان يضطهدهم قبلاً صار يبشر بالإيمان الذى كان قبلاً يتلفه (أع ٩ : ٢٦ ، ٢٧ ؛ غل ١ : ١٨ - ٢٤) ... وفى هذه الزيارة الأولى إلى أورشليم أعلنت له رؤيا من الرب يسوع فى الهيكل ، وقال له : « إسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى ... إذهب فإننى سأرسلك إلى الأمم بعيداً » (أع ٢٢ : ١٧) ... وقد دبر اليهود مؤامرة لقتله ... لكن الإخوة أرسلوه إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس . وظل فيها حتى جاءه برنابا وطلب منه الإشتراك معه فى الخدمة فى أنطاكية ، فذهب معه وظل يخدم فيها لمدة سنة كاملة (أع ١١ : ٢٥ ، ٢٦) .

لكنه بسبب المجاعة التى كانت وشيكة الوقوع — والتى تبنأ عنها النبى أغابوس — ذهب سنة ٤٤ — خلال السنة التى أمضاها بأنطاكية — إلى أورشليم ومعه برنابا ، حاملاً مقدمة المسيحيين فى أنطاكية لمساعدة إخوانهم فى اليهودية ... وقد تمت هذه الزيارة فى الظروف التى قتل فيها يعقوب الكبير ابن زبدى ، وسجن بطرس ... ونلاحظ أن جزءاً كبيراً من السنوات الأربع الخاصة بهذه الفترة صرفت فى أعمال تبشيرية فى طرسوس وأنطاكية .

٢ - الرحلة التبشيرية الأولى (سنة ٤٥ — سنة ٥٠) :

بدأ بولس رحلته التبشيرية الكبرى الأولى مصحوباً ببرنابا ومقرس بإعلان الروح القدس بلسان الأنبياء فى كنيسة أنطاكية (أع ١٣ : ١ ، ٢) ... إنحدر بولس وبرنابا ومقرس إلى سلوكية ميناء أنطاكية على البحر المتوسط ، وأقلعوا منها بحراً إلى قبرص ... إجتازوا جزيرة قبرص ، وانتقلوا منها إلى آسيا الصغرى . لكن مقرس فارقهما فى برجة بمقيلية ورجع إلى أورشليم لأسباب لا نعلمها ...

ولعل أهم الأحداث فى هذه الرحلة الأولى هى إيمان والى قبرص الرومانى سرجيوس بولس ، وتوبيخ ومعاينة عليم الساحر اليهودى ، والنجاح الذى صادفه



الآريوس باغوس في أثينا ببلاد اليونان
في هذا المكان التقى القديس بولس بجماعة من الفلاسفة الإبيقوريين والرواقيين وبشرهم بالرب يسوع .

التبشير بالإنجيل في أنطاكية بيسيدية ، ومقاومة اليهود ، وشفاء الرجل المقعد من بطن أمه في لسترة ، ومحاولة الناس عبادتهم والذبح لهما هناك .

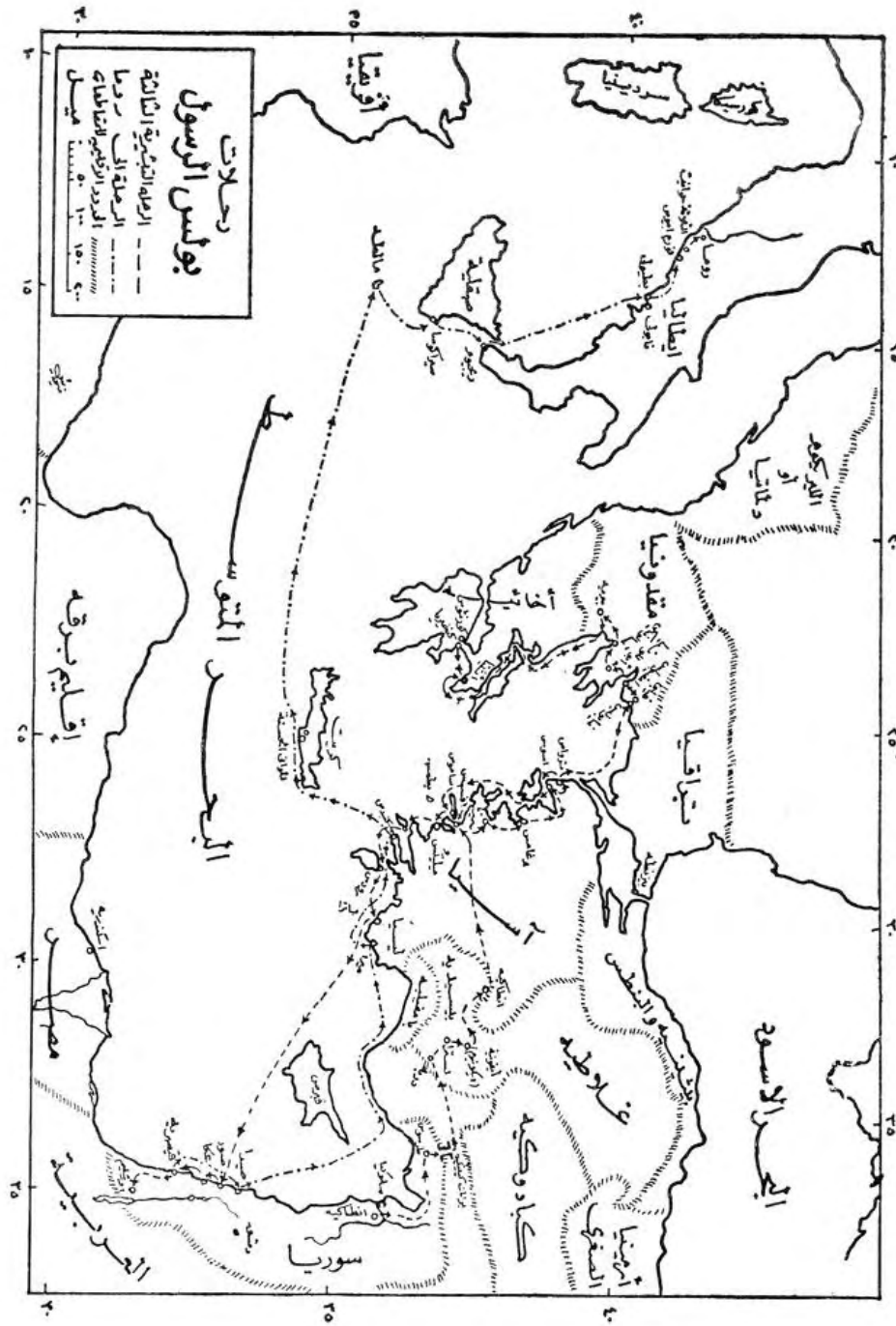
ثم التحول المفاجيء لهذه المشاعر إلى كراهية لهما كأعداء للآلهة بسبب تحريض اليهود ، وما ترتب على ذلك من رجم بولس في لسترة وهربه هو وبرنابا من الموت ، وعودتهما المظفرة إلى أنطاكية (أع ١٣ ، ١٤) ... وتنتهى هذه الفترة بالمجمع الرسولى الأول الذى عقد في أورشليم سنة ٥٠ .

٣ - الرحلة التبشيرية الثانية (سنة ٥١ — سنة ٥٤) :

بعد الانتهاء من مجمع أورشليم بدأ بولس رحلة ثانية كبيرة سنة ٥١ ، كانت تهدف إلى تبشير اليونانيين ، وأخذ معه سيلا ... وبعد أن زار بولس الكنائس التى أسسها قبلاً ، إنطلق يرافقه سيلا وتيموثاوس الشاب الذى كان قد آمن حديثاً . اجتازوا أقاليم فريجية وغلطية ، ومنعهم الروح القدس من أن يتكلموا بالكلمة في آسيا . إنحدروا إلى ترواس ، وهناك ظهرت لبولس رؤيا في الليل — رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول : « اعبّر إلى مكدونية وأعنا » فكان هذا إعلان من الله بالإنطلاق إلى بلاد اليونان لتبشيرها (أع ١٦ : ٩ ، ١٠) .

كرز بالإنجيل أولاً بنجاح كبير في فيلبى حيث آمنت ليديا بائعة الأرجوان وحافظ السجن ... وفيها سجن بولس وسيلا . وبمعجزة انفتحت أبواب السجن وخرجوا منه (أع ١٦) ... بعد ذلك قصداً إلى تسالونيكى ، وهناك قاومه اليهود واضطهدوه ، لكنه خلف وراءه كنيسة مزدهرة ... وفي بيرية أظهر اليهود غيرة عظيمة ، إذ قبلوا الكلمة بكل نشاط (أع ١٧) ...

ثم ذهب بولس وسيلا إلى أثينا مركز الأدب القديم والفلسفة . وهناك التقى بولس ببعض الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين . هناك — في الأريوس باغوس الواقع على تل مارس — كشف لهم بكل حكمة عن الإله المجهول ، الذى كانوا يتقونه وهم يجهلونهم وأقاموا له مذبحاً (أع ١٧) .. وإن كان بولس لم ينجح نجاحاً ملموساً



في أثينا مهد الفلسفة لأنهم إستهزأوا به ، لكن دعوته للإيمان أثمرت في نفر قليل منهم ديوناسيوس الأريوباغى — الذى صار أسقفاً على أثينا فيما بعد — وامرأة تدعى دامرس (أع ١٧ : ٣٤) ... لكن سرعان ما إزدهرت المسيحية في تلك البلاد فيما بعد بفضل البذار التى بذرها هذا الكارز العظيم ...

مضى بولس بعد ذلك إلى كورنثوس ، وكانت بمثابة القنطرة التجارية بين الشرق والغرب ، ومركزاً هاماً للثروة والثقافة ، وبؤرة للفساد والرذيلة (٤٩) .

أمضى بولس في كورنثوس سنة ونصف ، إستطاع خلالها — في ظروف قاسية جداً من الانحلال الخلقي — أن يؤسس فيها كنيسة بقوة كلمة الله ، وأنفذ إليها بعد ذلك رسالتين من أكثر رسائله أهمية .

وفي ربيع سنة ٥٤ عاد بولس إلى أنطاكية ماراً بأفسس وقيصرية وأورشليم .. وفى خلال هذه الفترة كتب رسالتيه إلى التسالونيكين .

٤ - الرحلة التبشيرية الثالثة (سنة ٥٤ — سنة ٥٨) :

في أواخر سنة ٥٤ ، قصد بولس أفسس ، وكانت آنذاك المدينة الأولى في آسيا حيث معبد الآلهة ديانا (أرطاميس) ومكث بها ثلاث سنوات ، جاعلاً منها قاعدة عمله الكرازى (أع ٢٠ : ٣١) ... بعد ذلك زار للمرة الثانية الكنائس التى أسسها في مكدونية وأخائية ، وأمضى ثلاثة أشهر في كورنثوس ومجاوراتها ... وقد كتب في هذه الفترة رسائله العقيدية إلى كنائس غلاطية وكورنثوس ورومية .

(٤٩) الرذائل التى أشار إليها بولس في (رو ١ : ١٨ - ٣٢) — تلك الرسالة التى كتبها من كورنثوس إلى كنيسة رومية — إنما جاءت وصفاً لأنواع الفجور في تلك المدينة التى إستشرى الفساد فيها ، حتى أن معبد الآلهة فينوس فوق الأكربول كان يضم أكثر من ألف زانية مخصصة لإرتكاب ألوان القحشاء إرضاء للآلهة .. انظر : Schaff, Vol. 1, pp. 325, 326.

٥ - فترة أسره في قيصرية ، وأسره الأول في روما (سنة ٥٨ - ٦٣)

وتشمل هذه الفترة مدة أسر بولس مرتين بما فيها فترة الشتاء التي تخللت الاثنين ، والتي سافر فيها من قيصرية إلى روما ...

في ربيع سنة ٥٨ سافر بولس للمرة الخامسة والأخيرة إلى أورشليم ماراً بفيلبي وترواس وميليتس (حيث إلتقى فيها بكهنة أفسس أع ٢٠) ، وصور وقيصرية ، حاملاً معه إلى فقراء اليهودية - معونة مؤمنى بلاد اليونان ... ولكن بعض اليهود المتعصبين الذين يمتقنونه دبوا ثورة ضده في مناسبة عيد الخمسين ، واتهموه بتدنيس الهيكل بإدخال يونانيين إليه ، وجروه خارج الهيكل حتى لا يندسوه بدمه ... وكانوا سيقتلونه لا محالة ، لولا تدخل الضابط الرومانى لسياس ، الذى كان على مقربة من المكان ... وشفعت له في هذا الموقف حقوق المواطنة الرومانية التى كان يتمتع بها ، فأنقذه هذا الضابط من ثورة الدهماء ، وأوقفه في اليوم التالى أمام السنهدين . وبعد جلسة غير مجدية ، وبعد إكتشاف مؤامرة للفتك به ، أرسله لسياس تحت حراسة قوية إلى فيلكس الوالى الرومانى في قيصرية ، ومعه شهادة تثبت براءته (أع ٢٦-٢١) .

بقى بولس أسيراً في قيصرية لمدة سنتين كاملتين (٥٨ - ٦٠) - في إنتظار محاكمته ... وأمام فستوس الوالى الرومانى الذى خلف فيلكس سنة ٦٠ ، طلب بولس كمواطن رومانى أن ترفع دعواه إلى قيصر ، فوافق الوالى على ذلك . وهكذا عمل بولس على إتمام إرادة الله المعلنه له بأن يبشر روما عاصمة العالم القديم بمخلص العالم كله (أع ٢٣ : ١١) ... وبعد أن دلى على براءته أكثر من مرة ، وشهد للمسيح أمام فستوس والملك هيرودس أغريباس الثانى وكل وجوه قيصرية ، أرسل في خريف سنة ٦٠ مخفوراً إلى روما .

كانت رحلة قاسية ، تحطمت فيها السفينة التى كان يستقلها بفعل العواصف ، وأمضى الشتاء في جزيرة مالطة . وفي مارس سنة ٦١ وصل بولس إلى روما ... وصلها أسيراً ... أسير يسوع المسيح . لكنه كان في حرية وقوة أكثر من الإمبراطور

الجالس على عرشه ... كانت السنة السابعة لتلك نيرون الطاغية ...

في روما أمضى بولس على الأقل سنتين حتى ربيع سنة ٦٣ في حياة سهلة، منتظراً الفصل في قضيته. لقد أقام تلك الفترة في مسكن خاص إستأجره. ولعل ذلك راجع إلى أن تقرير الوالى الرومانى فستوس كان فى صالحه. وبناء عليه فقد مُنح الأسير بولس حرية أكثر من بقية الأسرى ... فحددت أقامته، لكن كانت له الحرية أن يستقبل مَنْ يشاء، غير أنه كان له حارس يلزمه وهو موثق بسلاسل ...

وفى خلال تلك الفترة بشر بولس جميع الذين كانوا يدخلون إليه بكل مجاهرة بلا مانع (أع ٢٨ : ٣٠ ، ٣١) ... إبتدأ باليهود، لكن تعصبهم أعماهم فلم يقبلوا بشارته. إتصل به المسيحيون الذين كانوا فى روما وضواحيها. وقد كان لكلامه تأثير حتى فى الجنود الذين يتناوبون حراسته (فى ١ : ١٢ ، ١٣) ... وعلى الرغم من قيوده، فقد وصل نشاطه إلى موظفى البلاط الإمبراطورى، فكسب بعضهم وأدخلهم إلى حظيرة الإيمان، وحمل تحياتهم إلى الإخوة الذين فى فيلبى (فى ٤ : ٢٢) ... هكذا تم بولس — على الرغم من قيوده — عمله الرسول نحو الرب والكنيسة، مثبتاً عملياً أن كلمة الله لا تقيد أبداً ... وفى هذه الفترة كتب رسائله إلى كولوسى وفليمون وأفسس وفيلبى.

٦ - الأسر الثانى فى روما :

يتوقف القديس لوقا كاتب سفر الأعمال فى سرده لجهود بولس الرسول التبشيرية عند ربيع سنة ٦٣ ولا يمدنا بمعلومات أخرى عن حياته بعد ذلك التاريخ ... لكن ليس معنى هذا أن رسالة بولس إنتهت عند هذا الحد الذى ختمه لوقا بقوله : « كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » (أع ٢٨ : ٣١) ... ولم يذكر لوقا شيئاً عن إستشهاد بولس أو نهاية حياته ...

هناك تساؤلات كثيرة، أثير حولها جدل كبير، لم يصل المؤرخون وكبار

مفسرى الكتاب المقدس إلى رأى مؤرخه إزاءها ، وهى تختص بحياة بولس وجهوده فى الفترة من ربيع سنة ٦٣ إلى وقت إستشهاده فى سنة ٦٧ أو ٦٨ .

المرجح أن بولس أطلق سراحه لفترة قصيرة أعيد بعدها إلى السجن فى روما ... وفى هذه المرة ظل مسجوناً تحت حراسة مشددة وبصورة أعنف من الأولى (٢تى ٤ : ١٦ ، ١٧) ... ورسالة القديس بولس إلى تلميذه تيطس هى إحدى الأدلة على إطلاق سراح بولس بعد أسره الأول . يقول له : « من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة ... » (١تى ١ : ٥) لم يذهب بولس فى رحلاته التبشيرية الثلاث إلى كريت . لكن السفينة رست عليها وهو فى طريقه إلى روما أسيراً (أع ٢٧ : ٨ ، ٧) . وفى تلك المرة لم يكن معه تيطس .. فلا بد وأنه بعد إطلاقه ذهب لتبشيرها وكان معه تيطس . لقد كانت كل ظروف بولس فى أسره الأول فى صالحه ، مما يؤيد فكرة إطلاق سراحه . كما أن الرسائل التى كتبها فى مدة الأسر الأول تعكس نفسيته وتظهرها بمظهر الرجاء والفرح .

فى الفترة القصيرة التى أطلق فيها سراحه بعد الأسر الأول كتب الرسالة إلى العبرانيين من مكان ما بإيطاليا ، كان يستعد منه للسفر للشرق ... ويعود بولس للظهور أسيراً للمرة الثانية فى روما فى أواخر سنة ٦٦ ... فى الفترة ما بين الأسرين ذهب إلى كريت ، وعهد إلى تلميذه تيطس العناية بشئون كنيستها ، وذهب إلى أفسس وغادرها إلى مكدونية حيث كتب رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثاوس من إحدى مدنها ... وربما عرج على كورنثوس وميليتس وأمضى شتاء سنة ٦٥ ، سنة ٦٦ فى مدينة نيكوبوليس بإقليم إبيروس ، حيث كتب رسالته إلى تيطس يستدعيه (٢تى ٣ : ١٢) . ويبدو أنه عرج على ترواس حيث أودع قسماً من أمتعته (٢تى ٤ : ١٣) ... وفى رأى آخر أنه قبض عليه فى ترواس ورحل منها أسيراً إلى روما ليؤسر أسره الثانى . ويستدلون على ذلك من أنه لم يتمكن من أخذ متاعه ورقوقه التى لا يستغنى عنها . وهناك احتمال أنه ذهب إلى أسبانيا ...

فى هذا الأسر الثانى والأخير كتب بولس آخر رسائله وهى الثانية إلى تيموثاوس ، وفيها يقول له : « فأنى أنا الآن أسكب سكباً ، ووقت إنحلالى قد

حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن ... وأخيراً وضع لى إكليل البر» (٢تى ٤ : ٦- ٨) ... ومهما يكن من أمر، فإن هذه الفترة الأخيرة من حياة ذلك الرسول المجاهد يكتنفها الغموض ويجمع المؤرخون القدامى على أن بولس قضى شهيداً بقطع رقبته بحد السيف فى عهد نيرون الطاغية فى مدينة روما ، فى سنة ٦٧ أو ٦٨ م .

هذا العرض التاريخى المقتضب أقل من أن يصور لنا أن هذا الرسول العملاق على حقيقته ... إن مَنْ يريد أن يقف على سيرة كاملة له ، عليه أن يدرس حياة هذا الرجل القديس المجاهد من واقع كتاباته ، التى تبرز قوة شخصيته وجمال فضيلته وعمق إيمانه وفرط إتضاعه وأصاله نسكه ووفور غيرته وكنوز محبته ... كم من الأكاليل وضعت لذلك الذى تعب أكثر من جميع الرسل ، ودعا الناس أن يمتثلوا إلى كل ملء الله ، وكان كل همهم أن يحضر كل إنسان كاملاً فى المسيح يسوع ، وأخيراً قدم حياته ثمناً لحبه لإلهه ومخلصه ...؟!

القديس برنابا

كان يهودياً من سبط لاوى . ويبدو أن أسرته إستقرت فى قبرص ، لكن كان له أقرباء فى أورشليم منهم أسرة مار مرقس الذى دعاه بولس ابن أخت برنابا (كو ٤ : ١٠) ... وتعتقد كنيستنا بناء عن تقليد قديم أن برنابا أحد السبعين رسولاً^(٥٠) ... وقد دعى فى سفر الأعمال رسولاً . ودعاه بولس رسولاً بين الرسل نظيره ، ووضع كوضع بولس تماماً ، فقد أعطتهما الكنيسة الأولى يمين

(٥٠) سنكسار الكنيسة القبطية تحت يوم ٢١ كيهك ، الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة ج ١

ص ٧٧ . Eusebius, H.E., 1. 12: 1; Harnack, the Mission, pp. 52, 53.

الشركة (٥١) ... كان اسمه يوسف ودعاه الرسل برنابا (٥٢) (أع ٤ : ٣٦) .

يقدمه لنا القديس لوقا في صورة مشرقة في سفر الأعمال كواحد ممن باعوا ممتلكاتهم من أجل صالح الجماعة (أع ٤ : ٣٦ ، ٣٧) ومرة ثانية يقول عنه إنه « كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان » (أع ١١ : ٢٤) ...

وبحكم كونه تلميذاً من التلاميذ القدامى وأحد السبعين رسولاً ، كانت له مكانة خاصة في كنيسة أورشليم فهو الذي أوفدته كنيسة الرسل بأورشليم إلى أنطاكية حالما ترامى إلى سمعها أن الأميين فيها قبلوا كلمة الله (أع ١١ : ٢٢) ... وهو الذي قدم بولس إلى الرسل والكنيسة في أورشليم وأدخل الطمأنينة إلى نفوسهم بعد أن كانوا متوجسين مخاوفاً منه .

خدم برنابا في أنطاكية ، ولما وجد الحقل متسعاً ويحتاج إلى تخزين معه ، ذهب إلى طرسوس وأحضر شاول ، حيث خدما معاً لمدة سنة كاملة في أنطاكية (أع ١١ : ٢٢ - ٢٦) ... وفي أثناء هذه السنة صعدا معاً إلى أورشليم حاملين معهما تقدمات مؤمنى أنطاكية إلى إخوانهم فقراء اليهودية ... وفي عودتهما إلى أنطاكية أخذا معهما مرقس (أع ١٢ : ٢٥) .

وبناء عن إرشاد الروح القدس رافق بولس في رحلته التبشيرية الأولى إلى قبرص موطن أسرته ... ولا شك أن إختيار قبرص كمكان للكراسة ، وإختيار مرقس ليصحبهما يرجع السبب فيه إلى برنابا ... ثم عادا ثانية إلى أنطاكية وبعد ذلك حضرا مجمع أورشليم موفدين من قبل الكنيسة في أنطاكية للنظر في موضوع تهود الأمم ... وبعد انتهاء المجمع حملا قراراته .

(٥١) أع ١٤ : ٤ ، ١٤ ، ١٤ كو ٩ : ٥ ، ٦ ؛ غل ٢ : ٩ —

Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, Part 1, p. 358.

(٥٢) برنابا تفسيره في بعض الترجمات ابن الوعظ ، وفي ترجمات أخرى ابن الغزاء كما في السريانية واللاتينية القديمة . والمعنى الحرفي لبرنابا ابن النبوة ، وربما دعى ابن الوعظ لأن الوعظ كان من أعمال أنبياء العهد الجديد (أع ١٥ : ٣٢) انظر :

Smith, Dict. of the Bible. Vol. 1, Part 1. p. 357.

لكن برنابا افترق عن بولس في رحلته التبشيرية الثانية ، لأنه أصر أن يأخذ معه مرقس ، الأمر الذي لم يستحسنه بولس ، فحل سيلا محل برنابا كرفيق لبولس (أع ١٥ : ٣٦ - ٤٠) ... ثم أبحر إلى قبرص ومعه مرقس وبعد ذلك لا يعود سفر الأعمال يذكر شيئاً عن برنابا . كل ما نعلمه أنه حتى سنة ٥٧ - وهو تاريخ كتابة الرسالة الأولى إلى كورنثوس - كان مايزال في ميدان الكرازة والخدمة ... وما لا شك فيه أن برنابا كان شخصية هامة ومعروفة في صدر المسيحية ، فقد أشار إليه القديس بولس في رسائله إلى أهل كورنثوس وإلى أهل كولوسي ، كشخصية معروفة لديهم ، أو بعبارة أخرى معروفة في بلاد اليونان وآسيا (٥٣) .

لا نعلم شيئاً عن جهود برنابا الكرازية بعد إفتراقه عن بولس ، وتكاد التقاليد تجمع أنه إستشهد في سلامينا بقبرص . وليس ما يمنع من قبول هذا الرأي حيث أن برنابا كان متعلقاً بالخدمة فيها . قيل إن اليهود قاموا عليه ورجموه ثم أحرقوه ، لكن جسده لم يحترق ، فدفنوه في قبر سنة ٦١ ، وقيل إنه كشف فيما بعد عن جسده بموجب رؤيا أعلنت لأسقف المكان في القرن الخامس .

وهناك رسالة مشهورة تحمل اسم برنابا ، يقرر العلماء أنها كتبت في أواخر القرن الأول ، ولقيت شهرة كبيرة في أجيال المسيحية الأولى ، وشهد لها بعض آباء وعلماء الكنيسة ، لكن البعض الآخر أنكر صحة نسبتها إلى هذا الرسول (٥٤) .

ماركوس

هو يوحنا الملقب مرقس الذي تردد اسمه كثيراً في سفر الأعمال والرسائل (٥٥) .. كان يهودياً من سبط لاوى .. مستوطناً في مدينة كيرين Cyrene إحدى الخمس

(٥٣) انظر : ١ كو ٩ : ٦ ؛ كو ٤ : ١٠ .

(٥٤) انظر ماكتبناه عن هذه الرسالة في الباب السادس .

(٥٥) انظر : أع ١٢ : ١٢ ، ٢٥ ؛ ١٣ : ٥ ، ١٣ ؛ ١٥ : ٣٧ - ٣٩ ؛ كو ٤ : ١٠ ؛ ٢ تي ٤ :

١١ ؛ فل ٢٤ ؛ ١ بط ٥ : ١٣ .

مدن الغربية . لكن عائلته نزلت إلى فلسطين ومنها الأصل ، وسكنت بأورشليم .

نشأ في أسرة متدينة ، كانت من أقدم الأسرات إيماناً بالمسيحية وخدمة لها ... فأمه مريم كانت إحدى المريمات اللائي تبعن المسيح ، كما كان لكثير من أفراد الأسرة صلة بالسيد المسيح . كان مرقس يمت بصلة القرابة للرسول بطرس وبرنابا وتوما ... أما هو فقد رأى السيد المسيح وجالسه وعاش معه ، بل إنه كان من ضمن السبعين رسولاً ، ولذا لقبته الكنيسة « ناظر الإله » (٥٦) .

كان بيت مرقس من البيوت الشهيرة في تاريخ المسيحية المبكر ... فيه صنع رب المجد الفصح الأخير وغسل أرجل تلاميذه . وكان هو العلية التي يجتمع فيها التلاميذ بعد القيامة ، والتي شهدت حلول الروح القدس ... وعلى هذا ، فقد كان بيت مرقس هو أول كنيسة مسيحية في العالم ، إجتمع فيها المسيحيون في زمان الرسل (أع ١٢ : ١٢) ويذكر التقليد أن مرقس هو الشاب الذي قيل عنه إنه تبع المخلص وكان لابساً أزاراً على عريه فأمسكه الشبان ، فترك الأزار وهرب منهم عرياناً (مر ١٤ : ٥١ ، ٥٢) — هذه القصة التي لم ترد في إنجيل آخر سوى إنجيل مرقس ، مما يدل على أنها وقعت معه ...

أما عن جهوده الكرازية ، فيسجل لنا سفر أعمال الرسل ، أنه صحب بولس وبرنابا في رحلتهم التبشيري الأولى ، وتنقل من أنطاكية إلى قبرص ثم إلى آسيا الصغرى ... لكنه فارقهما عند برجة بمفيلية (أع ١٣ : ١٣) . وعاد إلى أورشليم ، ولم يكمل معهما الرحلة ... لكنه عاد بعدها وتعاون مع بولس في تأسيس بعض كنائس أوربا ، وفي مقدمتها كنيسة روما ... ويبدو أنه كرز في بعض جهات آسيا (٥٧) ... وكرز في أفريقيا وهي حقل كرازته الأساسية ، حيث بشر في الخمس مدن الغربية بليبيا الحالية ، وفي الاسكندرية والأقاليم المصرية ...

(٥٦) أنبا شنودة ، مرقس الرسول ص ١٤ - ١٦ .

(٥٧) يبلغ القديس بولس الكولوسيين في آسيا الصغرى سلام مرقس (كو ٤ : ١٠) مما يدل على أنه كان معروفاً لديهم .

دخل القديس مارمرقس مدينه الاسكندرية - على الأرجح حوالى سنة ٦٠ - من الجهة الغربية قادماً من الخمس مدن ، وكان حذاؤه قد تمزق من كثرة السير ، فقصده إسكافى يدعى إينيانوس ليصلحه له ، وبينما كان إينيانوس يقوم بهذه المهمة - إذ بالمخراز يجرح يده ، فيصر ويقول : [أيها الإله الواحد] . تفل مارمرقس على الأرض وصنع طيناً ووضع على الجرح ، فشفيت يده في الحال . ثم دار حديث بينهما حول هذا الإله الواحد الذى إستغاث به إينيانوس ومن هذا المدخل ، أخذ مارمرقس يشرح له سر التجسد ، فأمن واعتمد ... وانتهى أمر إينيانوس برسامته أسقفاً ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة .

ترك مارمرقس مصر إلى الخمس مدن الغربية ، وسافر منها إلى روما ، حيث كانت له جهود تذكر في أعمال الكرازة عاون بها الرسول بولس (٥٨) ... لكنه ما لبث أن عاد إلى مصر ليتابع العمل العظيم الذى بدأه ...

وحدث بينما كان الرسول يحتفل برفع القرايين المقدسة يوم عيد الفصح - واتفق ذلك اليوم مع عيد الإله الوثنى سيرابيس - أن هجم الدهماء على الكنيسة التى كان المؤمنون قد أنشأوها عند البحر ، فى المكان المعروف باسم بوكاليا - أى دار البقر . ألقوا القبض على مارمرقس ، وبدأوا يسحلونه فى طرقات المدينة وهم يصيحون [جروا التنين فى دار البقر] . ومازالوا على هذا النحو حتى تناثر لحمه وسالت دماؤه ... وفى المساء وضعوه فى سجن مظلم . وفى منتصف تلك الليلة ظهر له السيد المسيح ، وقواه ووعدته بإكليل الجهاد ...

وفى اليوم التالى أعاد الوثنيون الكرة ، حتى فاضت روحه ، وأسلمها بيد الرب فى آخر شهر برمودة سنة ٦٨ م .

وإمعاناً فى التنكيل بجسد القديس ، أضرم الوثنيون ناراً عظيمة ووضعوه عليها بقصد حرقه . لكن أمطاراً غزيرة هطلت فأطفأت النار ... أخذ المؤمنون الجسد بإكرام جزيل وكفنوه ... وقد سرق بعض التجار البنادقة هذا الجسد سنة ٨٢٧ م

(٥٨) انظر كو ٤ : ١٠ ، ٢٤ : ٤ ، ١١ : ٤ ، فل ٢٤ .

وبنوا عليه كنيسة في مدينتهم . أما الرأس فماتزال بالاسكندرية وبنيت عليها الكنيسة المرقسية .

والقديس مرقس هو كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه ... وهو واضع القداس المعروف حالياً باسم القداس الكيرلسى نسبة للقديس كيرلس عمود الدين البطريرك الاسكندرى الرابع والعشرين ، لأنه كان هو أول من دَوّن كتابه ، وأضاف إليه بعض صلوات ...

وللقديس مرقس الرسول الفضل في إنشاء المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية تلك المدرسة التى ذاع صيتها في العالم المسيحى كله شرقاً وغرباً وأسدت للمسيحية خدمات جليلة بفضل علمائها وفلاسفتها الذين خرجتهم . وحسب كاروزنا مار مرقس شهادة القديس بولس له ... ففي الرسالة إلى فليمون يذكره في مقدمة العاملين معه (فل ٢٤) . وفي الرسالة إلى كولوسى يذكره بين القلائل العاملين معه بملكوت الله – بينما كان هو أسيراً مدة أسره الأول في روما ... وفي أسره الثانى – بينما كان يستعد لخلع مسكنه – كتب إلى تيموثاوس يطلب إليه إرسال مرقس لأنه نافع له للخدمة (٢تى ٤: ١١) .

لوقا القديس

هو ثالث الإنجيليين ، وكاتب سفر أعمال الرسل ، ورفيق القديس بولس في أسفاره وكرازته وأتباعه ... إن التاريخ لا يمدنا بمعلومات عن حياته السابقة قبيل تعرفه على بولس الرسول ... ويبدو أن التقليد القديم الذى يقول إنه كان من السبعين (٥٩) رسولاً ، وأنه أحد تلميذى عمواس اللذين إلتقى بهما الرب عشية قيامته ، أمر مشكوك فيه ، والأرجح أنه كان أنطاكياً أمياً (٦٠) وليس

(٥٩) هذا هو رأى أيفانيوس في القرن الرابع – انظر : Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 151.

(٦٠) هكذا شهد يوسابيوس في تاريخه (H.E. 3.4.7) ، وهكذا كل التقاليد القديمة ... ويؤكد ذلك ملاحظتنا لما يأتى : يعطينا لوقا معلومات أكثر من غيره عن كنيسة أنطاكية (أع ١١ : ١٩ - ٣٠ ؛ ١٣ : ١ - ٣ ؛ ١٥ : ١ - ٣ ؛ ٢٢ - ٣٥) ويرجع أساس تسمية «مسيحى» إلى أنطاكية (أع ١١ : ١٩) ، وحينما ذكر السبعة شمامسة ذكر نيقولاوس أنه أنطاكى (أع ٦ : ٥) دون أن يذكر جنسية أى شماس آخر .

يهودياً. فهو باعترافه لم يعاين الرب يسوع بالجسد، وأنه إعتد في كتابة إنجيله على ما تسلمه ممن سبقوه، وعلى ما كان مكتوباً وشائعاً (لوقا: ٢٤، ١). أما كونه أُمياً — فبالإضافة إلى التقليد الكنسي القديم — نرى أن بولس في رسالته إلى الكولوسيين يقول «يسلم عليكم أرسترخس المأسور معي ومرقس ابن أخت برنابا ... ويسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان ... يسلم عليكم ابفراس ... يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس» (كو٤: ١٠-١٤) ... وهنا نلاحظ أنه يذكر بعض أسماء في الأول ويقول عنهم إنهم من الختان أي اليهود، أما الباقون — ومنهم لوقا — فمن الأمم. وهناك رأى آخر يجعل من لوقا أُمياً إهتدى إلى اليهودية ... ولعل مصدر هذا الرأي هو الخلط بين اسم لوقا واسم لوكيوس الوارد في (أع ١٣: ١)، وكلاهما يرجع إلى أصل لغوي واحد ... والأرجح أن لوقا كان أُمياً واهتدى إلى الإيمان المسيحي على يد أحد التلاميذ الذين نزحوا من أورشليم وقصدوا أنطاكية في وقت مبكر حوالي سنة ٣٦ عقب التشتت الذي حدث بعد مقتل استفانوس ... وإن كان البعض يرجحون أنه آمن بالمسيح على يد بولس، وهذا هو رأى ترتليانوس من القرن الثاني^(٦١).

ومهما يكن من أمر، فالثابت من رواية سفر الأعمال، أنه إلتقى بالقدس بولس أثناء رحلته التبشيرية الثانية في مدينة ترواس عقب الرؤيا التي رأى فيها بولس رجلاً مكدونياً يقول «أعبر إلى مكدونيا وأعنا» (أع ١٦: ٩) ويبدو أنه رافق بولس إلى فيلبى لأنه في سفر الأعمال يتكلم بعد ذلك مباشرة بصيغة المتكلم الجمع بعد أن كان يتكلم بصيغة الغائب الجمع^(٦٢) ... وفي أواخر رحلة بولس التبشيرية الثالثة يلتقيان ثانية معاً في فيلبى ... ويبدو أن لوقا — بعد لقائه الأول مع بولس في فيلبى سنة ٥١ — بقى فيها ليرعى الكنيسة الناشئة هناك. والدليل على ذلك أنه يستخدم ضمير المثنى الغائب بدلاً من ضمير المتكلم

(61) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 151.

(٦٢) قارن بين أع ١٦ : ٦ - ٨ ؛ أع ١٦ : ١٠ وما بعدها .

الجمع (انظر أع ١٧ : ١) . وبعد سبع سنين أخرى (سنة ٥٨) إلتقى بالرسول بولس مرة أخرى حين مر بفيلبي في طريقه إلى أورشليم أثناء رحلته الأخيرة إليها ، بعد أن أمضى أسبوعاً في ترواس (أع ٢٠ : ٥ ، ٦) ، لاننا نلاحظ أن لوقا يعود إلى استخدام ضمير المتكلم الجمع ... ويبدو أن لوقا كان مرافقاً لبولس في أورشليم ، أو في القليل قريباً منه ، وكذا لمدة سنتي الأسر في قيصرية . كما رافقه في رحلته الأخيرة إلى روما حينما ذهب إليها محفوراً ، وبقي بالقرب منه هناك مدة الأسر الأول والثاني ... وظل الخادم الأمين والصديق الوفي إلى النهاية ...

أما عن بقية حياة لوقا فلا نعلم عنها شيئاً على وجه التحقيق . ولعل هذا دليلاً كبيراً على ما إتصف به هذا الرسول من إتضاع . لأنه على الرغم من أنه كتب الإنجيل الثالث ، ووضع كتاب « أعمال الرسل » ، وذكر ببعض الإسهاب ما حدث للرسول بولس في حياته الرسولية ، فإنه أغضى عن ذكر نفسه وسكت عن أعماله ، حتى لقد ترك شيئاً من الشك يحوم حول شخصه والرسالة التي إضطلع بها ... إن آخر إشارة إلى لوقا ، وصلتنا في كلمات بولس (٦٣) ، وفي آخر رسالة له كتبها من سجنه الأخير في روما ، قبيل إستشهاده « لوقا وحده معي » (٢ تي ٤ : ١١) ... وتذكر بعض التقاليد القديمة أنه عمر حتى سن الرابعة والثمانين ، وأنه مات مصلوباً على شجرة زيتون في إيليا Elaea في بلاد اليونان (٦٤) . ويذكر جيروم (٦٥) أن ذخائره — مع ذخائر إندراوس الرسول — نقلت من بتر Patrae في أخائية إلى كنيسة الرسل في القسطنطينية .

خلف لنا لوقا الإنجيل الذي يحمل اسمه ، الذي إعتمد في كتابته على وثائق ثابتة مكتوبة وعلى ما إستقاه من التقليد الشفوي الثابت ... ويأتي في مقدمتها ما سمعه من البتول القديسة مريم ، ويؤيد هذا تقليد كنسي قديم ... ولا يعرف على وجه الدقة الوقت الذي كتب فيه لوقا إنجيله ، لكنه على أية

(٦٣) ذكر بولس الرسول القديس لوقا في رسائله ثلاث مرات بكل تقدير (كو ٤ : ١٤ ؛ ٢ تي ٤ : ١١ ؛ فل ٢٤) .

(٦٤) Schaff, Vol. 1, p. 652.

(٦٥) Lives of Illustrious Men, 7.

الحالات كُتِبَ قبل سنة ٧٠ م ، كما إنشأ في مكان كتابته ... وقد بعث لوقا بإنجيله وسفر الأعمال إلى شخص شريف يدعى « ثاوفيلس » — وهناك إجماع بين العلماء أن هذا الشريف كان بالإسكندرية . أما عن سفر الأعمال ، فقد دَوّن لوقا فيه أول تاريخ للكنيسة ، ابتداء من صعود الرب إلى نهاية السنة الثانية من أسر بولس الأول بروما ... وقد دون الحوادث بكل دقة ، حتى أن العالم المؤرخ شاف يدعو [الأب الحقيقي لتاريخ الكنيسة المسيحية] (٦٦) .

كان لوقا — قبل إيمانه بالمسيح — يمتهن مهنة الطب — هكذا يذكره القديس بولس إلى الكولوسيين « لوقا الطبيب » (كو ٤ : ١٤) ، لذا لا نعجب إن رأيناه في الإنجيل الذى كتبه يظهر الرب يسوع كطبيب للبشرية ومخلص للعالم ... كما جاء في التقليد الكنسية القديمة ، إنه كان فناناً (٦٧) وإليه ينسب رسم أول صورة للسيدة العذراء مريم .

وثمة أمر نود الإشارة إليه ، وهو أن لوقا كتب إنجيله بإرشاد الروح القدس شأن باقى الإنجيليين ، ولم يمل القديس بولس عليه شيئاً : ولا صحة مطلقاً للرأى الذى ارتآه العلامة أوريجينوس والمؤرخ يوسابيوس والقديس جيروم ، من أن بولس حينما ذكر فى رسائله كلمة « إنجيلى » (٦٨) ، كان يعنى إنجيل لوقا ، على إعتبار أنه أملاه على لوقا ... فكلمة إنجيل فى العهد الجديد ، لا تستخدم بمعنى سفر مكتوب ، بل يقصد بها مبادئ المسيحية التى كرز بها الكارزون ...



(66) Schaff, Vol. 1, p. 654.

(67) Smith, Dictionary of The Bible, Vol. 2, p. 151.

(٦٨) انظر : رو ٢ : ١٦ ؛ ١٦ : ٢٥ ؛ ٢ : ٨ .

معاً ونوا الرسل

وهؤلاء هم الذين عاونوا الرسل في خدمة الكرازة وسيم البعض منهم أساقفة بأيديهم . وهناك أسماء كثيرة لأشخاص عاونوا الآباء الرسل في كرازتهم وخدمتهم . لكننا نكتفى هنا بذكر أشهرهم .

القديس تيموثاوس

هو تلميذ القديس بولس الرسول ، ورفيقه في أسفاره ، وشريكه في أتعاب الكرازة ... يذكر لأول مرة في سفر الأعمال في بداية رحلة بولس التبشيرية الثانية (أع ١٦: ١) .

كان تيموثاوس من مدينة لسترة بإقليم غلاطية بآسيا الصغرى ... كان أبوه يونانياً ، لكن أمه وجدته كانتا يهوديتين تقيتين (٢تى ١ : ٥) . وهكذا نشأ تيموثاوس منذ أيام طفولته المبكرة على التقوى والصلاح ... « وأنت منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة ، القادرة أن تحكمك للخلاص » (٢تى ٣ : ١٥) ... والمرجح أنه آمن على يد بولس ، فكثيراً ما يدعو الرسول ابنه في الإيمان (٦٩) ... لكن يبدو أن هذا الأمر تم في وقت سابق للقاء المذكور في (أع ١٦ : ١) ، لأن الرسول بولس حينما دخل لسترة كان هو « تلميذاً » أى مسيحياً ... وكان تيموثاوس مشهوداً له بالتقوى من كل أهل تلك المنطقة .

إختره القديس بولس ليكون رفيقاً له في أسفاره ، ومعاوناً له في الخدمة لما رآه فيه من مواهب واستعداد للخدمة ... فأخذه بولس وختنه أولاً حتى لا يثير غضب اليهود عليه من أجل تهيئة الجو للخدمة ... بعد ذلك اصطحبه معه إلى فرجيّة

(۶۹) ۱ کو ۴ : ۱۷ ؛ ۱ ؛ ۱ ؛ ۲ : ۲ ؛ ۲ ؛ ۲ : ۱ ؛ ۲ : ۱ .

وغلطية وترواس ، وطافا معاً بلاد اليونان ، وبشرا في مدن فيلبى وتسالونيكى وبيرية . وقد بقى مع سيلا (سلوانس) في بيرية ، بينما ذهب بولس إلى أثينا وكورنثوس ... بعد ذلك نجده يخدم مع بولس مدة إقامته الطويلة في أفسس ، ومنها أرسله إلى مكدونيه وكورنثوس (٧٠) . ونراه مرة ثانية مع بولس في مكدونيا وقت كتابة الرسالة الثانية إلى كورنثوس (٢ كو ١ : ١) — وصحب الرسول إلى كورنثوس (رو ١٦ : ٢١) . ورافقه أيضاً في طريق عودته إلى آسيا عن طريق مكدونيا (أع ٢٠ : ٣ ، ٤) ... ويحتمل أن يكون قد صحبه أيضاً إلى أورشليم في زيارته الخامسة والأخيرة لتلك المدينة (١ كو ١٦ : ٣) .

ويرد ذكر تيموثاوس في رسائل الأسر ، مما يظهر له أنه كان مع بولس في روما (٧١) ... بعد ذلك نقرأ عنه في الرسالتين الرعويتين اللتين بعث بهما بولس إليه بعد أن سامه أسقفاً على أفسس (١ تي ٤ : ١٤ ؛ ٢ تي ١ : ٦) ... وإن كنا لا نعلم متى تمت الرسامة الكهنوتية التى كانت بوضع اليد ، لكننا نقرأ أن إقامته أسقفاً كانت بإعلان نبوى (١ تي ١ : ١٨) ... ويرجح أن يكون تيموثاوس قد أسر مع بولس في روما ثم أطلق (٧٢) .

من هذه الأسفار الكثيرة واتعابه في الخدمة والصفات التى خلعتها الرسول بولس عليه تظهر لنا صورة ذلك الرجل الذى نجهل الكثير من أتعابه في الخدمة وفضائله الروحية . إننا نلمس غيرته في تركه لوطنه وبيته ، ونلمس إنكاره لذاته وحكمته وغيرته على عمل الرب ، حينما قبل أن يختتن (٢ تي ١ : ٤) ، على الرغم من إعتلال صحته الجسدية (١ تي ٥ : ٢٣) .

ذكره بولس على أنه « عامل معه » (رو ١٦ : ٢١) ، ودعاه « أخانا وخادم الله والعامل معنا في إنجيل المسيح » (١ تس ٣ : ٢) ، « الابن الصريح في الإيمان » (١ تي ١ : ٢) ، « والابن الحبيب » (٢ تي ١ : ٢) ، « ابنى الحبيب والأمين في الرب » (١ كو ٤ : ١٧) .

(٧٠) أع ١٩ : ٢١ ، ٢٢ — انظر أيضاً ١ كو ٤ : ١٧ ؛ ١٦ : ١٠ — والرسالة إلى كورنثوس كتبها بولس من أفسس .

(٧٢) انظر : عب ١٣ : ٢٣ .

(٧١) في ١ : ١ ؛ ١ كو ١ : ١ ؛ فل ١ .

ويذكر التقليد الكنسي أن تيؤثاوس عمر طويلاً بعد استشهاد معلمه وأبيه
الروحي القديس بولس ... فقد قيل إنه استشهد سنة ٩٧ ... قتله الوثنيون في
أفسس ضرباً بالعصى ورجماً بالحجارة في يوم من أيام أعيادهم .

(٧٣) القديس تيطس

هو أحد تلاميذ القديس بولس الرسول الأوفياء ... لا يرد إسمه في سفر
الأعمال ، وكل معلوماتنا عنه نستمدّها من الرسالة الثانية إلى كورنثوس ، ومن
رسالتى غلاطية وتيطس ...

لا نعرف شيئاً عن حياته الأولى السابقة للخدمة الكرازية ... كل ما نعرفه عنه
أنه كان يونانياً أُمياً (غل ٢ : ١ ، ٣) يجمع العلماء على أنه إهتدى إلى الإيمان على
يدى بولس ، فهو يدعوه ابنة في الإيمان (تى ١ : ٤) ... لكن يبدو أن إيمانه هذا ،
كان في وقت مبكر ، فقد حضر معه مجمع أورشليم سنة ٥٠ (غل ٢ : ١) . وقبلها
كان على صلة وثيقة ببولس وبرنابا في أنطاكية ، ورافقهما إلى أورشليم حين صعدا
إليها لحضور ذلك المجمع ... ومن هنا ، فيحتمل أن يكون تيطس أنطاكياً .

أرسله الرسول بولس مرتين إلى كورنثوس بينما كان هو نفسه يخدم في أفسس ...
المرّة الأولى لما سمع بالشقاق الذى كان حادثاً فيها ، ويبدو أنه هو الذى حمل
رسالة الرسول إلى تلك الكنيسة (٢ كو ١٣ : ١٣) — والمرّة الثانية أرسله ليجمع
تقدمات لفقراء اليهودية (٢ كو ٨ : ١٦ ، ١٧) . ويبدو أيضاً أنه هو الذى حمل
رسالته الثانية إلى كورنثوس (٢ كو ١٢ : ١٨) ... ونستنتج مما ورد في (٢ تى ٤ :
١٠) أنه كان مرافقاً لبولس في بداية أسره الثانى في روما .

أقامه القديس بولس أسقفاً على كريت ليرعى الكنيسة في تلك الجزيرة ،
وليقيم كهنة على كنائسها ... ويذكره للكورنثيين على أنه معاونه وشريكه
والعامل معه في الخدمة (٢ كو ٨ : ٢٣) ويذكر التقليد أنه عمر طويلاً ، وزقد

(73) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3. pp. 1518-1520.

في الرب في شيخوخة صالحة في جزيرة كريت ، التي مازال أهلها حتى الآن
يعتبرونه شفيهم .

القديس سيلا (٧٤)

أول ما نلتقى به في سفر الأعمال ، في الكلام عن مجمع أورشليم الذي إنعقد
لبحث مشكلة تهود الأمم . لكن يبدو أنه كان له وضع متميز في كنيسة
أورشليم (أع ١٥ : ٢٢) . ومن هنا فقد أوكلت إليه تلك الكنيسة مع يهوذا الملقب
بارسبا ، أن يرافقا بولس وبرنابا لتبليغ كنائس أنطاكية وسوريا وكيليكية قرار
المجمع ... ويقول عنه سفر الأعمال أنه ذهب ووعظ الإخوة بكلام كثير وقواهم
لأنه كان نبياً (أع ١٥ : ٢٢ ، ٢٣) ... كان مواطناً رومانياً نظير بولس
(أع ١٦ : ٣٧) . ومن هنا جاء اسمه اللاتيني « سلوانس » ، أما « سيلا »
فهو اسم يوناني مأخوذ عن الأصل الآرامي « سئلا » .

يبدو أنه عاد إلى أورشليم بعد أن أتم المهمة التي كلفته بها كنيستها (أع ١٥ :
٣٣) ، ويبدو أيضاً أنه ذهب بعدها ثانية إلى أنطاكية ، فقد إختاره القديس
بولس رفيقاً له في الخدمة الكرازية خلفاً لبرنابا (أع ١٥ : ٤٠) في رحلته
التبشيرية الثانية (أع ١٥ : ١٨ - ٢٢) ... رافق القديس بولس حينما إجتاز في
سوريا وكيليكية يشدد الكنائس ، وكذا في فريجية وكورة غلاطية ... وبعد أن
ظهرت لبولس رؤيا الرجل المكدوني ، رافقه إلى فيلبى في مقاطعة مكدونيا (أع ١٦ :
١٢ - ٣٩) . وفي فيلبى إحتمل سيلا مع القديس بولس الضرب بالعصى وزج به في
السجن ، حيث حدثت المعجزة وفتحت أبواب السجن وآمن حافظ السجن
(أع ١٦ : ٢٥ - ٣٤) ... ومن فيلبى رافق القديس بولس إلى تسالونيكي ثم إلى
بيرية ... تخلف هو وتيموثاوس في بيرية عن مصاحبة بولس إلى أثينا ، لكنه لحقه
فيها بعد ذلك (أع ١٧ : ١٣ - ١٥) ورافق بولس في كورنثوس (٧٥) (أع ١٨ : ٥)
— ثم لا نعود نقرأ عنه شيئاً بعد ذلك في سفر أعمال الرسل ... ويقال إنه أنهى
حياته بسفك دمه على اسم المسيح في مكدونيا .

(74) Smith, Dictionary of the Bible. Vol. 3, p. 1310.

(٧٥) انظر ٢ كو ١ : ١٩ .

✠ الآباء الرسوليون

ويقصد بهم تلاميذ الرسل الذين تتلمذوا على أيديهم ... ونذكر منهم :

(٧٦) القديس أكليمندس الروماني

من أشهر الآباء الرسولين . وهو الأسقف الثالث لكنيسة روما في أواخر القرن الأول (٩٢ — ١٠١) . ويأتي في ترتيبه الزمني بعد الأسقف لينوس Linus ، والأسقف أناكلييتوس Anacletus ... لا نعرف الكثير عنه ، وهناك آراء متضاربة بخصوص شخصيته ...

رأى يقول إنه أحد معاوني القديس بولس في الخدمة ، وهو نفسه الذي ذكره الرسول في الرسالة إلى فيلبى (في ٤ : ٣) . ويكاد يكون هذا الرأي هو القاطع ، فهو رأى قديم ، ذكره أوريجينوس وإيريناوس والمؤرخ يوسابيوس وجيروم في كتابه « مشاهير الرجال » (٧٧) ويحتمل أن يكون يوناني أو روماني وعمل بعض الوقت في فيلبى ثم بعد ذلك في روما . أما الآراء الأخرى فتربطه بقرابة بعيدة للإمبراطور تيبيريوس Tiberius ، وهذا الرأي وارد في بعض الكتب الأوكريفا . وتوحد بينه وبين القنصل فلافيوس كليمنس Flavius Clemens أحد أقرباء الإمبراطور دوميتيان الذي أعدمه بسبب مسيحيته ونفى زوجته دوميتيلا Domitilla إلى

(76) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, pp. 554-559; Wace, Piersy, Dictionary of Christian Biography. pp. 171-176; Schaff Vol. 2, pp. 637-647.

(٧٧) انظر الحاشية في : Jerome. Lives of Illustrious Men (N.P.N.F. Vol. 4. p. 366)

إحدى الجزر. وقالوا أنه قريب القنصل المذكور (ابن أخيه أو ابن أخته) ، وقيل (٧٨) إنه كان عبداً يهودياً ، أو ابن عبد يهودى للقنصل المذكور ثم أعتقه وحرره وأنه حمل اسم سيده Clemens .

ولعل شهرة هذا الرجل ترجع إلى رسالته التى كتبها إلى كنيسة كورنثوس ينصحهم فيها بالمحبة ، بعد أن شاعت الفرقة بينهم ، تلك الرسالة التى أحتلت مكانة عالية فى الأوساط الدينية فى القرون المسيحية الأولى . وكانت تتلى فى اجتماعات يوم الأحد بالكنائس من وقت إلى آخر . وقد شهد بذلك ديونيسيوس الكورنثى من القرن الثانى وكذلك المؤرخ يوسابيوس (٧٩) ... وإن كان اسم إكليمنضس لا يرد فى هذه الرسالة على الإطلاق — بل إنها موجهة من كنيسة الله التى فى روما إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس — لكن الإجماع العام القديم يشهد بأنه هو كاتبها . فضلاً عن ذلك فالإنسان يشتم منها كتابة الآباء الرسولين وروحهم ... وهذه الرسالة تظهره ملماً بالثقافة الكلاسيكية فى عصره والحكمة ، فضلاً عن الإلمام التام بكتاب العهد القديم فى ترجمته السبعينية . ومن هنا رجح العلماء أن يكون هيلينياً ثقافة ، ويهودياً مولداً .

لا نعرف شيئاً عن حياته على الإطلاق ... أما عن خاتمة حياته فبعض الكتابات تجعل منه شهيداً سفك دمه على اسم المسيح فى بلاد القرم التى نفاه إليها الإمبراطور تراجان ... لكن الكتابات القديمة تذكر أنه مات ميتة طبيعية ... هكذا يذكره جيروم فى كتابه مشاهير الرجال . وأول من ذكر إستشهاده وقصته هو روفينوس فى القرن الرابع ولا يوجد كاتب واحد قبله ذكر أن إكليمنضس مات شهيداً ... وقصة إستشهاده محشوة بالخيال العجيب الذى لم نقرأ نظيراً له فى كل سير القديسين والشهداء !!

والكنيسة الرومانية تجل هذا القديس وتذكره فى خدمة ليتورجيتها ثالثاً بعد الرسل .

(٧٨) كان بعض العبيد على جانب كبير من الثقافة والذكاء ، ومن أمثلتهم هرماس صاحب كتاب الراعى ، وكليستوس Callistus أسقف روما ، وكان كلاهما من العبيد المحررين .

(79) H.E. 3. 16.

القدّيس أغناطيوس الأنطاكي ^(٨٠)

هو أسقف أنطاكية الشهيد الشهير بين الآباء الرسولين . يلقب «بالثاؤفوريوس» ومعناها (حامل الإله) ^(٨١) ... وهذا اللقب لم تخلعه الكنيسة على هذا القديس ، بل هو الذى أطلقه على ذاته أثناء محاكمته التى سبقت إستشهاده ^(٨٢) وتدعوه الكنيسة السريانية أيضاً «بالنوراني» لأنه رأى الملائكة النورانيين يسبحون الله فى فرقتين ، فأدخل هذا النظام فى الكنيسة ، وكان أول من فعل ذلك .

لا نعرف شيئاً عن حياته الأولى ، لكن يبدو أنه كان وثنياً ، ثم آمن بالمسيح على يد أحد المبشرين الأوائل الذين وفدوا إلى أنطاكية .

أما عن أسقفيته فهناك من يحاول أن يجعل منه تلميذاً لبطرس وبولس ويوحنا ... قال البعض إنه أول أسقف على أنطاكية خلفاً لبطرس الرسول أسقفها الأول !! وقيل بل هو الخليفة الثانى لما ر بطرس بعد أفوديوس . وقيل أن أفوديوس رسمه بطرس بينما أغناطيوس رسمه بولس ... وقالوا إن أفوديوس وأغناطيوس كانا معاصرين لبعضهما ، الأول على اليهود المنتصرين ، والثانى على الأمم المنتصرين ... وهكذا من الإدعاءات التى حاولت بها بعض الكنائس أن تخلع على ذاتها أهمية نتيجة نسبتها لبعض كبار الرسل ...

(٨٠) تاريخ الكنيسة السريانية ج ١ ، أسد رستم ، آباء الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى ، Schaff Vol. 2, pp. 633-660.

(٨١) الكلمة اليونانية ثاؤفوريوس Theophorus بالنبرة على المقطع الثانى معناها (حامل الإله) أما إذا وضعت النبرة على المقطع الأول من الكلمة المذكورة فيصبح معناها (من حمل الله) ... لجأ إلى هذا المعنى الثانى بعض المتأخرين للتدليل على أن أغناطيوس هو الطفل الذى أقامه المسيح وسط التلاميذ ليلقنهم درساً فى الإلتضاع (مت ١٨ : ٣ ، ٢) . نادى بهذا رأى بعض مؤرخى الكنيسة فى العصور الوسطى من أمثال ميتافرستس Metaphrastes وأناستاسيوس الكتبى . لكن القديس يوحنا ذهبى الفم — الأنطاكي المولد — أكد أن أغناطيوس لم ير المسيح .

(٨٢) عن محاكمته ، ومقتطفات من رسالته إلى كنيسة رومية ، انظر : الاستشهاد فى المسيحية ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

كان أغناطيوس شخصية عظيمة وسط معاصريه ، لكن شهرته بالأكثر هي بسبب إستشهاده الرائع وثباته العجيب في محاكمته ، وأشواقه المتأججة لسفك دمه على اسم المسيح ... قبض عليه إبان الاضطهاد الذى أثاره الإمبراطور تراجان . وحوكم أمام والى سوريا سنة ١٠٧ — وليس أمام الإمبراطور ذاته كما تروى بعض القصص — وإذ أظهر ثباتاً عجيباً في محاكمته (٨٢) ، صدر الحكم بإعدامه بالقائه للوحوش في روما أمام جاهير الشعب . سُرَّ أغناطيوس بهذا الحكم ، فقد كان قلبه يتحرق شوقاً للإستشهاد الأمر الذى يتضح بكل جلاء من رسالته التى كتبها إلى كنيسة روما (٨٢) ، يرجوهم ألاَّ يعوقونه عن الإستشهاد ... فلما قدموا إليه السلاسل التى سيقيد بها ، إنحنى عليها وقبلها شاكرًا الرب الذى أهله لهذه النعمة .

ودع رعيته وسافر إلى روما يخفّره عشرة جنود أفضاظ . وفي سفره بحرًا عرج على بعض مدن آسيا الصغرى حيث هرع إليه كثير من أساقفة وكهنة وشعب تلك الكنائس للتبرك منه ولتزود من تعاليمه ، ومنهم بوليكاربوس أسقف أزمير ... وفي روما ، وفي الكوليسيوم Coliseum اجتمعت جموع الرومان ليشهدوا الإحتفالات بانتصارات الإمبراطور تراجان ، وليشاهدوا المصارعات الدموية بين الوحوش وبعض المعتبرين مجرمين ... عرى أغناطيوس من ثيابه ، وألقى في الحلبة ، فوثب عليه أسدان مزقا جسده الطاهر والتهماه ، ولم يبقا منه سوى بعض عظام خشنة ، جمعها المؤمنون بكل وقار ، وعادوا بها إلى أنطاكية ككنز نفيس ، ودفنت خارج باب المدينة ، المعروف يومئذ باب « دفنه » . ثم نقلت على عهد الملك ثيودوسيوس الصغير — في القرن الخامس — إلى هيكل الشهداء ، الذى سمي منذ ذلك الوقت « كنيسة مار أغناطيوس » .

والى جانب زخائره المقدسة ، خلف لنا أغناطيوس رسائله السبع التى أنفذها إلى بعض الكنائس وهو في طريقه إلى الإستشهاد ومازالت موجودة بين أيدينا ... وفيها يحض الكنائس على الثبات في الإيمان والتقليد الرسولى والألفة والمحبة ، والطاعة للكنيسة والابتعاد عن الهرطقة .

القديس بوليكاربوس

ولد حوالى سنة ٦٩ أو قبل ذلك بقليل ... لا نعرف شيئاً عن حياته المبكرة . كل ما نعرفه عنه أنه كان تلميذاً ليوحنا الرسول ، وصديقاً – أصغر فى السن – لأغناطيوس الأنطاكي الشهيد ، ومعلماً لـ **إيريناوس** الذى صار أسقفاً لمدينة ليون ... أقامه يوحنا الرسول أسقفاً على مدينة **أزمير** بآسيا الصغرى ... ويقال إنه هو الذى عناه القديس يوحنا فى رؤياه بقوله : « أكتب إلى ملاك كنيسة سميرنا (أزمير) هذا يقوله الأول والآخر ... أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفقرتك ، مع أنك غنى ... لا تقف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به ... كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة ... » (رؤى : ٨-١١) .

يجمع التاريخ على أن بوليكاربوس كان ذا هبة ووقار ، وتمتع بنفوذ واسع على كل كنائس آسيا الصغرى ، لما كان يتحلى به من الفضائل ، ولما كان عليه من الفصاحة ، وخاصة لأنه كان تلميذاً ليوحنا الحبيب ، وعنه أخذ تعاليمه ... سافر إلى روما والتقى بأسقفها **إنيكيتس** Anicetos بن سنتى ١٥٠ ، ١٥٤ للتفاهم على موضوع موعد عيد الفصح بعد أن إحتدم الخلاف بين كنائس آسيا الصغرى وكنيسة روما (٨٣) ... وكان موضع تقدير واحترام فى روما . وإن كانت هذه المشكلة لم تحسم بصورة نهائية إلا فى مجمع نيقية المسكونى .

ومن المعروف عنه أنه كان يمتق الهراطقة مقتناً شديداً ، ولا غرابة فى ذلك ، فهو تلميذ يوحنا الرسول الذى حذر من مجرد السلام عليهم ، وأوصى بعدم قبولهم فى البيوت ... ومن بين الرسائل التى كتبها بوليكاربوس لم تصلنا إلا رسالة واحدة أنفذها إلى كنيسة فيلبى .

(٨٣) كانت كنائس آسيا الصغرى تتبع التقويم اليهودى اعتماداً على ما تسلموه من الرسولين يوحنا وفيلبس ... وكانت تحتفل بتذكار صلب المسيح وقيامته فى ١٤ ، ١٦ نيسان فى أى يومين من أيام الأسبوع دون التقيد بيومى الجمعة والأحد . أما كنيسة الاسكندرية وروما وبعض كنائس أخرى ، فقد إلتزمت بضرورة مراعاة هذين اليومين .

أنهى حياته شهيداً سنة ١٥٥هـ — على أرجح الآراء — فى عهد الامبراطور
أنطونينوس بيوس Antoninus Pius وهو فى شيخوخة وقوة بارة بعد أن بلغ من العمر
٨٦ عاماً ...

وقصة إستشهاده رائعة ومؤثرة (٨٤) . فعندما طلب منه الحاكم — أثناء
المحاكمة — أن يحلف ويلعن المسيح ليطلقه ، أجاب [لقد خدمت المسيح
سنة وثمانين عاماً ، ولم يصنع بى شراً ، فكيف أجدف على ملكى الذى
خلصنى ؟] ... وانتهى أمره بالحكم عليه أن يحرق حياً ... كان الوثنيون واليهود
يتميزون غيظاً ، وأخذوا يجمعون أخشاباً كثيرة ليضرموا ناراً شديدة . ولما حاولوا
تسميره على خشبة حتى لا يتحرك أثناء إشتعال النار ، قال لهم : [اتركونى هكذا ،
فالذى وهبنى قوة لإحتمال شدة حريق النار ، سيمنحنى قوة البقاء هادئاً بلا حركة
بدون مسامير] .

صلى أمام الجميع قبيل إشعال النار ... أما النار فقد أحاطت به وكأنها هالة
من نور حول جسده ، دون أن تمسه أو تفنيه ... وقف بوليكاربوس — كما تقول
سيرة إستشهاده — وسط النار [لا كجسم يحترق ، بل كخبز ينضج ، أو فضة
تنقى فى فرن ... وفاح عبير طيب كأنه بخور ثمين] ... ولما أصاب المكلفين
بإحراق القديس ، القلق لبطء إلتهايم النار لجسده ، أمروا جندياً أن يغمد خنجرأ فى
جسده ... فتفجر الدم غزيراً وأطفأ النار ، ولكنه أشعل الرغبة فى الاستشهاد فى جموع
المشاهدين ، وفى جهات أخرى كثيرة (٨٥) ...



(٨٤) انظر هذه السيرة التى كتبها كنيسة أزمير إلى كنيسة فيلوميليوم Philomelium وهى مدينة فى
مقاطعة فريجيا بأسيا الصغرى . (A.N.F., Vol. 1, pp. 39-44)

(٨٥) عن إستشهاد بوليكاربوس : انظر الاستشهاد فى المسيحية ص ١٤٢ — ١٤٤ .

مراجع النساء الخاديات

لم يكن رسل المسيح وحدهم هم الذين اضطلعوا بتأسيس ملكوت الله على الأرض، بل لقد أسهم معهم كثيرون في هذا العمل ... هناك جنود مجهولون كثيرون لا نعرف مجرد أسمائهم، وهناك مَنْ نعرف أسمائهم لكن لا نعرف عن أتعابهم شيئاً ... ومن أمثلة ذلك، الخاديات الثلاث اللائي سنعرض لهن الآن ...

القديسة فيبي

تكاد تكون فيبي أشهر أنثى ورد أسمها في رسائل الرسل ... لا نعرف عنها شيئاً غير ما دونه القديس بولس في أول الأصحاح الأخير من رسالته إلى كنيسة رومية ... والعجيب أيضاً أن التاريخ الكنسي لا يسجل عنها أى شيء ... يكاد الأصحاح الأخير من الرسالة إلى رومية يقتصر على أسماء بعض الأشخاص الذين يبعث بولس تحياته إليهم ... ويذكر على رأس هذه القائمة الطويلة كلها — قبل الرجال — « فيبي خادمة الكنيسة التي في كنعخريا » يقول معلمنا بولس « أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنعخريا، كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين، وتقوموا لها في أى شيء إحتجته منكم، لأنها صارت مساعدة للكثيرين ولى أنا أيضاً » (رو ١٦ : ١، ٢).

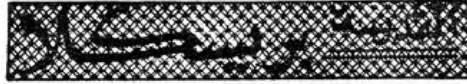
ويبدو أن فيبي كانت متبلة وكانت تقوم بخدمة فعالة في الكنيسة في منطقة كورنثوس فهي بحسب تعبير بولس « صار مساعدة للكثيرين ولى أنا أيضاً » ... ويبدو أنها كانت تخدم كشماسة في كنيسة كنعخريا إحدى موانى كورنثوس في بلاد اليونان. فالرسول بولس يذكرها على أنها Diakonos هذه الكلمة التي تطلق على مَنْ يقوم بخدمة الشماسية سواء كان ذكراً أم أنثى (٨٦) ... وقد أشرنا سابقاً إلى الخدمات التي كانت تضطلع بها الشماسة في الكنيسة الأولى ... ولا بد وأن فيبي

(86) Wuest, Romans in the Greek N.T., p. 257.

كانت تمارس عمل الشماسية النور [salvatoriariaegypt.org](http://www.salvatoriariaegypt.org) عن ذلك ، فقد كانت هى كاتبة الرسالة إلى رومية ، بناء عن إملاء الرسول بولس ... وليس هذا فحسب ، بل لقد حملت هى نفسها هذه الرسالة إلى رومية .

وإذ تفكر فى وضع المرأة الاجتماعى فى ذلك العصر المبكر ، وكيف كانت تحيا فى عزلة عن المجتمع ، لا يسعنا إلا الاعتقاد أن فيبى لم تكن شخصية نسائية عادية ... فقد جمعت فى شخصها ، إلى جانب الثقافة ، الشخصية والثراء ، اللذين مكنها من السفر عبر البحار إلى روما ، من أجل الإيمان بيسوع المسيح .

وليس من السهل أن نسلم بأن مهمة فيبى كانت مجرد توصيل الرسالة التى كتبها القديس بولس إلى كنيسة رومية ، بل لابد أن يكون الرسول قد كلفها بمهمة خاصة ، وجد أن من الحكمة عدم الإفصاح عنها ... وكل ما فعله أنه أوصى الكنيسة بتسهيل مهمتها ... لا شك أن تلك المهمة كانت شىء يتعلق بخدمة الكرازة ...



إن كانت فيبى مثال للمرأة المتبتلة الخادمة فى الكنيسة الأولى ، فإن بريسكلا هى المرأة المتزوجة الخادمة الكارزة ، حتى أن القديس يوحنا ذهبى الفم يقول : [سيقى أكىلا وبريسكلا المثل الأعلى للكمال فى الزواج المسيحى] ...

تدعى بريسكلا أو بريسكا وهو اسم لاتينى ، وكان زوجها أكىلا يهودياً ... ولا نعرف عنهما شيئاً سوى الإشارات العابرة التى يشير بها القديس بولس إليهما فى بعض رسائله ، فضلاً عن ذكر اسمهما فى سفر أعمال الرسل ... كانت تقيم مع زوجها أولاً فى روما ، لكنهما تركاها مع كل اليهود الذين طردهم كلوديوس

قيصر^(٨٧)، وأتيا إلى مدينة كورنثوس، حيث إلتقى بهما معلما بولس في رحلته التبشيرية الثانية حينما وفد إلى هذه المدينة (أع ١٨ : ٢) ... أمضى بولس في هذه المدينة سنة ونصف كان خلالها ضيفاً على هذين الزوجين ... وقد وطد من أواصر الصلة أنهما كانا — نظير بولس — يعملان في صناعة الخيام ... ولا نستطيع أن نؤكد ما إذا كانت هذه وسيلة كسب عيشهما في روما أيضاً، أم أنهما اضطرا إليها — نظير بولس أيضاً — إزاء الظروف التي أملت بهما بعد طردهما من روما ... وقد إشتراكا مع القديس بولس في خدمة كلمة الله ...

ولما غادر بولس كورنثوس عائداً إلى أنطاكية ماراً بأفنس وأورشليم، رافقاه حتى مدينة أفسس ... أقاما في مدينة أفسس، وأخذا يشران بكلمة الله، وكان بيتهما هو مكان إجتماع المؤمنين ... والرسول بولس في رحلته التبشيرية الثالثة حينما أتى إلى مدينة أفسس ومكث بها ثلاث سنوات، ومنها كتب رسالته الأولى إلى كورنثوس، كانا مايزالان بها، فنجد القديس بولس يكتب للكورنثيين «تسلم عليكم كنائس آسيا، يسلم عليكم في الرب كثيراً أكيلا وبريسكلا مع الكنيسة التي في بيتهما» (١ كو ١٦ : ١٩).

وبعد أن تغيرت الأوضاع وسمح لليهود بالعودة إلى روما، عادت بريسكلا مع زوجها إليها. وهناك أخذا يمارسان نشاطهما الكرازي ... فحينما أنفذ بولس رسالته إلى كنيسة رومية، بعث بتحياته إليهما في تقدير كبير ... «سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع، اللذين وضعنا عنقيهما من أجل حياتي. اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التي في بيتهما» (رو ١٦ : ٣-٥) ... ولا يوجد كلام تقدير أكثر من هذه الكلمات : فهما عملا معه، ووضعنا عنقيهما من أجل حياته، ولهما جهود في خدمة الأمم. ويبدو من هذا الكلام أنهما خاطرا بحياتهما في سبيل إنقاذ بولس من المؤامرات التي كثيراً ما تعرض لها من اليهود والأمم على السواء ...

(٨٧) لم يكن الزوجان يهوديين وقت طرد اليهود من روما، لكن المسيحيين طردوا مع اليهود، لأن الرومان كانوا ينظرون إلى المسيحية حتى ذلك الوقت على أنها شعبة يهودية.

ومرة أخرى يترك الزوجان روما ويعودان إلى آسيا ، وإلى أفسس بالذات كبرى مدنها ، ليتابعا عملهما فيها لأجل الرب ... فالرسول بولس في آخر رسالة له من سجنه في روما — قبيل إستشهاده مباشرة بينما كان يُسكب سكيناً ، لا ينسى تعب محبتهم فيكتب إلى تيموثاوس تلميذه وأسقف مدينة أفسس يقول : « سلم على بريسكا وأكيلا » (٢ تي ١٩ : ٤) ...

ويلاحظ العلماء — ومنهم يوحنا الذهبي فمه — أن اسمها في العهد الجديد يلزم اسم زوجها ، بل أن اسمها في أكثر الحالات يذكر متقدماً على اسم رجلها ، مما يدل على شخصتها الفذة واقتدارها في عمل الرب ... ويبدو أنها كانت أيضاً مقتدرة في الكتب المقدسة « حتى أنها صارت شريكة لرجلها في شرح الإيمان الحقيقي السليم لأبولس الاسكندري الذي كان خبيراً في طريق الرب ، عارفاً معمودية يوحنا فقط » (أع ١٨ : ٢٤-٢٦) .

هذا كل ما نعلمه عن هذه السيدة البارة المضحية ، مثال الزوجة المسيحية الخادمة ... وللأسف لا يمدنا تاريخ الكنيسة بأية معلومات أخرى عنها أو عن زوجها .

Thecla (٨٨) :

القديسة
تكلا
الشهيدة

هي تلميذة بولس الرسول ، ومثال البتولية والطهارة بين العذارى ، ونموذج الجهاد ، واحتمال الشدائد ... وعلى الرغم من أنها لم تسفك دمها لأجل المسيح فقد خلعت الكنيسة عليها لقب « أولى الشهداء » تقديراً لأتباعها ، والميتات التي قابلتها وأنقذها منها الرب .

كانت تكلا من أيقونية (٨٩) ، ومن أشرف تلك المدينة ، بارعة الجمال ، كريمة

(88) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 4, pp. 882-895; Wace, Piercy, Dictionary of Christian Biography, pp. 953-956.

(٨٩) مدينة بإقليم غلاطية بآسيا الصغرى (انظر أع ١٤ : ١) .

الخلق ... كانت مخطوبة لأحد الشرار santamariaegypt.org عندما وصل القديس بولس إلى مدينة أيقونية (أع ١٣ : ٥١) في رحلته التبشيرية الأولى ... استمعت إلى كرازة بولس وآمنت على يديه ... وما لبثت أن أعتمدت ونذرت بتوليبتها الرب ... وكان ذلك سبباً في هجرها لخطيبها . وحالما كشفت تكلا نواياها لأُمها ، طار عقلها ، وحاولت — ما وسعتها الحيلة — أن تثنيها عن عزمها فلم تتمكن ، فشكتها إلى حاكم المدينة أنها مسيحية ...

منذ ذلك الوقت اجتازت تكلا سلسلة من المحاكمات والعذابات والإماتات . أضرم حاكم أيقونية ناراً وألقاها فيها ، لكن الله أرسل أمطاراً غزيرة أطفأت النار وشتت المجتمعين حولها ... أما هي فتركت مدينتها هاربة إلى حيث القديس بولس ، الذى صحبها إلى أنطاكية ، وهناك تركها لتخدم بين النساء الوثنيات ...

وفي أنطاكية فتن بجماها أحد وجهائها الطائشين ... وإذ رآها معرضة عنه ، أراد أن يوقع بها فوشى بها إلى الوالى ، الذى حكم بإلقائها للوحوش ... فألقيت عارية للوحوش ثلاث مرات على ثلاثة أيام متوالية . لكن الوحوش لم تقربها ... ألقاها في جب مليء بالأفاعى فلم تمسها ... وإذ حار الوالى في أمرها أطلق سراحها .

اتصلت بالقديس بولس . وبعد أن شجعها وتعزت بإيمانه ، ذهبت إلى أيقونية مسقط رأسها تبشر مواطنيها بالإيمان الحى . ومن أيقونية انطلقت عائدة إلى سوريا وأخذت تبشر في بعض جهاتها ... وفي أواخر حياتها عكفت على حياة الخلوة والنسك والتأمل ، ووهبها الرب موهبة الشفاء ، فكان الكثيرون يتقاطرون إليها طالبين البرء من أمراضهم ... وكم من مرة حاول بعض الأشرار الإساءة إلى طهارتها ، فأنقذها الرب من أيديهم بمعجزة ... وأخيراً رقدت في الرب وهى في سن التسعين ، ودفنت في سلوقية .

وقد أفاض آباء الكنيسة الأوائل في مديح هذه القديسة ، ومنهم باسيليوس الكبير ، وغريغوريوس الثاؤلوغوس ، ويوحنا الذهبى فمه ، وامبروسىوس ، وأبرونيوموس ، وإسيدوروس الفرمى ، وساويرس الأنطاكى .